

المعهد الخلفي للأبحاث والبحوث
ببيت المغرب

أزهار الناض في جنات عريك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

الجزء الثالث

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ شلبي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م

الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة بعض الأصول التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب ، ونذكرها هنا في مفتتح هذا الجزء تذكيرا للقراء ، وهذه رموزها :

١ (ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب في تونس سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد انتهت بانهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهي بخط مغربي واضح ، في ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ هـ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .

تنبيه :

كل ما جاء في هذا الجزء بين هاتين الحاصرتين [] من غير تنبيه عليه ، فهو من زيادات النسخ الأخرى على نسخة (ط) التي هي الأصل المعتمد للطبع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثالث

من كتاب

أزهار الرياض، في أخبار عياض

روضة الأقبوان

في ذكر هار في المفسأ والعنفوان

أقول ، وَمِنْ اللَّهِ أَسْأَلُ التَّأْيِيدَ وَالْعَوْنَ ، وَالْوَقَايَةَ وَالصَّوْنَ :
عَقَدْنَا هَذِهِ التَّرْجُمَةَ الثَّانِيَةَ ، لِبَيَانِ حَالِهِ ، فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ .
فَاعْلَمْ أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى طَرِيقِ الرِّضْوَانِ ، وَجَنَّبَ جَمِيعَنَا مَسَالِكَ الدَّلَالِ
وَالهَوَانِ ، أَنَّ حَالَ هَذَا الْإِمَامِ لَا تَنِي بِهَا عِبَارَتِي الْقَاصِرَةَ ، وَلَا ^(١) تُحِيطُ إِشَارَتِي
بِمَنْ عَقَدَ الْفَضْلُ عَلَيْهِ خَنَاصِرَهُ . وَمَا أَجْدُ لِبَعْضِ ذَلِكَ مِثَالًا إِلَّا بِبَعْضِ قَوْلِ
الرَّئِيسِ [الْقَاضِي] السَّكَاتِبِ أَبِي يَحْيَى بْنِ عَاصِمٍ ، عِنْدَ مَا عَرَّفَ بِأَبِيهِ [صَاحِبِ
التَّحْفَةِ] ، وَقَالَ ^(٢) فِيهِ مَا نَصَّهُ :
مَوْلَايَ الْوَالِدُ يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّ بَسَطْتُ الْقَوْلَ ، وَعَسَدَدْتُ الطَّلُولَ ،
وَأَحْكَمْتُ الْأَوْصَافَ ، وَتَوَخَّيْتُ الْإِنْصَافَ ؛ أَنْفَذْتُ الطَّرُوسَ ، وَكُنْتُ كَمَا

(١) فِي م : « وَكَيْفَ » (٢) فِي م : « نَقَالَ » .

يقول الناس في المثل: « مَنْ مَدَحَ العَرُوسَ ^(١) ». وإن أُضْرِبَتْ عن ذلك صَفْحًا،
وَأَثَرُ غَضًا [من البُنُوَّة] وَسَفْحًا ^(٢) ، فَلَبِثْنَا صَنَعْتَ ، وَلَشَدَّ مَا أُمْسَكْتَ
المعروفَ وَمَنَعْتَ ، وَلَسَكُم من حقوق الأُبُوَّة أَصْعَتُ ، ومن ثَدَى المَعَقَّة رَضِعْتَ ،
وَمِنْ شَيْطَانٍ لَعَمَصَةِ الحقِّ أَطَعْتَ ، ولم أُرِدْ إِلَّا الإصلاحَ ما استطعت ؛ وإن [٥٠٠]
توسَّطْتُ واقتصرْتُ ، وأوجزْتُ واختصرْتُ ، فلا الحقُّ نصرْتُ ، ولا أفنانَ
البلاغة هَصَرْتُ ، ولا سبيلَ الرُّشد أبصرْتُ ، ولا عن هوى الحسدة أقصرْتُ .

هذا ؛ ولو أتى أجهدتُ ألسنة البلاغة فَجَهِدْتُ ، وأيقظتُ عيون الإجابة
فَسَهَدْتُ ، واستعرتُ مواقف عُكَّاطٍ على ما عُدْتُ ، لما قرَّرتُ من الفضل
إلا ما به الأعداء قد شهَدْتُ ، ولا استقصيتُ من المجد إلا ما أوصتُ به الفئة
الشائنة لخلفها الأبتَرِ وعهدتُ ؛ فقد كان رحمه الله عَلمَ الكمال ، ورجل الحقيقة ،
وَقَارًا لا يَخِفُّ راسيةً ، ولا يَفْرَى كاسيةً ، وسُكُونًا لا يُطْرَقُ جانبُهُ ، ولا
يُرْهَبُ غالبُهُ ، وحِلْمًا لا تَزِلُّ حصاته ، ولا تُهْمَلُ وصاته ، وانقباضًا لا يُتَعَدَّى
رُشْمُهُ ، ولا يُتَجَاوَزُ حُكْمُهُ ، ونزاهةً لا تَرُخَّصُ قيمتها ، ولا تَلِينُ عزيمتها ؛
وديانةً لا تُخَسِّرُ أذيالها ، ولا يَشِفُّ سِرْبُها ، وإدراكًا لا يُفْلُ نَصْلُهُ ، ولا
يُدْرِكُ خَصْلُهُ ، وذُهْنًا لا يَخْبُو نُورُهُ ، ولا يَنْبُو مَطَرُورُهُ ^(٣) ، وفَهْمًا لا يَخْفَى فَلَقُهُ ،
ولا يُلْحَقُ [طَلَقُهُ ، وصدقًا لا يَخْلَفُ مَوْعِدُهُ ، ولا يَأْسُنُ مَوْزِدُهُ ، وحِفْظًا
لا يُسْبَرُ غَوْزُهُ ، ولا يَذْبُلُ نُورُهُ ، بل لا يُطْرَقُ] ^(٤) بَحْرُهُ ، ولا يَعْطَلُ نَفْرُهُ ،

(١) هذا جزء من مثل ، ذكره على سبيل الاكتفاء ، لوضوح معناه وشهرته . وتماه
كما في مجمع الأمثال للبيداني : « من يمدح العروس إلا أهلها » . قال : يضرب في
اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض ، وعجبهم بأنفسهم .

(٢) سفحا : مصدر سفح الماء إذا أراقه . يريد : إهدار البنية وتناسي واجبها .

(٣) المطرور : المحدد . (٤) الزيادة عن الديباج المذهب لابن فرحون .

وتحصيلاً لا يُفْلِت قنيصه ، ولا يَسَامُ حريصه ؛ بل لا يُحَلِّ عِقَاله ، ولا يَصْدَأُ صِقَاله ؛ وطلباً لا تَتَّحِد^(١) فُنُونه ، ولا تَتَمَيَّن عُيُونه ، بل لا تُحَصِّر معارفه ، ولا تُقَصِّر مصارفه .

انتهى المقصود منه ، وبعض كلامه أردت لا كله ، إذ هو اللائق بوصف القاضي أبي الفضل عياض إمام الله .

قال الملاحى : كان القاضي عياض - رحمه الله تعالى - بجزء علم ، وهضبة دين وحلم ، أحكم قراءة كتاب الله [تعالى] بالسبع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرز في علم الحديث ، وحمل راية الرأي ، ورأس [في] الأصول ، وحفظ أسماء الرجال ، وثقّب في علم النحو ، وقيد اللغة ، وأشرف على مذاهب الفقهاء ، وأنحاء العلماء ، وأغراض الأدباء . انتهى كلام الملاحى .

وقال ابنه القاضي أبو عبد الله بن عياض رحمه الله :

نشأ أبى على عفة وصيانة ، مرضى الحال ، محمود الأقوال والأفعال ، موصوفاً بالنبل والفهم والحدق ، طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، معظماً عند الأشياخ من أهل العلم ، كثير المجالسة لهم ، والاختلاف إليهم ، إلى أن برع أهل زمانه ، وساد جملة أقرانه ؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى ، مع القراءة الحسنه ، والنغمة العذبة ، والصوت الجهر ، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث في وقته ، أصولياً متكلماً ، فقيهاً ، حافظاً للمسائل ، عاقداً للشروط ، بصيراً بالأحكام ، نحوياً ، رياناً من الأدب ، شاعراً مجيداً ، كاتباً بليغاً ، خطيباً ، حافظاً للغة والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ،

(١) في الديباج المذهب لابن فرحون : « لا تتحد » .

نبيل النادره^(١) حُلُو الدُّعَابِه ، صَبُورًا حَلِيمًا ، جَمِيلَ العِشْرَةِ ، جَوَادًا سَمِيحًا ،
كثِيرَ الصَّدَقَةِ ، دَهْوِيًّا عَلَى الْعَمَلِ ، صَلِيلِيًّا فِي الْحَقِّ ، وَبَلَغَ فِي التَّفَنُّنِ فِي الْعُلُومِ
مَا هُوَ مَشْهُورٌ ، وَفِي الْعَالَمِ مَعْلُومٌ .

قال ابنه وابن خاتمة في مَزِيَّةِ الْمَرِيَّةِ :

لابنه وابن خاتمة
في ذكر شيوخه

وَأَخَذَ عَنْ أَشْيَاحِ بَلَدِهِ سَبْقَةَ ، كَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى ، وَالْخَطِيبِ
أَبِي الْقَاسِمِ ، وَالْفَقِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الْقَاسِي ، وَغَيْرِهِمْ . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ،
وَكَانَ خُرُوجُهُ مِنْ سَبْقَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسٍ مِثَّةً ،
فَوَصَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مُسْتَهْلًا جُمَادَى الْآخِرَةِ بَعْدَهَا^(٢) ، فَأَخَذَ بِهَا عَنْ
ابْنِ عَتَابٍ ، وَابْنِ حَمْدِينَ ، وَابْنِ الْحَاجِّ ، وَابْنِ رُشْدٍ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ
سِرَاجٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَغِيثٍ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ النَّحَّاسِ ، وَأَبِي بَحْرٍ الْأَسَدِيِّ ،
وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَسْقِيٍّ ، وَأَبِي الْوَلِيدِ هِشَامَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْعَوَّادِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ
أَعْلَامِ قُرْطُبَةَ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى مُرْسِيَّةَ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ لِحُسْنِ بَقِيَّةٍ مِنَ الْحَرَمِ ،
سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ التَّارِيخِ ، فَوَصَلَ مُرْسِيَّةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ الثَّلَاثِ مِنْ صَفَرٍ بَعْدَهُ .
كَذَا قَالَ وَلَدُهُ ، وَهُوَ أَعْرَفٌ .

وَقَالَ ابْنُ خَاتِمَةَ فِي مَزِيَّةِ الْمَرِيَّةِ : إِنَّهُ وَصَلَ مُرْسِيَّةَ فِي غُرَّةِ صَفَرٍ ، فَوَجَدَ
الْحَافِظَ أَبَا عَلِيٍّ الصَّدْفِيَّ مُخْتَفِيًا — قَالَ ابْنُ خَاتِمَةَ : وَكَانَ اخْتَفَى قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ،
لِنَبْذِهِ خُطَّةَ الْقَضَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْفَى — وَوَجَدَ الرَّحَّالِينَ إِلَيْهِ قَدْ نَفَذَتْ نَفَقَاتُ
بَعْضِهِمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ابْتَدَأَ كِتَابًا لَمْ يُتِمَّهُ ، فَأَخَذَ أَكْثَرُهُمْ فِي الرَّجُوعِ إِلَى
مَوَاطِنِهِمْ ، وَتَرَبَّصَ بَعْضُهُمْ ، فَسَكَثَ هُوَ بَقِيَّةَ صَفَرٍ وَشَهْرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ لَا يَقَعُ
لَهُ عَلَى خَبَرٍ ، سِوَى الظَّنِّ بِكَوْنِهِ هُنَاكَ ، وَقَابَلَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ بِأَصُولِهِ ، وَكَتَبَ مِنْهَا

(٢) في ط : « بعده » .

(١) في الأصول : « النادر » .

ما أمكن ، على يد خاصة من أهله ؛ ولا يُشكَّ أن تصرّفه في ذلك لم يكن إلا بأمره^(١) ، إلى أن وصل كتاب قاضي الجماعة أبي محمد بن منصور ، بحلّ القاضى أبي عليّ عن القضاء .

قال ابنه : ووصل كتابه أيضا إلى أبي مُعلٍ له بذلك ، إذ كان يكرّم عليه ، وعلم برحلته إليه ، فخرج أبو عليّ من اختفائه ، وجلس للتسميع ، فسمع عليه كثيرا ، ولازمه ، وكان له به اختصاصٌ ، فحصل له سماع^(٢) كثير ، في أمد يسير .

قال ابن خاتمة : سمع عليه الصحيحين ، والمؤتلف والمختلف ، ومُشتبه النسبة لعبد الغنى^(٣) ، والشَّهاب^(٤) للقضاعى ، وغير ذلك ؛ وكتب عنه فوائد كثيرة ، وعارض بأصوله ، وأجاز له [جميع رواياته] .

قال ابنه رحمه الله : حكى أبى أبو الفضل عياض رحمه الله أن القاضى أبا على الصدقى رحمه الله قال له : لولا أن الله يسرّ خروجي بلطّقه ، لكنتُ غزمت^(٥) أن أشعرك بموضع يقع عليه الاختيارُ من بلاد الأندلس ، لا يؤبّه لكوني فيه ، فتدخل إليه ، وأخرج محتفيا إليه بأصولي ، فتجد ما ترغب ، لما كان في نفسى من تعطيل رحلتك ، وإخفاق رغبتك .

ولقى في رحلته هذه جماعة من أعلام الأندلس ، وأجازه أبو علىّ الجيّانى^(٦)

(١) يريد : بأمر أبى على الصدقى . (٢) في م ، ص : « مسموع » .

(٣) هو الحافظ عبد الغنى بن سعيد الأزدي القدسي المتوفى سنة ٤٠٩ هـ .

(٤) هو كتاب الشهاب ، في المواعظ والآداب ، في علم الحديث . ذكره القلقشندي في

صبح الأعشى ، عند الكلام على أنساب قضاة ، ونسبه للقضاعى المصرى المتوفى

سنة ٤٥٤ هـ . (٥) في ط : « لزمت » .

(٦) هو الحسين بن محمد بن أحمد الفسائى المعروف بالجياني توفى سنة ٤٩٨ هـ .

وشريح وابن^(١) شبرين ، وغيرهم من أعلام غرب الأندلس ؛ وأجازه أيضا أبو جعفر بن بشتغير ، وابن الأدر ، وأبو زيد بن منتال ، وغيره من أعلام شرق الأندلس .

قال ابن خاتمة :

وفي رحلته هذه دخل المرية ، وبها لقيه القاضي أبو جعفر بن مضاء .
قال ابنه : ووصل بلدَه بعد هذه الرحلة ليلة السبت سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وخمس مئة ، وأجلسه أهل بلدَه للمناظرة عليه في المدونة ، وهو ابن اثنين وثلاثين عاما ، وبعد ذلك ييسر أجلس للشورى ، ثم ولي القضاء عام خمسة عشر وخمس مئة ، لثلاث بقين من صفر ، فسار فيها أحسن سيرة ، محمود الطريقة ، مشكور الحالة ، أقام جميع الحدود على ضروبها ، واختلاف أنواعها ، وبني الزيادة الغربية في جامع سبتة ، التي كمل بها جماله ، وبني في جبل المينا الرابطة^(٢) المشهورة ، إلى غير ذلك من الآثار المحمودة ، والمساعي المرضية ، فعظم جاهه ، وبعد صيته .

ثم نقل إلى غرناطة ، ووصل إليه الكتاب بذلك في أول يوم [من] صفر عام أحد وثلاثين وخمس مئة ، فنهض إليها ، وتقلد خطة قضائها ، على المعتاد من شيمته السنية ، وأخلاقه المرضية ، مشكورا عند جميع الناس ،^(٣) لكن تاشفين ضاق به دَرُعه ، وغص بمراقبته ، وصد أصحابه عن الباطل ، وخدَمته عن الظلم ، وتشريداهم عن الأعمال ، فسعى في صرفه عن قضاء غرناطة ، فصرف بعد انفصاله عنها زائرا أهله ، وترك ابن أخيه الزاهد أبا عبد الله رحمه الله ، على الأحكام

(١) الكلام من قوله : « شبرين » إلى قوله « الأندلس » : ساقط من نسخة ط .

(٢) يريد بالرابطة : الرباط ، وهو المكان يربط فيه المتعبدون .

(٣) الكلام من قوله : « لكن » إلى قوله : « الأحكام » : ساقط من نسخة ط .

وذلك في رمضان المعظم ، عام اثنين وثلاثين وخمس مئة .

ثم ولى قضاء سبئة ثانية ، في آخر عام تسعة وثلاثين وخمس مئة ، قدمه
 زاهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فابتهج أهل بلده بذلك ، فسار
 فيهم نيرة التي عهدوا منه ، ثم بادر بالمسابقة إلى الدخول في نظام الموحدين ،
 والاعتصام بحبلهم المتين ، فأقره أمير المؤمنين ، أدام الله أمره ، على ما كان
 عليه ، وصرف أمور بلده إليه . وخاطبه بالتقوية ، وحظي عنده ، وشكر
 بداره وسبقه . ثم رحل إليه ، فاجتمع به بمدينة سلا ، عند توجهه إلى محاصرة
 مرّاكش ، فأوسع له ، وأجزل صلته ، ولقي منه برّا تاما ، وإكراما عاما ،
 وانصرف على أحسن حال ، إلى أن ثارت الفتنة .

[٥٠٩]

انتهى كلام ولده ، وسنذكر بقيته في محله ، إن شاء الله .

وقال الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن الغرناطي ، المعروف بابن القصير ،
 رحمه الله : لما ورد علينا القاضي عياض غرناطة ، خرج الناس للقاءه ، وبرزوا
 تبريزا ما رأيت لأمر مؤثر مثله ، وحزرت أعيان البلد الذين خرجوا إليه
 ركباً^(١) ، نيفا على مئتي راكب ، ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة ،
 وخرجت مع أبي رحمه الله [تعالى] في جملة من خرج ، فلقينا شخصا بادی
 السيادة ، منبئاً عن اكتساب المعالي والإفاده . قال : وكان ورودُه علينا يوم الخميس
 لحس بقين من ربيع الآخر سنة ثلاثين وخمس مئة . انتهى .

وانظر قوله سنة ثلاثين مع ما تقدم لولده ، من أن ولايته قضاء غرناطة
 سنة إحدى وثلاثين ، فلا أدري أيهما أصوب ، إلا أن يقال إن أحدهما تحريف
 من الناسخ . والله أعلم .

(١) كذا في م ، ص . وفي ط : « ركبانا » .



ثم إنى رأيت في الإحاطة ، أنه تولى قضاء غرناطة عام أحد وثلاثين ، فتبين أن ذلك هو الصواب . ورأيت مثله في غير موضع ، فبان أنه لا تحريف فيه . ويبقى النظر في الآخر المنقول عن عبد الرحمن بن القصير ، وقد نقله ابن جابر الوادى آشى عن عبد الرحمن المذكور كما حكيتُه ، سنة ثلاثين ، فإله أعلم .

ثم قال عبد الرحمن المذكور : ولما استقرّ عندنا كان مثل التمرة : كلما ليكت زادت حالوه ، ولفظه عذب في كل ما صرف من الكلام ، للنفس إليه تتوق وله طألوه ، وكان برّا بلسانه ، جوادا بدينانه ، كثير التمشع في صلّاته ، مواصلا لصلّاته ، وقد جمّعنا^(١) من سيره جملا في الكتاب الذى جمعنا فيه مناقب من أدرّ كنّا ، من أعيان عصرنا ونبيّه ، وذكرنا له ما يُفاخر برونقه وبهائه ؛ وكان مع براعته في علوم الشريعة خطيبا ، في تحبيره للخطب وفي لفظه ، ظاهرة الخشوع عند التلاوة وفي لحظه ، سريع العبّره ، مُدِيما للتفكير والعبّره ، كاتبيا إذا تثر ، ناظما^(٢) إذا شعر .

انتهى . نقله ابن جابر وغير واحد كابن رُشيد .

وقال في أوّله مانصه : قال أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدي : ولّى عندنا ببلدنا غرناطة ، حرمها الله تعالى ، الفقيه الأجل ، الحافظ الأحفل ، القاضي الأكرم الأفضّل ، الإمام الخطيب المصقع ، الأديب الأبرع ، أبو الفضل عياض . انتهى .

ونقلت من خط بعض تلامذة ابن رُشيد ، وهو الفقيه محمد بن البردعى ما نصه :

وعبد الرحمن هذا قد سألت عنه شيخنا المذكور — يعنى ابن رُشيد — فقال

(١) في م ، س : « بينا » . (٢) في ط : « ناظما » .

لى : لم يُعرّف به أحدٌ من أهل الصّلات . قلت : ولا الملاحى أيضا .

انتهى ببعض اختصار .

إنصاف القاضى
عباس

وكان الإمام القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله كثيرَ الإنصاف ؛ ومما يدل على إنصافه الحق^(١) وتواضعه ، ما حكاه عبد الرحمن المذكورُ آنفا ، إذ قال : دخلتُ مجلسَ القاضى أبي الفضل عياض ، رحمه الله تعالى ، إذ كان قاضيا عندنا بغير ناطة ، وبه جماعةٌ من الطلبة والأعيان ، يسمعون تأليفه المسمّى بالشفا ؛ فلما وصل القارئ إلى هذه الكلمات : « وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ » ، قرأه ثلاثيا ، وكذلك كان فى الأم^(٢) التى كان يقرأ فيها ، فقلت للقاضى ، وصَلّ الله توفيقه : هذا لا يجوز فى هذا الموضع . فقال : ماتقول ؟ فقلت : إنما هو أقسط ، لأن المراد فى هذا الموضع « عدل » ؛ فالفعل منه رباعى ، كما قال [الله] تعالى : « وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » . وأما قَسَطَ فإنما هو « جار » ، كما قال تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » . فتمجّبت ، وقال لمن حضّر : إن هذا الكتاب قد قرأه على من العالم ما لا يحصى كثرة ، ولا أقف على مُنتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحدٌ لهذه اللفظة . وفاة بلسان الإنصاف ، وشكر بفضلِهِ ، وأبلغ ببراءة علمه فى تحسين المناقب والأوصاف ، وأورثنى ذلك عندَهُ كرامة [كبيرة] ومبرّه ، ولم^(٣) تزل مستمرة ، وصنع من المكارم أجزلَ صنيع وأبرّه ؛ رحمه الله من طوّد علم ، وهضبة فضل وحلم ، وتغمّده وإيانا برحمته ، ونفعه كما نفع^(٤) فى الدنيا والآخرة بعلمه . انتهى .

(١) كذا فى ط ، س ، وفى م : « انصافه بالحق » .

(٢) فى م : « الإمام » .

(٣) فى م : « لم » . مجردة من واو المطف .

(٤) كذا فى م . وفى ط ، م : « فعل » .

قلت : وقد رأيت نسخة من الشفا بخط هذا الشيخ عبد الرحمن المذكور ، وحكى هذه المسألة في الطرة^(١) بخطه ، كما نقلته^(٢) حرفا حرفا ، إلا قوله : « المسمى بالشفا » فإنه لم يقله . وألقيت في آخر هذه النسخة بخط الفقيه محمد بن البردعي المتقدم الذكر ، تلميذ ابن رُشيد الفهرى ، عند ما ذكر هذه الحكاية ، ما نصه :

التعريف بابن
القصيد

وعبدُ الرحمن هذا هو كاتب هذه النسخة ، وقد عاناها أحسن مُعانة ، إلا الكُرَاسَةَ الأخيرة ، فإنها ليست بخطه ؛ وقد ذكر هذه الحكاية في بعض طُرَرِهِ المتياسرة ، حيث وقعت اللفظة المذكورة منه ، وأثبتها هنالك بخطه ، كما أثبتَ غيرها ، مما يدلُّ على علمه وتقننه في المعارف . وقد سألت عنه شيخنا أبا عبد الله المذكور — يعنى ابن رُشيد — فقال لى : لم يُعرِّف به أحدٌ من أهل الصَّلَات . قلت : ولا الملاحى أيضا .

انتهى ما أقيمت به بخط ابن البردعي ، وقد نقلت بعضه قبل هذا بأسطر ، وأعدتُه هنا لارتباط بعضه ببعض ، والله الموفق .

قلت : ما ذكره ابن رُشيد وتلميذه ابن البردعي ، من أن عبدَ الرحمن المذكور لم يُعرِّف به أحدٌ من أهل الصَّلَات ، قصورٌ واضح . وكذا قولُ ابن البردعي إن الملاحى لم يذكره ، فقد ذكره الملاحى وأبو جعفر بن الزبير في صلة الصلة ، وكناه أبا جعفر ، لا أبا القاسم ، ولا أبا زيد ، كما كناه ابن جابر وغيره مما ذكرنا^(٣) .

(١) الطرة : حاشية الكتاب .

(٢) كذا في ط ، م . وفى ص : « نقلتها » .

(٣) هذه العبارة : « وغيره مما ذكرنا » : زيادة عن ص .

ونصر ما في صلة ابن الزبير : عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي^(١) ، من أهل غرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن القصير ، من بيت شوري وجمالة ؛ روى عن أبيه القاضي أبي الحسن أحمد بن أحمد ، وعن عمه أبي مروان عبد الملك بن أحمد ، وعن أبوي الحسن بن دزمي وابن الباذش ، وأبي الوليد بن رشد ، وأبي إسحاق إبراهيم بن رشيق الطليطلي ، نزيل وادي آش ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن بن موهب ، وأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ، وأبي عبد الله بن أبي الخصال ، وأبي الحسن يونس بن مغيث ، وأبي القاسم بن وزد ، وأبي بكر بن مسعود الخشني ، وأبي القاسم بن بقي ، وأبي الفضل عياض بن موسى وغيرهم ، وكان فقيها مشاورا ، رفيع القدر ، جليلا بارعا الأدب ، عارفا بالوثيقة ، نقادا لها ، صاحب رواية ودراية ، تقلب ببلاد الأندلس ، وأخذ الناس عنه بمروسة وغيرها ، ورحل إلى مدينة فاس ، فأخذ الناس عنه [بها] ، ثم رحل إلى إفريقية ، وولى قضاء تقيوس ، ببلاد الجريد ، بمقربة من توزر ، ثم ركب البحر قاصدا الحج ، فتوفي شهيدا في البحر ، قتلته الروم بمروسة تونس ، مع جماعة من المسلمين ، صبح يوم الأحد ، في العشر الواسط من شهر ربيع الآخر ، سنة ست وسبعين وخمس مئة .

[٥١٣] وله تواليف وخطب ورسائل ومقامات ، وجمع مناقب من أذكره من أهل عصره ، واختصر كتاب الحيل لابن خاقان الأصبهاني ، وغير ذلك ، وآلف برناجا يضم رواياته . ذكره أبو القاسم بن الملجوم في برناجه ، وروى عنه ، واستوفى خبره ؛ وذكره الملاحى ، وذكره الشيخ في الذيل ، فيمن اسمه أحمد ،

(١) في الديباج لابن فرحون : « عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، ويعرف بابن القصير » .

وغلّطه في ذلك الكُنية ، ثم ذكره فيمن اسمه عبدُ الرحمن ، وظنَّ أنهما رجلان . انتهى كلام صاحب الصلّة .

قلت : واهلّ الحامل لابن رُشيد وتلميذه على هذا القصور ، اعتمادُها على الكُنية ، التي هي أبو زيد وأبو القاسم ، كما سبق ، وقد عرفت أنّ صاحب الصلّة قد كنّاه بأبي جعفر فقط ، فلعلهما لم يقفا على ما ذكرناه من التعريف به أصلا ، أو وقفا على أوّلِهِ ، حينَ رأيا صاحب الصلّة كنّاه بأبي جعفر ، فلما أنه غيرُهُ ، ولم يُعْمِنَا النظر في الترجمة إلى آخرها . وإلى الله مرجع العلم . ثم إن الغلط في أمره وقع قبلهما لصاحب الذيل ، كما قاله ابن الزبير . والله سبحانه أعلم بالصواب .

[قلت] : وقد ذكرتُ في هذا الموضوع بعضَ فوائد عبدِ الرحمن المذكور ، المكتوبة بهامش الشفا ، الذي بخطّه ، فراجعهُ في ترجمة [تأليف] عياض ، عند ذكر كتاب الشفا .

وقال الفقيه الأجلّ ، الراويةُ العدل ، الزاهد الصالح ، أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوَال رحمه الله ، في ذكر القاضي أبي الفضل عياض في صلته ، ما نصه :

لابن بشكوال
في عياض

عياضُ بنُ موسى بن عياض اليحصبيّ ، من أهل سَبْتة ، يُكنى أبا الفضل ، قدِم الأندلسَ طالبا للعلم ، وأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمّدين ، وأبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج ، وعن شيخنا أبي محمد بن عتّاب ، وغيرهم ، وأجازله أبو علي الفسّاني ما رواه ، وأخذ بالمشرق^(١) عن القاضي أبي عليّ حسين بن محمد الصّدقيّ كثيرا ، وعن غيره ، وعُنِيَ بقاء الشيوخ ، والأخذ

(١) يريد بالمشرق هنا : « شرق الأندلس » .

عنهم ، وجمع من الحديث كثيرا ، وله عنايةٌ كبيرةٌ به ، واهتمامٌ بجمعه وتقييمه ، وهو من أهل التفنن في العلم ، والدكاء واليقظة والفهم ؛ واستقصى ببلده مدة طويلة ، فحُمِدَت سيرته فيها ، ثم نُقِلَ عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطل أمده بها ، وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة ، وأخذنا عنه بعض ما عنده . وسمعته يقول : سمعت القاضي أبا علي حسين بن محمد الصدفي يقول : سمعت الإمام أبا محمد التميمي ببغداد يقول : ما لكم تأخذون العلم عنا ، وتستفيدونه منا ، ثم لا تترحمون علينا ! فرحم الله جميع من أخذنا عنه ، من شيوخنا وغيرهم .

ثم كتب [إلى] القاضي أبو الفضل بخطه ، فذكر أنه وُلِدَ في منتصف شعبان من سنة [ست] وسبعين وأربع مئة ؛ وتوفي رحمه الله بمرأكش ، مغرباً عن وطنه ، وسقط سنة أربع وأربعين وخمس مئة . انتهى كلام ابن بشكوال في الصلة ؛ وذكرته كله وإن كان بعضه قد تقدم ما يُغني عنه ، وبعضه يأتي ، لأنه كلامٌ ارتبط بعضه ببعض .

ورأيت في كتاب « المرقبة العليا ، في الأقضية ^(١) والفتيا » للقاضي الخطيب للنباهي في عياض أبي الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي الغرناطي ، رحمه الله ، بعد أن ذكر كلام صاحب الصلة السابق ، ما نصه :

قلت : وسكن القاضي أبو الفضل هذا بمالقة مدة ، وتمول بها أملاكاً ، وأصله من مدينة بسطة ، ذكر ذلك حفيده ، في الجزء الذي صنفه في التعريف به وبتواليه ، وبعض أخباره وخطبه ، تغمده الله وإيانا برحمته ، انتهى .

(١) تقدم اسم هذا الكتاب في الجزء الثاني (ص ٧ من هذه الطبعة) « المرقبة العليا ، في مسائل القضاء والفتيا » .

لابن خاقان في
عياض

وقال صاحب المطمح والقلائد في وصف القاضي عياض ما نصه :

« جاء على قَدَر ، وسَبَقَ إلى نيل المعالي وابتَدَرَ ، فاستيقظ لها والناسُ
نِيَام ، وورد ماءها وهم حِيَام ؛ وجَلَى من المعارف ما أشكل ، وأقدم على ما أُحْجَم
عنه سواه ونكل ، فتَحَلَّتْ به للعلوم نُحُور ، وتَجَلَّتْ له منها حُوز ، « كَانَهُنَّ
الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ » ، « لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ » قد أَلْحَقَتْهُ
الأَصَالَةُ رِداءها ، وسَقَتْهُ أُنْدَاءُها ، وَأَلْقَتْ إليه الرِياسة مَقَالِيدَها ، ومَلَكَته
طَرِيفَها وتَلِيدَها ، فبَذَلَ على فِتْنَانِة الكُھُول ، سُكُونًا وحِلْمًا ، وسَبَقَهُمْ معرفة
وعِلْمًا ، وَأَزْرَتْ مُحَاسِنَها بالبدر اللَّيَّاح ، وسَرَتْ فُضَائِلَها مَسْرَى الرِّيح ، فَنَشِوَتْ
لُعْلُاهُ الأَفْطَار ، ووَكَّفَتْ تَحَكِّي نَدَاهُ الأَمْطَار ؛ وهو على اعتِنَائِهِ بعلوم الشريعة ،
واختصاصِهِ بهذه الرُّتْبَةِ الرفِيعَةِ ، يُعْنَى بِإِقَامَةِ أَوْدِ الأَدَب ، وَيَنْسِلُ إليه أَرْبابُهُ
من كل حَدَبٍ » .

قال ابن جابر : هكذا وصفه صاحب المطمح . انتهى .

تعقيب لابن جابر
على كلام ابن
خاقان

وهذا يدل على أن [بعض] ألفاظ المطمح [كألفاظ القلائد ، لأن هذا
الذي نقله ابن جابر عن المطمح] ، هو بعينه في قلائد العقيان ، وزاد بعد قوله :
« من كل حَدَبٍ » ما نصه : [إلى] سكون ووقار كما رَسَا الطُّود ، وجمال
مجالس كما حَلِمَتِ الخَوْد ؛ وعَفَافٍ وَصَوْن ، ما علما فسادا بعد السكون ؛ وبهاء ،
لورأتها الشمس ما باهت بأضواء ؛ وخَفَر ، لو كان للصُّبْح ما لاح وأُسْفَرَ . انتهى .
وقد رأيت بعض أوراق من المطمح ، بخزانة الكتب من الجامع الأعظم
ببَيْلِسان ، حرسها الله ، أعنى الخزانة الوُسْطَى ، التي فوق مِحْرَاب الصَّخْن ،
وهي التي يجلس^(١) بها الأشراف ، أحفادُ الشيخ الإمام ، عِلْمُ الأَعْلَام ، [٥١٦]

تعقيب للمؤلف
على المطمح
ومؤلفه

(١) في ط ، م : « ينزل » .

سيدى أبى عبد الله الشريف التلمسانى ، رحمه الله ، شارح مجمل الخوة نجى ،
وصاحب التأليف الشهيرة ، المبرز على علماء المعقول والمنقول ، وعادة هؤلاء
الأشراف أن يجلسوا بها يوم الجمعة ، بعد الصلاة وقبلها ، فوجدت ألفاظه — أعنى
المطمح — كألفاظ القلائد ، من غير فرق ، غير أنه فى المطمح ذكر رجالا لم
يذكرهم فى القلائد ، فظهر من مقتضى ذلك أن المطمح إنما زاد على القلائد فى
الرجال ، [وأما] ما اتفقا عليه فلفظهما فيه واحد .

وذكر غير واحد من الأئمة أن المَطْمَح ثلاث نسخ : كبرى ، ووسطى ،
وصغرى . وأصل تسميته : «مطمح الأنفس ، ومسرح التأنس»^(١) فى ذكر أعيان
الأندلس^(٢) .

ولعلنا نذكر فيما يأتى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، التعريف
بصاحب المطمح والقلائد المذكور ، وهو الفتح بن عبيد الله ، الكاتب المعروف
بابن خاقان ، فى موضع هو أنسب من هذا ، والله سبحانه المستعان ، نسأله سبحانه
أن ييسر علينا كل مرام ، ويتغمّد بالعفو ما ارتكبنا^(٣) من إصرار وإجرام^(٤) ،
بجاه أشرف الخلق ، ووسيلتهم إلى الحق ، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم ، عليه من الله أفضل صلواته ، وأزكى سلامه ، وعلى جميع إخوانه
المرسلين والنبئين ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأشياعه^(٥) ، وأنصاره ، وأزواجه ،
وذريته ، وذوى محبته ، وأهل بيته الطاهرين^(٥) .

وكان القاضى أبو الفضل عياض — رحمه الله — حسن الإلقاء للمسائل ،

(١ — ١) فى ابن خلكان والنسخة المطبوعة فى مصر : « فى ملح أهل الأندلس » .

(٢) فى م : « ويتغمّدنا بالعفو عما اقترناه » .

(٣) فى م ، ص : « واجترام » .

(٤) كذا فى ط ، ص . وفى م : « وأتباعه » .

(٥) فى ط : « الطاهر » .

كثير التحرير للنقول^(١) ، وقد انتفع به من العلماء من^(٢) لا يحصى ، كأبي زيد عبد الرحمن بن القصير ، المتقدم الذكر .

ومن أخذ عنه ورَوَى عنه القاضي الشهير أبو جعفر ، أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي رحمه الله ، وقد قدّمنا أنه لقيه بالمرية .

[٥١٧]

وكان القاضي أبو الفضل رحمه الله وقورا ، ذا سمّة حسن ، وهديّ مُستحسن ، وربما تقع منه دُعاة ، كما تصدر من الفضلاء أمثاله .
ومن دعا به ما حكاه ولده ، قال :

وفاره وسمته

قال بعض أصحابنا : صنعت أبياتا تغزلت فيها ، والتفتُ إلى أبيك رضى الله عنه ، ثم اجتمع بي ، فاستنشدني إياها ، فوجّمت ، فعزّم عليّ ، فأنشدته :
أيا مُكثِّرا صدّي ولم آتِ جفوةً وما أنا عن فعل الجفاء براضٍ
سأشكو الذي تولى من سوء عشرة إلى حَكَم^(٣) الدنيا وأعدل قاضي
ولا حَكَمٌ بيني وبينك أرتضى قضاياه في الدنيا سوى ابن عياض
قال : فلما فرغت حسن وقال : ومتى عرفتني قواديا فلان ، على طريق المداعبة ، رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه .

وكان القاضي أبو الفضل رحمه الله كثير الاعتناء بالتقعيد والتحصيل .

عنايته بالتقعيد

قال ابن خاتمة : كان لا يُبلغ شأوه ، ولا يُدرِك مداه ، في العناية بصناعة الحديث ، وتقعيد الآثار ، وخدمة العلم ، مع حسن التفنن^(٤) فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ، إلى اضطلاع بالآداب ، وتحقيقه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية .

(١) في ص ، م : « للنقول » . (٢) في ط ، ص : « ما » .

(٣) في ط ، م : « أحكم » . (٤) كذا في ط ، ص . وفي م : « اليقين » .

وبالجملة فكان جمال العصر ، ومفخر الأفق ، وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ، وإذا عُدَّت رجالات المغرب ، فضلا عن الأندلس ، حُسِبَ فيهم صدرا . انتهى . وإنما يَعْرِفُ الفضل لأهل الفضل [ذووه] أهل الفضل .

وكان رحمه الله مُعْظَمًا للشَّنة ، عالما عاملا ، خاشعا قانتا ، قوالا للحق ، لا يخاف في الله تعالى لومة لائم . وكان رحمه الله معتنيا بضبط الألفاظ النبوية [٥١٨] على اختلاف طرقها ، وكتابه « المشارق » أزكى شاهد على ذلك ، ولقد كان بعض من لقيته من صلحاء عصرنا وعلمائه يقول : لا أحتاج في كتب الحديث إلا للمشارق ، فإذا كان عندي ، فلا أبالي بما فقدت منها ، أو كلاما هذا معناه . وسندكر إن شاء الله تعالى بعض ما قيل في كتاب المشارق ، في محله من هذا الموضوع .

وكان رحمه الله حاضر الجواب ، حادّ الذهن ، متوقّد الذكاء ، جامعا ذكاؤه ومواهبه للفنون ، آخذا منها بالحظ الأوفر .

وكان القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله بارع الخطّ المغربي ، وقد وقفت على خطه رحمه الله ، فرأيت خطا رائقا ، وكان سريع الوضع ؛ ويدلّ على ذلك كثرة أوضاعه ، وكتب مع ذلك كتباً كثيرة بيده .

وكان رحمه الله حسن العبارة ، لطيف الإشارة ، وتأليفه شاهدة بذلك ، وله في الفقه المالكي اليد الطولى ، وعليه المعوّل في حلّ ألفاظ « المدونة » ، وضبط مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رواتها . وتحقيق ذلك أنه جمع بين شرح المعاني وإيضاحها ، وضبط الألفاظ ، وذكر من رواها من الحفاظ .

[صناعة التأليف بالمغرب]

ولقد وقفت في بعض التعاليق لأجد المتأخرين على كلام في صناعة

القائيف ، رأيت أن^(١) أجلبه جميعه ، لما فيه من ذكر بلاغة القاضى عياض ، ونصه :

لتدريس المدونة
اصطلاحان

وقد كان للقدماء ، رضى الله عنهم ، فى تدريس المدونة اصطلاحان : اصطلاح عراقى ، واصطلاح قروى . فأهل العراق جعلوا فى مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس ، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس ، ولم يعرجوا على الكتاب بتصحيح الروايات ، ومناقشة الألفاظ ، ودأبهم [٥١٩] القصد إلى أفراد المسائل ، وتحرير الدلائل ، على رسم الجدليين ، وأهل النظر من الأصوليين . وأما الاصطلاح القروى فهو البحث عن ألفاظ الكتاب ، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب ، وتصحيح الروايات ، وبيان وجوه الاحتمالات ، والتنبيه على ما فى الكلام من اضطراب الجواب ، واختلاف المقالات ، مع ما أنضاف إلى ذلك من تتبع الآثار ، وترتيب أساليب الأخبار ، وضبط الحروف ، على حسب ما وقع فى السماع ، وافق ذلك عوامل الاعراب أو خالفها . فهذه كانت سيرة القوم رضوان الله عليهم ، إلى أن عم التشكسل ، وصار رسم العلم كالمساحل . ويحقق ما قلناه تصرف التونسى^(٢) فى تعاليقه اللطيفة المنزع ، واللخمى^(٣) فى تبصرته البارعة الختام والمطلع ، إلى غير ذلك من تأليف القرويين وتعاليق المحققين ، من شيوخ الإفريقيين .

فضل عياض
فى التأليف

وقد سلك القاضى عياض فى تنبيهاته مسلكا جمع فيه بين الطريقتين

(١) فى م : « وأنا » بدل : « رأيت أن » .

(٢) هو أبو القاسم بن محرز القيروانى ، كان فقيها نظارا وله تعليق على المدونة . توفى فى الحسين والأربع مئة (انظر مقدمة ابن خلدون فى الكلام على علم الفقه وابن فرحون فى الديباج) .

(٣) هو أبو على الحسن بن محمد اللخمى ، له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة . توفى سنة ثمان وتسعين وأربع مئة (عن الديباج) .

والمذهبيين ، وذلك لقوة عارضته ، نفعه الله بذلك ، وأعاد علينا من بركاته .
انتهى .

موازنة بين
المشاركة
والأندلسيين

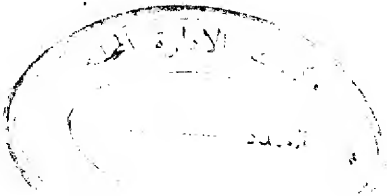
وقال في هذا التعليق في موضع آخر ما نصه :
وأغلبُ تأليف المشاركة الإيجاز ، لتمكن ملكتهم من التصرف ، مثل
كتاب ابن الحاجب ، في فروعه وفي أصوله ، والخونجى في المنطق ، وغيرها ، وإن
كان الغالب على جُل أئمة المشاركة الإطناب ، مثل الغزالي والإمام الفخر وغيرها .
وأما أهل الأندلس فالغالب عليهم فيمَهِّقُ البلاغة ، في حسن رَصْف الكلام
[٥٢٠] وانتقائه ، مثل عبارة القاضي عياض في تأليفه ، التي لا تسمح القرائح بالإتيان
بمثلهما ، والنسج على منوالها .

واتتهت صناعة التأليف في علماء المغرب ، على صناعة أهل المشرق ،
لشيخ شيوخ العلماء في وقته ، ابن البناء الأزدى المراكشي^(١) ، في جميع
تصانيفه ، أوجب ذلك براءة نسبه من البداوة ، وملكته في التصرف ، التي
هي نتيجة تحصيله .

التأخرون من
علماء المغرب

ولم يظهر من علماء فاس شيء من التأليف المرتجلة ولا المملخصة ، إلا ما كان
سبيله النسج بها على ما هي عليه فقط ، كما^(٢) في تأليف المدونة المنسوبة للشيخ
[أبي الحسن^(٣)] ، وهي التي اعتنى بها طلبته ، وبنوها على ما قيدوا عنه من
فوائد المجلس ، وذلك كله في العشرة الرابعة من المئة الثامنة . ثم تلاهم طلبته

- (١) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى ، أبو العباس المراكشي ، المشهور بابن البناء .
ولد سنة ٦٥٤ هـ ، وتوفي ببلده سنة ٧٢١ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .
(٢) في الأصول : « لا » ولا يستقيم بها المعنى .
(٣) هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير (بصيغة التصغير) . توفي
عام ٧١٩ هـ . (عن الديباج) .



الشيخ الجزولي^(١) على الرسالة ، وتعددت تلك التقايد أيضا ، ونُسبت للشيخ ، وإنما له فيها ما قيّد عنه في المجلس . واختلف نظر الشيخين بحسب تعدد السلكات^(٢) ، فقيّد كل طالب ما سمع . فلا يقال في هذه تأليف ، لكونها منسوخة من أما كن معزوة .

موازنة بين
التونسين
والفاسين

والعلة في ذلك كون صناعة التعليم ، وملكة التلقّي ، لم تبلغ فاسا كما هي بمدينة تونس ، اتصلت إليهم من الإمام المازري^(٣) ، كما تلقّاها عن الشيخ اللخمي ، وتلقّاها اللخمي عن حذّاق القرويين ، وانتقلت ملكة هذا التعليم إلى الشيخ ابن عبد السلام^(٤) ، مفتي البلاد الإفريقية وأصقاعها ، المشهود له برتب التبريز والإمامة ؛ واستقرت تلك الملكة في تلميذه ابن عرفة^(٥) رحمه الله ، وفي الشيخ ابن الامام التلمساني^(٦) . ونجّب من طلبة ابن الإمام تلميذه الإمام أبو عبد الله الشريف^(٧) ، شارح الجمل ، واتمت طريقته لولده أبي يحيى [٥٢١]

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي صاحب تقايد الرسالة المشهورة ، الفقيه الحافظ . توفي سنة ٧٤١ هـ (عن الابتهاج لأحمد بابا) .

(٢) يراد بالسلكات عند المغاربة : المرات التي يقرئ فيها الشيخ تلاميذه . الكتاب : المرة : سلكة .

(٣) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي . توفي (سنة ٥٣٦) عن ثلاث وثمانين سنة .

(٤) هو محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير قاضي الجماعة بتونس ؛ له تقايد ، وشرح مختصر ابن الحاجب شرحا حسنا . ولد سنة ٦٧٦ هـ وتوفي سنة ٧٤٩ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .

(٥) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي . ولد سنة ٧١٦ هـ . وتوفي سنة ٨٠٣ هـ . وله تقييده الكبير في مذهب مالك في نحو عشرة أسفار .

(٦) للإمام أبي زيد محمد بن عبد الله التلمساني ابنان ، هما أبو زيد عبد الرحمن توفي سنة ٧٤٣ هـ ، وأبو موسى عيسى ، توفي سنة ٧٤٩ هـ ، وهو المراد هنا (انظر الحاشية رقم (٢) ص ٢٦) من هذا الجزء .

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني . ولد سنة ٧١٠ هـ وتوفي سنة ٧٧١ هـ .

المفسر العالم . واستقرت أيضا طريقة ابن الإمام ، في تلميذه سعيد بن محمد العقباني^(١) ، وانتهى ذلك إلى ولده شيخنا أبي الفضل قاسم العقباني^(٢) ، رحمهم الله جميعا .

قال ابن خلدون ، ولما ذكرنا من أهل المئة الثامنة انتهت طريقة التعليم ، وملكة التلقّي . يعنى بذلك الشريف والعقباني رحمهما الله ، قال : لكونهما ألفا التصانيف البعيدة ، وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع .

قلت : وكذلك بلغ رتبة التبريز في تحصيل العلم ، كل واحد من ولديهما ، الفقيه السيد أبو القاسم بن سعيد ، والفقيه الأوحد السيد أبو يحيى الشريف^(٣) ، إذ بلغا درجة الإمامة والفتيا . وأما الإمام ابن عرفة ، فانتفع به جماعة ، فكان أصحابه كأصحاب سحنون^(٤) : أئمة في كل بلد ، فمنهم أيضا من بلغ درجة التأليف ، ووقع الاتفاق على إمامته ، وتقدمه وسمو رتبته ، كشيخنا الإمام الحافظ المحض ، أبي القاسم [بن]^(٥) أحمد البزرجي ، مفتي البلاد الإفريقية ، ومؤلف كتاب الأسئلة الحاوي للنوازل والفتاوى . ومنهم شيخنا الإمام الحافظ المجتهد ، صاحب التصانيف المفيدة ، أبو عبد الله محمد بن مرزوق ، له « المنزع النبيل » ، في شرح مختصر خليل ، و « شرح التهذيب »^(٦) ، وغير ذلك من المسائل العلمية .

(١) هو سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني ، ولد سنة ٧٢٠ هـ وتوفي سنة ٨١١ هـ .

(٢) هو قاسم بن سعيد بن محمد توفي سنة ٨٥٤ هـ . يكنى أبا الفضل وأبا القاسم .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني . ولد سنة ٧٥٧ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٦ هـ .

(٤) هو عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون ، الفقيه المالكي المشهور . ولد سنة ١٦٠ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ . (٥) التكملة عن البستان وتذييل الديباج .

(٦) كتاب « التهذيب » لأبي سعيد البراذعي ، من علماء القيروان ، لخص فيه مختصر المدونة والمختلطة لابن أبي زيد القيرواني ، واعتمده الشيخة من أهل إفريقية ، وأخذوا به ، وتركوا ما سواه . (عن مقدمة ابن خلدون) .

قلت : إنما أقتصرت على ذكر هذين الشيخين الإمامين ، لما لهما على من المشيخة ، واشهرتهما بالتأليف ، التي تقوم مقام الشاهد لما قلته ، حتى نبعد عن شبهة التعصب .

وأما من نجب من تلامذة شيخ شيوخنا ابن عرفة ، وتمكن من ملكة [٥٢٢] التعليم ، فخلق بطول عددهم^(١) ، فمنهم من أدركناه ، وأخذنا عنه ، وأجازنا مروياته ؛ و [منهم] من لم ندركه ، نفع الله بجمعهم ، وأعاد علينا من بركاتهم . قلت : هنا انتهت ملكة الفقه من علماء القيروان عن المازري ، إلى من ذكرنا ، ثم إلى من لقينا .

وأما ملكة العلوم النظرية ، فهي قاصرة على البلاد المشرقية ، ولا عناية لحدائق القرويين والإفرقيين إلا بتحقيق الفقه فقط . ولم يزل الحال كذلك إلى أن رحل الفقيه ابن زيتون^(٢) إلى المشرق ، فلقى تلاميذ الفخر بن الخطيب ، ولازمهم زمانا ، حتى تمكن من ملكة التعليم ، وقدم إلى تونس ، فانتفع به أهلها ، وانتهت طريقته النظرية إلى تلميذه ابن عبد السلام المذكور ، واستقل تلميذه ابن عرفة بعده بتلك الطريقة ، وكذلك أبو عيسى^(٣) موسى ابن الإمام التلمساني المذكور ، ولهذا تجد أثر العلوم النظرية بتلمسان .

ضعف العلوم
لنظرية بالمغرب

قال الإمام ابن خلدون وغيره من أئمة التاريخ .
لم نشاهد في المئة الثامنة من سلك طريق النظائر بفاس ، بل [في] جميع هذه الأقطار ، لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم ، ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة ،

(١) في م : « عزوم » .

(٢) هو أبو القاسم القاسم بن أبي بكر الصمير بن زيتون ، الفقيه التونسي ولد سنة ٦٦٦ ، وتوفي سنة ٧٣٠ هـ .

(٣) في الأصول هنا وفيما سيأتي : « أبو عمران موسى » ، وهو تحريف (انظر الديباج ، ونيل الابتهاج ، والبستان) .

بل قُصرت همهم على طريق تحصيل القرآن ، ودرس « التهذيب » فقط . نعم أخذوا شيئا من مبادئ العربية من أهل الأندلس ، القادمين عليهم من سببة وغيرها ، باستدعاء ملوك بني مرين . قال : ولهذا لم يتصدر من الفاسيين من يُقَرى « الكتاب »^(١) كما هو مُتداول بين أهل الأندلس ، مثل ابن أبي الربيع والشَّلوَين وغيرهما ، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس ، بسبب رحلة علمائهم إلى تلقّيه من أربابه بالشرق ، كما ارتحل أعلامهم إلى بغداد في تحصيل الفقه عن الأبهري^(٢) ، وكذا يحيى بن يحيى عن مالك ، وغير واحد ؛ وكذلك علوم الحديث وغيره . كرحلة الإمام الحافظ أبي بكر بن العربي .

[٥٢٣]

ولما كمل غرض أبي عنان ، كبير [ملوك] بني مرين ، من بناء مدرسته المتوكلية بفاس ، وكان بعيد الصّيت في علوّ الهمة ، قال انظروا من يُقَرى بها الفقه ، فوقع الاختيار على الشيخ الصّرّ صريّ الحافظ ؛ ولما جلس بها واتسع صيته ، وجّه إليه أبو عنان المذكور من يسأله في^(٣) مسائل « التهذيب » ، التي انفرد بإتقانها وحفظها ، وطالبه بتحقيق ذلك وإتقانه ، وحسن تلقّيه ، ولا أدري المنتخب له : هل هو أبو عيسى موسى ابن الإمام المذكور آنفا ، أم السيد الشريف أبو عبد الله شارح « الجمل » ، المتقدم الذكر ، أو هما معا ، فطالباه بتحقيق ما أوردّه من المسائل عن ظهر قلب ، على المشهور من حفظه ، فانقطع انقطاعا فاحشا ؛ ولما أُنجز ذلك نزل عن^(٤) كرسيه ، وانصرف كئيبا ، في

(١) يريد كتاب سيبويه في النحو .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري ، صاحب التصانيف في شرح مذهب مالك والاحتجاج له والرد على من خالفه ، سكن بغداد وحدث بها عن جماعة ، وتوفي بها سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) كذا في م ، س . وفي ط : « عن » .

(٤) كذا في م . وفي ط ، س : « من » .

غاية القبض ، ولما اشتهر ذلك عنه ، وجّه إليه أبو عنان الملك المتقدم الذكر ، فلما مثل بين يديه آنسه وسكّنه ، ثم قال له : أنا أمرت بذلك ، كي تعلم ما عندك من العلم ، وما عند الناس ، وتعلم أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد ، فلا يجب أن تتكل على حفظك ، وتقتصر على ما حصل عندك ، ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدّي ، عن ملاقة من يرّد من العلماء ، والتنزّل للأخذ عنهم ، ولا يقدح ذلك في رُبّتك عندنا ، إن شاء الله .

لخصت هذه الحكاية من تاريخ القيسي ، فانظرها .

قلت : وعكس هذا وقع لفقهاء فاس في أواسط المئة الثامنة ، لما شرّق السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وانتهت به درجة الاستبداد والاستقلال ببلاد إفريقية ، فظهر فقهاء المغرب ممن صحبه ، على فقهاء تونس ، لحفظهم كتاب « التهذيب » عن ظهر قلب ، وزعيم فقهاء المغرب حينئذ الرجل الصالح ، أبو عبد الله السّطّي رحمه الله ، ونفع به ، إلى أن جاءت نوبة الشيخ ابن عبد السلام ، وعقد مجلسه بمحضر السلطان المذكور ، ومن معه من الفقهاء والنحاة والكتّاب والرؤساء ، وتوجّهت مطالبة فقهاء المغرب له ، فكان رحمه الله على ما وصفه به من أرّخ الواقع ، كأنه بحر تلاطمت أمواجه ، فكان يقطعهم واحدا بعد آخر^(١) ، وتلميذه ابن عرفة كذلك ، إلى أن قال وليّ الله المُنصف^(٢) ، أبو عبد الله السّطّي للسلطان : يا عليّ ، كذا يكون التحصيل ، وكذا يُقرأ الفقه ، ولو لم يكن بتونس إلا هذا الإمام لكان بها^(٣) كل خير ! فلا بدّ من ملازمة هذا لهذا المجلس ، حتى ينتفع به أصحابنا ، وننتفع بطريقه . وذلك هو السبب في التنويه بالشيخ ابن عبد السلام رحمه الله ، على أنه كانت رغبته فيما عند الله إلى أن مات .

بين علماء
فاس وتونس

(١) في ص : « واحدا بعد واحد » .

(٢) كذا في ص ، وفي سائر الأصول : « المُنصف » . (٣) في ص : « لها » .

تنشيط الشيخ
تلاميذه
بالحكايات

قلت : وإنما ذكرت هذه القضايا تنشيطاً للناظر ، وتحميضا للذاكر ، ولم
نزل نسمع من أئمتنا ومن ذكركنا ، في مجالس دروسهم ، ما يشبه ما ذكرناه من
آثار السلف ، لما في ذلك من تقوية باعث الطالب على كيفية التحصيل والدرك ،
والجد في إدراك أسبابه ، وأخذ العلم من أربابه ، والولوج إليه من بابه .
وكان الإمام المازري رحمه الله كثير الحكايات في المجلس ، ويقول :
هي جند من جنود الله ، حتى كان لا يخلي^(١) مجلسه منها .

دفع القصور عن
بعض علماء
المغرب
وتلاميذهم

[٥٢٥] تنبيه : إياك أن تظن القصور بمن تصدى للتقييد على « التهذيب » ، من
طلبة الشيخ أبي الحسن ، وكذا من تلامه من طلبة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن
الجزولي ، ويقرّع سمعك ما أفتى به الشيوخ ، ومن له في العلم الرسوخ ، أن
تقايد « التهذيب » و « الرسالة » لا يعول عليها في الإقراء ، ولا يؤثق بشيء
منها في الفتيا ؛ وأن من عوّل عليها في الإقراء يرد المرتب^(٢) .

فاعلم شرح الله صدرك ، أن القوم كانوا أهل صلاح وورع ، وجدّ في طلب
الفقه ، وإفراط حرص ومثابرة على درس « التهذيب » ، وحفظ ما تعلق به من
النصوص فقط ، فبني كل واحد في تقييده على ما سمعه من الشيخ ، ماناسب
اجتهاده ونظره ، من تقايد الفقهاء ، مثل ابن يونس ، والأخمي ، والتنبيهات ، وابن
رُشيد ، واختلف رأيهم في ذلك ، فمنهم الموجز ، ومنهم المطنّب ؛ وباب الفتيا
باب احتياط ، فلا بد للعفتي من مباشرة الكتب المروية^(٣) ، والأهات الأصلية ،
ولا ينبغي له الاقتصار على الوسطة ، إذ لا يؤمن من خلال أو تصحيف ، لفقد

(١) في ط ، ص : « لا يخلو » .

(٢) كذا في ط ، ص . وفي م : « يرد الرب » ، وفي كلتا الروايتين غموض .

(٣) في ص : « المدونة » .

ملكاة التأليف ، وإنما الغالب على طباعهم تغفل البداوة ، فقدح^(١) ذلك في صناعة التصنيف ، وكيفية التأليف ، والقوم أهل دين متين كما وصفنا ، فلا يقدح ذلك في مراتبهم ، ولا يثلم مناصبهم .

ووجه ثام : ذكر أهل الأصول في باب الاجتهاد [أن] مجهول الحال لا تقبل فتياه كالراوى ، وإن أصاب كل واحد ؛ ولا يخفى عليك وقوع مثل هذا لأصحاب تلك التقايد .

ووجه ثالث : مَبْنَى ما أفتى به العلماء من عدم التعويل على شيء منها في الإقراء والفتيا ، هو والله أعلم ، لما اشتملت عليه من ذكر الشيء وضده ، على أسلوب واحد ، وقد وقفت على ذلك في جُل تلك التقايد ، وهو أن المقيّد يجمع للخلاف المذهبي ما ليس فيه ، بل هو خارج المذهب ، وقد وقع ذلك في . واضع غير واحدة من تلك التقايد ، كما نقل بعضهم الخلاف في التنفل في الصحراء قبل صلاة العيد ، وليس كذلك ، بل الخلاف فيما إذا صَلَّيت في المسجد ، وأما في الصحراء فلم يقل به إلا الشافعي . ومثل ذلك ما وقفت عليه في حكم السواك ، قال المقيّد على كلام الشيخ في باب جمل من الفرائض : واختلّف في حكم السواك على قولين : فقليل إنه واجب ، وقيل سنة ؛ فأنت ترى هذا الخلاف ، ولم يقل بوجوبه إلا أهل الظاهر ، عملاً بصيغة ظاهر الحديث الوارد في ذلك . وكذلك وقفت على الخلاف في غُسل الجمعة ، فقال المقيّد : اختلّف فيه : فقليل فَرَض ، وقيل سُنّة . وقد علمت أيضاً قول أهل الظاهر بوجوبه ، عملاً بظاهر الحديث . وكذا الغُسل : هل هو للجمعة أو لليوم ؟ فقال المقيّد : اختلّف في ذلك على قولين ؛ وقد علمت قول أهل الظاهر ، وأنه لليوم ، حتى لو اغتسل بعد الصلاة لأجزأه .

(١) كذا في ص ، م . وفي ط : « ولا يقدح » .

وكذا وقفت على القول ببطلان صلاة من أسقط الخُشوع من صلاته ، على القول بفرضيته ، ولم يقل بذلك إلا أهل التصوف . وكذا القول بوجوب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل ، وقد علمت نصوص أهل المذهب في هذه المسائل . ومن هذا في تلك التقاييد ما لا يحصى كثرة لمن تأملها ؛ وفيما ذكرنا كفاية ، فلعل هذا هو سبب نقد^(١) العلماء في مجموع تلك التقاييد . والله أعلم .

[٥٢٧]

تنبيه : احذر أيها الناظر ، شرح الله صدرى وصدرك ، أن يقع في نفسك أن عجز هؤلاء السادات عن صناعة التأليف ، والحِذْق في التصنيف ، وعدم الاقتدار ، على الترجيح والأختيار ، وعدم القيام بمواد مدارك الحُققين والنظار ، يوجب قَدْحاً في مناصبهم ، أو وَصْماً في مراتبهم ، فتكون ممن أساء الظن بالسلف ، وعرض نفسه إلى الهوى في مهاوى التلّف ، بل أوجب ذلك ما أصلناه وقدّمناه ، من أن القوم كانوا أهل عمل ودين متين ، وجزى على سَنَنِ السلف الأقدمين الصالحين العاملين ، فشغلهم ما أخذوا فيه من كدّ العمل ، وإثقال التقلّل والمُجاهدة ، وتجرى الحلال ، والزهد والإقلال ، عن تتبع مواد التحقيق ، إلى فقد الملكة النظرية من هذا القطر ، وانقراضها منه منذُ زمان إلى عصرنا هذا ؛ وما حكوّه من عدم الترتيب ، وقلة العزّ والأقوال ، حال من صرف عنايته لتقييد العلم من حيث هو ، ولم يتكلّف ذكر مشهور ، ولا ما عليه الجمهور ، أو يكون اعتمده في تقييد ما قيّد على ما سمع من الشيخ في السلكات ، فيُعذر على هذا ولا يُفند . والتقييد المعزّو للشيخ أبي الحسن أقلّ تكلفاً لا محالة ، إلا أنه لا يخفى ما فيه من ضعف الاختيار ، عند التحقيق والاستبصار .

أعاد الله علينا من بركاتهم ، ونفعنا بهم .

(١) كذا في ط ، س . وفي م : « تقييد » .

العجز عن
التأليف لا يقدر
في علم العلماء

وما ذكرته في هذا الاستطراد مَسَّت الحاجةُ إليه ، كما مَسَّت حاجةُ أئمة الحديث ، على جلالهم ووزعهم ، إلى تبين الضعيف والمُجرح ، وتدوين أخبار الضعفاء ، ومن نُسب إليهم وهم أوتدليس أو وهن ، وهذا لولا مَسيس الحاجة ، لم ينبغ أن يلتفت إليه ، والله الموفق بفضله .

ثم قال هذا العالم في موضع آخر :

تنبيه : ولا يُعترض على ما وقع للشيخ ، من الحكاية التي حدثنا بها شيخنا الإمام البرزلي رحمه الله ، قال : لما قدم الفقيه القَبَّاب ، حافظ مدينة فاس ، وزعيم فقهاءها في عصره ، يريد أداء فريضة الحج ، فاجتاز بحضرة تونس ، فحضر مجلس شيخنا ابن عرفة ، هو ومن كان معه من الفقهاء ، فاستطرد الشيخ رحمه الله الكلام إلى أن قال : وكثيرا ما نجد في تقييد الشيخ أبي الحسن : « يؤخذ من هذه المسألة » ، فلا أدري صورة ذلك الأخذ ما هو ؟ هل هو من طريق الاستقراء ، أو الاستنباط ، أو القياس ، أو المفهوم ؛ وكل قسم من هذه الأقسام يفتقر إلى شرط ، ولا شيء من ذلك ؟ فقال القَبَّاب لأصحابه بعد انصرافهم : علمتم ما تحصل بأيدينا من الفقه ، وصح عندكم أن الملكة التامة في التحصيل والتصرف ، إنما هي في قوس أهل تونس ومن يليهم من أهل المشرق ، وأن قصارى ما عندنا وعند مشايخنا إنما هو حفظ النصوص ، وإبقاؤها^(١) على ما هي عليه ، وأن ملكة القرويين انتقلت إلى الإفريقيين .

لكة العلم في
عمل تونس

فهذا الواقع من الشيخ ، ليس هو بالمعارض لما وقع في جوابه ، من اعتبار المفهوم ، وإنما هو بحث في شرط المفهوم ، وكيفية الاستنباط خاصة ، فاعلم ذلك . تنبيه : لا يقع في ذهنك قصورُ الشيخ في قوله : « يؤخذ من هذه المسألة » ، وأنه خفي عليه كيفية الأخذ . فاعلم ، أرشدك الله ، أن الشيخ أبا الحسن ، كان إمام

ة الشيخ أبي
سن في العلم

(١) كذا في ص . وفي سائر الأصول : « وإبقاؤها » .

وقته في فقه المدونة ، وهو المستقل برياستها بعد شيخه الفقيه راشد ، ما أخذ عنه حتى ظهرت على يديه الكرامات الخارقة ، في شفاء أصحاب العليل المزمنة وغير ذلك ، ولم ينظر في الفقه حتى أتقن علم الفرائض ، وفنون البلاغة ، وتلقى ذلك من أربابه ، وارتحل ، وانتقل إلى تازا ، فلزم أهل اللسان ، وفُرسان المعارف وقتاً طويلاً ، ثم اعتكف على قراءة « التهذيب » ، ولزم الفقيه راشداً ، [٥٢٩] واقتصر عليه ، وكان الفقيه راشد لا يُنفذ بمدينة فاس حكماً ، ولا جواباً في نازلة ، حتى يُحضره ، ويعتني به ، فلم تُخطِ فراسته فيه ؛ وكان لا يحجر عليه في القراءة ، بل يقرأ من « التهذيب » من أى مكان شاء ، وقد صدقت فراسته فيه ، فكان في ميزان حسناته يوم القيامة .

واستيفاء التعريف بالشيخ ، وذكر محنته بالقضاء ، وسبب عزله ، وذكر وفاته ، يخرجنا عن الاختصار .

انتهى ما مسّت الحاجة إليه من كلام هذا المتأخر ؛ ونقلت أكثره بلفظه ، تبرأ كما بعبارته ، التي تلوح عليها أمارات الصالحين ، وبالله التوفيق .

ولنذكر كلاماً من هذا المعنى ، فنقول :

قال الإمام أبو عبد الله الأبي رحمه الله تعالى في شرح مسلم ، عند كلامه على قوله صلى الله عليه وسلم : « أَوْعِلْ يُنْتَفَعْ بِهِ بَعْدَهُ » :

كان شيخنا أبو عبد الله ابن عرفة يقول : إنما تدخل التواليف في ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة ، وإلا فذلك تخسير للكاغد . ونعني بالفائدة الزائدة على ما في الكتب السابقة عليه ، وأما إذا لم يشتمل التأليف إلا على نقل ما في الكتب المتقدمة ، فهو الذي قال فيه : إنه تخسير للكاغد ، وهكذا كان يقول في مجالس التدريس ، وإنه إذا لم يكن في مجلس التدريس التقاط

رائدة من الشيخ ، فلا فائدة في حضور مجلسه ، بل الأولى لمن حصلت له معرفة بالاصطلاح ، والقدرة على فهم ما في الكتب ، أن ينقطع لنفسه ، ويلزم النظر ؛ انتهى .

ونظم في ذلك أبياتاً ، وهي :

إذا لم يكن في مجلس الدرس نُكْتَةٌ بتقرير إيضاح لمشكل صورة
وعزّو غريب النقل أو حلّ مُقْفَل أو أشكال أبدته نتيجة فكرة [٥٣٠]
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد ولا تتركْ أقباحُ خلة
وكنيت قلت في جواب أبياته هذه :

يمينا بمن أولاك أرفع رتبة وزان بك الدنيا بأحسن زينة
لمجلسك الأحظى الكفيل بكل ما على حُسن ما عنه المحاسن جأت
فأبقاك من رفاك للناس رحمة وللدين سنيماً قاطعاً كل بدعة

وإني في قسَمي هذا لبار ، فلقد كنت أقيّد من زوائد إقامته ، وفوائد إقرائه ، على الدُّول الخمس ، التي كانت تُقرأ بمجلسه ، وهي : التفسير ، والحديث ، والدُّول الثلاث التي بالتهذيب ، نحو الورقتين كل يوم ، مما ليس في كتاب ، فالله المسئول أن يُقدّس رُوحه ، فلقد كان الغاية ، وشاهد ذلك ما اشتملت عليه تواليقه من ذلك ، وناهيك بمختصره في الفقه ، الذي ما وُضِع في الإسلام مثله ، لضبطه فيه المذهب : مسائل وأقوالاً ، مع الزيادة المسكّلة ، والتنبيه على المواضع المشكّكة ، وتعريف الحقائق الشرعية . انتهى كلام الأبي .

المقصود بالتأليف ورأيت بخط بعض الأكابر ما نصّه : المقصود بالتأليف سبعة : شيء لم يسبق إليه فيؤلف ، أو شيء ألف ناقصاً فيكمل ، أو خطأ فيصحح ، أو

مُشْكِلٌ فَيُشْرَحُ ، أو مُطَوَّلٌ فَيُخْتَصَرُ ، أو مُفْتَرَقٌ فَيُجْمَعُ ، أو مَنْشُورٌ فَيُرْتَبُ .

وقد نظمها بعضهم فقال :

أَلَا فَاعْلَمَنَّ أَنَّ التَّالِيفَ سَبْعَةٌ لِكُلِّ لَبِيبٍ فِي النَّصِيحَةِ خَالِصٍ
فَشَرْحٌ لِإِغْلَاقٍ وَتَصْحِيحٌ مُخْطِئٌ وَإِبْدَاعٌ حَبْرٍ مُقَدِّمٍ غَيْرِ نَاكِصٍ
وَتَرْتِيبٌ مَنْشُورٍ وَجَمْعٌ مُفْتَرَقٍ وَتَقْصِيرٌ تَطْوِيلٍ وَتَتَمِيمٌ نَاقِصٍ

وَأَلْفَيْتُ بِخَطِّ شَيْخِ شَيْخِنَا ، الْإِمَامِ الْقَاضِي سَيِّدِي عَبْدِ الْوَاحِدِ الْوَنُشْرِيشِيِّ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، مَا نَصَّهُ : ^(١) أَلْفَيْتُ بِخَطِّ وَالِدِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى طُرَّةٍ مِنْ هَذَا
الْحُلِّ ، أَعْنَى كَلَامِ الْأَبِيِّ السَّابِقِ ، مَا نَصَّهُ ^(١) :

[٥٣١] قلت : من هنا يُعْلَمُ أَنْ إِطْلَاقَ اسْمِ الْمُدْرَسِ عَلَى الْمُقْتَصِرِ عَلَى نَقْلِ تَقَايِيدِ
الرِّسَالَةِ وَالْمَدُونَةِ ، مِنْ غَيْرِ قَنْشٍ وَلَا تَنْزِيلٍ ، وَلَا كَشْفٍ وَاسْتِظْهَارٍ بِغَيْرِهَا :
مَجَازٌ ، لَا حَقِيقَةٌ ؛ وَهَذَا الْوَصْفُ كَادَ أَنْ يَعُمَّ أَهْلَ الْوَقْتِ أَوْ عَمَّهُمْ ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ
الْعَظِيمَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ التَّطَفُّلِ ، وَتَعَاظِي مَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ .

وَقَالَ أَيْضًا : تَأَمَّلْ هَاهُنَا الثَّنَاءَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَرَفَةَ ، أَسْكَنَهُ اللَّهُ دَارَ السَّلَامِ ، وَعَلَى تَأْلِيفِهِ ، لَا سِيَّمَا مَخْتَصَرَهُ الْفِقْهِيَّ ، الَّذِي
أَعْجَزَ مَعْتَقُولُهُ وَمَنْتَقُولُهُ الْفُحُولُ ، خِلَافًا لِبَعْضِ الْقَاضِرِينَ مِنْ طَلَبَةِ فَاسٍ ، فَإِنَّهُمْ
يَقُولُونَ : مَا يَقُولُ شَيْئًا ، يُطْفِئُونَ نُورَ اللَّهِ ، وَيَحْتَقِرُونَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ ، وَمُسْتَنْدَهُمْ
فِي ذَلِكَ — بَزْعُهُمْ — حِكَايَةُ تُؤَثِّرُ عَنِ الشَّيْخِ الْحَقِّقِ ، أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَبَّابِ ،
لَا رَأْسَ لَهَا وَلَا ذَنْبَ ، وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا أَرَاهُمْ فِي هَذَا إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّاقِيمِ

ولقد حبس ملك المغرب ، رضوان الله عليهم ، بخزانتي القرويين
والأندلسيين ، من هذا الديوان المبارك نسخا عديدة ، ثم لا يعرج عليها المطالعة
في هذا الوقت أحد من طلبه الحضرة ، شتاء ولا صيفا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،
بخلاف ما قيّد عن الشيخ الجزولي ، وأبي الحسن الصغير ، فإنك تجدهم
يزدحمون عليها في كل زمان ، وخصوصا فصل الشتاء ، لا يلحق الآخر منها
ورقة واحدة ، مع كثرة عددها بحيث ذكر ، بل تجدهم يتنافسون في اقتنائها ،
بالأثمان العظيمة المجحفة ، ومن ملك منهم المسبح من الجزولي ، وتقييد
اليحمدى عن أبي الحسن ، أو حصلت له عناية بنقلها ، فهو عالم العالم [٥٣٢]
بأسره ، وحائز مذهب إمام دار الهجرة على التمام ، والقائم بأمره . ولقد كان
الحسن المقيلي عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه ، لقيامه على مسبح الجزولي
نقلا ، ولقد شاهدتهم يتساقطون كالفراش ، على نسخة من الجزولي بخزانة
القرويين ، زعموا أنها بخط أبي علي الحسن المذكور ، وهي مشحونة بالتصحيح ،
تعمي البصر والبصائر ، نور الله قلوبنا بذكره ، وعمّر ألسنتنا بشكره ، ووفقنا
لما فيه رضاه عنا .

اتتهى ما ألني بخط الشيخ^(١) سيدي أحمد الوثيريشي ، رضي الله عنه .

أقول : ولقد أحسن بعض الأكابر من طلبة ابن عرفة ، رحمه الله تعالى ،
إذ يقول في مدح مختصره المذكور^(١) :

لبعضهم مدح
مختصر بن
عرفة في الفقه

إذا ماشئت أن تدعى إماما فخذ في درس مختصر الإمام
تنال به السعادة والمعالي وتضحى ظاهرا بين الأنام

(١) العبارة من قوله : « سيدي أحمد » إلى « المذكور » : ساقطة من ط .

كتاب قد حوى من كل علم
كاستان سقى غيث الغمام
فدغ عنك السامة واذر سنفه
وعن عَيْنِكَ دغ طيب المنام
وحل بذرهِ جيد المعالي
تفر بالخلد في أعلى مقام

بين القباب
وابن عرفة

وما أشار إليه الشيخ الوشريشي من قوله : « ومُستندهم في ذلك — بزعمهم — حكاية تُؤثر عن القباب ، لا رأس لها ولا ذنب » ، أشار به إلى ما يزعمون عن الشيخ القباب ، وقد نقلها شيخنا الإمام سيدي أحمد بابا ، أبقاه الله في تكميله لديباج ابن فرحون ، ونصّه :

ويقال إنه لما حج اجتمع في تونس بابن عرفة ، فأوقفه على ما كتب من مختصره الفرعي ، وقد كان شرع في تأليفه ، فقال له القباب : ما صنعت شيئا . فقال له ابن عرفة : وإمّه ؟ قال : لأنه لا يفهمه المبتدى ، ولا يحتاج إليه المنتهى . فتغير وجه ابن عرفة ، ثم ألقى عليه مسائل أجابه عنها القباب . ويقال إن كلامه هو الحامل لابن عرفة على أن بسط العبارة في أواخر المختصر ، وبين الاختصار ، والله أعلم . انتهى كلام شيخنا أبقاه الله .

إيراد للسلطان
أبي عنان على
بعض الفقهاء

قلت : رأيت بخط ابن داود الأندلسي ثم التلمساني ، ما نصّه : وجدت بخط الرّملي^(٤) ما نصه : حدثنا الشيخ ابن عرفة رضى الله تعالى عنه ، عن الشيخ القباب الفاسي ، عن الأبلّي ، قال : أورد السلطان أبو عنان على فقّهائهِ الجَلّة ، في قول عائشة رضى الله عنها ، في حديث مسلم : « فتوّفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما يُقرأ : « خَمْسُ رَضَعَاتٍ يُحَرِّمُن » . انظره في مسلم . قال : يلزم على هذا الخلف في خبرها ، رضى الله تعالى عنها ، أو عدم حفظ القرآن ،

[٥٢٢]

(١) كذا في ط ، م . وفي م : « أبي على » .

وكلاهما محال . قال : فسكت الحاضرون بأجمعهم . قال : فقلت : القرآن على قسمين مُتَحَدِّى به ، وهو المعجز ، وغير مُتَحَدِّى به ، والأوّل هو المحفوظ ، بخلاف الثّاني ، بدليل هذا الحديث . قال : فقبّله الحاضرون كلّهم .

ولنورد هنا تمام الحكاية : وهذا يحتاج إلى دليل . وشنّعه الأستاذ أبو سعيد ابن لبّ غاية التشنيع ، وقال : كَوْن القرآن على قسمين : قسم معجز مُتَحَدِّى به محفوظ ، يصلّى به ؛ وقسم بخلاف ذلك ، يحتاج إلى دليل ، ولا يُوجد . انتهى . ولو قيل : إنه لم يبلغها النسخ ، كما أجابوا به في حديث ابن مسعود ، في حديث سورة : « واللّيل إذا يَغْشَى » ، لكان أبين وأحسن . وذكر ابن الخطيب القسطنطيني أنها في أسئلة مجموعة ، منسوبة إلى السلطان أبي عنان ، رحم الله تعالى الجميع . انتهت الوجادة . ونقلتها بطولها ، لما فيها من الفائدة . والمسألة اعتاد الكلام عليها في « مرتقى الوصول ، إلى بناء الفروع على الأصول » ، للسيد أبي عبد الله الشريف ، فراجعها منه . انتهى كلام ابن داود رحمه الله .

قلت : وبالجملة فإمامة الشيخ ابن عرفة لا تُنكّر ولا تُجحد ، ومعرفته [٥٣٤] بالفنون ، وتبريزه على أهل عصره ، مما يُعترف به كل مُنصف لو ذعبي أوّحد ، ولله دُرّ صاحب « الشقائق النعمانية ، في علماء الدولة العثمانية » ، حيث صرّح بأن ابن عرفة فاق أقرانه في فقه المالكية بالمغرب ، آخر الثامن . ونصّ كلامه ، عند ما ترجم لصاحب القاموس :

ترجم: الفيروز آبادي ، عن الشقائق النعمانية

هو المولى الفاضل ، مجتهد الدين أبو الطاهر ، محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزي .

كان رحمه الله تعالى ينسب إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، صاحب

امامة الشيخ بن عرفة لا تجحد

التعريف به

نسبه

التَّنبِيه ، وربما يَرْفَعُ نَسَبَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَكْتُبُ
بِخَطِّهِ : « الصِّدِّيقِي » .

رحلاته وبعض
توابعه وصفاته

دَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ ، وَاتَّصَلَ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ بَايَزِيدَ بْنِ السُّلْطَانِ مُرَادَ ،
وَنَالَ عِنْدَهُ رُتْبَةً وَجَاهًا ، وَأَعْطَاهُ السُّلْطَانُ مَا لَا جَزِيلًا ، وَأَعْطَاهُ الْأَمِيرُ تَيْمُورُ
خَمْسَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، ثُمَّ جَالَ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَأَخَذَ عَنْ عُلَمَائِهَا ،
حَتَّى بَرَعَ فِي الْعُلُومِ كُلِّهَا ، [لَا] سِيَّما الْحَدِيثَ وَالتَّفْسِيرَ وَالْفِقْهَ . وَلَهُ تَصَانِيفُ
كَثِيرَةٌ ، تُنَوِّفُ عَلَى أَرْبَعِينَ مُصَنَّفًا ، وَأَجَلُ مُصَنَّفَاتِهِ « اللَّامِعُ الْمُعْجَبُ » ،
الْجَامِعُ بَيْنَ الْمُحْكَمِ وَالْعُجَابِ ، وَكَانَ تِمَامَهُ فِي سِتِينَ مَجْلَدًا ، ثُمَّ لَخَّصَهَا
فِي مَجْلَدَيْنِ ، وَسَمَّى ذَلِكَ الْمُلَخَّصَ بِـ « الْقَامُوسِ الْحَيْطِ » ، وَلَهُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ ، وَشَرْحُ الْبُخَارِيِّ وَالْمَشَارِقِ ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ بِلَدَةً إِلَّا وَأَكْرَمَهُ
وَالِيهَا ، وَكَانَ سَرِيعَ الْخِفْظِ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَا أَنَامُ حَتَّى أَحْفَظَ مِثْقَالَ سَطْرٍ ، وَكَانَ
كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَعَارِفِ الْعَجِيبَةِ ؛ وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ آيَةً فِي الْخِفْظِ
وَالْإِطْلَاعِ وَالتَّصْنِيفِ .

ميلاده ووفاته

وُلِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ بِكَارِزِينَ ، مِنْ أَعْمَالِ
شِيرَازَ ، وَتُوفِّيَ قَاضِيًا بِزَبِيدَ ، فِي بِلَادِ الْيَمَنِ ، لَيْلَةَ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالَ ، سَنَةِ
سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِتُرْبَةِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ الْجَبَرْتِيِّ .

[٥٣٥]

هو آخر من مات
من الرؤساء

وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، الَّذِينَ انْفَرَدَ كُلُّ مَنْهُمْ بِفَنٍّ فَاقَ فِيهِ أَقْرَانَهُ ،
عَلَى رَأْسِ الْقَرْنِ الثَّامَنِ ، وَهُوَ الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ الْبُلْقِينِي ، فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ
الشَّافِعِيِّ ؛ وَالشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ فِي الْحَدِيثِ ؛ وَالشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ ابْنُ
الْمُلَقَّنِ ، فِي كَثْرَةِ التَّصَانِيفِ وَفَنِّ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ ؛ وَالشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الْفَنَّارِيُّ ،
فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى كُلِّ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفْثِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ ؛ وَالشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عَرَفَ ، في فقه المالكية بالمغرب ، والشيخ مجد الدين الشيرازي ، في اللغة .
رحمهم الله تعالى أجمعين رحمة واسعة .

اتمى ما قصدته من كلام صاحب « الشقائق النعمانية » ، في علماء الدولة
العثمانية » .

قيل : ولوزاد ولي الدين بن خلدون في التاريخ وطبائع العالم ، أحسن ، والله
تعالى أعلم .

استدراك ابن
خلدون

قلت : وإذ جرى ذكر صاحب القاموس ، فلا بأس أن نُورد ترجمته ،
على أنتم ممّا ذكره صاحب « الشقائق النعمانية » ، وربما وقع التخالف ، فنقول :

ترجمة ثانية للفيروز آبادي ، هم الضوء اللامع للسخاوي

قال بعضُ حفاظ المشاركة ، وهو الإمام السخاوي في كتابه « الضوء اللامع »^(١) :
هو محمد بن يعقوب ، بن^(٢) إبراهيم ، بن عمر ، بن أبي بكر ، بن أحمد ،
ابن محمود ، بن إدريس ، بن فضل الله ، بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم
الكارزيني^(٣) ، المشهور بمولانا الشيخ مجد الدين ، الفيروز آبادي ، الافرغوي الشافعي .
ولد في ربيع [الآخر]^(٤) سنة وعشرين وسبع مئة بكارزين ، فنشأ بها ،
وحفظ القرآن وهو ابن سبع ، وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان ، فأخذ
الأدب واللغة عن والده ، ثم عن القوام عبد الله بن محمود [بن النجم]^(٥) ،

(١) نقل المؤلف ترجمة صاحب القاموس عن الضوء اللامع باختصار في بعض العبارات .

(٢) في الضوء اللامع : « ... يعقوب بن محمد بن إبراهيم » . وفي مقدمة تاج العروس :

« ... يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم » .

(٣) كذا في شرح القاموس مادة : « كرز » . وفي الأصول : « الكازروني » .

وفي القاموس وشرحه : « وكارزين » بكسر الراء كما هو المشهور ، ومثله

ضبطه الصاغاني ، وضبطه السمعاني بفتحها : بلد بفارس ... وبه ولدت ...

وأن من قال كازرين أو كازرون فقد أخطأ » .

(٤) ما بين الحاصرتين : عن الضوء اللامع .

وغيرهما من علماء شيراز ، وانتقل إلى العراق ، فدخل واسطاً وبغداد ، وأخذ عن [٥٣٦] الشَّرف عبد الله بن بكتاش^(١) ، وهو قاضى بغداد ، ومدرِّس النظامية بها ، وولي^(٢) به تداريس وتصادير ، وظهرت فضائله ، وكثُر الأخذ عنه ، فكان ممن أخذ عنه الصَّفَدِي . [ثم دخل القاهرة]^(٣) و[لقى بها]^(٤) البهاء بن عقيل ، والجمال الأسنوى ، وابن هشام . وأخذ عن علمائها ، وجال في البلاد المشرقية والشمالية^(٥) ، ودخل الروم والهند ، ولقى جمعا من الفضلاء ، وحلَّ عنهم شيئا كثيرا ، تجمعههم مشيخته ، تخرجُ الجمال بن موسى المراكشي ، وفيه أن [من]^(٦) مروياته الكتب الستة ، وسُنن التَّيْهَقِي ، ومُسْنَدَ أَحْمَد ، وصحيح ابن حبان ، ومصنَّف ابن أبي شَيْبَةَ ، وغير ذلك ، غير^(٧) مشايخ عديدة ، وجم غفير .

- (١) ورد هذا الاسم مضطربا في الأصول . وقد صوبناه عن مقدمة تاج العروس .
- (٢) في العبارة اضطراب بسبب سقطة قبل قوله « ولى » . ولعلها من قلم الناسخ . ونحن نثبت هنا العبارة الساقطة كما وردت في الضوء اللامع ، ليتصل بعض الكلام ببعض : « وعمل عنده معيها سنين ، ثم ارتحل إلى دمشق ، فدخلها سنة خمس وخمسين ، فسمع بها من التقي السبكي ، وأكثر من مئة شيخ ، منهم ابن الحَبَّاز ، وابن القيم ، ومحمد بن إسماعيل بن الجوى ، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوى ، وأحمد بن مظفر النابلسي ، ويحيى بن علي بن محلي بن الحداد الحنفي ، وغيرهم ، يعلبك ، وحماة ، وحلب . وبالقُدس من العلاني ، والبياني ، والتقي القلقشندي ، والشمس السعدي ، وطائفة . وقطن به نحو عشر سنين » .
- (٣) جاء قوله : « ثم دخل القاهرة » بعد كلمة « ابن هشام » الواردة بعد . وقد أثبتناها في هذا الموضع عن الضوء اللامع ، ليستقيم الكلام .
- (٤) زيادة عن الضوء اللامع يستقيم بها الكلام .
- (٥) في الأصول : « والشمالية » . والتصويب عن الضوء اللامع .
- (٦) زيادة عن الضوء اللامع .
- (٧) قول المؤلف : « غير مشايخ عديدة ، وجم غفير » : غير متصل بما قبله . وظاهر أنه تنمة لكلام له عن مشايخ المترجم به ، سقط من الناسخ . ويوضح هذا ماورد في ذلك في الضوء اللامع ، نقلا عن الجمال المراكشي : « إن من مشايخه من أصحاب الفخر بن البخاري ، والنجيب الحراني ، وابن عبد الدائم ، والشرف الدماطي ، الجهم الغفير ، والجمع الكثير ، من مشايخ العراق والشام ومصر وغيرها » .

ثم دخل زبيد في رمضان سنة ست وتسعين ، بعد وفاة قاضي الأقضية باليمن
كله ، الجلال الرئمي^(١) ، شارح « التنبية » ، فتلقاه الأشرف إسماعيل
[بالقبول]^(٢) ، وبالغ في إكرامه ، وصرف له ألف دينار ، سوى ألف أخرى
أمر ناظر^(٣) عدن أن يُجهز بها ، واستمر مقميا في كنفه على نشر العلم ، وكثر
الانتفاع به ، وأضيف إليه قضاء اليمن كله في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ، بعد
أبن عجّيل ، فارتقى بالمقام في تهامة ، وقصده الطلبة ، وقرأ السلطان فمّن دونه
عليه ، فاستمر بزبيد مدة عشرين سنة ، وهي بقية أيام الأشرف ، ثم ولده
الناصر [أحمد]^(٤) . وكان الأشرف قد تزوج ابنته لمزيد جمالها ، ونال منه
براً ورفعة ، بحيث إنه صنف كتابا وأهداه له على أطباق ، فلأها له دراهم ؛
وفي أثناء هذه المدة قدم مكة مرارا ، وجاور بالمدينة والطائف ، وعمل بها ما ترو
حسنه ، وكان يُحب الانتساب إلى مكة ، ويكتب بخطه : « الملتجئ إلى حرم
الله تعالى » ، ولم يدخل بلدا إلا وأكرمه متولياها ، وبالغ في تعظيمه ، مثل شاه
منصور بن شجاع ، صاحب تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، [والسلطان بايزيد
خان بن عثمان ، متولى الروم ، وابن أويس صاحب بغداد] ، وتمرّ ذلك ، وغيرهم .

كتبه ومؤلفاته

واقفني كتبها كثيرة ، حتى نُقل عنه أنه قال : اشتريت بخمسين ألف [٥٣٧]
مقال [ذهب]^(٥) كتبها . وكان لا يسافر إلا وفي صحبته منها أحمال ، ويخرجها
في كل منزل وينظر فيها . وصنف كتبها كثيرة ، منها : « بصائر ذوي التمييز ،
في لطائف الكتاب العزيز » ، مجلدان ، و « تنوير المقياس » ، في تفسير ابن عباس

(١) كذا ذكره في شرح القاموس مادة « ريم » وفي الضوء اللامع . وورد هذا الاسم
في الأصول محرفا .

(٢) زيادة عن الضوء اللامع .

(٣) في الأصول : « صاحب » . وما أثبتناه عن الضوء اللامع ، والبدر الطالع .

أربع مجلدات ، و « تيسير فائحة الإهاب ، في تفسير فائحة الكتاب » ، مجلد كبير ،
و « الدر النظيم ، المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم » ، و « حاصل كورة الخلاص ،
في فضائل سورة الإخلاص » ، و « شرح خطبة الكشاف » ، و « شوارق
الأمرار العلية » ، في شرح مشارق الأنوار النبوية » أربع مجلدات ، و « منح
البارى ، بالسبيل الفسيح الجارى ، في شرح صحيح البخارى » كمل رُبْع
العبادات منه في عشرين مجلدا ، و « الإسعاد ، بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد » ،
ثلاث مجلدات ، و « النفحة العنبرية ، في مولد خير البرية » ، و « الصَّلَاتُ وَالْبَشَرُ
فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ » ، و « الوَصْلُ وَالْمَنَى ، فِي فَضْلِ مَنَى » ، و « المغانم
المطابة ، فِي مَعَالِمِ طَابَةِ » ، و « مُهَيِّجُ الْغَرَامِ ، إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ » ، و « إنبارة الحَجَّوْنَ
لِزِيَارَةِ الْحَجَّوْنَ » ، عمله في ليلة ، و « أحاسن الطائف ، في محاسن الطائف » ،
و « فَضْلُ الدُّرَّةِ مِنَ الْخَرْزَةِ » ، فِي فَضْلِ السَّلَامَةِ عَلَى الْخَبْرَةِ » ، قريتان بالطائف ،
و « روضة الناظر ، في ترجمة الشيخ عبد القادر » ، و « المِرْقَاةُ الْوَفِيَّةُ ، فِي طَبَقَاتِ
الْخَنْفِيَّةِ » ، و « الْبُلْغَةُ ، فِي تَرَاجُمِ أُمَّةِ النُّحُو وَاللُّغَةِ » ، و « الْفَضْلُ الْوَفِيُّ ، فِي
الْعَدْلِ الْأَشْرَفِيِّ » ، و « نزهة الأذهان ، في تاريخ أصبهان » ، و « تَعْيِينَ الْعُرْفَاتِ ،
لِلْمَعِينِ عَلَى عَيْنِ عَرَفَاتِ » ، و « مُنْيَةُ السُّوْلِ ، فِي دَعَوَاتِ الرَّسُولِ » ، و « التَّجَارِيحُ
فِي فَوَائِدِ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَحَادِيثِ الْمَصَابِيحِ » ، و « تَسْهِيلُ طَرِيقِ الْوُصُولِ ، إِلَى الْأَحَادِيثِ
الزَّائِدَةِ عَلَى جَامِعِ الْأَصُولِ » ، و « الْأَحَادِيثُ الضَّعِيفَةُ » ، و « الدَّرُ الْغَالِي ، فِي
الْأَحَادِيثِ الْعَوَالِي » ، و « سِفَرُ السَّعَادَةِ » ، و « الْمُتَّفَقُ وَضْعًا ، الْخْتَلَفُ صَنْعًا » ،
و « اللَّامِعُ الْمُعَلِّمُ الْعُجَابِ ، الْجَامِعُ بَيْنَ الْحَكَمِ وَالْعُجَابِ ، وَزِيَادَاتُ امْتِلَافِهَا

[٥٣٨]

(١) السلامة : قرية من قرى الطائف ، بها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي
جانبه قبة فيها قبر ابن عباس وجماعة من أولاده ، ومشهد للصعابة ، رضى الله
عنهم . والخَبْرَةُ (كمنبة) : قرية بالطائف أيضا .

الوطاب» ، قُدِّرَ تَمَامُهُ فِي مِثَّةِ مَجْلَدٍ ، يَقْرُبُ كُلَّ مَجْلَدٍ مِنْهُ مِنْ صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ (١) ،
أَكْمَلَ مِنْهُ خَمْسَ مُجَلَّدَاتٍ ، وَ « الْقَامُوسُ الْحَيْطُ » ، وَالْقَابُوسُ الْوَسِيطُ » ،
وَ « مَقْصُودُ ذَوِي الْأَلْبَابِ » ، فِي عِلْمِ الْأَعْرَابِ » ، مَجْلَدٌ ، وَ « تَحْمِيرُ الْمُوشَّيْنِ » ، فِيمَا
يُقَالُ بِالسَّيْنِ وَالشَّيْنِ » ، تَتَبَّعَ فِيهِ أَوْهَامُ الْمُجَمَّلِ لِابْنِ فَارِسٍ ، فِي أَلْفِ مَوْضِعٍ ،
وَ « الْمَثَلُ السَّكْبِيرُ » فِي خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَ « الرُّوضُ الْمُسْلُوفُ » ، فِيمَا لَهُ أَسْمَانٌ إِلَى
الْأُلُوفِ » ، وَ « تُحْفَةُ الْقَمَاعِيلِ » ، فِيمَنْ يُسَمَّى مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ إِسْمَاعِيلُ » ،
وَ « أَسْمَاءُ السَّرَّاحِ » ، فِي أَسْمَاءِ النَّكَّاحِ » ، وَ « الْجَلِيسُ الْأَنْبَسُ » ، فِي أَسْمَاءِ
الْخَنْدَرِيسِ » مَجْلَدٌ ، وَ « أَنْوَاءُ الْغَيْثِ » ، فِي أَسْمَاءِ اللَّيْثِ » ، وَ « تَرْقِيقُ الْأَسَلِ » ،
فِي تَصْفِيقِ الْعَسَلِ » فِي كُرَّاسَيْنِ ، وَ « زَادُ الْمَعَادِ » ، فِي وَزْنِ بَانَتْ سُعَادُ » ،
وَشَرَحَهُ فِي مَجْلَدٍ ، وَ « التَّحْفَةُ الظَّرَائِفِ » ، فِي الثُّلَاثَةِ الشَّرَائِفِ » ، وَغَيْرُ ذَلِكَ
مِنْ مَخْتَصَرٍ وَمَطْوَلٍ .

• السَّكْرَمَانِي
عَلَيْهِ

وَقَالَ التَّقِيُّ السَّكْرَمَانِيُّ : كَانَ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي زَمَانِهِ نَظْمًا وَنَثْرًا ، بِالْفَارْسِيَّةِ
وَالْعَرَبِيَّةِ ، جَالِ الْبِلَادِ ، وَاجْتَمَعَ بِمَشَائِخِ كَثِيرَةٍ ، وَأَقَامَ بِدِهْلِكِ (٢) مَدَّةَ عَظْمَةٍ
سُلْطَانِهَا ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ ، وَصَنَّفَ بِهَا الْقَامُوسَ ، فِي مَجْلَدَاتٍ ، فَأَمَرَهُ
وَالِدِي بِاخْتِصَارِهِ ، فَاخْتَصَرَهُ فِي مَجْلَدٍ ضَخْمٍ ، وَفِيهِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ ، وَاعْتِرَاضَاتُ
عَلَى الْجَوْهَرِيِّ ؛ وَسَافَرَ إِلَى الْهِنْدِ وَالرُّومِ ، وَعَظَّمَهُ سُلْطَانُهَا ، وَاجْتَمَعَ بِتَمَرَلَنْكٍ ،
فَعَظَّمَهُ ، وَأَنَمَ عَلَيْهِ بِمِثَّةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ .

نَاءُ الْخَزَرْجِيِّ
عَلَيْهِ

وَقَالَ الْخَزَرْجِيُّ فِي تَارِيخِ الْيَمَنِ : إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي زَيْدِيَّةٍ مِنْ عُلُوِّ الْجَاهِ وَالْمَكَانَةِ ،
وَنَفْعِ الشَّفَاعَاتِ وَالْأَوَامِرِ عَلَى الْقَضَاةِ فِي الْأَمْصَارِ .

(١) فِي مِ وَابِدِرِ الطَّالِعِ : « كُلُّ مَجْلَدٍ مِنْهُ يَقْرُبُ مِنْ صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ » .

(٢) كَذَا فِي الضُّوءِ اللَّامِعِ ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ فِي بَحْرِ الْيَمَنِ ، حَرَسَى بَيْنَ بِلَادِ الْيَمَنِ
وَالْحَبَشَةِ . وَفِي الْأَصُولِ : « دِهْلِكِي » . وَلَهُ تَحْرِيفٌ .

ورام في عام تسعة وتسعين الوصول إلى مكة ، شرّفها الله ، فكتب إلى
السلطان ما مثاله :

[٥٣٩]

« ومما تُنهيهِ إلى العلوم الشريفة ، ضعف العبد ، ورقّة جسمه ، ودقّة بنيته ،
وعلوّ سنّه ، وقد آل أمره إلى أن صار كالمسافر الذي تحزّم وانتقل ، إذ وَهَنَ
العظم والرأس اشتعل ، وتضعض السنّ ، وتقعقع الشّنّ ، فما هو إلا عظام
في جراب ، وُبنيان [قد] أشرف على الخراب ، وقد ناهز العشر التي تسميها
العرب دَقَاقَةَ الرَّقَاب ؛ وقد مرّ على المسامع الشريفة غير مرّة في صحيح
البخاريّ ، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا بلغ المرء ^(١) ستين سنة فقد
أعذر الله إليه ، فكيف مَنْ يُنَيّف على السبعين ، وأشرف على الثمانين ؟ ولا
يجمل بالمؤمن أن يمضي عليه أربع سنين ، ولا يتجدّد له شوق [وعزم] ^(٢) إلى
بيت رب العالمين ، وزيارة سيد المرسلين . وقد ثبّت في الحديث النبويّ ذلك ؛
والعبد له ستُّ سنين ^(٣) عن تلك المسالك ، وقد غلب عليه الشوق ، حتى جلّ
عمره عن الطّوق ، ومن أقصَى أمنيته ، أن يجدّد العهد بتلك المعاهد ، ويفوز
مرة أخرى بتلك المشاهد ، وسؤاله من المراحل العلية ^(٤) الصدقة عليه بتجهيزه
في هذا العام ، قبل اشتداد الحرّ وغلبة الأوام ، فإنّ الفضل أطيب ، والريح
أزيب ؛ وأيضا كان من عادة الخلفاء ، سلفا وخلفا ، أنهم كانوا يُبرِدون البريد
لتبليغ سلامهم لحضرة ^(٥) سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فاجعلني ،

(١) كذا في أكثر الأصول والضوء اللامع . وفي ط : « العبد » .

(٢) هذه الكلمة من الضوء اللامع .

(٣) في العبارة نقص ، ولعلّ تمامها : « بعيدا عن » بزيادة « بعيدا » أو كلمة بمعناها .

(٤) في الضوء اللامع : « الحسنية » .

(٥) في الضوء اللامع : « إلى حضرة » .

جعلني الله فداك ، ذاك البريد ، فلا أتمنى شيئا سواه ولا أريد .
شوقى إلى الكعبة الغراء قد زادا فاستحى لي القلص الوخادة الزادا
واستأذن الملك المنعم زيدا عللاً واستودع الله أصحابا وأولادا
فلما وصل كتابه إلى السلطان ، كتب على طرته ما مثاله :

« إن هذا الشيء ما ينطق به لسانى ، ولا يجرى به قلمى ، فقد كانت اليمين
عمياء فاستنارت ، فكيف يمكن أن نتقدم وأنت تعلم أن الله قد أحيا بك
ما كان ميتا من العلم ؟ فبالله عليك إلا ما وهبت لنا بقية هذا العمر . والله
يا مجد الدين ، يمينا بارّة ، إنى أرى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقك أنت
اليمن وأهله .

١. الفاسى عليه قال الفاسى : له شعر كثير ، ونثره أعلى ، وكان كثير الاستحضار
لمستحسنات الشعر والحكايات ، وله خط جيد مع السرعة ، وكان كثير الحفظ ،
حتى يقال إنه قال : ما كنت أنام حتى أحفظ مثنى سطر ؛ وكانت له دار بمكة
على الصفا ، عملها مدرسة للأشرف صاحب اليمين ، وقرّر بها مدرّسين وطلمبة ،
وفعل بالمدينة كذلك ، وله بمنى دور ، وبالطائف بستان ، وقد سارت الركبان
بتصانيفه ، لا سيما القاموس ، فإنه أعطى قبولاً كثيراً .

٢. الدين على قال الأديب المفلح نور الدين على بن محمد العفيف^(١) المكي الشافعى لما
قرأ عليه القاموس :

مُدَّ مَدَّ بَجْدُ الدين في أيامه^(٢) من فيض^(٣) أبحر علمه القاموسا
ذهبت^(٤) صحاح الجوهري كأنها سحر المدائن حين ألقى موسى

(١) كذا في الأصول وتاج العروس . وفي الضوء اللامع : « بن العليف » .

(٢) في بعض النسخ : « واحد عصره » . وفي بعضها : « في أرجائها » .

(٣) كذا في م . وفي سائر الأصول والضوء اللامع وتاج العروس : « بعض » .

(٤) في بعض النسخ : « أضحت » .

ور الدين على
يمدح كتابه
القاموس

من شعر المترجم

ومن شعره مما كتبه عنه الصَّلاح الصَّفديُّ ، رحمهما الله :

أحببنا الأماجد إن رحلتُم ولم ترعوا لنا عهداً^(١) وإلا
نودّعكم ونودّعكم قلوباً لعل الله يجمعنا وإلا

تاريخ وفاته

وكان يرجو وفاته بمكة [المشرفة] ، فما قدر [الله] له ذلك ، بل توفّي
بزبد ، وقد ناهز التسعين ، وهو مُمتنع بحواسه ، وذلك ليلة العشرين من شوال ،
سنة سبعة عشر وثمان مئة ، تغمدّه الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنّته .
انتهى ملخصاً من الضوء اللامع للسّخاوي ، رحمه الله .

للفيومي يمدح
القاموس

ولأبي عبد الله الفيومي يمدح القاموس المذكور :

لله قاموسٌ يطيب ورودُه أغنى الوری عن كل معنی أزهر
لفظ الصّحاح بلفظه والبحرُ من عاداته يُلقى صحاح الجوهري

وللواسطي في
رموز القاموسوقال عبد الرحمن^(٢) بن معمر [الواسطي] في رموزه :

وما فيه من رمزٍ بحرف خمسة^(٣) فهم معروف ، وعين لموضع
وجيم لجمع ، ثم هاء لقرية وللبلد الدال التي أهملت فع

وله يمدح
القاموس

وأنشدنا فيه غيره ، سيدنا ومولانا شيخ الشيوخ ، وخاتمة أهل التّمتّات
والرسوخ ، مُلحق الأحماد بالأجداد ، المهرّز على النظراء والأنداد ، مفتي
تلمّسان وأصقاعها ، ومعتّم أهل أقطارها وبقاعها ، عمّنّا سيدي سعيد بن أحمد
المقريّ ، صبّ الله عليه شآبيب رضوانه ، آمين :

(١) كذا في الضوء اللامع وإنباء الفهر وفيما سيأتى في جميع الأصول . وفي الأصول
هنا : « ودا » .

(٢) في م : « عبد الله » وهو تحريف . وقد نسب هذان البيتان أيضاً إلى مؤلف
القاموس (انظر تاج العروس في المقدمة) .

(٣) رواية هذا الشطر في تاج العروس : « وما فيه من رمز خمسة أحرف » .

ألا ما لهذا في اللغات مُشابهةً فما هو إلا كاسمه زاخرٌ بحُرِّ
أحاط بما يحوي سواه وفاقه بمبدع لفظ مع لغات بها كثرُ
جزى الله خيراً مَنْ تصدَّى لجمعه وآتاه فضلاً زاد ما اتصل الدهرُ
قلت : هذه الأبيات لتتقن الدين الواسطى ، نظمها تبحر الكعبة المشرفة .
وأنشدني أيضاً ، رحمه الله ، وكتبهما بخطه :

وما جاء في القاموس رمزاً فستة : لموضعهم عينٌ ، ومعروف الميمُ
وجبَّ جمع الجمع ، دال لبلدة وقريتهم هاء ، وجمع له الجيم
انتهى .

قلت : ومن أغرب ما منح الله تعالى المجد مؤلف القاموس المذكور ، أنه
قرأ بدمشق بين بابي النصر والفرج ، تجاه بقل النبي صلى الله عليه وسلم ، على
ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهَّيل ، صحيح مسلم في ثلاثة أيام ، وتبجَّح فقال :
قرأتُ بحمد الله جامع مُسلم بجوف دمشق جوفاً لإسلام
على ناصر الدين الإمام بن جهَّيل بحضرة حُفاظٍ مشاهيرِ أعلام
وتمَّ بتوفيق الإله بفضله قراءةً ضبطت في ثلاثة أيام
فسُبَّحان الماسح الذي يؤتى فضله من يشاء .

شعر المترجم وقد
قرأ صحيح مسلم

ترجمة ثالثة للفهرز آبادي ، عن أنباء العُمَر لابن حجر

وبعد أن كتبت هذه الترجمة ، وقفت على كلام تلميذه الإمام ابن حجر
في « إنباء العُمَر ، بأنباء العُمَر » ، فأوردته هنا ، وإن كان مخالفاً في بعض المواقع [٥٤٢]
لما قدمته ، إذ لا يخلو من فائدة ، ونصه :

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشَّيرازي ، الشيخ العلامة ،

مجد الدين أبو الطاهر الفيروزابادي ، كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « التنبيه » ، ويذكر أن بعد « عمر » أبا بكر بن أحمد [بن أحمد] بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق . ولم أزل أسمع [مشاهير] مشايخنا يطعنون في ذلك ، مستندين إلى أن [الشيخ] أبا إسحاق لم يُعقب .

ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة ، فادّعى بعد أن ولي قضاء اليمن بمدة طويلة ، أنه من ذرية أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه . وزاد إلى أن رأيت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه : « محمد الصّدّيق » ؛ ولم يكن مدفوعاً عن معرفة ، إلا أن النفس تأتي قبول ذلك .

وُلد الشيخ مجد الدين سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارزين ، وتلقاه ببلاده ، وسمع بها من محمد بن يوسف الزّرندى المدني صحيح البخاري ، وعلى بعض أصحاب الرشيد بن أبي القاسم ، ونظر في اللغة ، فكانت جُلّ قصده في التحصيل ، ففهر فيها ، إلى أن تميّز وفاق أقرانه ، ودخل الديار الشامية بعد الخمسين ، فسمع بها ، وظهرت فضائله ، وكثر الآخذون عنه ، ثم دخل القاهرة ، ثم جال في البلاد الشمالية والشرقية ، ودخل الهند ، وعاد منها على طريق اليمن ، قاصداً مكة [المشرقة] ، ودخل زبيد ، فلتقاه الملك الأشرف إسماعيل بالقبول ؛ وكان ذلك بعد وفاة جمال الدين الرّيمى^(١) ، قاضي الأقضية باليمن كلّهُ ، فقرّره الأشرف مكانه ، وبالغ في إكرامه ، فاستقرت قدمه بزبيد ، واستمرّ في ذلك إلى أن مات . وقدم هذه المدة مكة [مراراً] ، وأقام بها وبالطائف ، ثم رجع وصنّف القاموس المحيط في اللغة ، لا مزيد عليه في حُسْن الاختصار ، وميّز فيه

(١) في الأصول هنا : « الذهبي » ، وهو تحريف . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢) من هذا الجزء .

زياداته على الصحاح ، بحيث لو أفردت لكانت قدر الصحاح وأكثر ، في عدد الكلمات ، وقرئ عليه . وكان أولاً أبتداً بكتاب كبير في اللغة ، سماه : « اللامع » [٥٤٣] المعلم العجيب ، الجامع بين المحكم والعباب ، وكان يقول : لو كمل لكان مئة مجلد . وذكر عنه الشيخ برهان الدين الحلبي ، أنه تتبع أوهام المجلد لابن فارس في ألف موضع ، وكان مع ذلك يعظم ابن فارس ، ويثني عليه .

كتبه وإسرافه

وقد أكثر المجاورة بالحرهين [الشريفيين] ، وحصل دنيا طائلة ، وكتبها نفيسة ، لكنه كان كثير التبذير ، وكان لا يسافر إلا ومحبته عدة أحمال من الكتب ، ويخرج أكثرها في كل منزل ، ينظر فيها ، ويعيدها إذا رحل ، وكان إذا ألقى باعها . وكان الأشرف كثير الإكرام له ، حتى إنه صنف له كتاباً ، وأهداه له على أطباق ، فلأهاله دراهم ، وصنف للناصر كتاباً سماه : « تسهيل الوصول ، إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول » ، و « الإصعاد ، إلى رتبة الاجتهاد »^(١) في أربعة أسفار ، وشرع في شرح مطوّل على البخاري ، [ملأه] بغرائب المنقولات ، وذكر لي أنه بلغ عشرين سفراً . إلا أنه لما اشتهرت باليمن مقالة ابن عربي ، ودعا إليها الشيخ إسماعيل الجبرتي^(٢) ، وغاب على علماء تلك البلاد ، صار الشيخ مجد الدين يَدْخُل في شرح البخاري من كلام ابن عربي في الفتوحات ، ما كان سبباً لشين^(٣) الكتاب [المذكور] .

ولم أكن أتهم الشيخ بالمقالة المذكورة ، إلا أنه كان يحب المداراة . وكان الناشرى فاضل الفقهاء بزبيد ، يبالغ في الإنكار على إسماعيل ؛ وشرح ذلك يطول . ولما اجتمعت بالشيخ مجد الدين ، أظهر لي إنكار مقالة ابن عربي ، وغض

(١) تقدم اسم هذا الكتاب كاملاً ، وهو : « الإصعاد بالإصعاد ، إلى درجة الاجتهاد »

ثلاث مجلدات . (٢) اقرأ ترجمته في البدر الطالع للشوكاني (ج ١ ص ١٣٩) .

(٣) في م : « لنبد » .

منها ، ورأيتَه يصدّق بوجود رتن^(١) الهندي ، وينكر على الذهبي قوله في الميزان إنه لا وجود له . قال الشيخ مجد الدين : إنه دخل قرينته ، ورأى ذريته ، وهم مُطَبِّقُونَ على تصديقه ؛ وقد أوضحت ذلك في ترجمة « رتن » من كتاب الإصابة . [٥٤٤]

ومن تصانيفه : « شوارق الأسرار ، في شرح مشارق الأنوار^(٢) » ، و« الروض المسئوف ، فيما له أسمان إلى الألوف » ، و« تحبير الموشين ، فيما يقال بالسّين والشّين » . وكان يقول : ما كنت أنام حتى أحفظ مِثْقَى سطر ، ولم يُقدِّرْ له قَطُّ أنه دخل بلدة إلا وأكرمه متولّيها ، وبالغ في إكرامه ، مثل شاه شجاع ، صاحب تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، والأشرف صاحب اليمن ، وابن عثمان صاحب التركية ، وأحمد بن أويس صاحب بغداد ، وغيرهم ، ومثّله الله بسمّعه وبصره إلى أن مات .

سمع الشيخ مجد الدين من ابن الخبّاز ، وابن القيم ، وابن الحموي ، وأحمد ابن عبد الرحمن المرزداوي ، وأحمد بن مطر النابلسي ، والشيخ تقي الدين السبكي ، ويحيى بن علي بن مُجَلِّي بن الحداد ، وغيرهم ، بدمشق في سنة نيف وخسين ؛ وبالقدس من العلّائي ، والبياني^(٣) ؛ وبمصر من القلانسي ، ومظفر الدين ،

(١) هو رتن بن عبد الله أو ابن كربال البترندي الهندي ، ويقال فيه رطن (بالطاء بدل التاء) : شيخ معمر ، خفي خبره دهرا طويلا ، إلى أن ظهر على رأس القرن السادس ، فادعى صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه روى عنه أحاديث . وهو شيخ دجال بلا ريب ، قيل إنه توفي سنة اثنتين وثلاثين وست مئة (عن الإصابة لابن حجر) .

(٢) في كشف الظنون : « شوارق الأسرار العلية ، في شرح مشارق الأنوار النبوية » . وكتاب المشارق هذا الذي شرحه الفيروزابادي : للإمام رضي الدين الصفّاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ . ويسمى « مشارق الأنوار النبوية » من صحاح الأخبار المصطفوية . وللقاضي عياض كتاب يسمى مشارق الأنوار أيضا في غريب الحديث ، وسيأتي ذكره بعد في كلام المقرئ على تواليفه .

(٣) في ص : « من العلامة البياني » .

وناصر الدين التونسي ، وابن نباتة ، [والفارقي ، والعرضي ، والعزبن جماعة ، وبمكة من خليل المالكي ، والتقي الحرازي] ؛ ولقي بغيرها من البلاد جمعا جمعا من الفضلاء وحمل عنهم شيئا كثيرا ، وخرج له الجمال المراكشي مشيخة ، واعتنى بالحديث .

اجتمعت به بزبيد ، وفي وادي الخصيب ، وناولني جُلّ القاموس ، وأذن لي مع المناولة أن أرويّه عنه ، وقرأت عليه من حديثه عدة أجزاء ، وسمعت منه المسلسل بالأولية لسماعه من الشبكي ، وكتب لي تقریظا على بعض تخریجاتي ، أبلغ فيه ، وأنشدني لنفسه في سنة ثمان مئة بيتين ، كتبهما عنه الصلاح الصفدي ، في سنة سبع وخمسين بد مشق ، وبين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة ، رحمه الله :

أخلاقنا الأماجد إن رحلت لم تَرَعُوا لنا عهدا وإلا
نودّعكم ونودّعكم قلوبا لعل الله يجمعنا وإلا

وفاته مات [رحمه الله تعالى] في ليلة العشرين من شوال وهو ممتع بحواسه ، [٥٤٥] وقد ناهز التسعين .

انتهى كلام ابن حجر في ترجمته سنة سبع عشرة وثمان مئة ، من « إنباء الغمر ، بأنباء العمر » .

ووجدت في بعض المقتدات بخط بعض الفضلاء ، ممن يؤثق بدينه وعلمه من أهل عصرنا ، ما نصه :
سئل شيخ الإسلام الشيخ محمد الدين الفيروزابادي ، رضي الله عنه ، صاحب كتاب القاموس في اللغة ، بما نصه :

مدح
الفيروزابادي
لابن عربي

ما يقول^(١) سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في السكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربيّ، كالفُتوحات والفُصوص، هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتهما؟ وهل هي [من] ^(٢) السكتب المسموعة المقرّوة أم لا؟

فقال رضى الله عنه: الذى أقول وأتحققه، وأدين الله تعالى به: أن الشيخ محيي الدين، كان شيخ الطريقة: حالا وعِلما، وإمام التحقيق: حقيقة ورسمًا، [ومحيي رسوم العارفين فعلا واسما]:

إذا تغلغل فكر المرء في طرفٍ من بحره غرقت فيه خواطره
فهو بحرٌ لا تُكدره الدلاء، وسحاب لا تنقاصر عنه الأنواء، كانت
دَعَواته تخرق السبع الطباق، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق، وإني أصفه،
وهو يقينا فوق ما وصفته؛ وناطق بما كتبته، وغالب ظنى أنى ما أنصفته:

وما علىّ إذا ما قلت مُعتقدي^(٣) دع الجهول يعدُّ^(٤) العذلُ عُدوانا
والله والله والعظيم ومن أقامه حُجَّةً للدين برهانا
إن الذى قلت بعض من مناقبه ما زدت إلا لعلّي زدت نقصانا
وأما كتبه ومصنفاته فهي البحار الزاخر، ما وضع الواضعون مثلها. انتهى.
وباقى الجواب سقط^(٥)، سهل الله كماله.

(١) أورد المؤلف هذا الكلام في ترجمة محيي الدين بن عربي، من كتابه نفع الطيب،

مع بعض اختلاف، نقلا عن كتاب: (الاغتباط، بمعالجة ابن الحياط) للفيروزابادى.

(٢) «من» ساقطة من عبارة نفع الطيب.

(٣) كذا في ط، م ونفع الطيب. وفي ص: «مقتديا».

(٤) في م، ص: «يظن».

(٥) عثر المؤلف على بقية الجواب، وذكره في ترجمة ابن عربي، بالجزء الأول من كتاب

نفع الطيب.

التعريف بمحيي
الدين بن عربي

قلت : ولما جرى ذكر الشيخ بن عربي الحاتمي ، فلا بأس^(١) من أن نلّم
ببعض حاله ، فنقول :

قال ابن خاتمة :

[٥٤٦]

محمد بن علي بن محمد الطائي بن عربي الصوفي ، من أهل إشبيلية ، وأصله
من سبّطة ، يُسكنى أبا بكر ، ويعرف بابن عربي ، وبالحاتمي أيضا .

أخذ عن مشيخة بلده ، ومال إلى الأدب ، وكتب لبعض الولاة بالأندلس ،
ثم رحل إلى المشرق حاجا ، فأدّى الفريضة ، ولم يعد بعدها إلى الأندلس ، وسمع
الحديث من أبي القاسم الخرساني وغيره ، وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن
ابن أبي نصر ، في شوال سنة ست وست مئة ، وكان يحدث بالإجازة العامة عن
أبي طاهر السلفي ، ويقول بها ، وبرّع في علم التصوف ، وله في ذلك تواليف
كثيرة ، منها : « ملاك التأويل ، في حقائق التنزيل » ، و « الجذوة المقتبسة ،
والخطوة المختلصة » ، و « كتاب المعارف الإلهية » ، و « كتاب الإسراء ، إلى
المقام الأسمى » ، و « كتاب مواقع النجوم ، ومطالع أهلة أسرار العلوم » ،
و « كتاب عنقاء مغرب » ، في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب » ، وكتاب
في فضائل شيخه عبد العزيز [بن] أبي بكر القرشي المهدوي ، والرسالة الملقبة
« بمشاهد الأسرار القدسية ، ومطالع الأنوار الإلهية » ، [في] كتب أخر عديدة .
وقدم على المريّة من مُرسِيّة مُستَهلّ شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمس
مئة ، وبها ألف كتابه الموسوم ، بمواقع النجوم .

قال الأستاذ أبو جعفر : ولا نُسلم له جميع مقالاته وموضوعاته ، وإن كان
لعلوه في الإعراب ، قد تكلم من وراء حجاب ، وتحصّن من الرمّز ، بسند

رأى ابن خاتمة
في ابن عربي

(١) في ط : « فلا بد » .

مَنيع الحِرْز ، ففي الإشارة الراجعة الدليل ، ما يقوم مقام العبارة الواضحة السبيل .
وقد حكى لى بعض ثقات أصحابنا ، عن لقي من كبار شيوخ أهل العلم ، أنه
[٥٤٧] كان يطعن عليه ، ويرميه بوهن في دينه ، وينسب إليه ، والله أعلم بحقيقة ذلك ،
إذ كل كلام يغلب^(١) المجاز والاستعارة عليه من غير قرينة ، فهو متشعب المسالك .
وعلى الجملة ، فهو الذى جرأ على نفسه ، لما خذه المظلمة المدارك ، المشوشة على السالك .
قال ابن الأبار : وقد لقيته جماعة من العلماء والمتعبدين ، وأخذوا عنه ، وتوفي
بعد الأربعين وست مئة .

ذكره ابن الأبار ، وقال : أفادنى بعض أصحابنا أنه أجاز إجازة عامة لمن
أحب الرواية عنه . انتهى كلام ابن خاتمة .

والذى عند كثير من الأخيار من أهل هذه الطريقة ، التسليم لهم ، ففيه
السلامة ، وهو أحوط من إرسال العنان ، وقول يعود على صاحبه بالملامة .
[وما وقع لأبى حيان وابن حجر في تفسيره ، من إطلاق اللسان في هذا
الصدّيق وأنظاره ، فذلك من فلس^(٢) الشيطان . والذى أعتقده ولا يصح غيره ،
أن الإمام ابن عربى ، ولى صالح ، وعالم ناصح ، وإنما فوق إليه سهام الملامة ،
من لم يفهم كلامه .

على أنه دُسّت في كتبه مقالات يجل قدره عنها ، وقد تعرّض من المتأخرين
ولى الله الربّانى ، سيدى عبد الوهاب الشعرانى^(٣) ، نفعنا الله تعالى ببركته ،

(١) كذا في م . وفي ط ، م : « يقبل » .

(٢) الفلس والإفلاس : أن تطلب الشيء فتخطىء موضعه .

(٣) هو الشيخ الصالح عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى ، نسبة إلى ساقية أبى
شعرة ، قرية من ضواحي مصر ، توفى سنة ٩٧٣ هـ . (عن تاج العروس) .
وفي الأصول : « الشعرانى » وهى نسبته المشهورة على ألسنة العامة . اقرأ له فى
الدفاع عن ابن عربى كتاب : « السكبريت الأحمر » ، فى بيان علوم الشيخ الأكبر
وانظر ما نقله المؤلف من كلامه فى نفع الطيب ، فى ترجمة ابن عربى .

لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق ، وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدور أهل التحقيق ، فليطالع ذلك من أرادَه ، والله ولي التوفيق] .

[التمجيد والمجديرون]

قلت : وإذ قد تقدم أمر التجديد أواخر القرن الثامن ، فيما جلبناه في التعريف المنقول آنفاً^(١) ، ناسب أن نذكر نظم [إمام] الدنيا جلال الدين السيوطي ، المسمى « بتحفة المهتدين »^(٢) ، بأسماء المجدين ، ونصّه :

نظم للسيوطي
في المجدين

الحمد لله العظيم المنّة المانح الفضل لأهل الشفّة
ثم الصلاة والسلام نلتمس على نبيّ دينه لا يندرس
لقد أتى في خيرٍ مشتهرٍ رواه كل حافظ معتبر
بأنه في رأس كل مئة يبعث ربنا لهذه الأمة
منّا عليها عالماً يجدد دين الهدى لأنه مجتهد

قلت : اختلف الناس في المراد بالمجدد ، فقبل من العلماء ، وقيل من الأولياء ، وقيل من الملوك ، ولكل حجة مذكورة في محلها . وسمعت شيخنا الإمام بقیة الناس ، سيدي أحمد بابا السوداني التنبؤكّي ، أبقی الله جلاله ، وأدام عمرته ، وحفظ خلاله ، يقول إن ذلك يكون في كل قطر بحسبه ، وليس من شرطه أن يعمّ الدنيا أو غالبها ، والله أعلم .

آراء في المراد
بالمجدد

[٥٤٨]

ولأجل ذلك قال أبقاه الله في رجزه في هذا المعنى ، حيث ذكر المجدين .

قال في العاشر ما نصه :

(١) يشير المؤلف إلى ما نقله من التعريف بصاحب القاموس ، عن كتاب « الشقائق النعمانية » ، في علماء الدولة العثمانية .

(٢) كذا ورد اسم هذا الكتاب ضمن مجموعة خطية (محفظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٥ مجاميع) . وفي الأصول : « بتحفة المجتهدين ... الخ » .

وعاشرُ القرون فيه قد أُنِيَ محمدٌ إمامنا وهو الفَتَى
يعنى به الشيخ العلامة سيدى محمداً بَغِيْعٌ^(١)، رحمه الله . ولا خفاء أن هذا
منه أبقاه الله بناءً على اعتبار كل قطر على حِدَةٍ ، إذ هذا الشيخ الذى جزم بتجديده ،
إنما هو فى صُتْعٍ تُنْبِكُتُ^(٢) وجاغو . وأما فى بلاد المغرب وغيرها فلا ؛ وهو مخالف
لما عند السيوطى فى هذا النظم ، كما تراه قريباً . والله تعالى أعلم بالصواب .

ولنرجعُ إلى كلام الإمام الجلال السيوطى ، رحمه الله تعالى ، قال :

فكان عند المئة الأولى عُمرُ خليفة العدل بإجماع وقَرُ
والشافعى كان عند الثانية لما له من العلوم السارية
وابنُ شريح ثالث الأئمة والأشعريُّ عدّه من أمّه
والباقِلاني رابعٌ أو سهلٌ أو الإسفرايينى خلافاً [قد] حَكَوْا
والخامس الحنبر هو الغزالي وعدّه ما فيه من جدال
والسادس الفخرُ الإمامُ الرازى والرافعى مثله يُوَازى
والسابع الرافى إلى المراقى ابنُ دقيق العيد باتفاق
والثامنُ الحنبر هو البُلْقِينِي^(٣) أو حافظ الأنام زينُ الدّين^(٤)

(١) كذا ضبطه الشيخ أحمد بابا فى : « الابتهاج ، بتذليل الديباج » .

(٢) تنبكت (بضم ، فسكون ، ثم موحدة مضمومة ، وكاف ساكنة) : مدينة فى أقصى المغرب . (انظر تاج العروس) .

(٣) البلقينى : نسبة إلى بلقينة (بضم الباء وكسر القاف أو فتحها) بلدة بمصر بالغربية .

(٤) هو الحافظ الكبير عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقى ، السكردى الأصل ، شيخ المحدثين فى المئة الثامنة . ولد بمصر سنة ٧٢٥ ، وتخرج به كثير من أعلام المحدثين بمصر والشرق ، كالإمام بن حجر العسقلانى ، وابن حجر الهيتمى . وقد جمع أطراف الثقافة العربية والإسلامية ، وصار أُوحد وقته فى علوم الحديث ؛ وله فيها الألفية التى ذاعت شهرتها ، وتخرج أحاديث الأحياء ، وغير ذلك كثير . توفى سنة ٨٠٦ هـ كما فى البدر الطالع للشوكانى ، أو سنة ٨١٩ كما فى هامش طبقات الحنفية لمحمد عبد الحى المللكوى الهندى .

وَعَدَّ سَبْطَ الْمَلِيقِ الصُّوفِيَّةُ لَوْ وَجِدَتْ مِثْلَهُ وَفِيَّةُ
والشرط في ذلك أن تَمُضِيَ الْمِثْلَةُ وهو على حياته بين الفِئَةِ
يُشارُ بِالْعِلْمِ إِلَى مَقَامِهِ وينصرُ السَّنةَ فِي كَلَامِهِ
وَأَنْ يَكُونَ جَامِعًا لِكُلِّ فَنٍّ وَأَنْ يَعْمَ عِلْمُهُ أَهْلَ الزَّمَنِ
وَأَنْ يَكُونَ فِي حَدِيثٍ قَدْ رُوِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَصْطَفِيِّ وَهُوَ قَوِي
وَكُونَهُ فَرْدًا هُوَ الْمَشْهُورُ قَدْ نَطَقَ الْحَدِيثُ وَالْجُمْهُورُ
وَهَذِهِ تَاسِعَةُ الْمَثِينِ قَدْ أَنْتَ وَلَا يُخَلِّفُ مَا الْهَادِي وَعَدَّ
وَقَدْ رَجَوْتُ أَنَّ الْمَجْدِدُ فِيهَا فَفَضْلُ اللَّهِ لَيْسَ يَجْحَدُ [٥٤٩]
وَأَخِرُ الْمَثِينِ فِيهَا يَأْتِي عَيْسَى نَبِيُّ اللَّهِ ذُو الْآيَاتِ
يُجَدِّدُ الدِّينَ لِهَذِي الْأُمَّةِ وَفِي الصَّلَاةِ بَعْضُنَا قَدْ أُمِّمَهُ
مُقَرَّرًا لَشَرْعِنَا وَيَحْكُمُ بِحُكْمِنَا إِذْ فِي السَّمَاءِ يَنْقَلِبُ
وَبَعْدَهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُجَدِّدٍ وَيُرْفَعُ الْقُرْآنُ مِثْلَ مَا بُدِيَ
وَتَكْتُرُ الْأَشْرَارُ وَالْإِضَاعَةُ مِنْ رَفْعِهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ
وَأَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا عَلَّمَا وَمَا جَلَا مِنْ الْخُلَفَاءِ وَالْعَمَى
مُصَلِّيًّا عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْآلِ مَعَ أَصْحَابِهِ الْمَكْرَمَةِ

انتهى .

وليكن هذا آخر هذه الترجمة . والله وليُّ التوفيق ، لا رب غيره ، ولا
معبود سواه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

٣

روضة البهار

في ذكر محمد من سيوفه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار

أقول معتمداً على ذى الطول ، الذى بيده القوة والحول :

مقدمة

أردنا أن نذكر في هذه الترجمة مشاهير شيوخ القاضى [الإمام] أبى الفضل عياض ، رحمه الله ؛ وقد قدمنا فى الترجمة قبل هذه أسماء بعضهم على سبيل الإجمال ، حيث جرّ الكلام إليها ، وهذا هو محلها ، وقد تكفل رحمه الله بذكرهم ، فى كتابه الذى سماه بالغنية ، وقد ذكر فيها نحو المئة .

وقال ابنه رحمه الله : انتهى عددُ أشياخه الذين ذكرهم فى فهرسته ، من سمعه أو أجازره ، واليسيرُ منهم لقيته وجالسته ، ولم يسمعُ منه ، إلى مئة شيخ . انتهى .

وقد ذكرَ كثيراً من أحوالهم فى « الغنية » ، ولم تحضُرْنى نسخةٌ منها الآن بفاس ، لأنى تركت التى عندى يتامسان ، ولم أجدُ منها بفاس نسخة ؛ وكلُّ ما أذكره هنا من التعريف ببعض أشياخه ، فهو منقول من غيرها ، وقد يتفق لفظه مع ما فيها .

[شيوخ عياض]

فمن جملة أشياخه رحمه الله تعالى :

[٥٥٠] القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد الفقيه . ذكره ابن بشكوال ، فقال : قاضى الجماعة بقرطبة ،

أبو الوليد
رشد (الجد)

وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها ، يُكنّى أبا الوليد .

شيوخه وعلمه

رَوَى عن أبي جعفر بن زَرْقٍ الفقيه ، وتفقه معه ، وعن أبي مَرْوَانَ بنِ سِرَاجٍ ، وأبي عبد الله محمد بن خَيْرَةَ ، وأبي عبد الله محمد بن فَرَجٍ ، وأبي عَلِيٍّ الغَسَّانِي ، وأجاز له أبو العباس المُذَرِّي ما رواه ؛ وكان فقيهاً عالماً ، حافظاً للفقه ، مقدّماً فيه على جميع أهل عصره ، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيراً بأقوالهم ، واتفاقهم واختلافهم ، نافذاً في علم الفرائض والأصول ، من أهل الرياسة في العلم ، والبراعة والفهم ، مع الدّين والنّذل ، والوقار والحلم ، والسّمت الحسن ، والهدى الصالح .

يرعه ومؤلفاته
رمولده ووفاته

سمعت الفقيه أبا مروان عبد الملك بن مَسْرَّة يقول : شهدت شيخنا القاضي أبا الوليد يصوم يوم الجمعة دائماً ، في الحضر والسفر . ومن تواليفه كتاب « المقدمات لأوائل كتب المدونة » ، و « كتاب البيان والتحصيل ، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل » ، و « اختصار المبسوط » ، و « اختصار مشكل الآثار » للطحاوي ، إلى غير ذلك من تواليفه . سمعنا عليه بعضها ، وأجاز لنا سائرها ، وتقلد القضاء بقرطبة ، وسار فيه بأحسن سيرة ، وأقوم طريقة ، ثم استعفى عنه فأعفى ، ونشر كتبه وتواليفه ، ومسائله وتصانيفه ، وكان الناس يلجئون إليه ، ويعوّلون في مهمّاتهم عليه ؛ وكان حسن الخلق ، سهل اللقاء ، كثير النفع لخاصته وأصحابه ، جميل العشرة لهم ، حافظاً لهمودهم^(١) ، كثير البرّ بهم ، وتوفّى عفا الله عنه ليلة الأحد ، ودُفِنَ عَشِيَّ يوم الأحد ، الحادي عشر من ذي القعدة ، سنة عشرين وخمس مئة ، ودُفِنَ بِمَقْبَرَةِ العباس ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، وشهده جمعٌ عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسناً جميلاً . [٥٥١]

(١) في الصلة لابن بشكوال : « لهمدم » .

ومولده في شوال سنة خمسين وأربع مئة .

وقد كان أيام حياته توجه إلى المغرب ، إثر الكائنة التي كانت بين المسلمين والنصارى ، بالموضع المعروف بالربنيول^(١) ، وذلك في منتصف شهر صفر عام عشرين وخمس مئة ، فاستخار القاضي أبو الوليد في النهوض إلى المغرب ، مُبِينًا لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، ما الجزيرة عليه ، فوصل إليه ، فلقبه أكرم لقاء ، وبقي عنده أبرًا بقاء ، حتى استوعب في مجالس عديدة ، إيراد ما أزعجه إليه ، وتبين ما أوفده عليه ، فاعتقد ما قرره لديه ؛ وانفصل عنه ، وعاد إلى قرطبة ، فوصلها آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وعلى أثر ذلك أصابته العلة التي أضعفته ، إلى أن أفضت به إلى قضاء نحبه ، ولقاء المرتقب من محتوم لقاء ربه ، وتبارى الأدباء والشعراء في تأييده ؛ وحقق لهم ذلك ، رضى الله عنه وأرضاه .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض :

الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التنجي القرطبي ، الشهير بابن الحاج ، قاضي الجماعة بقرطبة . روى عن أبي جعفر أحمد بن زرق الفقيه ، وتفقه عنده ، وقيد الغريب واللغة والأدب عن أبي مروان عبد الملك ابن سراج ، وسمع عن أبي عبد الله محمد بن فرج الفقيه ، وعن أبي علي الغساني وغيرهم . وكان من جلة الفقهاء ، وكبار العلماء ، معدودًا في المحدثين والأدباء ، بصيرًا بالفتيا ، رأسًا في الشورى ، وكانت الفتيا في وقته تدور عليه ، لمعرفة وثقته وديانته ، وكان مُعْتَمِنًا بالحديث والآثار ، جامعًا لها ، مقيّدًا لما أشكل من معانيها ، ضابطًا لأسماء رجالها وزواتها ، ذا كرا للغيرب والأنساب ، واللغة

(١) كذا في الأصول ، ونظنه محرفًا ، ولم نجد ما يصوبه .

والإعراب ، وعلمنا بمعاني الأشعار ، والسَّيَر والأخبار . قال ابن بشكُوَال : قيد العلم عُمرَه كُلَّهُ ، وعُنِيَ به عناية كاملة ، ما أعلم أحدًا في وقته عُنِيَ كعنايته ، قرأت [٥٥٢] عليه وسمعت ، وأجازني بخطه ؛ وكان له مجلس بالجامع بقرطبة ، يُسمعُ الناس فيه ، وتقلد القضاء بقرطبة مرتين ، وكان في ذاته لِينًا صابِرًا ، طاهرًا حليماً متواضعاً ، لم يُحفظ له جَوْرٌ في قضيّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية^(١) ، وكان كثير الخضوع والذكر لله تعالى ، ولم يزل آخر عمره يتولّى القضاء بقرطبة ، إلى أن قُتِلَ ظمأً بالمسجد الجامع بقرطبة ، يوم الجمعة وهو ساجد ، لأربع بَقَيْن من صفر ، من سنة تسع وعشرين وخمس مئة ، ومولده في صفر سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . وكتابه في نوازل الأحكام ، المتداول لهذا العهد بأيدي الناس : من الدلائل على تقدمه في المعارف وبراعته . تعمّدنا الله وإياه برحمته .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله :

القاضي الشهير الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أحمد بن العربيّ المَعافِرِيّ الإشبيليّ ، رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد ، مستهلّ شهر ربيع الأول ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فدخل الشام ، ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطُّرُوشِيّ ، وتفقّه عنده ، ورحل إلى الحجاز في موسم سنة تسع وثمانين ، ودخل بغداد مرّتين ، وصحب أبا بكر الشاشيّ ، وأبا حامد الطوسيّ الغَزَّالِيّ ، وغيرهما من العلماء والأدباء ، فأخذ عنهم ، ثم صدر عن بغداد ، ولقي بمصر والإسكندرية جماعة ، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير ، لم يدخُل به أحد قبله^(٢) ، ممّن كان له رحلة إلى المشرق ،

أبو بكر بن
ربيّ المَعافِرِيّ

(١) في ط : « غاية » . (٢) كذا في ابن خلكان نقلا عن الصلة لابن بشكُوَال .
والذي في الأصول « لم يدخله أحد قبله » .

ولذا نُقِلَ عنه أنه قال : كُلُّ من رحل لم يأت بمثل ما أُتيتُ به أنا والقاضي أبو الوليد الباجي ، أو كلاماً هذا معناه . أو قال : لم يرحلَ غيري وغير الباجي ، وأما غيرنا فقد تعب ، أو نحو هذا ، مما لم تحضرني عبارته الآن .

وكان من أهل التفنن في العلوم ، متقدماً في المعارف كلها ، متكلماً في أنواعها ، [٥٥٣] حريصاً على نشرها . واستقضى بمدينة إشبيلية ، فقام بما قلّد أحمد قيام ، وكان من أهل الصرامة في الحق ، والشدة والقوة على الظالمين ، والرفق بالمساكين ، ثم صُرف عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثّه .

قال المحدث أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكّوال : قرأت عليه بإشبيلية ، وسألته عن مولده ، فقال لي : ولدت ليلة الخميس لثمان بةين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مئة ؛ وتوفي رحمه الله بالعدوة ، ودفن بمدينة فاس في ربيع الآخر ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة . انتهى .

وقال ابن بشكّوال أيضاً في حقه :

هو الحافظ المستبحر ، ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحُفَظَها . انتهى . ومن تكملة المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار ، عن أبي عبد الله بن مجاهد الإشبيليّ الزاهد العابد : أنه لازم القاضي أبا بكر بن العربيّ نحواً من ثلاثة أشهر ، ثم تخلف عنه ، ففيل له في ذلك ، فقال كان يُدرّس ويعلّته عند الباب ، ينتظر الركوب إلى السلطان . انتهى .

وذكره الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير في صلاته ، وقال فيه : رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبّادية إلى الحج ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وسنّه إذ ذاك نحو سبعة عشر عاماً ، فلقى شيوخ مضر ؛ وعدّ أناساً ، ثم قال : وقيد الحديث ، وضبط ما روى ، واتسع في الرواية

من كلام ابن
بشكّوال عنه

شيء عنه من
صلة ابن الزبير

وأَتَقَنَ مسائل الخلاف والأصول والكلام ، على أئمة هذا الشأن ، وعاد إلى بغداد بعد دخولها ، وانصرف إلى الأندلس ، فأقام بالإسكندرية ، فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين . ثم أنصرف إلى الأندلس ، فسكن بلدة إشبيلية ، وشوَّور [٥٥٤] فيه ، وسمَّع ودَّرَسَ الفقه والأصول ، وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف في غير فنِّ تصانيف مليحة ، حسنة مقيدة ، وولى القضاء مدة ، أولها في رجب من سنة ثمان وعشرين ، فنفع الله به ، لصرامته ونفوذ أحكامه ، والتزم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، حتى أُوذِيَ في ذلك ، بذهاب كتبه وماله ، فأحسن الصبر على ذلك كله ، ثم صُرِفَ عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثه ، وكان فصيحاً حافظاً ، أديباً شاعراً ، كثير المُلح ، مليح المجلس .

ثم قال : قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى — وقد وصفه بما ذكرته — ثم قال : ولكثرة حديثه وأخباره ، وغريب حكاياته وروايته ، أكثر الناس فيه الكلام ، وطعنوا في حديثه ، وتَوَقَّيْ مُنْصَرَفَهُ من مَرَاكُش ، من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة ، بعد دخول مدينة إشبيلية ، فحَسِبُوا بمَرَاكُش نحو عام ، ثم سُرَّحُوا ، فأدرَكته منيته بطريقه ، على مَقَرَبَةٍ من فاس بمرحلة ، وحُمِلَ مَيِّتاً إلى مدينة فاس ، فدُفِنَ بها ، بباب الجيسة .

قال : ورَوَى عنه الجُمُّ الغفير . فمن جُمْلَةٍ من رَوَى عنه من علماء المئة الخامسة ، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى ، وأبو جعفر بن الباذش ، وطائفة . انتهى .

قال القاضي أبو الحسن بن الحسن النِّبَاهِي في كتاب « المرقبة العليا » ، في القضاء ^(١) « والقُتُبَا » بعد أن ذكر ما قَدَّمَناه ، مانصه : والصحيح في القاضي أبي بكر

فاته وقبره

(١) تقدم في بعض مواضع من هذا الكتاب مكان كلمة : « القضاء » . « مسائل القضاء » ، « الأفضية » .

أنه إنما دُفِنَ في خارج باب المحروق من فاس ، وما وقع من دَفْنِهِ بباب الجيسة ، وَهُمْ مِنْ ابن الزُّبَيْرِ وَعَلَّطَ ، وقد زُرْنَاهُ وشاهدنا قبره بحيث ذكرناه .
أرضاه الله ، وغفر لنا وله . انتهى .

قلت : وقد سبق ابن الزُّبَيْرِ إلى ذلك القاضي أبو الفضل عياضٌ في القُنية ، فإنه قال : دُفِنَ خارج باب الجيسة . واعتذر عنه بعضُ الأكابر ،^(١) بأن باب المحروق لم يكن إذ ذاك فُتِحَ^(٢) ، لأنه من بناء أمير المؤمنين الناصر بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، ولا شك أن ذلك متأخر عن زمان عياض قطعاً ؛ ويبقى الإشكال في كلام ابن الزُّبَيْرِ ، لتأخر زمانه عن ذلك .

[استطراد وتحقيق]

[بين الشيخين : ابن غازي والوانشريشي]

وبعد ما كتبت هذا هنا ، وقفتُ على تأليف لطيف ، صغير الجُرْمِ ، كثير العلم ، للشيخ الإمام [العالم] أبي عبد الله محمد بن غازي رحمه الله [تعالى] ، ألم في آخره بالمسألة المذكورة ، فرأيت أن أُورِدَه بطوله ، لما اشتمل عليه من الفوائد ، وإن كانت أجنبية عما نحن فيه ، ولكن لا يخلو من فوائد جمة ؛ وختمته بهذا الغرض الذي ذكرناه ، وخاطب به الشيخ الحافظ الإمام سيدي أحمد بن يحيى الوائشريشي المولد ، التلمساني المنشأ والقراءة ، القاسي القبر والدار آخر عمره ، بل أوسط عمره ، وسماه : « بالإشارات الحسان ، المرفوعة إلى حَبْر فاس وتلمسان » . يعني بحبر فاس وتلمسان : الشيخ الوائشريشي المذكور ؛ وقد كتب بطُرْره الشيخ الوائشريشي المذكور زوائد ، هأنا أذكرها في محلها ، تيمناً للغرض ، ونصته :

(١-١) في الأصول : « بأن باب المحروق لم تكن إذ ذاك فتحت » . والمقاربة يؤتون الباب .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حقَّ حمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيِّه وعبدِه .

إلى السيد الفقيه ، العالم ، المحقق ، المدرّس ، المفتي ، الصّدْر ، الحُجّة ، الكبير ، الخطير ، الأخطى ، الملاحظ ، الأحفل الأكل ، أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي يحيى الوائشريشي ، حفظ الله سبحانه وتعالى كاله ، وبلغه في الدارين آماله ، من مُحِبّه طبعاً وشرعاً ، أضلا وفراً ، وتراً وشقفاً ، إفراداً وجماعاً ، محمد بن أحمد بن غازي ، سمح الله سبحانه [وتعالى] له ، مسلماً عليكم أكل [٥٥٦] السلام ، مخصصاً لكم بمحض البر والإكرام .

سيدي ، متى صار النهرُ يَسْتَمِدُّ من السّاقية ؟ وكيف عاد السّيح (١) يفتقر إلى السانية ؟

* في طامة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل *

* ليس التكهّل في العينين كالكَحَل *

كتبت ، كتب الله لك السعادة ، وبلغك منها الحُسنى والزيادة ، تُشارك محبكم في أمرٍ سعيدٍ بُرُداً بإسكات عمر بن عبد العزيز ، أو إخراجه من المسجد ، هل كان ذلك في خلافته ، أو في إمرته بالمدينة (٢) ؟ ومن بُرُدٌ هذا ، ومن عَرَفَ به ؟ ومن قال بإسلام أبي طالب غير المسعودي ؟ ومن أبو العباس العشّاب ، الذي نقلَ عنه ابنُ عرفة في فصل الاستثناء من كتاب الطلاق ؟ ومن الأبلُ المِصْرِيّ ؟ وهل ألفَ أحد في التعريف برجال أهل السُنّة والمعتزلة ؟

سؤال

الوائشريشي
لابن غازي عن
مسائل من العلم

(١) السيح : الماء الجاري الظاهر . (٢) في م : « إمرته على المدينة » .

فَتَوَزَّعَ فِسْكَرُ مُحَبِّكُمْ فِي إِيرَادِكُمْ^(١) شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِسْعَافِ
رَدِّكُمْ^(٢) ، وَلَوْ بِالتَّشْدُقِ وَالْهَذَرِ .

قضية سعيد بن
السيب مع عمر بن
عبد العزيز

١ — أما قضية سعيد بن المسيَّب بن حَزَن ، مع عمر بن عبد العزيز بن مروان
ابن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، المذكورة في سماع القرينين
من صلاة العُتْبِيَّة ، فليس عند محبكم في طرده ، إلا ما فسَّر به القاضي
أبو الوليد بن رُشْد : أنه من جواره ، لا من المسجد جملة ؛ فإن وَقَفْتُمْ على تفسير
أحدٍ له بالإخراج من المسجد ، فلکم الفضل في إفادتنا به . ثم لا مَرِيَّةَ أَنْ
سعيداً مَدَنِيٌّ ، وأن عمر كان عاملاً على المدينة ، إلى أن عُزِلَ عنها سنة
ثلاث وتسعين ، حسبما هو في ترجمة مالك من المدارك ، عن مُضْعَب بن عبد الله .
وفي جامع المَوْطَأَ لِمَالِك ، أنه باغاه أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة ،
التفت إليها فبكى ، ثم قال : يَا مُزَاهِم ، أَتَخْشَى أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ نَفَتِ الْمَدِينَةُ^(٣) ؟
قال أبو عُمر^(٤) : ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ أَنْ خَرُوجَ عُمَرَ مَعَ مُزَاهِمٍ مَوْلَاهُ مِنْ
[٥٥٧] الْمَدِينَةِ ، كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحِجَّاجَ كَتَبَ إِلَى
الْوَلِيدِ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْمَدِينَةِ كَهَفٌ لِأَهْلِ النِّفَاقِ ، وَأَهْلِ الْبَغْضَاءِ
وَالْعَدَاوَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فجاوبه الوليد : إِنِّي أَعَزِلُهُ . فعزله ، وولى عُثْمَانَ بْنَ حَيَّانَ
الْمُرِّيَّ ؛ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَذْكُورِ . فَلَمَّا صَارَ عُمَرُ بِالسَّوْدَاءِ قَالَ لِمُزَاهِمٍ :
يَا مُزَاهِم ، أَتَخَافُ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ نَفَتِ الْمَدِينَةُ ؟

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَا رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ مُجْتَمِعِينَ خَيْرًا مِنْ عُمَرَ بْنِ

(١) فِي مَسْ : « الْمَرَاد » . (٢) فِي مَسْ : « وَدَكَم » .

(٣) فِي كَلَامِ عُمَرَ مَعَ مَوْلَاهُ مُزَاهِمٍ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى

تَنْفِي الْمَدِينَةَ شَرَارَهَا كَمَا يَنْفِي السَّكْبَرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

(٤) هُوَ أَبُو عُمَرَ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ التَّمَرِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْحَافِظُ الْمَشْهُورُ .

عبد العزيز ، وابنه عبد الملك ، ومولاه مزاحم . انتهى .

قلت : مات ابنه ومولاه المذكوران قبله مَطْعُونَيْن ، ومات هو مسموما .
ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ في « حلية الأولياء » . وكان ميمون بن مهران كاتبه ،
رضى الله سبحانه [وتعالى] عنهم .

وأفضت الخلافة إلى عُمر باستخلاف [سليمان] ^(١) النهم إياه ، فاستقر
بالشام ، دار خلافة قومه بنى أمية ، إلى أن قبض ودُفِنَ بدير سَمْعَانَ .
قال ابن الخطيب في شرح رَقَم الجَلَل : من عمل حَمَص ، في أخريات رجب ،
سنة إحدى ومئة . وقبره مشهور ، يغشاه الناس . انتهى .

وقال الشاعر يرثيه رضى الله عنه :

أقولُ لما نَعَى الناعون لى عُمرَا لا يَبْعَدَنَّ قَوَامُ الحقِّ والدينِ

قد غَيَّبَ الرامِسُون اليومَ إِذْ رَمَسُوا بديرَ سَمْعَانَ قُسْطَاسَ الموازينِ

وفي رواية : « جُرْبَان الموازين » . أنشدهما أبو نعيم في الحلية . رأيت في نسخة

منها « جُرْبَان » بالياء آخر الحروف ^(٢) ، وأظنه تصحيفا ، لأن مصدرَ جَرَى جَرَّيَان

بفتح الراء ، والوزن يأباه ، مع ما فيه من القلق من جهة المعنى ؛ وصوابه ، والله [٥٥٨]

[تعالى] أعلم ، « جُرْبَان » ، بضم الجيم ، وإسكان الراء ، وبالياء ثانية الحروف ^(٢) ،

وأظن أن منه اللفظ الذى فى صَرَفِ الْمُتَبَيِّة ، فيمن له على رجل دينار ، فأعطاه به

نصفين وازنين ؛ قال : لا خير فيه إلا أن يكون للدينار جُرْبَان : معيارٌ عنده .

قال القاضى أبو الوليد بن رُشد : جُرْبَان ، أى وزن معلوم . وفى صحاح الجوهري :

الجَرِيب ، من الطعام والأرض : مقدار معلوم ، والجمع أَجْرِبَةٌ وجُرْبَان . انتهى .

(١) هو سليمان بن عبد الملك ، كان مشهورا بالثبوت وكثرة الأكل . وكان موته من

أكلة أكلها . (انظر مروج الذهب والمقد الفريد) .

(٢) يريد حروف الهجاء ، لا حروف الكلمة .

وبين التفسيرين فرّق ، ولكنهما حول حقيقة واحدة يُدّندان . وإن كان عند سيدنا في تحقيق هذا اللفظ غير هذا ، فعسى أن يفيدنا به .

فإذا تقرر سُكناه بالمدينة أيام العمالة ، ثم بالشام أيام الخلافة ، فالأظهر أن طرّد سعيد إياه كان أيام العمالة ، حيث كان ثاوياً بالمدينة ، لقوله في الرواية : كان عمر بن عبد العزيز يخرج من الليل ؛ أراه [في] آخره ؛ وكان ظاهره في المثابرة ، ومُظنّها الإقامة ، لولا أن شيخ الحقيقة ، وإمام الطريقة ، القاضي أبا الوليد بن رشد قال : لم يهتبه لمكانه من الخلافة ، لجزالته وقوته في الحق ، وقلة مُبالاته بالأئمة . فاقترضى كلامه أن ذلك كان وهو خليفة لا وهو عامل . فإن صح ذلك ، فيحتمل أن يكون جاء يزور المدينة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، في أيام خلافته ، وأقام فيها للعبادة . وربما يتعيّن هذا ، بأن النافلة في البيوت أفضل لغير الغُرباء ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقد ذكر قول ابن رشد هذا مُحَبِّبكم ما في صحيح البخاريّ ، عن سعيد بن المسيّب ، أنه قال : جاء جدّي حزن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : حزن . قال أنت سهّل . فقال : ما كنت أُعَيِّرُ أسماً سَمَّاني به أبواي . قال سعيد : فما زالت الحزونة فينا بعد . انتهى . [٥٥٩]

ولصلايته في ^(١) الحق ، وشدّته على الدين ، امتحنه عبد الملك بن مروان ، وضربه بالسياط ، وألبسه المُسوح ، وتُبَّاناً من شعر ، ونهى عن الجلوس إليه . وذلك أيام استعماله هشام بن إسماعيل على المدينة ، وهو صاحب المدّ الشاميّ ^(٢)

(١) في ط : « على » .

(٢) كذا في م ، وهو منسوب إلى هشام بن إسماعيل الخزومي على غير قاعدة النسب . والذي في سائر الأصول : الهشام . أجرى النسب على لفظه ، ولا يستقيم مع قوله بعد : « وتغييرات النسب الخ .

لا الدينار الهاشمي ، خلافا لمن نسب له ، وإلا قيل الشامي^(١) أيضا ، وتغييرات النَّسَب مقصورة على السماع ، والله تعالى التوفيق .

قال عبيد الله أحمد بن محمد المقرئ لطف الله به : وجدت بخط الإمام سيدي أحمد الوائشري في طُرَّة : قول الإمام ابن غازي : « ولصلايته في الحق ... الخ » ما نصه :

قلت : ذكر أبو العَرَب^(٢) في كتاب المَحَن ، أنه لما أراد عبد الملك بن مَرْوان أن يكتب العهد لابنه الوليد ، قيل له لا يتم لك هذا الأمر إلا ببن المُسَيَّب ، فكتب له . فكتب إليه أن يبايع ، فرد إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نبايع لخليفتين ، فإن أردتها لابنك ، فاخلع نفسك ، وإلا فلا . فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة ، هشام بن إسماعيل الخزومي : إن لم يبايع فاضربه مئة سوط ، فضربه مئة ، وحلق رأسه ولحيته ، وكساه ثبائنا من شعر ، ونادى عليه ، وطيف به إلى الليل ، فأغلقت الدُور ، وكثر البكاء والتحسر ، وما سَمِع يومئذ بالمدينة إلا نائحة أو هاتف ، لما انتُهِك من حرمة . وكان أيضا قبل ذلك ضربه جابر^(٣) بن الأسود على البيعة لابن الزبير . انتهى . ابن الحذاء : وكان جابر بن الأسود والي المدينة لابن الزبير ، فدعاه إلى البيعة لابن الزبير ، فضربه ستين سوطا . ودعاه هشام بن إسماعيل أيضا إلى البيعة للوليد وسليمان بالعهد ، فلم يفعل ، فضربه ستين سوطا ، وطاف به في المدينة ، في ثبائن من شعر . انتهى .

[٥٦٠]

(١) في ط ، ص : « الهاشمي » والتصويب عن م فكل ما ينسب إلى هشام هذا ، يقال فيه : « الشامي » على غير القياس ، كما تقدم .

(٢) أبو العرب : هو محمد بن أحمد بن تميم التميمي القيرواني الفقيه المحدث المؤرخ . توفي سنة ثلاث وثلاث مئة . (٣) في الأصول : « حسان » . ورواية ابن الحذاء المذكورة بعد هذا الخبر : « جابر » . وهي موافقة لما جاء في المعارف لابن قتيبة .

قال بعض الشيوخ : إن كان استناد ابن المسيب في إبايته من البيعة للوليد حديث : « إذا بُوعَ خَلِيفَتَيْنِ فَاقتلوا الآخرَ منهما »^(١) ، فإنما الحديث في البيعة للخليفةين ، يُفَرَّقُ الثاني جماعة الأول ، ويشق العصا . وإن كان النهي في غير هذا الحديث ، فهو أعلم بما استند إليه . قال : وأما امتناعه من البيعة لابن الزبير ، فإن البيعة حينئذ كانت انعقدت لبني أمية بالشام ، وكان مذهب ابن المسيب كمذهب الأكثر ، في منع القيام على من انعقدت له البيعة ثم ظهر فسقه . وانظر هذا مع قول مالك : ابن الزبير أحقُّ بها من مروان وابنه عبد الملك . انتهى ما ألفيته على هذا الحل ، بخط [الشيخ العلامة] الوائلي .

ووجدت أيضا بخطه ما نصه :

تنبيهات

الأول — ولد أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب الخزومي ، لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب . وتوفي بالمدينة ، قال يحيى بن سعيد : سنة إحدى أو اثنتين وتسعين ؛ وقال الواقدي : سنة أربع وتسعين ؛ وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لكثرة من مات منهم ؛ وقال المدائني ويحيى بن معين : سنة خمس ومئة .

الثاني — قال غير واحد : عمّال عبد الملك بن مروان : الحجاج بالعراق ، وأخوه محمد باليمن ، والمهلب بخراسان ، وهشام بن إسماعيل بالمدينة ، وابنه عبد الله بمصر ، وموسى بن نصير بالمغرب ، ومحمد بن فلان بالجزيرة .

قال ابن خلكان : وكل واحد من هؤلاء ظلوم غشوم .

[٥٦١]

الثالث — هشام بن إسماعيل المذكور هنا ، هو ثالث آباء أبي هشام ،

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري .

محمد بن مَسْلَمَةَ الفقيه المدني ، صاحب مالك . قال الشيرازي : وكان مالك إذا دخل على الرشيد ، دخل بين رجلين من بني مخزوم : المغيرة عن يمينه ، وابن مَسْلَمَةَ عن يساره .

وهشام هذا هو الذي نُسب إليه مُدَّ هشام ، المذكور في الوضوء والظهار ،^(١) والذي يُذكر عنه ذكرُ عهدِ الرقيق في خطبته^(٢) ، وانظر شدة إنكار ابن العربي اعتبار مُدَّة في آية الظهار ، من أحكامه تطالع . انتهى ما ألفت بخط الوائشري . وقد سَنَحَ لي أن ما ذكره الشيخ ابن غازي عن ابن رُشد ، من أن طَرَدَ سعيد بن المسيَّب عمر بن عبد العزيز ، إنما كان في خلافته ، لا يتم [إلا] على القول بأن وفاته — أعني سعيدا — كانت على رأس المئة أو بعدها ، وأما على قول الأكثر إنه بعد التسعين بسنة أو سنتين أو أربع ، فلا يصح قطعاً ؛ فتدبره . ومن العجائب [إغفال الشيخين : ابن غازي والوائشري] له . وإلى الله منتهى العلم .

لمقرئ في وفاة
ابن المسيَّب

ولنرجع إلى [تكميل كلام الشيخ ابن غازي في التأليف المذكور ، ونضئه : وأما بُرْد فليس عند مُعْظَم قَدْرِكُم أكثر من أنه مولى سعيد ، كما أن زيد بن حارثة وسفينة وأبأ رافع وشُقْران : موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال بن رباح مولى أبي بكر ، ويزَافاً مولى عمر بن الخطاب ، وُحْمران مولى عثمان بن عفَّان ، ونافع مولى ابن عمر ، وكُرَيْب وعكرمة البربري مولى ابن عباس ، ومُزَاحِم مولى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله تعالى عنهم . وقد صرح بذلك الحافظ أبو نعيم ، قائلاً في ترجمة سعيد من الحليمة ، عن بُرْد مولى سعيد ابن المسيَّب : ما نودى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد . انتهى .

برد مولى بن
المسيَّب

[٥٦٢]

(١ — ١) كذا وردت هذه العبارة في الأصول ، وفي الديباج المذهب لابن فرحون ، في ترجمة محمد بن مسلمة الفقيه .

ولم أجد عند أبي جعفر العُقَيْلي ولا عند أبي يحيى الباجي ، ولا عند ابن أبي
أحدَ عَشْر ، الذي جمع بينهما ، من اسمه « بُرْد » ، وذلك والله أعلم لأحد وجهين :
إما أنه لم يتكلم فيه أحد بجرح^(١) ، أو لسكونه لا رواية له . ولا يُعترض هذا
بوقوعه في سَنَد الحلية المتقدم ، إذ ليس بمرفوع . وقد ذكروا بعض من اسمه بُرِيد
وبُرَيْدة ، لوقوعهما في أسانيد المرفوع ، وتكلم بعض الأئمة فيهما ببعض الجرح ؛
وبالله العصمة ، لا رب غيره .

وأبو عبد الله بن أبي أحدَ عَشْر المذكور : هو من أهل المَرِيَّة ، وقد عدّه
صاحب بُغْيَةِ الراغب في أشياخه ، وعرف به تعريفا كافيا .

٢ — وأما أبو طالب فليس عند معظم مَنْصِبِكُمْ في شأنه غير ما تضمنته
الصَّحاح من قوله آخر كلامه عند الموت : « على ملة عبد المطلب » ؛ وحديث
الضحاح الذي يَغْلَى منه دماغه ؛ وقوله : « لولا أن تعيّرني النساء على المغازل ،
لأقررت بها عينك » ؛ وما نزل فيه من قوله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب
الجبيم » ؛ وقوله سبحانه : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
يشاء » ، وقوله جل وعلا في أحد التأويلين : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .
وأنشد في تفسيرها الثعلبي والزَّخَشَرِيَّ له يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسد في التراب دفيننا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذلك وقرّ منه عيوننا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

(١) في المعارف لابن قتيبة في ترجمة سعيد بن المسيب ما نصه : « ورد مولا . وقال له :
يا برد ، إياك أن تكذب على كما يكذب عكرمة على ابن عباس . وقال : كل حديث
حدثكموه برد ، ليس معه غيره مما تنكرون ، فهو كذب » .

وَعَرَضَتْ دِينَنَا لَا مُحَالَةَ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْهَرَبَةِ دِينَنَا [٥٦٣]
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِزَارَى سُبَّةَ لَوْجِدَتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِيدِنَا
وَقَدْ فُسِّرَ الطَّيِّبِيُّ فِي فُتُوحِ الْغَيْبِ غَرِيبَهَا .

وَبِحَسَبِ مَا تَقَرَّرَ مِنْ حَالِهِ أَوْرَدَ عُلَمَاؤُنَا ، الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ ،
السُّؤَالَ عَلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَعَلَّهُ تُنْفَعُهُ شِفَاعَتِي » ، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَمَا تُنْفَعُهُمْ
شِفَاعَةُ الشَّاغِرِينَ » ؛ وَأَنْفَصَلُوا عَنْهُ بِمَا فِي كَرِيمِ عِلْمِ سَيِّدِنَا .

وَأَمَّا عَبْدُ الْمَطْلَبِ الَّذِي قَلَّدَهُ ، فَمِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ ؛ وَلِلْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ
فِي كِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، كَلَامٌ مَلِيحٌ عَلَى أَهْلِ الْفَتْرَةِ ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى :
« إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وَقَدْ حَدَّثَ مُحِبِّيكُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ ، عَنْ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ
الْعَبْدُوسِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يُلَهِجُ بِحَدِيثٍ ، وَقَفَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ [غَيْرُ وَاحِدٍ ،
عَنِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ] ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَبُويهِ ، حَتَّى آمَنَّا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِكْرَامًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ
الْعَبْدُوسِيُّ يَسْتَحْسِنُهُ وَيُسَرُّ بِهِ كَثِيرًا .

القول في إيمان
أبوي النبي

وَقَدْ أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِلنَّمِيرِيِّ السَّلَوِيِّ :
وَإِنْ ابْنُ طَلَّاحٍ رَوَى أَنَّ أَحَدًا رَأَى أَبُويَهُ بَعْدَ ذَوْقِ الْمَنِيَةِ
فَأَحْيَاهَا رَبُّ الْعِبَادِ فَأَمَّنَا بِهِ ثُمَّ عَادَا مُكْرَمَيْنِ لِتُرْبَةِ
وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْسَعُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ، [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَهُ وَعَظَّمَهُ] :
لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ .

قول المسمودي
في إيمان أبي طالب

وأما قول المسمودي في أبي طالب ، فما استفادته محبكم إلا من كتبكم ، أبقى
الله لنا بركاتكم .

[٥٦٤]

قال جامع هذا الموضوع ، عبيد الله أحمد بن محمد المقرئ ، وفقه الله :
وجدت على هذا المحل من كلام الشيخ ابن غازي في الطرّة ، بخط الإمام
سيدي أحمد الوائشريشي رحمه الله ، ما نصّه :
قال القاضي أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشتاتي ، المعروف بالأبني^(١) ،
في إكمال الإكمال له ، ما نصّه :

الله هَيْبِي : ورأيت في بعض كتب المسمودي : وقيل إنه مات مؤمناً^(٢) . ولا
يصحّ ، لما تقدم من الآي والأحاديث .

ولا يُحتجُّ لذلك بما في السير من قول العباس : « والله لقد قال أخى [الكلمة]
التي أمرته بها يا رسول الله » ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لم أسمعهما . ولو أن
العباس شهد بذلك بعد إسلامه قبلت شهادته ، لأن العدل إذا قال : سمعت ،
وقال الأعدل : لم أسمع ، أخذ بقول من أثبت ، لأن عدم السماع قد يكون لسبب .
فإن قلت : قد ذكرت أن السير يدل على أنه كان مصدقاً بقلبه ، وقدّم الخلاف في
حجة إيمان من صدّق بقلبه ولم ينطق بلسانه ، فهل يدخل في إيمانه ذلك الخلاف ؟
قلت : لا يدخل ، لأنه صرّح بالتقيض في قوله هو : « على ملة عبد المطلب » .
انتهى ما ألفيت بخط الوائشريشي .

ولنرجع إلى تنعيم كلام ابن غازي .

٣ — قال رحمه الله : وأما أبو العباس العشاب ، الذي عُرف بابن طلحة ،

أبو العباس
العشاب

(١) نسبة إلى أبة (بضم أوله ، وتشديد الباء) : مدينة بإفريقية .

(٢) في مروج الذهب المسمودي ، عند السلام على ديانات العرب في الجاهلية ، ذكر
عبد المطلب ، وأن من الناس من يرى أنه كان مؤمناً .

فلا يعرفه مُجَلُّ سيادتكم إلا من كلام ابن عَرَفَة ، وكأنه مؤرخ .
قال أحمد المقرئ وفقه الله : أَلْقَيْتُ عَلَى طُرَّةَ هَذَا الْحُلِّ ، بَخَطِ سَيِّدِي أَحْمَدَ
الوائشريشي رحمه الله ، ما نصه :

قلت : أبو العباس العَشَّاب ، المعروف بابن طَلْحَة في كتاب الطلاق ، (وقد
وُهِمَ فِيهِ ، وَعُرِفَ فِي تَرْجَمَةِ مَوَاقِعِ الشَّهَادَاتِ بِابْنِ الْخُبَّازِ النَّحْوِيِّ) : هو أحمد بن [٥٦٥]
محمد بن إبراهيم المرادي المعروف بالعَشَّاب . قال ابنُ سرزوق الخطيب في فهرسة
شيوخه : هو مِنْ أَعْظَمَ مَنْ لَقِيتُ بِشَغَرِ الإسْكَندَرِيَّةِ ، وَأَكْثَرِهِمْ تَحْصِيلاً ، قَرَأْتُ
عَلَيْهِ بَعْضَ مَوْطَأِ الْإِمَامِ ، وَكِتَابَ الشِّفَا فِي التَّعْرِيفِ بِمَحْقُوقِ الْمُصْطَفَى ، وَكِتَابَ
التَّيْسِيرِ ، وَكِتَابَ التَّفْسِيرِ مِنْ تَأْلِيفِهِ ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ تَفْسِيرِ ابْنِ عَطِيَّةٍ ، وَتَفْسِيرِ
الزَّيْطُونِيِّ ؛ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أَوَائِلَ الْكِتَابِ السَّيِّئَةِ بِأَسَانِيدِهِ فِيهَا . وَيَحْمِلُ عَنْ
أَعْلَامٍ ، مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْبَرَاءِ ، وَالشَّيْخُ الْعَارِفُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ عَجَلَانَ الْقَيْسِيَّ الْإِسْبِيلِيَّ ، وَأَبُو عَمْرٍو عَثْمَانُ بْنُ سُفْيَانَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ
الشَّقِيِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْوَاعِظِ ، الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْحَجَّامِ ،
وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْغَمَّازِ ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا الصَّدَقِيُّ ،
وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ زَيْتُونٍ ، وَأَبُو عَلِيٍّ بْنِ عَمِيلٍ .

انتهى ما أَلْقَيْتُ عَلَى هَذَا الْحُلِّ ، بَخَطِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الْوَائِشَرِيَّ .

والنرجع إلى تكميل كلام ابن غازي .

قال رحمه الله : نعم ، ابن طلحة الذي عُرِفَ بِهِ ^(١) : هو شيخُ محمودٍ الأعرج
الزَّيْطُونِيِّ ، قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سَيِّبُو بِهِ بِمَكَّةَ ، شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْ
شَيْخِنَا الْأَسْتَاذِ سَيِّدِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ ، بَرَّدَ اللَّهُ تَعَالَى ضَرْيَحَهُ . وَقَدْ عَرَفَ

ابن طلحة
اليابري

(١) أي الذي عرف بابن الخباز النحوي ، كما مر في أول هذه الصفحة .

صاحب الحريدة بالزُّمخشري ، وهو بخزانة جامع الأندلس . وفي اعتقاد محبكم أن ابن طَلْحَة هذا النحوي ، خلافُ الفقيه صاحب المدخل ، وأن حظّه من مسألة الاستثناء اللسانُ دون الفقه . فإن صح عند سيدنا أنه هو ، فليفدنا به متطوّلًا مأجورًا مشكورًا .

قال أحمد المقرئ وفقه الله :

[٥٦٦] وجدت على طُرة هذا الحبل ، بخط سيدي أحمد الوائشري رحمه الله ، ما نصّه :
 قلت : بل هو هو ، وهو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري ، نزل إشبيلية ، أبو بكر وأبو محمد ، الأولى أشهرهما . روى عن جماعة من الأعلام ، نزل مكة شرفها الله ، وكان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله ، ماهرا في النحو ، حافظا للتفسير ، قائما عليه ، ذا كرا للقصص المتعلقة به ، وذلك كان الغالب عليه ، وحُلق به للامة بإشبيلية وغيرها ، فكانت العامة تنثال على مجلسه . وله مصنفات ، منها في التفسير كتاب كبير ، ومنها في الفقه وأصوله ، وشرح صدر رسالة الشيخ أبي محمد ، ومنها ردُّ على ابن حزم ، ومنها كتاب في الفقه على مذهب مالك ، سماه سيف الإسلام ، ومنها كتاب سماه المدخل إلى هذا الكتاب ، واستوطن مصر وقتنا ، ثم رحل إلى مكة ، فجاور فيها ، إلى أن توفّي بهارحه الله . وكان حيًّا سنة ست عشرة وخمس مئة ، وكانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه ، وبسببه ارتحل إليه الزُّمخشري من خوارزم ، لقراءته عليه . انتهى .

من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك :

وذكر الشيخ أبو حيان في باب القسم ، أن الزُّمخشري رحل من خوارزم إلى مكة قبل العشرين والخمس مئة ، لقراءة كتاب سيبويه ، على رجل من أصحابنا من أهل الأندلس ، يعرف بأبي بكر بن طلحة اليابري ، وكان مجاورا بها ، علما

بالكتاب وغيره ، وله تصانيف تُقرأ عليه .

قلت : وتوفي فخر خوارزم ، أبو القاسم محمود ، سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة . وقطعت إحدى رجله بسبب الثلج ، ولم يكن لريبة ، والله أعلم . انتهى ما وجدت بخط الشيخ الوائشري على هذا المحل .

ابن طلحة آخر

[٥٦٧]

ولنرجع لكلام الإمام ابن غازي .

قال رحمه الله : وثم ابن طلحة آخر ، وهو مخاطب أحد بني رغبوش [بقصيدة] مديحية زائفة الروي ، هائية الوصل ، حسبما ذكره ابن عبد الملك في تكملة .

الآبلي المصري

٤ — وأما الآبلي المصري ، فلا إخاله طرّق اسمه سمعي إلا من جهتك ، فإنكم ذكرتموه لي في غير هذا الوقت ، وقد سألت الفقيه المحقق سيدي [أبا] عبد الله الغوري ليلة عن ضبط باء الآبلي الذي كنى الرجال : أبا الضمّ أم بالكسر ، فكأنه ترجّح فيه ، ثم مال إلى الضم^(١) .

أخبار أهل السنة والعترة

٥ — وأما رجال أهل السنة والعترة ، فلا علم لحبّكم هل صنّف فيهم أم لا . نعم ، ربما سمعت أو رأيت بعض حكاياتهم في المناظرة ، كمنظرة الشافعي حفصا الفرد ، بعد ما أنشده الشافعي يتوعده متمثلا :

« ستعلم يا يزيد إذا التقينا بشطّ الزاب أيّ فتى أكون »^(٢)

وذكرها أبو نعيم في الحلية ؛ ومناظرة القاضي أبي بكر بن الطيّب الباقلاني ابن المؤدّب ، إذ أخرج ابن المؤدّب فولا فرمى به ، يُعرّض بالباقلاني ، فأخرج

(١) آبل (كصاحب) : أربعة مواضع بالشام . وآبل (كأنك) بلد بالأندلس ، ولا ندري إلى أيهما نسب .

(٢) رجعنا إلى ترجمة الشافعي في حلية الأولياء لأبي نعيم ، فوجدنا الشافعي تمثّل بالبيت المذكور في مناظرة بشر المريسي ، في حضرة الرشيد ، لا في مناظرة حفص الفرد .

الباقلاني سوطاً فرمى به ، يُعرض بابن المؤدّب ؛ والحكاية ظريفة ، ذكرها صاحب بغية الراغب ، في ترجمة أبي عبد الله البغدادي .

قال أحمد المقرئ وفقه الله : وجدت بخط الوائشريشي بطرّة هذا الحل مانصه :

أبو عبد الله هذا هو أبو بكر^(١) بن مجاهد ، والله أعلم . انتهى .

ولنرجع إلى كلام ابن غازي .

قال رحمه الله : ونصّها :

قال فَنَاخُسِرُوْ يَوْمَا لوزرائه : هؤلاء المُثَبِّتَة ، أما لهم ناصر ؟ فقال له القاضي ، قاضي الجماعة بشر بن الحسين : ليس لهم ناصر ، وإنما هم قوم رَعَاع ، أتباع ، حَشَوِيَة ، لا يعرفون النظر ، وإنما هم أصحاب روايات وأخبار ؛ والمعتزلة هم فُرْسَان المناظرة والجدل . فقال فَنَاخُسِرُوْ : محال أن يكون مذهب [٥٦٨] قد طَبَّق الأرض وليس له ناصر . فقال له بشر بن الحسين : سمعت أن رجائين بالبصرة ، أحدهما شيخ ، والآخر شاب . فأما الشيخ فهو أبو بكر^(١) محمد بن مجاهد ، وأما الشاب فهو أبو بكر بن الطيّب . فأرسل إليهما الأمير فناخسرو وخمسة آلاف درهم فضة طيبة . فقال أبو بكر^(١) بن مجاهد هؤلاء قوم ظَلَمَة فسّته ، لا يحل لي أن أطاء بُسْطَهُمْ ، وليس غرضه منا إلا أن يقال إن مجلسه مشتمل على أصحاب الحايبر ، ولو كان ذلك لله تعالى ، لكانت أموره جارية على السداد ، وأنا لا أحضر عند قوم هذه صفتهم . قال أبو بكر بن الطيّب : فقلت له : هكذا قال عبد الله ابن كلاب والحارث بن أسد المحاسبي : إن المأمون ظالم فاسق ، ولا نحضر مجلسه ، حتى سيق أحمد بن حنبل إلى طَرَسُوس ، ولما مات المأمون ضربه المعتصم

(١) هذا وهم من الشيخ الوائشريشي ، لأن أبا عبد الله بن مجاهد المتكلم غير أبي بكر ابن مجاهد شيخ القراء ، وسيأتى تفصيل لهذا الموضع بعد قليل .

بالسياط ؛ ولو نصره لكان أولى ، لأن الرجل كان يدعى أن أهل السنة ليست لهم حجة على قولهم ، وإنما غرضهم رئاسة العامة ، ودفن الحق ؛ ولو مضوا إلى المعتصم ، وبيّنوا له أن الذي يدعى عليه زور وبهتان ، لأرتدع المعتصم ، ولكن أسلموا أحمد بن حنبل لابن أبي دؤاد القاضي ، فجري على أحمد ما جرى ، وهم ينظرون . وكذلك أنت سلكت مسلكهم ، حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد بن حنبل : وهأنا خارج .

فقال له ابن مجاهد : إذا شرح الله صدرك لذلك ، فافعل .

قال القاضي أبو بكر بن الطيّب : نخرجت إلى شيراز ، فلما دخلت المدينة استقبلني ابن خفيف ، في جماعة من الصوفية وأهل السنة ، فلما جالسنا في موضع كان ابن خفيف يدارس فيه أصحابه اللّع ، للشيخ أبي الحسن الأشعري ، قال له [٥٦٩] القاضي أبو بكر : تمادّ على التدريس كما كنت ، فقال له ابن خفيف : أصلحك الله ! إنما أنا بمنزلة المتتيم عند عدم المساء ، فإذا وجد المساء فلا حاجة إلى التيمم . فقال له القاضي : جزاك الله خيرا ، وما أنت بمتيمم ، بل لك حظ وافر من هذا العلم ، وأنت على الحق ، والله ينصرك .

قال القاضي أبو بكر : فقلت : متى الدخول إلى فناخسرو ؟ فقالوا لي : يوم الجمعة لا يُحجّب عنه صاحب طيّلسان . فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والمالك قاعد على سرير مملكه ، والناس صفوف على يسار الملك ، وفوق الكلّ قاضي القضاة بشر بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء في وزارتهم ، ويصنعي الملك إلى رأيه في أمر الدولة .

قال القاضي أبو بكر : فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس ، وأتخطّى رقابهم ، من غير أن أرفع ، ولم تدعني نفسي أن أقعد في أخريات الناس ،

وكان عن يمين الملك المجلسُ خالياً ، ولا يقعد هناك إلا ملك أو وزير عظيمُ المنزلة ، فضيتُ وقعدتُ عن يمينه ، بحذاء قاضى القضاة ، فوجدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ، لأنه كان عندهم من الجنايات العظام ، وما كان فى المجلس من يعرفنى إلا رجل واحد ، فقال للقاضى : أطل الله بقاء سيدنا ! هذا هو الرجل الذى طلبه الملك مولانا . فقال قاضى القضاة : أطل الله بقاء مولانا ! هذا هو الرجل الذى كتبتُ فيه ، وهو لسانُ المُثبِتة . فنظر إلى الغلمان الذين بين يديه والحُجَّاب ، فطاروا من بين يديه ، ثم قال لهم : اذكروا له مسألة . وكان فى المجلس رئيسُ البغداديين من المعتزلة ، وهو الأحذب ، وما كان فى زمانه أفصحُ منه ، ولا أعلمُ منه عندهم ؛ فأما البصريون فحضر منهم خلق كثير ، أقدمهم^(١) أبو إسحاق التَّصْيبي . فقال الأحذب لتلاميذه : سلوه : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه أو^(٢) ليس له ذلك ؟ فقال الرجل للقاضى : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقون أو ليس له ذلك ؟ فقال له القاضى أبو بكر : إن أردت بالتكليف القول المجرد ، فالقول المجرد قد توجَّه ، لأنَّ الله تعالى قال : « قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا » ، ونحن لا نقدر أن نكون حجارة ولا^(٣) حديدا ؛ وقال تعالى : « أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ؛ فطلبهم بما لا يعلمون ؛ وقال تعالى : « وَيُدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ » . وهذا كله أمر بما لا يقدر عليه [الخلق] ؛ وإن أردت التكليف الذى نعرفه ، وهو ما يصحَّ فعله وتركه ، فالكلام متناقض ، وسؤالك فاسد .

فأخذ الأحذبُ الكلامَ وقال : أيُّها الرجل ، أنت سئلت عن كلام مفهوم ،

(٢) فى الأصول : « أم » .

(١) فى س : « قدمهم » .

(٣) فى س : « أو » .

فطرحته في الاحتمالات ، وليس ذلك بجواب ؛ والجواب — إذا سُئِلت : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يُطيقون — أن تقول : نعم ، له أن يكلف ، أو ليس له أن يكلف . فعدلت عن الجواب ، إلى ما ليس بجواب ؛ وهذا اضطرابٌ شديد . قال القاضي : فلما لم يُوقرني ، ولم يخاطبني بما يليق ، قلت له : أيها الرجل ، أنت عأم ورجلاك في الماء ؛ إني طرحت الكلام في الاحتمالات ، فلم تعدل أنت إلا لعجز أولي ، فإن كان معك كلام في المسألة ، وإلا تكلم في غيرها . [٥٧١] فقال الملك للأحدب : هذا قد بين الاحتمالات ، وتلا عليك الآيات . ثم إنني ما جمعتكم إلا للاستفيد ، لا للمهارة ، ولا لما لا يليق بالعلماء . ثم التفت إلى ، وقال لي : تكلم على المسألة . فقلت :

ما لا يُطاق على ضربين : أحدهما لا يُطاق للعجز عنه ، والآخر لا يُطاق للاشتغال عنه بضده ، كما يقال : فلان لا يُطبق التصرف ، لاشتغاله بالكتابة ، وما أشبه ذلك ؛ وهذا سبيل الكافر : إنه لا يُطبق الإيمان ، لأنه عاجز عن الإيمان ، لكنه لا يُطبقه لاشتغاله بضده ، الذي هو الكفر ؛ فهذا يجوز تكليفه بما لا يُطاق .

وأما العاجز فما ورد في الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان صوابا ؛ وقد أثني الله تعالى على من سأله ألا يكلفه ما لا طاقة له به ، لأن الله تعالى له أن يفعل في ملكه ما يريد .

ثم تجاوز الأحدب إلى غيره من الكلام ، ومال الملك إلى قول القاضي أبي بكر .

قال القاضي : ثم سألتني النصيبي عن مسألة الرؤية : هل يرى الباري سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو استحليل ؟ وقال : كل شيء يرى

بالعين ، فيجب أن يكون في مقابلة العين . فالتفت الملك إلى القاضي أبي بكر ، وقال له : تكلم أيها الشيخ في المسألة .

فقال القاضي : لو كان الشيء يُرى بالعين لوجب أن يكون في مقابلة العين ، على ما قال . ولكن لا يُرى الشيء بالعين . فتعجب الملك من ذلك ، والتفت إلى قاضي القضاة ، فقال : إذا لم يُرَ الشيء بالعين ، فبأي شيء يُرى ؟ [فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ ، فبأي شيء يُرى إذا لم ير بالعين] ؟ فقال أبو بكر : يُرى بالإدراك الذي في العين . ولو كان الشيء يُرى بالعين ، لكان يجب أن تَرى كل عين قائمة^(١) ؛ وقد علمنا أن الأجهَر عينه قائمة ولا يرى شيئا . فزاد الملكُ تعجبا ، وقال للنَّصيبى : تكلم . فقال النَّصيبى : إني لم أعلم أنه يقول هذا ، ولا بنيت إلا على ما نعرف ، وظننت أنه يُسلم أن الشيء يُرى بالعين . فغضب الملك وقال : ما أنت مثل الرجل ، لأنك بنيت المسألة على الظن . ثم التفت إلى وقال : تكلم . فقلت : العين لا تَرى ، وإنما تَرى الأشياء بالإدراك الذي يحدثه الله تعالى فيها ، وهو البصر ، ألا ترى أن المختصر يرى الملائكة ونحن لا نراه ؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يَرى جبريل عليه السلام ولا يراه من يحضره ؟ والملائكة يَرى بعضهم بعضا ولا نراه نحن ؟ والدليل على جواز رؤية الباري تعالى ، أنه ليس فيها قلب للحقائق ، ولا إفساد للأدلة ، ولا إلحاق صفة نقص بالتقديم تعالى ، فوجب أن يكون كسائر الموجودات ، لأنه تعالى موجود ، والشيء إنما يُرى لأنه موجود ، لأن المرئي لم يكن مرئيا لأنه جنس ، لأننا نرى سائر الأجناس المختلفة ، ولا لقيام معنى بالمرئي ، لأننا نرى الأعراض التي لا تحتل المعاني ، وقد ثبت بالنص

(١) العين القائمة : التي ذهب بصرها والحدقة صحيحة .

وجوب رؤية الحق سبحانه في الدار الآخرة . ثم طَوَّل الكلام .
 قال : ولم يزل فنا خسرُوْ يتقرَّبُ إليه ، وينزل عن سرير ملكه ، حتى
 صار بين يديه ، لما استعذَّبَ من كلامه .
 فلما فرغ من المسألة ، قيل للغاربي صاحب المنطق : تكلم معه ، فتَلَجَّلَجَ
 في كلامه ، واقشعرَ ، وقال : إنما أنا صاحبِ أَصْطِرْلَاب ، ما قدر هؤلاء
 وهم فُرسان الكلام : الأحذب و بُرْغوث وغيرهم ، على جداله .
 فخرج القاضي أبو بكر ، وأمر الملك بإنزاله والجرابة عليه ، وقال : والله
 ما كنت إلا مُفَكِّراً بآيٍ لوْن من القتل أَقْتُلُه ، إذا لم يَسْتَحِقَّ مكانه ؛ وأما
 الآن فقد ظهر لي أنه أحقُّ بمكانى هذا ، ولكنى مُبْتَلَى بالملك . انتهى .

* * *

والمراد بالْمُثَبِّتَةِ هنا : أهلُ السُّنَّةِ ، والزُّخْمَشْرَى يسميهم المُجْبِرَةَ ، وقع له ذلك
 في أما كن من الكشاف ، منها في تفسير قوله تعالى : (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْطَّيِّبُ
 وَالطَّيِّبُ) ، وفي قوله سبحانه : (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) . ولصاحب
 « الانتصاف »^(١) ، من الكشاف « ولصاحب « فتوح الغيب »^(٢) » في الرد عليه ، [٥٧٣]
 عند تفسير الآيتين ، كلام حسن ، ينبغي الوقوف عليه . وسمي أهل السُّنَّةِ
 المُجْبِرَةَ ، لاعتقاده قُرب مذهبهم من مذهب الجبرية ، [لا]^(٣) سيما وقد قال
 بعض أئمة أهل السُّنَّةِ : « وبالجبر أقول ، والله المستعان » .

تسمية أهل السنة
 المثبتة والمجبرة

(١) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي ، بين في كتابه
 « الانتصاف » هذا ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وغيره . توفي سنة ٦٨٣ هـ .
 (عن كشف الظنون) .

(٢) هو شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي ، صاحب الحاشية على الكشاف المسماة
 « فتوح الغيب » ، في الكشف عن قناع الرب . توفي سنة ٧٤٣ هـ (عن
 كشف الظنون) .

(٣) زدنا « لا » قبل « سيما » لإشارتنا لأفصح الأساليب .

بعض من قال
بالجبر وبالجهة

وقد حدثنا شيخنا الأستاذ سيدي أبو عبد الله الكبير ، عن شيخه
أبي عبد الله العكرمي ، وكان لسننا ، أنه كان كثيرا ما يقول : إمامان عظيمان
قالا بالجبر من أئمتنا : القاضي أبو بكر بن العربي ، والفخر بن الخطيب ؛ كما أن
إمامين عظيمين من أئمتنا ، نُسب إليهما القول بالجهة ، وهما أبو محمد بن أبي زيد ،
وأبو عمر بن عبد البر ؛ وجنح لذلك ابن المراتب في تفسير البخاري ، وهو ديوان
كبير بخزانة جامع الأندلس .

أبو بكر بن
مجاهد

ثم عند محبتكم تردد في أبي بكر بن مجاهد هذا ، هل هو شيخ أئمة الإقراء ،
الذي يعتمد عليه أبو عمرو الداني في « إيجاز البيان » وفي التهيد كثيرا .
وقال فيه الجعفري إنه المسموع الأول . صنف كتاب السبعة على رأس الثلاث
مئة . وقال أبو علي الأهوازي : هو الذي أخرج يعقوب من السبعة ، وجعل
الكسائي مكانه . وهو الذي قال له الشبلي : أين تجد في القرآن العزيز ، أن
الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فقال : لا أدري . فأشار إلى قوله تعالى : (قُلْ فَلِمَ
يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) حسبا بسطه القاضي أبو الفضل عياض في ترجمة الشبلي
من « المدارك » . وفي ظني أن اسم المقرئ موسى ^(١) ، وقد سُمي هذا هاهنا
محمدا ^(٢) ، فليسيدنا الفضل في تحقيق ذلك لنا ، في كتاب طبقات القراء لأبي

(١) أبو بكر بن مجاهد هو : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، شيخ القراء في
عصره ، وهو المسموع الأول للقراء السبعة . توفي سنة ٣٢٤ هـ (انظر تاريخ الخطيب :
الترجمة رقم ٢٥٨٠ ؛ و « نهاية الدراية في طبقات القراء » لابن الأثير : الترجمة
رقم ٦٦٣ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي في سنة ٣٢٤ هـ .

(٢) أجل ، هو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ، أبو عبد الله الطائي ،
البصري ثم البغدادي أحد شيوخ المالكية ، وصاحب أبي الحسن الأشعري ،
وناصر مذهب أهل السنة . غلب عليه علما الأصول والكلام ، وكان حسن
الدين ، جميل الطريقة . وعنه أخذ القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني
المالكي ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ علم الكلام . وهو الذي راوده الباقلاني على =

عَمَرُو الداني ، ومن تعريف الجَعْبَرِي ، الذي ختم به شرح القصيد ، وهما
بمخزاة جامع القَرَوِيِّين ، عَمَّرَهُ اللهُ تعالى .

التصحيح في
أسماء الرجال

ولله دَرُّ على بن المَدِينِي^(١) حيث قال : أشدُّ التصحيح التصحيح في أسماء
الرجال . ولا شك أن هذا موضع لبس ، كابني نافع وابني زياد ، ممن اتَّحد [٥٧٤]
أسمه ، وتعدَّد مسماه ، وكالأبهري والصالحى في عكسه^(٢) .

تتمة القول
في أبي بكر
ابن العربي

ورحم الله الشيخ الفقيه سيدي أبا محمد عبد الله العبدوسى^(٣) ، فقد حدثني
عنه الثقة أنه كان يُمثَّل هذا المَعْرِض الذي نحن بصَدَدِه ، بقضية القاضي أبي بكر
ابن العربي ، فإن كثيرا من الناس ينكرون أن يكون هو المدفون خارج باب
الحروق ، ويقولون إنما هو مدفون خارج باب الجيسة ، واغترؤوا في ذلك بظواهر
التواريخ . [وذلك أن القاضي أبا الفضل عياضا ذكر في « الغنية » أنه دُفن
خارج باب الجيسة . قال : وجوابه أن باب الحروق لم يكن فُتِح في ذلك الوقت ،
وإنما فُتِح على رأس ست مئة سنة ، فكان ذلك الخارج كله يُنسب لباب
الجيسة . ثم يَدْفَع في صدر هذا الجواب ما في بعض هذه التواريخ] أنه دفن على
مقربة من حارة الجَدَمَى . قال : وجوابه أن الجَدَمَى كانوا هناك قديما ، حتى
تضرر أهل فاس بسكنائهم على رأس مائتهم ، فَنُقِلُوا إلى موضعهم اليوم .

= الخروج إلى شيراز لمناظرة المعتزلة بحضرة فنا خسرو ، كما أفاده المقرئ في أزهار
الرياض ، لا أبو بكر بن مجاهد شيخ القراء ، المذكور في الحاشية (رقم ١
ص ٨٥) لأن ابن مجاهد المقرئ ليس معاصرا للباقلاني ، بل هو متقدم الوفاة ،
كما سبقت الإشارة إليه .

(اطلب ابن مجاهد المتكلم على طريقة الأشعرى ، في تاريخ بغداد للخطيب — الترجمة
٢٦١ — وفي : الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرحون ، وهو في طبقات
المالكية) . (١) هو أحد شيوخ محمد بن إسماعيل البخارى .

(٢) يريد أن الأبهري والصالحى : نسبتان لأبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري ،
الفقيه المالكي البغدادي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) في ط : « أبا محمد عبد الله بن محمد العبدوسى » .

ثم يرد على هذا أنا نجد عند باب الجيسة إلى جنب حارة البَدْخَمِي قبرَ رجل
يسمى بابن العربي، يقصده الناس بالزيارة كثيرا، فلعله هو. قال: وجوابه أن
ذلك رجل آخر، يدعى أيضا بابن العربي، كان مُوقَّتًا في القرويين.
قلت: ويزاد فيه أن الفقيه هو أبو بكر، وهذا الذي خارج باب المحروق
اشتهر بأبي يحيى. وجوابه أنهما كنيستان مترادفتان على مسمى واحد، وبالله
سبحانه وتعالى التوفيق.

وقد هَدَى محبكم [هنا] وهَجَرَ، وأهدى التمر لأهل هَجَرَ، وجلب العنبر،
إلى البحر الأخضر، فلكم الفضل في الإغضاء، والتجاوز والإمضاء.
و[كتب] ^(١) في أوائل ذي الحجة الحرام خاتم عام سبعة وثمانين وتسع مئة،
عزفنا الله خيرَه، ووقانا ضيره. والسلام الكريم يُخَصُّ مقامكم العلي، ومنصبكم
السمي، وأهليكم وذويكم، ومن هو منكم وفيكم، ورحمة الله تعالى وبركاته.
انتهى التأليف العجيب، للشيخ العلامة أبي عبد الله بن غازي رحمه الله.
ووجدت في آخره ما نصّه: الحمد لله. وكذلك يسلم على كريم مقامكم،
خديمكم أحمد بن محمد بن غازي، قاصدا بتوالي كتبه التبرُّك بكم، ملتصقا
منكم الدعاء. أفاض الله علينا من بركاتكم، ونفعنا بمحبتكم، بحجاء النبي عليه
السلام. انتهى.

وأوردت جميعه لما قدمته، والله تعالى المتَّجِد المعين.

قلت: وقد وقفت على كلام لبعض الأقدمين [ينفي الاحتمال] في أمر
ابن العربي المذكور. ونصّه: تُوِّفَى ابن العربي مُنصرَفَه من مَرَّأ كش، بموضع

(١) زدنا هذا اللفظ لأن العلامة ابن غازي يؤرخ هنا كتب رسالته، فلعله سقط من
قلم الناسخ.

في الاحتمال في
أمر أبي بكر
ابن العربي

يعرف بأغلان ، على مسيرة يوم من فاس ، غربا منها ، فاحتُمِلَ مَيِّتًا إلى فاس في اليوم الثاني من موته ، وذلك يوم الأحد السابع من ربيع الأول ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة ، ودفن بأعلى مدينة فاس ، خارج القَصْبَةِ ، بتربة القائد مظفر ، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن الحجَّاج ، رحمه الله . انتهى .
وقدَّمنا عن ابن بَشْكُوَال أنه توفي في ربيع الآخر من هذه السنة ،
فأَلله أعلم .

وقد ذكر بعضُ من شرح الشفا أن ابن العربي توفي سنة اثنتين وأربعين .
قلت : هو غيرُ صحيح إن شاء الله ، وإنما الصحيحُ ما قدمته .

ومن صلابة الإمام أبي بكر بن العربي ، رحمه الله ، أنه حَكَمَ في زامر بِمَقْبِ أشدِّاقه ، حسبما نقله صاحب المعيار وغيره .

مثال من صلابة
ابن العربي في
القضاء

ومن بديع نظمهِ ، رحمه الله :

مثال من شعره

أَتَتْنِي تَوَنَّبَنِي بِالْبُكَ فَأَهْلًا بِهَا وَبَتَانِيهَا
تَقُولُ وَفِي نَفْسِهَا حَسْرَةٌ أَتَبْكِي بَعِينَ تَرَانِي بِهَا
فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ جَفُونِي بِتَعْذِيهَا

وقال رحمه الله : دخل عليَّ ابن صارة^(١) وبين يَدَيَّ نارٌ قد علاها رَمَادٌ ،

لما جازته بيتا
لابن صارة

فقلت : لتقل في هذا ، فقال :

شابت نواصي النار بعد سَوَادِهَا وَتَسْتَرَّتْ عَنَّا بِثَوْبِ رَمَادٍ
نَمَّ قَالَ لِي ابْنُ صَارَةَ : أَجْز . فقلت :

شابت كما شَبْنَا وزال شبابنا فَكأنما كُنَّا عَلَى مِيعَادٍ

(١) ابن صارة الشنتيريني : يكتب (بالصاد) و (بالسين) .

ارتجاله الشعر في
مجلس الدرس

وحكى غير واحد أنَّ القاضى أبا بكر بن العربى رحمه الله ، بينما هو جالس
[٥٧٦] فى محل درسه إذ دخل شابٌّ من المُلثَمين وبیده رُمح ، فهِزَّه ، فقال القاضى
أبو بكر رحمه الله :

يَهْزُ عَلَى الرَّمْحِ ^(١) ظُبِيٌّ مُهَفِّفٌ لَعُوبٌ بِالْبَابِ الْبَرِيَّةِ عَابِتٌ
فَلَوْ كَانَ رَمَحًا وَاحِدًا لَا تَقِيَّتُهُ وَلَكِنَّهُ رَمَحٌ وَثَانٌ وَثَالَتُ

وقد اختلف حُذَّاقُ الأندلس من أهل الأدب فى معنى الرمح الثانى والثالث ،
وأكثرهم يقول : هَا الْقَدُّ وَاللَّحْظُ ، والله أعلم .

وصفه البحر ثرا

ولمَّا ذَكَرَ [الإمام] ابنُ العربى المذكور رحمه الله فى كتاب « قانون التأويل »
رُكُوبَ البحر فى رحلته من إفريقية ، قال :

وقد سبق فى علم الله أن يَعْظُمَ علينا البحر بَرَّوْله ، وَيُغْرِقَنَا فى هوله ، نَخْرُجُنَا
من البحر ، خُرُوجَ الْمَيِّتِ من القبر ، وَاتِّهَمِينَا بعد خَطْبِ طَوِيلٍ ، إِلَى بَيُوتِ بَنِي
كَهْبِ بْنِ سُلَيْمٍ ، وَنَحْنُ مِنَ السَّعْبِ ، عَلَى عَطَبٍ ، وَمِنَ الْمُرْمَى ، فى أَقْبَحِ زَيٍّ ،
قَدْ قَذَفَ البحرُ زِقَاقَ زَيْتٍ ، مَزَّقَتْ الْحِجَارَةُ مَنِيْقَتَهَا ^(٢) ، وَدَسَمَتْ الْأَدْهَانُ
وَبَرَّهَا وَجِلْدَتَهَا ، فَاحْتَزَمْنَاهَا أَزْرًا وَاشْتَمَلْنَاهَا لُفْعًا ^(٣) ، تَمَجُّنَا الْأَبْصَارَ ، وَتَخَذَلْنَا
الْأَنْصَارَ ، فَعَطَفَ أَمِيرُهُمْ عَلَيْنَا ، فَأَوَيْنَا إِلَيْهِ فَأَوَانَا ، وَأَطْعَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ
وَسَقَانَا ، وَأَكْرَمَ مَثْوَانَا ، وَكَسَانَا بِأَمْسٍ حَقِيرٍ ضَعِيفٍ ، وَفَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ ظَرِيفٍ .

بعض ما صادفه
فى رحلته من
ثمرات الأدب

وشرحه : أَنَا لَمَّا وَقَفْنَا عَلَى بَابِهِ الْفَيْنَاهِ ، يَدِيرُ أَعْوَادَ الشَّاهِ ، فَعَلَّ السَّامِدِ
الَّلَاهِ ، فَدَنُوتُ مِنْهُ فى تِلْكَ الْأَطَارِ ، وَسَمِحَ لِي بَيَازِقَتَهُ ، إِذْ كُنْتُ مِنَ الصَّغَرِ فى

(١) فى م : « يهدنى بالرمح » بدل : « يهز على الرمح » .

(٢) منيقتها : جلدها .

(٣) لفع : جمع لفاع (بوزن كتاب) ، وهو ما يتلفع به .

حد يُسمح فيه للأغمار، ووقفت بإزائهم، أنظر إلى تصرُّفهم من ورائهم، إذ كان علق بنفسى بعض ذلك من بعض القرابة في خُلس بطالة، مع غلبة الصبوة والجهالة، فقلت للبياذقة: الأمير أعلم من صاحبه، فلمحوني شزرا، وعظمت في أعينهم بعد أن كنتُ نَزْراً، وتقدَّم إلى الأمير من نقل إليه الكلام، فاستدنانى، فدنوت منه، وسألنى: هل لى بما هم فيه بَصَر؟ فقلت لى فيه بعضُ نظر، سيبدو لك ويظهر. حرَّك تلك القطعة، ففعل، وعارضه صاحبه، فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى، حتى هزمهم الأمير، وانقطع التدبير، فقالوا: ما أنت بصغير. وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير مُنشدًا: وأحلى الهوى ما شكَّ فى الوصل رَبُّهُ وفى الهجر فهو الدَّهرَ يرجو ويتقى فقال: لعن الله أبا الطيّب! أَوْ يَشْكُ الرَّبُّ؟!

فقلت له فى الحال: ليس كما ظنَّ صاحبك أيُّها الأمير، إنما أراد بالربِّ ها هنا الصاحب. يقول: ألدَّ الهوى ما كان الحب فيه من الوصال، وبلوغ الغرض من الآمال، على ريب، فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمِّله، وتُقاة لما يُقطع به، كما قال:

إذا لم يكن فى الحب سُخْط ولا رِضا فإينَ حلاوات الرسائل والكتُب
وأخذنا نُضيف إلى ذلك من الأغراض، فى طرْفِ الإبرام والانتقاض، ما حرَّك منهم إلى جهتي داعي الانتهاض، وأقبلوا يتعجبون منى، ويسألوننى كم سنى؟ ويستكشفوننى عَنى، فَبَقَرْتُ لهم حديثى، وذكرت لهم نَجِيتى، وأعلمت الأمير بأن أبى معى، فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مَشاو، فخلع علينا خِلَعَه، وأسبل علينا أَدْمَعَه، وجاء كلُّ خِوان، بأفنان الألوان.

ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه:

فانظر إلى هذا العلم الذي هو إلى الجهل أقرب ، مع تلك الصُباية اليسيرة من الأدب ، كيف أنقذانا من العطَب ؟ وهذا الذي يرشدكم إن غفَلتم إلى الطلب .
وسرنا حتى اتهمينا إلى ديار مصر . انتهى مختصرا .

والزَّوْل : العَجَب . وَنَجِيثُ الْخَبَرِ : ما ظهر من قبيحه ، يقال : بدا نجيث القوم : إذا ظهر سرهم الذي كانوا يخفونه . قالها الجوهري .
إفادة : قال الإمام بن غازي رحمه الله :

[٥٧٨] في هذه الرحلة : لقي ابن العربي شيخه دَانِشْمَنْد^(١) الأكبر ، وهو إسماعيل الطوسي ، ودَانِشْمَنْد الأصغر ، وهو أبو حامد الغزالي الطوسي . ومعنى « دَانِشْمَنْد » بلغة الفرس : عالم العلماء ؛ وكان شيخنا الأستاذ أبو عبد الله الصغير يحكي لنا عن شيخه أبي محمد عبد الله العبدوسي أنه بلغه أن الفرس يفخمون « ميم » دَانِشْمَنْد . والله تعالى أعلم .

قال ابن العربي في قانون التأويل : وَرَدَ عَلَيْنَا دَانِشْمَنْد ، يعني الغزالي ، فنزل برباط أبي سعد ، بإزاء المدرسة النظامية ، مُعَرِّضًا عن الدنيا ، مُقْبِلًا على الله تعالى ، فمَشِينَا إِلَيْهِ ، وَعَرَضْنَا أُمْنِيَّتَنَا عَلَيْهِ ، وَقُلْنَا لَهُ : أَنْتَ ضَالَّتُنَا الَّتِي كُنَّا نَنْشُدُ ، وَإِمَامُنَا الَّذِي بِهِ نَسْتَرْشِدُ . فَلَقِينَا لِقَاءَ الْمَعْرِفَةِ ، وَشَاهَدْنَا مِنْهُ مَا كَانَ فَوْقَ الصِّفَةِ ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ الَّذِي نُقِيلُ إِلَيْهَا ، مِنْ أَنَّ الْخَبَرَ عَلَى الْغَائِبِ فَوْقَ الْمَشَاهِدَةِ ، لَيْسَ عَلَى الْعَمُومِ ، وَلَوْ رَأَاهُ عَلَى بْنِ الْعَبَّاسِ^(٢) لَمَا قَالَ :

إِذَا مَا مَدَحْتَ امْرَأً غَائِبًا فَلَا تَعْلُ فِي مَدْحِهِ وَاقْصِدِ

(١) دَانِشْمَنْد : Danishmand) معناه في الفارسية : المتقف أو الماهر ، أو الحكيم ، أو الذكي . انظر (Persian English Dictionary) تأليف (Stengass) .

(٢) هو علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر العباسي .

فَأَنْتَ إِنْ تَعَلُّ تَعَلُّ الظَّنُّ نُ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبَدِ
فَيَصْغُرُ مِنْ حَيْثُ عَظُمَتِهِ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ
انتهى .

يف ابن خافان
، المطمح بابن
العربي

وقال بعض من عرّف به ، أغنى بابن العربيّ رحمه الله ، ما نصه :
عَلَّمَ الْأَعْلَامَ ، الطاهر الأثواب ، الباهر الأبواب ، الذي أنسى ذكاء إياس^(١) ،
وترك التقليد للقياس ، وأنتج الفرع من الأصل ، وغدا في يد الإسلام أمضى
من النصل ، سقى الله به الأندلس ، [بعد] ما أجذبت من المعارف ، ومدّ عليها
منه الظلّ الوارف ، فكساها رونق نبيل ، وسقاها ريق وبله ، وكان أبوه أبو محمد
بإشبيلية بدرا في فلكها ، وصدرا في مجلس مُلكها ، واصطفاه مُعْتَمِدُ بَنِي عَبَّاد ،
اصطفاه المأمون لابن أبي دُواد ، ولآه الولايات الشريفة ، وبوّأه المراتب المنيفة ،
فلما أقفرت حصص^(٢) من مُلكهم وخلت ، وألقته منها وتخلّت ، رحل به إلى [٥٧٩]
المشرق ، وحلّ فيه محل الخائف الفرق ، فجال في أكنافه ، وأجال قداح
الرجاء في استقبال العز واستئنافه ، فلم يستردّ ذاهبا ، ولم يجد كعتمده بإذلا
واهبا ، فعاد إلى الرواية والسماع ، وما استفاد من إجابة تلك الأطماع ، وأبو بكر
إذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب ما دوّح ، وفي روض الشباب زهر ما صوّح ،
فألزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ، ولأزمه سائقا إليها وحاديا ، حتى استقرت به
مجالسه ، وأطردت له مقايسه ، فجّد في طلبه ، واستجّد به أبوه مُنْخَرِقُ أَرْبِهِ ،

(١) هو إياس بن معاوية قاضي البصرة لعمر بن عبد العزيز ، المعروف بالزكاة والفقّه .

(٢) المراد بها : لإشبيلية من مدن الأندلس . سكن بها أهل حص الشام عند الفتح ،
فسموها بها .

ثم أدركه حمامه ، ووارثه [هناك] ^(١) رجامة ، وبقي أبو بكر متفردا ، وللطلب
متجردا ، حتى أصبح في العلم وحيدا ، ولم تجد عنه الرياسة تحيدا ، ففكر إلى
الأندلس ، فخلها والنفوس إليه متطلعة ، ولأنبائه متسمعة ، فنهايك من خطوة
لقي ، ومن عنزة سقي ، ومن رفعة سما إليها ورقي ، وحسبك من مفاخر قلدها ،
ومن محاسن [أنس] ^(٢) أثبتها فيها وخلدها .

وقد أثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافا ، وترده الأوهام ^(٣) نطافا .
فمن ذلك قوله يتشوق إلى بغداد ، ويخاطب أهل الوداد :

أَمِنْكَ سَرَى وَاللَّيْلُ يَخْدَعُ بِالْفَجْرِ	خَيَالُ حَبِيبٍ قَدْ حَوَى قَصَبَ الْفَخْرِ
جَلَا ظَلَمَ الظُّلَمَاءَ مُشْرِقُ نَوْرِهِ	وَلَمْ يَخْبُطْ ^(٤) الظُّلَمَاءُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَلَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ الْبَسِيطَةَ مَسْحَبًا	فَسَارَ عَلَى الْجُوزَا إِلَى فَلَكَ يَجْرِي ^(٥)
وَحَثَّ مَطَايَا قَدْ مَطَاها بِمَرْزِهِ	فَأَوْطَاهَا قَسْمًا عَلَى قِنَّةِ النَّسْرِ
فَصَارَتْ ثِقَالًا بِالْجَلِّ لَالَةً فَوْقَهَا	وَسَارَتْ عَجَلًا تَتَّقِي أَلَمَ الزَّجْرِ
وَجَرَّتْ عَلَى ذَيْلِ الْمَجَرَّةِ ذَيْلَهَا	فَمِنْ ثَمٍّ يَبْدُو مَا هُنَاكَ لِمَنْ يَسْرِي ^(٦)
وَمَرَّتْ عَلَى الْجَرَبَاءِ ^(٧) تَوْضِيعُ فَوْقَهَا	فَأَثَارُ ^(٨) مَا مَرَّتْ بِهِ كَلَفَ الْبَدْرِ
وَسَافَتْ أَرْبَحَ الْخُلْدِ مِنْ جَنَّةِ الْعُلَى	فَدَعِ عَنْكَ رَمْلًا بِالْأَنْعَمِ يَسْتَذِرِي

(١) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس . والإشارة بهناك إلى الإسكندرية حيث توفي والده .

(٢) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس .

(٣) في نفح الطيب « الأفهام » .

(٤) في المطمح : « نخض » .

(٥) هذا الشطر في المطمح : « فطار على الجوزاء في فلك يسرى » .

(٦) في المطمح : « يجرى » .

(٧) في نفح الطيب والمطمح : « الجوزاء » .

(٨) في ص ، م : « بآثار » .

فما حَذَرْتُ قيساً ولا خَيْلَ عامرٍ ولا أضْمَرْتُ خوفاً لقاءَ بني صَمَرٍ
سَقَى اللهُ مِصرًا والعراقَ وأهلها وبغدادَ والشَّامَيْنِ مُنْهَمِلَ القَطَرِ [٥٨٠]
[انتهى] .

وما أَقْرَبَهُ من نَفْسٍ [الْفَتْح] ، صاحب القلائد والمطمح ، ولعلَّ هذا من
كلامه في المطمح^(١) . والله أعلم .
وقد طال الكلام ، ولكن لا يلحقنا في مثله الملام .

ومن تأليف الإمام أبي بكر بن العربي المذكور ، كتاب « القَبَس » ، في شرح
موطأ مالك بن أنس ، وكتاب « ترتيب المسالك » ، في شرح موطأ مالك ،
وكتاب « أنوار الفجر » [في تسعين سفرًا] ، وكتاب « أحكام القرآن » ،
وكتاب « عارضة الأخوذي » (بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة ، وفتح الواو ،
وكسر الذال المعجمة ، وآخره ياء مشددة) على الترمذي ، وكتاب « مراقي
الزُّلْف » ، وكتاب « الخلافات » ، وكتاب « نواهي الدواهي » ، وكتاب
« سراج المريدين » ، وكتاب « المُشْكَلَيْن » : مشكل القرآن والسنة ،
وكتاب « الناسخ والمنسوخ في القرآن » ، وكتاب « قانون التأويل » ،
وكتاب « النيرين » ، في الصحيحين ، وكتاب « سراج المهتدين » ،
وكتاب « الأمد الأقصى ، بأسماء الله الحُسنى وصفاته العليا » ، وكتاب في الكلام
على « مُشْكل حديث الشُّبُحات والحجَاب^(٢) » ، وكتاب « العقد^(٣) الأكبر » ، للقب
الأصغر » ، و « تبیین الصحيح » ، في تعيين الذَّبِيح » ، و « تفصيل التفضيل » ،

بعض تأليف
ابن العربي

(١) وجدنا هذا التعريف كله في مطمح الأنفس لابن خاقان .

(٢) اقرأ الحديث في شرح القاموس مادة (سبح) . (٣) في م : « الفقه » .

بين التحميد والتهليل ، ورسالة « الكافي » ، في أن لا دليل على النافي » ،
وكتاب « السُّبُعَات » ، وكتاب « المسلسلات » ، وكتاب « التوسط في
المعرفة بصحة الاعتقاد » ، والرد على من خالف أهل السنة من ذوى البدع
والإلحاد » ، وكتاب « شرح غريب الرسالة » ، وكتاب « الإنصاف » ،
وكتاب « مُلَحِّمَةُ الْمُتَفَقِّهِينَ » ، إلى معرفة غوايض النحويين .

نضرة وجوه
أهل الحديث

ورأيت في بعض الجامع ما نصه : قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله :
قال علماء الحديث : ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نضرة ،
لقول النبي صَلَّى الله عليه وسلم : « نَضَرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ، فأذاها كما
سمعها » الحديث .

قال : وهذا دعاء منه عليه السلام لِحَمَلَةِ علمه ، ولا بد بفضل الله مِنْ

[٥٨١] نِيلَ بَرَكَتِهِ .

شعر للعزفي
في ذلك

وإلى هذه النَّضْرَةِ أشار أبو العباس العزفي رحمه الله بقوله :
أهلُ الحديثِ عِصَابَةُ الْحَقِّ فازوا بدعوة سيدِ الخلقِ
فوجوههم زُهرٌ مُبَضَّرَةٌ لَأَلاؤُهَا كَتَاتِقُ الْبَرَقِ
يَا لَيْتَنِي مَعَهُمْ فَيَدْرِكَنِي ما أدركوه بها من السَّبْقِ [انتهى] .

ومن أسياف القاضي عياض رحمه الله

أبو عبد الله بن
حمد بن من
شيوخ عياض

القاضي أبو عبد الله بن حمد بن التَّغْلَبِي ، وهو محمد بن علي بن محمد بن
عبد العزيز بن أحمد التَّغْلَبِي ، بمثناة من فوق ، وغين معجمة ، منسوب لتغلب ؛
بكسر اللام وفتحها (١) .

(١) يريد بكسر اللام وفتحها عند النسب . أما اسم القبيلة فكسر اللام .

ميلاده ووفاته
وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ ؛ وَمَاتَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثِ بَقِينَ مِنْ
الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِ مِئَةِ ؛ وَدُفِنَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ .

وقال في حقه صاحبُ القلائد :

حامى ذِمَارَ الدِّينِ وَعَاضِدُهُ ، وَقَاطَعُ ضَرَرِ الْمُعْتَدِينَ وَخَاضِدُهُ ، مَلَكٌ لِلْعُلُومِ
زِمَامًا ، وَجَعَلَ الْعُسُوفَ عَلَيْهَا لَزَامًا ، فَخَيَّرَ سَمَهَا ، وَأَعْلَى أَسْمَهَا ، وَخَاصَمَتِ
الْمُلْحِدِينَ مِنْهُ أَلْسُنُ لُدٍّ ، وَتَهَدَّاتُ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ أَغْصَنُ مُلْدٍ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ
الظَّالِمِينَ ، فَلَمْ تَسْكُنْ لَهُمْ اسْتِطَالَهُ ؛ وَأَرْهَفَ خَوَاطِرَ الْمُجْتَهِدِينَ ، فَلَمْ تَسْنَحْ لَهُمْ
بَطَالَهُ ؛ فَاصْبَحَ أَهْلُ مِصْرِهِ بَيْنَ دَارِسِ عِلْمٍ ، وَلاِبْسِ حِلْمٍ ، وَآيَسِ ظُلْمٍ ؛ نَاهِيكَ
مَنْ رَجَلَ كَثِيرَ الرَّغَى لِأَهْلِ الْمَعَارِفِ ، مُؤْوٍ مِنْ بَرٍّ إِلَى ظِلِّ وَارِفٍ ؛ أَعْمَّ
الْوَرَى مِنْهُ ، وَأَعْظَمَ خَلْقَ اللَّهِ مِنْهُ ؛ أَقَامَ وَأَقْعَدَ ، وَأَذْنَى وَأَبْعَدَ ، وَأَنْحَسَ وَأَسْعَدَ ؛
فَتَقَلَّصَتْ بِهِ الظَّلَالُ وَفَاءَتِ ، وَحَسُنَتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَسَاءَتِ ؛ وَأَعْمَلَ لِلضَّرِّ وَالنَّفْعِ
لِسَانَهُ وَيَدَهُ ، وَشَغَلَ بِالرَّفْعِ وَالْوَضْعِ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَعَمَّرَ بِهِمَا فَسْكَرَهُ وَخَلَّدَهُ ؛ حَتَّى
هَدَّ الْجِبَالَ الشَّوَامِيخَ ، وَاجْتَمَعَ الْأَصُولُ الرُّوَاسِيخَ .

ما قاله ابن خاقان
في حقه

[٥٨٢]

وَمَا أَدَارَ ابْنُ الْحَاجِّ مِنْ خِلَافِهِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ مَا أَدَارَ ، وَاتَّفَقَ هُوَ
وَمَنْ وَاطَّأَهُ عَلَى مَا فَسَخَتْهُ الْأَقْدَارُ ، اسْتَشِيرَ فِي الْخَلْعِ فَمَا أَسَاغَهُ ، وَأُرْبِغَ
ضَيْرُهُ^(١) فَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ رَاغَهُ ، وَعُرضَ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا هَابَهُ ، وَوَالَى فِي تَقْضِ
مَا أَبْرَمَوه جَيْئَتَهُ وَذَهَابَهُ ، وَسَمِحَ^(٢) فِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَقَنَعَ مِنْ غَدِهِ بِذِكْرِ أَمْسِهِ .
فَلَمَّا انْجَلَتْ ظِلْمَاؤُهُ ، وَتَحَلَّتْ بِنَجُومِ ظَفَرِهِ سَمَاؤُهُ ، أَغْرَى بِالْمُطَالِبِينَ اهْتِزَامَهُ

(١) في الأصول : « خيره » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٢) كذا في « قلائد العقيان » ، للفتح بن خاقان . وفي الأصول : « وسما » .

وحيفه ، وسرى إليهم مكره سري قيس لحمل وحذيفه^(١) ، وأعلن لمن أسره
إغراءه [ولم يُنظر بالمسكروه نظراءه ، فأخل منهم أعلاما ، وأورث نفس الدين
منهم آلاما ، وألبسهم ماشاء] ذما من الناس وملاما ، فدجت مطالع شموهم ،
وخلت مواضع تدريسهم^(٢) ، فأصبحوا ملتحفين^(٣) بالمهانة ، متشوقين إلى الإهانة ،
يرؤوهم الرواح والغدو ، ويحسبون كل صيحة عليهم^(٤) هم العدو ، ويدعروهم
طروق النوم الأجفان ، وينكروهم الثابت العرفان ، فقد فقدوا حُبورا ، وعادت
منازلهم قبورا ، إلى أن نفس مُحققهم بعد أحوال ، وخلا أفتقهم من تلك الأهوال^(٥) ،
فتنشقوا ریح الحياة ، وأشرقوا من تلك الظلمات ، بعد أن أحال البؤس نعيمهم ،
وأخذ الحمام زعيمهم .

وكان رحمه الله مُتَضِح [طريق]^(٦) الهدى ، منفسح الميدان في العلم
والندى ، مع أدب كالبحر الزاخر ، ونثر كاللؤلؤ الفاخر ، وقد أثبت منه ما تعذب
مقاطفه ، وتلين معاطفه .

فمن ذلك فصل راجع به ابن شَماخ :

عَمْرَ بَابِكَ ، وَأَخْصَبَ جَنَابِكَ ، وَطَاوَعَكَ زَمَانُكَ ، وَنِعِمَّ بِكَ أَوَانُكَ

وَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

فَمَا دَرَجَ لِسَبِيلِهِ مِنْ كَفَتْ سُلَالَةَ سَلِيلِهِ ، وَوَارِثَ مُعَرَّسِهِ وَمَقِيلِهِ ، وَمَا خَامَ

(١) يريد أنه انتقم من أعدائه كما انتقم قيس بن زهير العبسي من حمل بن بدر وأخيه
حذيفة يوم الهبابة ، وهو من أيام حرب داحس . (انظر أيام عبس وذبيان في
العقد الفريد لابن عبد ربه) .

(٢) كذا في ط ، ص والقلائد . وفي م : « رئيسهم ومرءوسهم » موضع كلمة :
« تدريسهم » . (٣) في هامش ص : « ملتحفين » .

(٤) في القلائد : « هو » .

(٥) كذلك في القلائد . وفي الأصول : « الأحوال » .

(٦) زيادة عن قلائد العقيان .

وَضَرَعَ ، فخرٌ رَمَى عن وَتَرِ قَوْسِكَ وَنَزَعَ ، ولم يَهْلِك هَالِكٌ ، تركَ مِثْلَ
 مَالِكٍ ، فتركتَ المهادَ ، وأَلَقْتَ الشَّهَادَ ، وَتَقَيَّلْتَ الآبَاءَ والأجدادَ ، فأُسْرِجْتَ
 في ميدانِ الحمدِ بُرَاقًا ، اتَّخَذَ [الريحُ] ^(١) خَافِيَةً وساقًا ، فأَحْتَلَّ من شِعَابِ المجدِ [٥٨٣]
 صُغْعًا ، أثار به نَقْعًا ، ودَوَّمَ في أَفْقِ السَّمَاءِ ، تدويمَ فَرْخِ الماءِ ، حتى كأنه على
 قَمَّةِ الرُّأْسِ ابنُ ماءٍ ، فَحَقَّ ^(٢) لباهر فضلك أن يَطُولَ ، فيقول :
 لا بقومي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بِي وبنفسي فخرتُ لا بجدودي
 أويَتَنَزَّلُ فيمِثَّلُ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ ^(٣) يوما على الأحساب نَتَّكَلُ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
 كَمْ مَتَاعٍ شَاؤَ طَلَقَكَ ، سَوَّاتٍ لَهُ نَفْسُهُ شَقَّ غُبَارَكَ ، واقتفاءً مناهج آثاركَ
 فما أدركَ ، وطلَّحَ بغيره وَبَرَكَ .

فصل آخر منها وفي فصل منها :

بيننا وسائل ، أحكمتها الأوائل ، ماهي بالأنسكاث ، والوشائج الرثايل ،
 مِنْ دُونِهَا عهد ، جَنَاهُ شَهِد ، أَرَجُ عَرَفِ النسيم ، مُشْرِقِ جبين الأديم ، رائق
 رَقْعَةِ الجَلْبَابِ ، مُقْتَبِلِ رِداءِ الشَّبَابِ ، كالصَّبَاحِ المُنْجَبِ ، تروق أساريره ،
 وتلقاك قَبْلَ اللِّقَاءِ تباشيره .

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ وَنُورِئُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِينَا

(١) زيادة عن قلائد العقيان .

(٢) في القلائد : « فأخلق » .

(٣) كذا في الأصول . وفي القلائد : « لسنا وإن كرمت أوائِلنا » .

ومن أسيّخ القاضي أبي الفضل عياض

الفقيه الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله .

قال صاحب القلائد في حقه :

شيخُ العلم وحاملُ لوائه ، وحافظُ حديثِ النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب
سمائه ، شَرَحَ الله لتَحَفُّظِهِ صدره ، وطاول به عمره ، مع كونه في كل علم وافرًا
النصيب ، مُيَاسِرًا بالمعلّى والرفيق ، رحل إلى المشرق لأداء الفرض ، لا بس
بُرْدٍ من العمر الغصّ ، فروى وقيد ، ولقى العلماء وأسند ، وأبقى تلك المآثر وخَلَّد .
نشأ في نَبْتَةٍ^(١) كريمة ، وأرومة من الشرف غير مَرُومَةٍ ، لم يزل فيها على وجه الزمان
أعلامُ عِلْمٍ ، وأربابُ مجد ضخم ، قد قيدت مآثرهم الكتب ، وأطلعهم
التواريخ كالشهب ، وما برح الفقيه أبو بكر يتسّم كواهل المعارف وغواربها ،
ويُقَيِّد شوارد المعاني وغرائبها ، لاستضلاعه بالأدب الذي أحكم أصوله وفروعه ،
وعَمَرَ بُرْهَةً من شبيبته رُبُوعَهُ ، وبرّز فيه تهريز الجواد المستولى على الأمد ،
وجَلَّى عن نفسه به كما جَلَّى الصَّقَالُ عن النُّضَلِ الفَرْدِ ، وشاهد ذلك ما أثبتته
من نظمه الذي يروق جملةً وتفصيلاً ، ويقوم على قوّة العارضة دليلًا .

[٥٨٤]

فمن ذلك قوله يُحَذِّرُ من خُلطاء الزمان ، ويُنبِّه على التحفظ من الإنسان ، قال : أمثلة من شعره

كُنْ بِذَنْبٍ صَائِدٍ مُسْتَأْنَسًا وإذا أبصرتَ إنسانًا ففِرْ
إنما الإنسان بحرٌ مالهُ ساحلٌ فاحذَره إِيَّاكَ الْغَرَرُ
واجعلِ الناسَ كشخص واحدٍ ثم كُنْ من ذلك الشخص حَذِرُ

وله في الزهد :

(١) في الأصول : « بنة » ولعلها محرفة عما أثبتناه . يقال : فلان حسن النبتة ، أى
الحالة التى بنبت عليها ويربى . انظر تاج العروس .

أَيُّهَا الْمَطْرُودُ مِنْ بَابِ الرِّضَا كَمْ يَرَاكَ اللَّهُ تَلَهُوْ مُعْرِضًا
كَمْ إِلَى كَمْ أَنْتَ فِي جَهْلِ الصَّبَا قَدْ مَضَى عَمْرُ الصَّبَا وَانْقَرَضَا
قُمْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَّتْ ظُلُمَتُهُ وَاسْتَلَذَّ الْجَفْنُ أَنْ يَغْتَمِضَا
فَضَعَ الْخَدَّ عَلَى الْأَرْضِ وَنَحْ وَاقْرَعِ السَّنَّ عَلَى مَا قَدْ مَضَى

وقال في هذا المعنى :

قَلْبِي يَا قَلْبِي الْمَعْنَى كَمْ أَنَا أَدْعَى فَلَا أَجِيبُ
كَمْ أَتَمَادَى عَلَى ضَلَالٍ لَا أُرْعَوِي لَا وَلَا أُنِيبُ
وَيَلَاهُ مِنْ سُوءٍ مَا دَهَانِي يَتُوبُ غَيْرِي وَلَا أَتُوبُ
وَأَسَفًا كَيْفَ بَرَّ دَائِي دَائِي كَمَا شَاءَ الطَّبِيبُ
لَوْ كُنْتُ أَدْنُو لَكُنْتُ أَشْكُو مَا أَنَا مِنْ بَابِهِ قَرِيبُ
أَبْعَدَنِي مِنْهُ سُوءٌ فَعَلِي وَهَكَذَا يُبْعَدُ الْمُرِيبُ
مَا لِي قَدَرٌ وَأَيُّ قَدَرٍ لِمَنْ أَخَلَّتْ بِهِ الذُّنُوبُ

وله في المعنى أيضا :

لَا تَجْعَلَنَّ رَمَضَانَ شَهْرَ فُكَاهَةٍ تُتَاهِيكَ فِيهِ مِنَ الْقَبِيحِ فُنُونُهُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَنَالُ قَبُولَهُ حَتَّى تَكُونَ تَصَوُّمُهُ وَتَصَوُّنُهُ

وله في مثل ذلك :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مَنَى تَصَاوُنٌ وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَقُولِي صَمْتُ
فَخَطَّيْ إِذْنُ مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمَا وَإِنْ قَاتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صِمْتُ

وله في المعنى الأول :

جَفَوْتُ أَنَا سَا كُنْتُ آلَفُ وَصَلَهُمْ وَمَا فِي الْجَفَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ مِنْ بَاسٍ

بَلَوْتُ فَلَمْ أَحْمَدْ وَأَصْبَحْتُ آيَسًا ولا شيء أشقى^(١) للنفوس من اليأسِ
فلا تعدُّلوني في انقباضِ فِائِي رأيت جميعَ الشرِّ في خُلْطَةِ الناسِ
وله يعاتب بعضَ إخوانه :

وكنْتَ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رَضْوَى تزولُ وَأَنْ وَدَّكَ لَا يَزُولُ
ولكنَّ الأُمُورَ لَهَا اضْطِرَابٌ وأحوالُ ابنِ آدَمَ تستحيلُ
فإنَّ يَكْ بَيْنَنَا وَصْلٌ جَمِيلٌ وإلا فليكنْ هَجْرٌ طَوِيلٌ
وأما شعره الذي اقتدحه من مَرَّخِ الشَّبَابِ وَعَفَّارِهِ ، وكلامه الذي وشَّحَهُ
بِمَارَبِ الغَزَلِ وَأَوْطَارِهِ ، فإنه أنسى إلى ما تناساه ، [وتركه حين كساه العلم والورع
من ملابسه ما كساه] . فما وقع من ذلك قوله :

كَيْفَ السُّلُوكُ وَلِي حَبِيبٌ هَاجِرٌ قَاسَى الفُؤَادِ يَسُومُنِي تَعْذِيبًا
لَمَّا دَرَى أَنَّ الْخِيَالَ مُوَاصِلِي جعلَ الشَّهَادَ عَلَى الْجَفُونِ رَقِيبًا
وله أيضًا ، رحمه الله :

يَا مَنْ عَهْدِي لَدَيْكَ تُرَعَى أنا على عهدكِ الوثيقِ
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْمَعَنِي غَرَامِي من مُخْبِرِ عَالَمٍ صَدُوقِ
فاسْتَخْبِرِي قَلْبَكَ الْمُعْنَى يخبرُكِ عَنِ قَلْبِي الْمَشُوقِ
[انتهى] .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض ، رحمه الله :

الشيخ الإمام النحوي الأديب اللغوي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ،

(١) كذا في الفلأند . وفي الأصول : « أشقى » ، وهو تحريف .

(بكسر السين) البَطْلَمَيْوسِيّ ، بفتح الموحدة والطاء المهملة والتحتانية وسكون اللام والواو ؛ نزيل بِلَنْسِيّة .

ذكره
السيوطي في
البغية

قال السيوطي في الطبقات : كان عالما باللغات والآداب ، متبحرا فيهما ، [٥٨٦] انتصب لإقراء علم النحو ، واجتمع إليه الناس ، وله يد في العلوم القديمة . ذكره في قلائد العقيان ، وبالغ في وصفه .

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد ، من أجل الناس صورة : رَحْمون ، وعَزْون ، وحَسْون ؛ فأولع بهم ، وقال فيهم :

أَخَفَيْتُ سُقَيْيَ حَتَّى كَادَ يُخْفِينِي وَهَمْتُ فِي حُبِّ عَزْونٍ فَعَزَّوْنِي
ثُمَّ ارْحَمُونِي بِرَحْمونٍ فَإِنْ ظَمِمْتُ نَفْسِي إِلَى رِيْقِ حَسْونٍ فَحَسَّوْنِي
ثم خاف على نفسه ، فخرج من قرطبة .

مصنفاته كما في
البغية

صَنَّفَ : شرح أدب الكتّاب^(١) ، شرح الموطأ ، شرح سقط الزند ، شرح ديوان المتنبي ، إصلاح الخلل ، الواقع في الجمل ، الحُلل في شرح أبيات الجُمَل ، المثلث ، المسائل المنشورة في النحو . وله كتاب^(٢) « التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في رأيهم واعتقاداتهم » ، وهو كتاب عظيم . لم يُصَنَّفْ مثله ، وغير ذلك . وُلِدَ سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، ومات في رجب سنة إحدى وعشرين وخمس مئة [بِلَنْسِيّة]^(٣) .

(١) انفردت من يذكر واو العطف بين أسماء الكتب هنا ، وهي غير موجودة في ط ولا في بغية الوعاة للسيوطي ، جريا على عادته في ذكر كتب المؤلفين .

(٢) من هنا إلى قوله : « لم يصنف مثله » من عبارة المؤلف ؛ وليس من كلام السيوطي في البغية . وعبارة السيوطي : « كتاب سبب اختلاف الفقهاء » . واسم هذا الكتاب في كشف الظنون : « تنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين » . وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ هـ باسم « الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم » .

(٣) زيادة عن « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي .

ومن شعره :

أخو العلم حتى خالده بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميّت وهو ماش على الثرى يُظنُّ من الأحياء وهو عديم
دُكر في جمع الجوامع . انتهى كلام السيوطي في الطبقات .

[ترجمة ابن السيّد البطليوسي]

[للفتح ابن خاقان]

ورأيت تأليفاً^(١) بديعاً للفتح ، صاحب القلائد والمطمح ، ضمّنه التعريف
بهذا الإمام ابن السيّد خاصة ، وهأنا أوردّه بجملته ، لغرابته وفصاحته وبلاغته ،
وإن كان فيه بعض ما هو من قبيل الهزل ، الذي الإعراض عنه أولى ، وقد
جرت عادة الأشياخ بذكر مثل ذلك ، وحسبك ما ذكره الإمام السيوطي آنفاً
في حق ابن السيّد . وقد اغتفر الناس المقامات ، مع ما فيها من سخيّف المقالات ،
والأعمال بالنيات .

[٥٨٧]

قال ذو الوزارتين الكاتب أبو نصر ، الفتح بن عبّيد الله المعروف بابن خاقان ،
رحمه الله :

أما بعد حمد الله الذي جعل الليل لباساً ، وأزال عن قلوبنا شكا والتباساً ؛

(١) ذكر بروكلمان (Brockelmann) ضمن مؤلفات الفتح بن خاقان كتاب ترجمة
عبد الله بن محمد بن السيّد البطليوسي ، وذكر أن منه نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال
رقم ٤٨٨ . ومن حسن الحظ أن الكتاب قد نقله المقرئ هنا كاملاً . ويؤخذ من
كلام الفتح في مقدمته أنه جزء من كتاب كبير ألفه في تراجم عظماء الأندلس ،
ثم منعه أمور من إضاعته ، وخاف عليه الدثور ، فاستخرج منه هذه الترجمة
الفريدة ، وجعلها عنواناً يدل على الكتاب وقيّمته .

(٢) في م : « لمجاس » .

مثال من شعره

تأليف خاص
لابن خاقان في
التعريف بابن
السيّد

مقدمه تأليف
الفتح

وأرانا من الهدى مَنَارًا ، وجعل لنا من الشجر الأخضر نارا ، وخلقنا أطوارا ،
وأطلع لنا شمسًا وأقمارًا ؛ تدلُّ على حكمته ، ويُستدلُّ بها على مقدار نعمته .
والصلاة على نبيه الذي بعثنا من مرقد الضلالة ، وجلَّى عنا غياهب الجهالة ؛
فظهر الرشاد بعد احتجابه ، وتوارى الغيُّ في حجابهِ ، صَلَّى اللهُ عليه وسلم تسليما .
فإني لما فرغت من الكتاب الذي أبديت به للإحسان مَبْسَمًا ، وجعلته
لحاسن الثناء مَوْسِمًا ؛ وجلوت فيه أبنكار المفاخر وعُيونها ، وَخَصَصْتُ بِهِ نُكَّتَ
المآثر وعُيونها ، وشَفَعْتُ فِيهِ الْحَاسِنَ وَرَوَّقْتُهَا ، وَفَتَقْتُ فِيهِ كَأْتِمَ الْبَدَائِعِ
وشَقَقْتُهَا ؛ حتى أتت أزهى من الحديقة ، وأبهى من مُلْكِ الثُّمَانِ بَيْنَ الشَّقِيقَةِ ؛
يَتَمَنَّى السَّخَرُ أَنْ يَحُلَّهَا ، وَالْعِيُونَ النَّجَلُ أَنْ تُكَحَّلَهَا ؛ فصارت به لأهل
الأندلس ألسُنٌ مَفْتَخِرَةٌ ، وانتشرت لمعاليهم عظام نَخِرُهُ ؛ ورأيت فيه فضل
الأواخر على الأوائل ، وَجَرَّيْتُ بِهِ أَمَامَ سَجِيانِ وَاثِلٍ ؛ وملكت بسببه كل
قِيَادٍ ، وتركت ورأى قُسَّ إِيَادٍ ؛ وكان لي فيه أَمَلٌ ثَنَانِي أَنْ يُحْلِي ، وَعَدَانِي أَنْ
يُنَصَّ وَيُتَلَّى ؛ فطويته طي السَّجَلِّ ، ولويته لِيَّ مُحَيَّا الْخَجَلِ ؛ وتركت كالبدور
في السرار ، وأخفيت كما خفي في الغمد ماضى الْفِرَارِ ؛ والخواطر تهيم به أعظم
هَيْمٍ ، وتستمطره استمطار الْمَحَلِّ لِلدَّيْمِ ؛ والنفوسُ تتشوف إليه ، تشوف الضالَّ
لِلرَّشَدِ ، وَالْأَذَانُ تُصِيخُ إِلَيْهِ ، إِصَاخَةُ النَّاشِدِ لِلْمُنْشَدِ ؛ وأنا أجعل لِقَاحِهِ حِيَالًا ،
وَلَا أَرِيهِ طَيِّفًا وَلَا خِيَالًا ؛ ثم خشيتُ أَنْ يَكْسُوَ الزَّمَانُ جَوْهَرَهُ عَرَضًا ، وَيَتَّخِذَ
الْحَدَثَانِ بَدْرَهُ غَرَضًا ؛ فَتَنُحِي مِنْ وَجْهِ الزَّمَانِ غُرَّتَهُ ، وتسقط عن جبين الدهر
دُرَّتُهُ ؛ وَمَا لِمَسَحَ مِنْهُ عُثْوَانٌ ، وَلَا شِيمَ مِنْهُ مَا فِيهِ سُلُوانٌ ؛ فتذوب النفوس عليه
كَمَدًا ، وتُخَشِّي عِيُونَ الذِّكَاءِ بَعْدَهُ رَمْدًا ؛ فرأيت أَنْ أُسْتَخْرِجَ مِنْ أَخْبَارِهِ
خَبْرًا يَدُلُّ عَلَيْهِ ، دِلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَاللَّحْظِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَيُنْبِئُ عَنْهُ ، إِنْ بَاءَ

النسيم على الزَّهر ، ويشير إليه ، إشارة الشاطئ إلى النَّهر .

ولما كان الفقيه الأجل ، أبو محمد عبد الله بن السيّد — أدام الله علوه —
تاج مفرقه ، وهلال أفاقه ، ومهَبّ نفح صوّاره ، [وتَحَلّى أنواره] ، ومجلى أنجاده
وأغواره ؛ وكنت قد أحكمت نسق أخباره وسرّدها ، وفوّت مُطرَها وبردها ؛
وأطلعتها قرا ، وجمعتها سَمرا ، إذ هو أزرع علمائنا بحرا ، وأوسعهم نجرا ؛
وأحسنهم خواطر ، وأسكبهم مواطر ؛ وأسيرهم أمثالا ، وأعدمهم مثالا ؛
وأصدقهم لسانا ، وأغثمهم إحسانا ؛ وأرفعهم رايه ، وأبعدهم غايه ؛ ومحاسنه أعذب
جماما ، وأصفى غَماما ؛ وأظهر إعجازا ، وأحسن صدورا وأعجازا — رأيت أن
أفرد كتابا في أخباره ، وأجرّد ذبّابا في إعظامه وإكباره ؛ ليبيّن به فضل
من ضمّنته تصنيفي ، ويُعلم بأخباره ما أودعت في تأليفي ؛ ويُرَى أنه قطرة
من غمام ، ودُرّة من نظام ؛ وصباح يدل على نهار ، ونفح صدر عن حدائق
وأزهار .

والله المولى العون ، والكفيل بالكلاءة والصون ، لا رب غيره .

ثناء ابن خاقان
على ابن السيّد

الفقيه الحافظ ، الإمام الأوحد ، أبو محمد : هو عبد الله بن محمد بن السيّد
البَطَلِيّوْسِيّ ؛ وشابُ بيضته ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ؛ وفيها كان
قَرَارُهُمْ ، ومنها نَمَّ آسُهُمْ وعَرَارُهُمْ ؛ ونُسب إلى بَطَلِيّوْس ، لمولده بها ؛ ومن حيث
كان فقد طبّق الأرض علما ، وملاها ذكاء وفهما .

[٥٨٩]

وأنا أقول : لو أن للأيام السُّنَا ناطقه ، وأوصافا مُتناسِقه ؛ تردّد فنون
بيسانها ، كالطير تُرجّع على أفنانها ، ما جرّت إلى إنصافه ، ولا دَرّت بعض
أوصافه ؛ ولو أني أُمِدِدْتُ ببيان سَخْبَان وأَيَّدْتُ تأييد لسان حَسَنان ، وأعارني

ابن صُوحان^(١) الفصاحه ، وعلمني خالد بن صفوان^(٢) إيضاحه ، لما أعربت عن
مقداره الرفيع ، ولا أعربت بما أنحوه له من التعظيم والترفع ؛ فكيف بلسان
[قد] فُلَّ غِراره ، وبنان قد ذَوَى رَنده وعَراره ؛ وخاطر قد ارتعى في
لُجج الأخطار ، ووُخِزَ بأطراف القَنَا الخطَّار ؛ فما تُذِلُّ له عَصَى إحسانه ؛
ولا تحُلُّ النوائب عُقْدَةً من لسانه ؛ فحسبي أن أقتصر من وصفه على لَمَحَهِ ،
وأعطرَّ من عَرَفِهِ بنفحة ، فأقول :

حظه من العلوم
والمعارف

إنه ضارب قداح العلوم ومُجِيلُهَا ، وغُرَّة أيامنا البهيمه وتُحْجِلُهَا ، لو أدركه
قَيْسُ لما قضى للحِلمِ وترا ولا شَمْعاً ، ولو عاصره ابن العاصي لما ادعى ضَرْماً ولا نفعاً ؛
حَلَبَ الذَّهْرَ أَشْطَرَهُ ، وتلا حروفه وأَسْطَرَهُ ؛ وخدم الرِّياسات ، وعَلِمَ طُرُقَ
السِّيَاسات ؛ ونَقَّقَ وكَسَدَ ، ووقف وتوسَّد . وهو اليوم شيخُ المعارف وإمامها ،
ومن في يديه مَقودها وزِمَامُهَا ، لَدَيْهِ تُنْشَدُ ضوَالُ الأعراب ، وتوجد شوارد
اللُّغات والإعراب ، إلى مَقْطَعِ دَمِثْ ، ومنزِع في النفاسة غير مُنتَكِثْ ؛ ونَدَى
خَرَقَ به العوائد ، وأورق عودَهُ في يد الرائد ؛ وعَفَافٍ كَفَتْ ، حتى عن الطَّيِّفِ ،
وحكَمَى المُخَرَّمِينَ بالخَيْفِ ؛ ولقد نَزَلَتْ مِنْهُ بالتَّقَى الطاهر ، ولَقِيت مِنْهُ مَالِقِي
عوف بن محمَّلٍ من ابن طاهر^(٣) ؛ ورأيت نَارَ مكارمه تتأَلَّقُ ، وبت كأنما على النار
الندى والمُحَلَّقُ ؛ وله نَحْتَقُ بالعلوم الحديثه والقديمه ، وتصرف في طرقها المستقيمه ؛ [٥٩٠]
ماخرج بمعرفتها عن مضمار شرع ، ولا نَكَبَّ عن أصل للسنة ولا فرع . وتواليفه

(١) يريد صمصمة بن صوحان من أصحاب علي بن أبي طالب ، وكان من أخطب الناس .
(انظر المعارف لابن قتيبة) .

(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهمم المنقري التميمي البصري كان لسنا بيدنا خطيباً ،
عاش إلى قيام دولة بني العباس . (انظر المعارف) .

(٣) يشير إلى منزلة عوف بن محمَّل الشيباني عند عبد الله بن طاهر بن الحسين وإلى
خراسان للمأمون ، وكان من المختصين به ، المقربين إليه .

في الشروحات وغيرها صنوف ، وهي اليوم في آذان الأيام سُئِف . فمنها « المقتبس ، في شرح موطأ مالك بن أنس » . و « الاقتضاب ، في شرح أدب الكتّاب » . وكتاب « التنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء ، في اعتقاداتهم وآرائهم ، وسائر أغراضهم وأبحاثهم » ، وغير ذلك مما يشتمل عليه هذا الموضوع ويخفيه ، ويُوقف على تفسيره فيه .

وقد أثبت من محاسنه التي تدور جريلا ، ويصير الخبر بقصتها نبيا^(١) ، ما يُنشئ ويُسكر ، ويحمده الوسمى المُبكر .

فمن ذلك أنه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة ، في المُنْية المتناهية البهاء والإشراق ، المُباهية لزوراء العراق ؛ التي يَنْفَج شذاها العطر ، ويكاد من الغضارة يُمطر ، والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتياده ، وحكم العقار في جوده ونَدَاه ؛ والمجلس يشرق كالشمس في الحمل ، ومن حواه يتهيج كالنفس عند منال الأمل ؛ والزهر عبق ، وعلى ماء النهر مُصطبَح ومُعْتَبِق ؛ والدُّولاب يُنُّ كناقاة إثر حُوار ، أو كُشْكَلَى من حرّ الأوار ؛ والجو قد عنبرته أنواره ، والروض قد بللته أنداءه ؛ والاسد قد فَعَرَت أفواهها ، وَجَّت أمواها ؛ فقال — رحمه الله — يصف الحال :

يا منظرًا إن رمقتُ بهجته	أذكرني حسنَ جنّة الخلد
تربة مسك وجو عنبر	وغيم ندى وطش ما وُرد
والماء كاللازورد قد نظمت	فيه اللآلى فواغرُ الأسد
كأنما جائل الحباب به	يلعب في حافتيه بالترد
تراه يزهي إذا يحيل به الـ	قادر زهو الكعاب بالعقد

[٥٩١]

تخاله إن بدا به قــــرا تمّا بدا في مطالع السعد
 كأنما ألبست حــــدائقه ما حاز من شيمة ومن مجد
 كأنما جادها فروضها بوابل من يمينه رعد
 لا زال في عزة مضاعفة ميمم الرفد وارى الزند

وله يصف فرسا ، وهو مما أبدع في التمثيل له والتشبيه ، ونبه خاطره فيه
 أحسن تنبيه ، وخلع عليه شياتٍ لاحقٍ والوجه ؛ وعنه بالحسن وتوج ، ونسبه
 إلى الخطار وأعوج^(١) :

وأقب من آل الوجه ولاحق قيد العيون وغاية التمثيل
 ملك النواظر والقلوب بحسنه فتي ترق العين فيه تسهيل
 ذو منخر رخب وزور ضيق وسماعة خضب وأرض تمجيد
 قصرت له تسع وطالت أربع وصفت ثلاث منه للمتأمل
 وتراه أحيانا لعزة نفسه يرنو — بلا قبل — بعين الأقبل
 وكأنما سال الظلام بمثنه وبدا الصباح بوجه التهلل
 وكان راكبه على ظهر الصبا من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وله يصف فرسا للظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون رحمه الله :
 وأدهم من آل الوجه ولاحق له الليل لوّن والصباح حُجول
 تحير ماء الحسن فوق أديمه فلولا التهاب الخصر ظل يسيل
 كأن هلال الفطر لاح بوجهه فأعيننا شوقا إليه تميــــل
 كأن الرياح العاصفات تُقله إذا ابتل منه مخزم وتليــــل

(١) لاحق ، والوجه ، والخطار ، وأعوج : أفراس مشهورة عند العرب
 بالعتق والكرم .

إذا الظافر الميمون في متنه علا بدا الزهو في العطفين منه يحول
فمن رام تشبيها له قال مُوجِزًا وإن كان وصف الحسن منه يطول [٥٩٢]
هو الفلك الدوّار في صَهَوَاتِه لبدر الدياجي مَطْلَع وأقول

وله في وصف
الراح

وما أبدع قوله في وصف الراح ، والحض على النبذ للهموم والاطرارح ،
بمعاطاة كثوسها ، وموالاة تأنيبها ؛ ومعاقرة دنانها ، واهتصار ثمار الفتوة
وأفنانها ؛ والإعراض عن الأيام وأنكادها ، والجرى في ميدان الصبوة إلى
أبعد آمادها :

سَلَّ الهموم إذا نبا زمنٌ بُمَدَامَةٍ صفراء كالذهب
مُزَجَّتْ فَمِنْ دُرٍّ على ذهب طافٍ ومن حَبَبٍ على لَهَب
وَكُنَّ سَاقِيهَا يثير شَدًّا مِسْكٍ لدى الأقوام مُنْتَهَب

ولله هو ! فقد ندب إلى المندوب ، وذهب إلى مداواة القلوب ، من الندوب ،
وإبرائها من الآلام ، وإهدائها كل تحية وسلام ؛ وإبهاجها بأصال وبُكر ،
وعلاجها من هموم وفسكر ؛ في زمن حَلِيٍّ عاطل ، وجُلٍّ في أحسن الصّور باطله ،
ونفقت مُحَالَاتِه ، وطَبَّقَتْ أَرْضَه وسماؤه استحالاته ؛ فليبيه كاسد ، وذيبه مستاسد ؛
وأخفاشه^(١) تَمَرَّر ، وبغائه قد استنسر ؛ فلا استراحة إلا في مُعَاطاة حَيًّا ، ومؤاخاة
وسيم الحَيَّا .

ولابن عمار
في مثله

وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه ، وفضّضه بالإبداع وذهّبه ، حين دخل
سَرَقُسطه ؛ ورأى غباوة أهلها ، وتكاثف جهلها ؛ وشاهد منهم من لا يعلم معنى
ولا فصلا ، وواصل من لا يعرف قطعًا ولا وصلا ؛ فأقبل على راحه يتعاطاها ،

(١) أخفاش الأرض : ضبابها وقنافذها . والذي في الأصول : « أخفائه » ، ولعلها محرفة
عما أثبتناه .

وعكف عليها ما تمدّاها ولا تخطاها ؛ حتى بلغه أنهم نَقَمُوا معاقرة للعُقار ، وجالت
السنتهم في توبيخه مجال ذى الفقار ، فقال :

نَقَمْتُمْ عَلَى الرّاحِ أَذْمِنُ شُرْبَهَا وَقَلْتُمْ فَنَى رَاحٍ وَلَيْسَ فَنَى مَجْدٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْوَغَى سِوَايَ وَمَنْ أَعْطَى الْكَثِيرَ وَلَمْ يُكَدِّ [٦٩٣]
فَدَيْتَكُمْ لَمْ تَفْهَمُوا السَّرَّ إِنَّمَا قَلَيْتَكُمْ جُهْدِي فَأَبْعَدْتَكُمْ جُهْدِي

ودُعي ليلة إلى مجلس قد احتشد فيه الأنس والطرب ، وقرع السرور نبعه
بالغرب ؛ ولاحت نجوم أكواسه ، وفاح نسيم رنّده وآسه ؛ وأبدت صدور
أباريقه أسرارها ، وضمت عليه المجالس ^(١) أزرارها ؛ والراح يديرها أهيف
وأوطف ، والأمانى تُجَنَّى وتُتَطَف ، فقال :

وللمترجم في
وصف مجلس
أنس

يَارُبُّ لَيْلٍ قَدْ هَتَكَتْ حِجَابَهُ بِمَدَامَةٍ وَقَادَةَ كَالْكُوكَبِ
يَسْمَعِي بِهَا أَحْوَى الْجَفُونِ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ وَرُضَابٍ فِيهِ الْأَشْنَبِ
بَدْرَانِ : بَدْرٌ قَدْ أَمِنَتْ غُرُوبَهُ يَسْمَعِي بِبَدْرِ جَانِحٍ لِلْمَغْرَبِ
فَإِذَا نَعَمْتَ بِرَشْفِ بَدْرِ غَارِبٍ فَانْعَمْ بِرَشْفَةِ طَالِعٍ لَمْ يَغْرُبِ
حَتَّى تَرَى زُهْرَ النُّجُومِ كَأَنَّهَا حَوْلَ الْمَجَرَّةِ رَرَبٌ فِي مَشْرَبِ
وَاللَّيْلِ مُنْخَفِزٌ يَطِيرُ غَرَابُهُ وَالصَّبْحُ يَطْرُدُهُ بَبَاؤُ أَشْهَبِ

وقال يمدح بعض الأعيان ، وهي قصيدة اشتملت على المحاسن اشتمال الليل ،
وانفردت بالمحاسن انفراد سهيل ؛ ودُرّت فيها أخلاف الإبداع ، وزُرّت عليها
جيوب الانقطاع ، وأفصح فيها لسان الإحسان ، وسَحَّ عليها عَنَانُ الْإِفْتِنَانِ ؛
فجاءت بالإغراب محفوفة ، ولاحت كالخريدة المزفوفة .

وله يمدح بعض
الأعيان

(١) لعلها : « المحاسن » .

وسمعت السيِّ الاعْتقاد، الغبىّ الفهم والانتقاد، الكافر المُنجد، المنافر لمن
يعظم الله ويوحّد؛ الذى ما نطق مُشَرِّعاً، ولا رُمق مُتَوَرِّعاً؛ ولا أقر بباريه،
ولا قرّ عن جريه فى ميدان الغىّ وتباريه؛ يدعى مدحها، ويقول: إنه إليه
بعث نَفَحَها؛ وإنه الذى افتض عُذرتَها، وقطف زهرتها. وحاشا لقائلها أن
يمدح بها المذموم، ويَفْضَح بكوثرها نَفَحَ سَموم؛ أو يُشَرِّف بها وضيعا، ويُرْضِع
نُدبها من غدا للوم رَضيعا، وهى:

[٥٩٤] أما إنه لولا الدُموع المَـوـاعُ لما بات منى ما تُجِنُّ الأضالعُ
وكَمْ هتكت سِتْرَ الهوى أعينَ المَـها وهاجت لى الشوق الديارُ البلاقع
خليلٍ مالى كلما لاح بارق تلظى الحشا وارضض منى المدامع
هل الأفق فى جنبى بالبرق لامع أم المزن فى جفنى بالودق هامع
ففى القلب من نار الشجون مصايف وفى الخد من ماء الشئون مِـرايع
وما هاج هذا الشوق إلا مُـهـمـهـف إذا غاب يوماً فالقُـلـوب مِـعـارِبُ
يُـضـرِّجُ خَدَّيه الحياء كأنما يُـضـرِّجُ خَدَّيه الحياء كأنما
رَماني عن قوسِ المَـحـاجِرِ لَحَظُهُ رَماني عن قوسِ المَـحـاجِرِ لَحَظُهُ
وما زلتُ من الحَـاظِـه مُتَوَقِّئاً^(١) وما زلتُ من الحَـاظِـه مُتَوَقِّئاً^(١)
يرق فتور اللَّحَظ منه كأنه يرق فتور اللَّحَظ منه كأنه
كما رَقَّ بالآداب طَبْعُ محمد كما رَقَّ بالآداب طَبْعُ محمد
رَخيم حواشى الطرف حُلُو كأنما رَخيم حواشى الطرف حُلُو كأنما

(١) فى الأصول: متوقعا؛ ولعله محرف عما أثبتناه.

أبا بكر أَسْتَوْفَيْتَ زُهْرَ محاسنٍ تُنَافِسُهَا زُهْرُ النُجُومِ الطَّوَالِعُ
 قَدَحْتَ زَنَادًا مِنْ ذَكَائِكَ لَمْ يَزَلْ يُنِيرُ فَتَعَشَى الْبَارِقَاتُ اللَوَامِعُ
 وَمَا ذَاكَ عَنْ نَيْلٍ لَدَيْكَ رَجْوَتَهُ فَيَصْدُقُ ظَنُّ أَوْ يُكَذِّبُ طَامِعُ
 وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَرْتَضَى الشَّعْرَ خُطَّةً فَتَجْذِبُهُ نَحْوَ الْمُلُوكِ الْمَطَامِعُ
 وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيْ قَدَغْدَا يَجَازِبُنِي فِيكَ الْهَوَى وَيُنَازِعُ
 طَوَى لَكَ مِنْ تَخْضِ الْوَدَادِ كَأَنَّيَا تَبَدَّتْ لَهَا فَوْقَ اللِّسَانِ طَلَائِعُ
 أَأَزْعُمُ^(١) فِي نَظْمِ الْبَدِيعِ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ السَّبْقُ فِيهِ وَالْوَرَى لَكَ تَابِعُ
 وَأَيُّ مَقَالٍ لِي وَقَوْلِكَ سَائِرُ وَأَيُّ بَدِيعٍ لِي وَمِنْكَ الْبَدَائِعُ
 وَقَالَ يَتَغَزَّلُ ، وَتَصَرَّفَ فِيهِ تَصَرَّفَ غَيْلَانٍ مَيَّ ، وَوَصَفَ كُلَّ حَوَاءٍ
 وَحَى ، وَذَكَرَ الْعِشْقَ ، وَارْتَادَ الْإِبْدَاعَ ، حَتَّى عَدَا بِهِ مِصْرَهُ ، فَأَجَادَ مَعَانِيَهُ ،
 وَأَشَادَ مَبَانِيَهُ :

وله يتغزل

تَأَوَّبَهُ مِنْ هَمِّهِ مَا تَأَوَّبَا فَبَاتَ عَلَى جَمْرِ الْأَسَى مَتَقَلِّبَا
 صَرَّتْ مُزْنَ عَيْنِيهِ غَدَاةً تَحْمَلُوا عَوَاصِفُ رِيحِ الشَّقِّ حَتَّى تَصْغَبَا
 دُمُوعٌ هَتَكَنَ السَّتْرَ عَنْ مُضْمَرِ الْجَوَى وَأَبْدَيْنَ مِنْ سِرِّ الْهَوَى مَا تَغَيَّبَا
 خَلِيلِي مَا لِي كُلَّمَا لَاحَ بَارِقُ تَذَكَّرْتُ بَرَقًا بِالْعَمِيقِ وَزَيْنَبَا
 أَوَّنَسُ بِالنَّائِبِ نَوْمًا مُشَرَّدًا وَأَطْمَعُ بِالتَّائِبِينَ^(٢) قَلْبًا مَعْدَبَا
 وَمَنْ لِي بَرَدٍ إِخْلَلَ إِذْ جَدَّتْ النَّوَى بِهِ وَبَوَصَلَ الْحَبْلُ أَنْ يَتَقَضَّبَا
 أَفِي كُلِّ حِينٍ أُمْتَرَى غَرْبَ مُقْلَةٍ أَبَى الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ فَتَغْرِبَا^(٣)

(١) يقال زعم يزعم زعامة (من باب شرف) : بمعنى ساد ورأس .

(٢) في الأصول : « بالتامين » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، أو عن كلمة معناها .

(٣) يقال : أغرب الساق : إذا أكثر الغرب ، أى اللئ ، وأغرب الحوض والإناء : ملاءها .

إذا عن لي ظقي بوجرة شادن
وأزناح للأرواح من نحو أرضها
ولولا التهاب الشوق بين جوانحي
ألا قاتل الله الهوى كيف قاذني
وما كنت أخشى أن أبيت مُعذِّباً
وخدي الأقي دون شم رياضه
أجـدك لم تبصر تائق باري
إذا ما بدا في الجو أحمر ساطعاً
كأن الرياض الحو غب سمانه
كأن الشقيق الغض والفجر ساطع
تمتع برعان الشباب وظله
فما العيش إلا أن تروح وتفتدي

تذكرت من عني الفؤاد وعذبا
وتثني عناني للصبا نفحة الصبا
لأمرع خدي بالدموع وأعشبا
إلى مصر عى طوعاً وقد كنت مُصعِبا^(١)
بعذب رضاب من حمى النعر أشبا
من اللحظ هنيئاً وللصدغ عقربا
يُجد نشاطاً^(٢) في ذرى الأفق أهدبا
حسبت الظلام آبنوساً مُذهبا
تردين وشي العبقري المخلبا^(٣)
خدود زهاها الحسن أن تنقبا
فلا بُدَّ يوماً أن يبيننا ويذهبا
مُحبباً براه سُـقْمه أو مُحبباً

وكتب إلى الكاتب أبي الحسن راشد يستدعيه إلى مجلس قد لاحت
شمس مُدامه ، وارتاحت نفوس ندامه ، وتأودت تأود الغصون قدود خدامه :
عندي مشكود^(٤) من الخمر عبق
فيه مني مضطج ومُعْتَبِق
يحكي شذا المسك إذا المسك فتق
كأنه من خلقت الخلو خلق

(١) المصعب من الإبل : الفعل الذي لا ينقاد . (٢) هذه الكلمة غير ظاهرة
في الأصول . وهي في ص أقرب إلى ما أثبتناه . (٣) الخلب (كمظم) :
الكثير الوشي . (٤) في الأصول : « مسكود » ، ولا معنى له . ونظنه
محرّفاً عما أثبتناه . والمشكلود : المنوح .

كأنما كئوسه تحت الغسق
 في راحة الساقى نجومٌ تأتلق
 تخالها وهي تلظى كالحرق
 أحشاء صَبَّ مُلِئت من الحرق
 ترى لدى المزج إذا الماء اندفق
 فيها حبًّا لآح كالدر النسق
 وأنت أنسى والمفدى بالحدق
 فاطلع طلوع القمر التَّمَّ اتسق
 في يومنا هذا إذا الظهر نطق
 ياراشدًا إذا دجى النوى غسق
 وماجدًا قد حاز في السبق السبق
 لله معنى طابق أسما لك حق
 توافقا فيك إذا الامم اتفق

فراجعہ راشد :

[٥٩٦]

لبَّيك من داعٍ إلى العيش القدق
 في سَجَسَج من ظلِّه غَضَّ الورق
 نديرُ صفو الراح صرِّفا قد عتق
 وشبهها لونا وطعما وعَبَق
 وكان يُجلى في مُلاء من فلق
 تحسُّده في حُسْنه بيض السرِّق

ثم كساه الشَّهْدُ ثوبا من شَفَقٍ
 بل مِنْ إِيَاةِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ رَنْقٍ^(١)
 كأنه مِنْ خَدٍّ مِنْ أَهْوَى اسْتَرْقٍ
 كأنه بِرِيقِهِ الْعَذْبِ فُتِقٍ
 فجاء يَشْفِي مِنْ جَوَى وَمِنْ حُرْقٍ
 أحلى مِنْ الْأَمْنِ أَتَى بَعْدَ الْفَرَقِ
 رَضِيئُهُ مُصْطَبِحًا وَمُعْتَبِقٍ
 عَلَى رِيَاضِ أَدَبٍ ذَاتِ أَنْقٍ
 أَجْنِينَ مَا أَهْوَى وَأَذْهَبِنَ الْقَلَقِ
 عِنْدَ فَتَى نَذْبِ عَيْبَرَى الْخُلُقِ
 مُؤْتَزِرٍ بِالْمَكْرُمَاتِ مُنْتَطِقٍ
 إِنْ قَالَ قَدَسُدَّتْ الْوَرَى قِيلَ صَدَقِ

وقال يصف مجلس أنس وتصرف في وصف سقاته ، وإقبال الصبح لميقاته ، وله يصف مجلس
 أنس ومدح الراح بأحسن أسمائها ، وطلوع الفجر هازما لدُجى ليالتهم وظلمائها ، وإيقاظ
 أصحابه من نومهم ، وترغيبه لهم في اصطباح يومهم :

صَاحِ نَبَّهْ كُلَّ صَاحٍ يَصْطَبِخُ فَضْلَةَ الزُّقِّ الَّذِي كَانَ اغْتَبَقُ
 قَهْوَةً تَخْكِي الَّذِي فِي أَضْلَعِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ وَمِنْ لَفْحِ الْحُرْقِ
 بِيَدَيَّ سَاقٍ تَرَى فِي طَوْقِهِ بَدَرَ تَمَرٍ قَدْ تَجَلَّى فِي غَسَقِ

(١) في ط ، س : « زقق » وفي م : « زنق » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .
 والرنق : السكر .

خَلَّتْهَا إِذْ غَرَبَتْ فِي ثَعْرِهِ شَمْسُهَا أَبَقَتْ ^(١) بِجَدِيدِهِ شَفَقُ
أُفْرِغِ الْمَاءَ عَلَيْهَا فَحَسَتْ ذَائِبَ الْإِبْرِيْزِ أَوْ ذَوْبَ وَرَقِ
إِنَّ مِسْكَ اللَّيْلِ قَدْ أَعْقَبَهُ مِنْ سَنَى الْإِصْبَاحِ كَافُورٌ عَبَقُ
فَكَانَ الْفَجْرُ عَيْنٌ فُجِّرَتْ وَكَانَ اللَّيْلُ زَنْجِيٌّ غَرِقُ
وَكَانَ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ مَهْمَا رَاعَهُ السَّرْحَانُ صُبْحًا فَافْتَرَقُ

وله في الزهد ، وقال في الزهد ، وهو غرض قد أكثر القول فيه ، والضراعة لباريه ؛
وراش أنوعه وبرى ، وحلب فنونه ومرى ؛ وذلك مما يدل على ورعه ، وصفاء
منهله في التقى ومشرعه ؛ فكثيرا ما يعلن به ويسر ، ويطلع على لسانه متمما
ولا يستتر :

إِلَهِي إِنِّي شَاكَرٌ لَكَ حَامِدُ وَإِنِّي لَسَاعٍ فِي رِضَاكَ وَجَاهِدُ ^[٥٩٧]
وَإِنَّكَ مَهْمَا زَلَّتِ النَّعْلُ بِالْفَتَى عَلَى الْعَائِدِ التَّوَابُ بِالْعَفْوِ عَائِدُ
تَبَاعَدْتَ تَجِدًا وَادْنَيْتَ تَعَطُّفًا وَحِلْمًا ^(٢) فَأَنْتَ الْمُدْنَى الْمُتَبَاعِدُ
وَمَا لِي عَلَى شَيْءٍ سِوَاكَ مُعَوِّلُ إِذَا دَهَمْتَنِي الْمُغْصَلَاتُ الشَّدَائِدُ
أَغْيِرْكَ أَدْعُو لِي إِلَهًا وَخَالِقًا وَقَدْ أَوْضَحَ الْبِرْهَانُ أَنَّكَ وَاحِدُ
وَقَدِّمًا دَعَا قَوْمٌ سِوَاكَ فَلَمْ يَقُمْ عَلَى ذَاكَ بَرْهَانٌ وَلَا لَاحِ شَاهِدُ
وَبِالْفَلَاحِ الدَّوَارِ قَدْ ضَلَّ مَعْشَرُ وَلِلنَّيِّرَاتِ السَّمْعِ دَاعٍ وَسَاجِدُ
وَلِلْعَقْلِ عُبَادٌ وَلِلنَّفْسِ شَيْعَةٌ وَكُلُّهُمْ عَنْ مَنِهْجِ الْحَقِّ حَائِدُ
وَكَيْفَ يَضِلُّ الْقَصْدُ ذُو الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ وَمَنِهْجُ الْهُدَى مَنْ كَانَ نَحْوَكَ قَاصِدُ ^(٣)

(١) في م : « أبدت » .

(٢) كذا في قلائد العقيان . وفي الأصول : « علما » .

(٣) كذا في الأصول وقلائد العقيان .

وَهَلْ فِي آتِي طَاعُوا لَهَا وَتَعَبَّدُوا لِأَمْرِكَ عَاصٍ أَوْ لِحَقِّكَ جَاحِدُ
وَهَلْ يَوْجِدُ الْمَعْلُولُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ إِذَا صَحَّ فِكْرُكَ أَوْ رَأَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
وَهَلْ غَبِثَ عَنْ شَيْءٍ فَيُنْكِرُ مُنْكَرُكَ وَجُودَكَ أَمْ لَمْ تَبْدُ مِنْكَ الشَّوَاهِدُ
وَفِي كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ دَلَالُ مِنَ الصَّنْعِ تُنْبِي أَنَّهُ لَكَ عَابِدُ
وَكُلُّ وَجُودٍ عَنْ وَجُودِكَ كَأَنَّ فَوَاجِدُ أَصْنَافِ الْوَرَى لَكَ وَاجِدُ
سَرَّتْ مِنْكَ فِيهَا وَحْدَةً لَوْ مَنَعَتْهَا لِأَصْبَحَتْ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ بَوَائِدُ
وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ الْوَرَى مِنْ دَلَالٍ يَرَاهَا الْفَقَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ
كُنْفَى مُكَذِّبًا لِلجَّاحِدِيكَ نَفْسُهُمْ تُخَاصِمُهُمْ إِنْ أَنْكَرُوا وَتَعَانِدُ

وقال يمدح الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون ، وهو مدح طابق وله يمدح الظافر ابن ذى النون الممدوح ، ووصف شاكله كالروض والغمام السّفوح ؛ فنظم الدّرّ بأبهى جيد ، وقلّد الفخر أعلى مجيد ؛ ووضع العلق في يدى مُميّزه ، وأجرى الجواد في ميدان مجوّزه ؛ لم يحمله إلى غير موضع نفاق ، ولا شام به بخيلة ذات إخفاق ؛ فإنه كان أندى من الغيث ، وأمضى من اللّيث ؛ وأذكى من الحُسام ، وأبهى من البدر ليلة التّمام ؛ حتى خاض هوّلاً لم يسر فيه إلى صُبْح ، وسلّك شعباً لم ينش^(١) منه بريح ؛ فصافح المنايا ، وطلّع له غير معهود الثنايا ؛ والشعر قوله :

[٥٩٨] لعلكم بعد التجنّب والهجر تدلون من بُعدٍ وتشفون من ضرّ
فإن الذى غادرتم بين أضلّى يزيد على مرّة الزمان ويستشرى
ولم تنبكم عني النوى غير أنكم رحلتم من الجفن القريح إلى الفكر
ومن عجب أنى أسائل عنكم ومنزلكم بين الجوانح والصّدر

(١) يقال : نفى منه ريحاً ، أى شمها . والباء هنا : زائدة .

وأستعطف الأيام فيكم لعلها
 وأطعم منها في الوصال ولم أزل
 ويوحشني حسن الزمان لنأيكم
 ولم أنس إذ صدت كما صد شادن
 تمس كما ماس القضيب على النقا
 وما زلت صببا بالغواني تصيدني
 وعندى أحشاء ملئن صباية
 ولوعة وجد ما تفيق وظامة
 وكم في كناس السمهرية من رشا
 وأهيف يثنيه النسيم إذا جرى
 وساحرة الألفاظ لو أنها دعت
 حسرت قناع الستر فيها ولم يكن
 والله ليل باللوى أبعاد الجوى
 فما شئت من شكوى أرق من الهوى
 سرت لم تمس الطيب عجباً بحسنها
 فقلت : عبید الله أو نجله سرى
 كأن ضياء الصبح في الليل إذ سرى
 كأن مهاً في الأفق ريعت وقد بدا
 كأن سنى الشمس المنيرة إذ بدا
 وإلا فوجه الظافر الملك انجلى

تُعيد الليالى السابقات كما أذكرى
 عليما بما يؤثرن من شيم العذر
 وإن كنت مأنوس الجوانح بالذكر
 غرير من الربيعي^(١) أوجس من دغر
 وترنو كما أغضى الشريف من الشكر^(٢)
 ذوات الثنايا الغر والأوجه الزهر
 كالحاظ أجفان ملئن من السحر
 لأشذب معسول اللمى طيب النشر
 أغن يقيم العذر في الخلع للعذر
 فلو شاء من لين تحتم في الحضر
 بنغمتها ميثا للبي من القبر
 يطيب الهوى يوما لمن دان بالستر
 وقرّب نحرًا من مشوق إلى نحر
 وما شئت من نجوى الذ من الخمر
 وقد أفعمت عرض البسيطة بالعطر
 فذكرني دارين أو بت بالشجر
 بصيرة إيمان سرت في عمى كفر
 لها ذنب المترحان من وضح الفجر
 كسا ورق الإصباح ذوبا^(١) من التبر
 فجلى ظلام النقع في الجحفل المجر

(١) الربيعي : الحديث الميلاد . (٢) في م : « الشكر » . (٣) في م : « ثوبا » .

عجبت لأيام تداعت خطوبها
ولم تذر أنى فى حى الظافر الرضا
[٥٩٩] حلت جنابا منـه مد ظلاله
جناب بكت فيه غمام جوده
وكم نلت منذ أصبحت ألتيم كفه
لدى ملك ما لاح ضوء جبينه
ومتقيد الآراء لوجال فى الوغى
ولولا اضطرام البأس فيه غدا القنا
أرى عابد الرحمن رحمة من قست
وكعبة آمال كثيرا حجيجها
له من حجاج بالسماحة أمر
فتى لم يشمر قط إلا عنا له
ولم يعتك بخل بميدان عدله
أبا عامر لا زلت للمجد عامرا
وقمت العدا عني برأفة ماجد
وأوسعت نعمى ضقت ذرعا بحملها
ولما ارتقت بي فى سمالك همى
فحييت شمس الملك فى فلك العلا
أرجو ضلالا أن يناويك حاسد
وأزسى عبيد الله بيتك فى العلا

لَتَتَلِمَ من غربي وتقدح فى وفري
أرؤ العدى عني بصمصامتى عمرو
على وأعطاني أمانا من الدهر
فأضحكن روض الجدى عن زهر الشكر
بيمناه من يمين ويسراه من يسر
بجنح اللجى إلا كفى مطلع البدر
بخاطره أغنى عن البيض والسمر
براحتـه يهتر بالورق أنخضر
عليه الليالى ، أمن من ريع بالفقر
لها حرم فيه مشاعر للشعر
ومن حلمه ناه عن اللغو والهجر
عداه وساق الحرب مسبله الأزر
وجدواه إلا فاز جدواه بالنصر
فإنك وسطى العقد فى عنق الفخر
وعمر نوال سر إذ ساء ذا القمر^(١)
فإن خففت عمرى لقد أثقلت ظهري
غدا أخصى فوق النعائم والنسر
وشمت سحاب الجود فى بارق البشر
وقد حزت خصل السبق وهو على الإثر
وطنبه بين السماكين والغفر^(٢)

(١) القمر (بفتح العين وكسرها) : الحقد . (٢) الغفر : من منازل القمر .

وأصبحت كالمأمون تقفو سبيله كأنك موسى تفتني أثر الخضر
وما علت صبراً حين قللك العلا وجاء بأمر من بدائعهم أمرى
فله ما شادوا وشدت من العلا ولله ما حازوا وما حزت من ذكر
نظمت شتيت الملك بالعدل والتقى وقت بحق الله في السر والجهر
وجاءك صوم إثر فطر قضيتته بحظين من سعد جزيل ومن أجر
وأذبر سقم عنك بشر جسمه بإقبال نعمي واتصال من العمر
سيملاً شكري كل قطر تحله بنشر ثناء عنك أذكي من العطر
وتبقى لكم بين الضلوع محبة ألاق بها الرحمن في موقف الحشر

وكتب إلى ذي الوزارتين أبي عيسى بن ليون :

وله يمدح ابن
ليون

قم نضطج من قهوة بكر حتى ترى صرعى من السكر
أنف تناسها الورى حتى لم تجر في بال ولا ذكر
فترى الدنان وما حوت منها بجوانح طويت على فكر
نفحت فقلت المسك أو ما قد أحيا أبو عيسى من الذكر
لا شيء يحكي طيبها إلا شيم عذاب منه أو شكري
مازلت أخبر من محاسنه قدما بعرف ليس بالسكر
وأحن نحو لقائه طرباً كالطير إذ جئت إلى وكر
فالآن شاهدت الذي يحكي ولقيت فيه الفضل للسكر

[٦٠٠]

وكان أبو عيسى ممن رأس وما شفت ، ووَكف جوده وما كف ؛ وأعاد
سوق البدائع نافقه ، ورفع للآمال راية من الندى خافقه ؛ وأوردتهم منها جوده
معينا ، وزف لهم من مبراته أبكارا وعونا ؛ فلما بلغه قوله هذا وسمعه ، استنبله

تعريف للفتح
بأن ليون ومدح
ابن السidle

واستبدعه ؛ وأحضره إلى مجلسٍ نَامَ عنه الدهرُ وغَفَلَ ، وقامَ لَفَرَطُ أنسه واحتفل^(١) ؛ قد بانت صُروفُه ، ودنت في الزائرِينَ قُطوفُه ؛ وقال هَلُمَّ بنا إلى الاجتماعِ بمُذهبِكَ ، والاستمتاعِ بما شئتَه ببراعةِ أدبِكَ ؛ فأقاموا يُعْمِلُونَ كأَسْهَمٍ ، وَيَصِلُونَ إِيْناسِهِمْ ؛ وباتوا ليلهم ما طرَقَهُمْ نَوْمٌ ، ولا عَدَاهُمْ عن طيب اللذاتِ سَوَمٌ .

ودخل سَرَقُسطة أيام المستعين [بالله] وهى جَنَّةُ الدنيا ، وفِتْنَةُ المَحْيا ؛ ومُنْتَهَى الوصف ، وموقف السرور والقصف ؛ مَلِكٌ نَمِيرُ البشاشة ، كثيرُ المشاشة ؛ ومُلْكٌ يَهْجُ الفناء ، أَرَجُ الأرجاء ؛ يَرُوقُ الجتلي ، ويفوق النجم المعتلي ؛ وحَضْرَةٌ مُنْسَابَةُ الماء ، مُنْجَابَةُ السماء ؛ يَبْسِمُ زَهْرُهَا ، وَيَنْسَابُ نَهْرُهَا ؛ وَتَقْفُتُ خِثَابُهَا ، وَتَقْضُوعُ صَبَاها وشَمَائِلُهَا ؛ والحوادث لا تعترضها ، والكوارث لا تَقْترِضُهَا^(٢) ؛ ونازِلُهَا من عُرْسٍ إلى مَوَسِمٍ ، وآملُهَا متصل بالآمانى ومُتَمِّسٌ ؛ فنزل منها فى مثل الخَوَزْنَقِ والسَّديرِ ، وتصرف فيها بين روضة وغدير ؛ فلم يَخَفْ عَلَى المستعين اختلالُه^(٣) ، ولم تَخَفْ لديه خِلاله ؛ فذكره مُعَلِّمًا به ومُعَرِّفًا ، وأحضره مُنَوِّهاً له ومُشَرِّفًا ؛ وقد كان فرَّ مِنْ ابنِ رَزِينٍ ، فرار السرور من نفس الحزين ؛ وَخَلَصَ من اعتقاله ، خلوص السيف مِنْ صِقَالِه ؛ فقال يندحه :

هُمْ سَلَبُونِي حَسَنَ صَبْرِي إِذْ بَانُوا بِأَقْصَارِ أَطْوَاقٍ مَطَالِعَهَا بَانَ
لَئِنْ غَادَرُونِي بِاللَّوَى إِنَّ مَهْجَتِي مَسَايِرَهُ أَطْعَانَهُمْ حَيْثُمَا كَانُوا
سَقَى عَهْدَهُم بِالْخَيْفِ عَهْدَ غَمَائِمٍ يَنَازِعُهَا مَزْنٌ مِنَ الدَّمْعِ هَتَّانِ
أَحِبَابَنَا هَلْ ذَلِكَ الْعَهْدُ رَاجِعٌ وَهَلْ لِي عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ سُلُوانِ

(١) فى م : « ورفل » .

(٢) تقترضها : تنال منها . (عن تاج العروس) .

(٣) اختلاله : أى سوء حاله .

ولي مقلة عبرى وبين جوانحي فؤاد إلى ثقيباكم الدهر حنان
 تنكرت الدنيا لنا بعد بُعدكم وحفت^(١) بنامن مفضل الخطب ألوان
 أناخت بنا في أرض شنت مريّة هواجس ظن خن والظن خوان
 وشمنا بروقا للمواعيد أتعبت نواظرنا دهرا ، ولم يهم هتان
 فسرنا وما نلوى على متعذر إذا وطن أقصاك آوتك أوطان
 ولا زاد إلا ما انتشته من الصبا أنوف وحازته من الماء أجفان
 رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها فلا ماؤها ضدا ولا النبت سعدان
 إلى ملك حابه بالمجد يوسف وشاد له البيت الرفيع سليمان
 إلى مستعين بالإله مؤيد له النصر حزب والمقادير أعوان
 جفقتنا بلا جرم كأن مودة ثنى نحونا منها الأعنة شنان
 ولو لم تفد منا سوى الشعر وحده لحق لنا برث عليه وإحسان
 فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا فيوجب للمكدي جفاه وحرمان
 ولا نحن ممن يرتضى الشعر خطّة وإن قصرت عن شأونا فيه أعيان
 ومن أوهمه غير ذلك ظنونه قثم مجال المقال وميّدان
 خليلي من يعدى على زمن له إذا ما قضى خيف على وعدوان
 وهل رى من قبلي غريق مدامع يفيض بعينيه الحيا وهو حرّان
 وهل طرقت عين المجدي ولم تكن لها مقلة من آل هود وإنسان
 فوجه ابن هود كلما عرض الورى صيفة إقبال لها البشر عنوان
 فتى المجدي في برديته بدر وضيفم وبحر وقُدس ذو الهضاب ومهلان

(١) في ابن خلكان : « وحلت » .

من النفر الشَّمِّ الذين أكَفَّهُمْ غُيُوثٌ وَلَكِنَّ الْخَوَاطِرَ نِيرَانُ
لُيُوثُ شَرِّى مَا زَالَ مِنْهُمْ لَدَى الْوَعَى هَزَبٌ بِيَمْنَاهُ مِنَ السَّحَرِ ثُعْبَانُ
وَهَلْ فَوْقَ مَا قَدْ شَادَ مَقْتَدِرُ لَهُمْ وَمُؤْتَمَنٌ بِاللَّهِ لُقْيَاهُ إِيْمَانُ
أَلَا لَيْسَ نَخْرُ فِي الْوَرَى غَيْرُ نَخْرِهِمْ وَإِلَّا فَإِنَّ الْفَخْرَ زُورٌ وَبُهْتَانُ
فِيَا مُسْتَعِينَا مُسْتَعَانًا لِمَنْ نَبَا بِهِ وَطَنٌ يَوْمًا وَعَضَّتْهُ أَرْمَانُ
كَسَوْتُكَ مِنْ نَظْمِي قَلَانِدَ مَفْخَرٍ يَبَاهِي بِهَا جِيدُ الْمَعَالَى وَيزْدَانُ
وَأِنْ قَصَّرْتُ عَمَّا لَيْسَتْ فَرَبَّمَا تَجَاوَرَ دَرٌّ فِي النَّظَامِ وَمَرْجَانُ
مَعَانٍ حَكَتْ غُنْجُ الْحِسَانِ كَأَنِّي بِهِنَّ حَبِيبٌ أَوْ بَطْلَيْوُسٌ بَغْدَانُ
إِذَا غَرَسْتَ كِفَاكَ غَرَسَ مَسْكَارِمٍ بِأَرْضِي أَجْنَتِكَ الثَّمَنُ مِنْهُ أَغْصَانُ

وكان عند وصوله إلى ابن رزين قد رفعه أرفع محل ، وأنزله منزلة أهل
العقد والحل ؛ وأطاعه في سمانه ، وأقطعه ما شاء من نعمائه ، وأورده أصنى مناهل
مائته ، وأحضره مع خواص ندمائه ؛ وكانت دولته موقف البيان ، ومقدف^(١)
الأعيان ؛ ومُحَصَّب جمار الآمال ، وأعذب موارد الأجمال ؛ لولا سطواته الباطشه ،
ونكباته البارية لسهام الرزء الرائشه ؛ فقلما سلم منها مفاد الأموال ، ولا أحد
عقباه معه صاحب ولا وال ؛ فأحمد هو أول أمره معه ، واستحسن مذهبه في
جانبه ومنزعه ؛ ولم يدّر أن بعد ذلك الشهد شرب علقم ، وأن السّم تحت لسان
ذلك الأرقم ؛ فقال رحمه الله يمدحه :

عسى عطفة مِمَّنْ جفاني يُعيدُها فتَقْضَى لُبَانَاتِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
فقد تُعْتَبِ الأيَّامُ بَعْدَ عِتَابِهَا وَيُمَحِّى بِوَصْلِ الْغَانِيَّاتِ صَدُودُهَا

(١) في ط : « ومقدف » . وفي م : « ومعدن » . وفي ص : « ومقدب » . ولعل
الكلمة محرفة عما أثبتناه .

وكم للصَّبا عندي يدٌ لستُ جاحدا
 ليالى أُسْرِى في ليالى غدايرِ
 وأهْصِرُ أغصان القُدود فتفتَّني
 فَلِلَّهِ ليلٌ بتُّ فيهِه كَأَنِّي
 أُبَيِّحُ ثُغُورًا كالثُغُورِ ودُونِها
 تشابه منها ما حوته مباسمُ
 فإنْ تَكُ من تلك العقود ثُغُورُها
 وحمراء حَلَّاهَا المِزاجُ نخلتُها
 بدت في دِلاصٍ من حَبَابٍ وأشرَعَتْ
 فما بَرَحَتْ حَتَّى كَأَنَّ شُرُوبِها
 ترى شَرِبَها جُنْحَ الظلامِ كأَنَّهُمْ
 إِذَا أَنْكَحُوا مِنْ فِضَّةِ الْمَاءِ نَبْرَها
 كما أَنْكَحُوا الْبَدْرَ اسْتَقَامَتْ سَعُودُها
 فجاء بَعْدَ الْمَلِكِ لِلْمَلِكِ كوكبا
 رمى جَنَّةَ الْأَعْدَاءِ لَمَّا سَمَوْا لها
 حَلَفْتُ بَعْلِيَا عَابِدِ الْمَلِكِ ذِي اللَّهِما
 لئنْ كانَ قَدْ أَبْلَتْ هُذَيْلًا يَدُ الرَّدَى
 وإنْ رَفَعْتُ كَفَّاهُ قُبَّةَ مَفْخَرِ
 فَنِّي أَحْرَزَ الْعَلِيَا ، وحازَ مَدَى النَّدَى
 لها إِنَّ كُفْرانَ الْأَيَادِي جُجُودُها [٦٠٣]
 كَوَاكِبُها حَلَّى الْمَها وخَدُودُها
 عَلَيَّ بِرُمَّانِ النُّحُورِ نِهْودُها
 بَوَجْرَةَ أَغْتَالَ الْمَها وَأَصِيدُها
 أَسِنَّةُ الْحَاظِ قَنَاهَا قُدُودُها
 عِذابٌ وَلَبَّاتِ يَرُوقُ فَرِيدُها
 وَإِلَّا فَمِنْ تِلْكَ الثُّغُورِ عُقُودُها
 عَقِيلَةٌ خِذْرِ زَيْنَ الْبَلْدرِ جِيدُها
 سِنانَ انْسكابِ وَالسُّكُوسِ جُنُودُها
 مِنَ السُّكْرِ صَرَعَى أَنْعَسَتْها حُدُودُها (١)
 بِها مُصْطَلُو نارٍ يُشَبُّ وَقُودُها
 أَتَى الْلاؤُزُ الْمَكْنُونُ وَهُوَ وَلِيدُها
 هُذَيْلًا مِنَ الشَّمْسِ اسْتَقَامَتْ سَعُودُها
 لِيَجْمِيَ سَمَاءَ الْمَجْدِ مِمَّنْ يَكِيدُها
 بِشُهْبِ الْقَنَا حَتَّى اسْتَشَاطَ مَرِيدُها
 وَأَيْدٍ لَهُ كَالْقَطْرِ جَمٍّ عَدِيدُها
 فَإِنَّ غُلَاهُ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُها
 فَإِنْ قَنَا عَبْدَ الْمَلِكِ عَمُودُها
 فَمَا إِنَّ لَهُ مِنْ رُتْبَةٍ يَسْتَزِيدُها

(١) حدودها : جمع حد ، وهو سورة الشراب .

سَرَى بَارِقٌ مِنْ بَشْرِهِ غَيْرُ خُلْبٍ إِلَى أَرْضِ آمَالِي فَأُورِقْ عَوْدُهَا
 وَبَوَّأَنِي مِنْ مَجْدِهِ فِي مَكَانَةٍ سُعُودُ النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ صَعِيدُهَا
 فَيَأْبِيهَا الْمَوْلَى الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ وَقَدْ مَّا رَجَا طَوَّلَ الْمَوَالِي عَبِيدُهَا
 أَصْبَحُ نَحْوَ حُرِّ الشَّعْرِ مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ بِدَائِعِهِ مَا زَالَ مِنْكَ يُفِيدُهَا
 قَوَافٍ تَرُوقُ السَّامِعِينَ كَأَنَّمَا تُحَلِّي سَجَايَاكَ الْحَسَانَ قَصِيدُهَا
 حَبَّتِكَ الْعَلَا حَقًّا بِمَنْثَى رِيَايَةِ بِهَا اعْتَرَفَتْ سَادَاتُهَا وَمَسُودُهَا
 وَلَوْلَاكَ أُنْخِثَ أَرْضُ شَنْتِ مَرِيَّةٍ مُنَاخَ خُطُوبٍ لَا يُنَادِي وَلِيدُهَا
 وَمَا زِلْتَ يَقْظَانِ الْجُفُونِ لِرُغْبِهَا إِذَا أَعْيَنَ الْأَمْلَاكُ طَالَ هُودُهَا
 [٦٠٤] تَكْفُفُ الْأَذَى عَنْ أَهْلِهَا وَتَحُوطُهَا وَتُبْدِي الْأَيَادِي فِيهِمْ وَتُعِيدُهَا

وقال يَرْثِي الْوَزِيرَ الْأَجَلَ ، أبا عبد الملك بن عبد العزيز ، وبنو عبد العزيز
 بهذا الشَّرْقِ ، هم كانوا بدورَ غِيَاهِبِهِ ، وصدورَ مراتبه ، وبحورَ مواهبه ؛ نُظِمَتْ
 فِيهِمُ الْمَدَائِحُ ، وَعَظُمَتْ مِنْهُمْ الْمُنَاسِحُ ؛ وَنَفَقَتْ عَنْهُمْ أَقْدَارُ الْأَعْلَامِ ، وَتَدَفَّقَتْ
 لَدَيْهِمْ بَحَارُ الْكَلَامِ ؛ وَخَدَمَتْهُمْ الدُّنْيَا وَبَنُوها ، وَأَمِنَتْهُمْ الْأَيَّامُ وَلَمْ يَأْمَنُوهَا ؛
 فَزَقَّتْ جُمُوعَهُمْ ، وَأَخْلَتْ رُبُوعَهُمْ ، وَنَثَرَتْ سُلُوكَهُمْ ، وَمَزَقَّتْ مُلْكَهُمْ ؛ وَهَدَّتْ
 مُشَيْدَ بَنَائِهِمْ ، وَاخْتَلَّتْ الْحَوَادِثُ فِي فَنَائِهِمْ ؛ وَبَقِيَ أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا آخِرَهُمْ ،
 فَأَحْيَا مَفَاخِرَهُمْ ؛ وَكَانَ بَدْرُ هَذَا الْأَفَقِ وَشَمْسُهُ ، وَرُوحُ هَذَا الْقَطْرِ وَنَفْسُهُ ؛ أَبَدَى
 لَذَلِكَ السَّنَى كَلَمًا ، وَأَعَادَ مِنْ تِلْكَ الْعُلَا جَمْعًا ؛ إِلَى أَنْ دَبَّ إِلَيْهِ الْحِمَامُ ، وَاسْتَسَرَّ (١)
 بَدْرُهُ بَعْدَ التَّمَامِ ؛ وَالْقَصِيدَةُ :

فَوَادِي قَرِيحٍ قَدْ جَفَاهُ اصْطِبَارُهُ وَدَمَعِي أَبَتْ إِلَّا انْسِكَابًا غِرَارُهُ

(١) فِي م ، س : « وَاسْتَسَرَّ » .

يُسْرُ الْفَقَى بِالْعَيْشِ وَهُوَ مُبِيدُهُ
وَفِي عِبَرِ الْأَيَّامِ لِلْعُرَى وَاعْظُ
فَلَا تَحْسِبَنَّ يَا غَافِلُ الدَّهْرَ صَامِتًا
أَصْحَاحًا لِمُنَاجَاةِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
أَدَارَ عَلَى الْمَاضِينَ كَأَسَافِكُلِهِمْ
وَلَمْ يَحْمِهِمْ مَنْ أَنْ يُسَقَّوْا بِكَأْسِهِمْ
وَوَالَتْ أَبَا عَبْدٍ الْمَلِكِ صُرُوفُهُ
فَأَصْبَحَ يَجْفَوًا وَقَدْ كَانَ وَاصِلًا
وَلَمْ أَنْسَ إِذْ أَوْدَى الْحِمَامُ بِنَفْسِهِ
إِذَا رَقَاتٍ عَيْنِي اسْتَهْلَتْ شَتُونَهَا
تُجَاوِبُ هَذِي تِلْكَ عِنْدَ بَكَائِهَا
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالْمُزْنِ يَرْهَبُ صُعْقَهُ
وَدَوْحَةُ عِزٍّ يُسْتَظَلُّ بِظِلِّهَا
أَمَّا وَعَلَى مَرْوَانَ إِنَّ مُصَابَهُ
فَلَا شُرْبَ إِلَّا قَدْ تَكَدَّرَ صَفْوُهُ
فَأَيُّ حَيٍّ لِفَضْلِ أَجَلِي غَمَامُهُ
خَوَى الْجَدُّ مَرْوَانَ وَانْهَدَّ طَوْدُهُ
وَمَا خِلْتُ أَنَّ الصُّبْحَ يُشْرِقُ بَعْدَهُ
فَيَا طَوْدَ عِزٍّ زَلْزَلِ الْأَرْضَ هَذِهِ
هَنِيئًا لِلْجَدِّ ضَمِّ شِلْوِكَ أَنْ غَدَا
وَلَمْ أَرْ دُرًّا قَطُّ أَصْدَافَهُ التَّرَى
عَزَاءً بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِنْ خَلَا

[٦٠٥]

وَيَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَمَا هِيَ دَارُهُ
إِذَا صَحَّ فِيهَا فِكْرُهُ وَاعْتَبَارُهُ
فَأَفْصَحُ شَيْءٍ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
سَيَغْنِيكَ عَنْ جَهْرِ الْمَقَالِ سِرَّارُهُ
أُبَيِّحَتْ مَغَانِيهِ وَأَقْوَتْ دِيَارُهُ
تَنَافُسُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَاشْتِجَارُهُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا لَا يُبَاحُ ذِمَّارُهُ
وَأَمْسَى قَصِيًّا وَهُوَ دَانَ مَزَارُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فَعْلُهُ وَأَدَّ كَارُهُ
لَمَّا تَمَّ حَزْنٌ قَدْ أَرَنَّ صُورَهُ
كَتَرَجِيعِ شَوْلٍ حِينَ حَنَّتْ عِشَارُهُ
عَدُوٌّ وَيُرْجَى فِي الْمُحُولِ أَنَّهُ مَارُهُ
وَرَوْضًا مِنَ الْأَدَابِ تُجْنَى ثِمَارُهُ
أَنَارَ أَمْسَى تَذَكَّرِي عَلَى الْقَلْبِ نَارُهُ
وَلَا تَوَمَّ إِلَّا قَدْ تَجَافَى غِرَارُهُ
وَنَظَمَ مِنَ الْعَلَمِيَاءِ حَانَ انْتِشَارُهُ
وَجَدَّ بِجَدِّ الْمَكْرُمَاتِ عِثَارُهُ
لَعِينُ وَأَنْ الرُّوضِ يَبْقَى اخْضِرَارُهُ
وَبَدَرَ عَلَا رَاعِ الْأَنَامِ انْكَدَارُهُ
عَمِيدُ النَّدَى وَالْجَدِّ فِيهِ قَرَارُهُ
وَلَا بَدَرَ تَمِّ فِي التَّرَابِ مَقَارُهُ
مِنْ الْمَجْدِ مَغْنَاهُ وَهَذَا مَنَارُهُ

ففيكم لهذا الصّدغ آسٍ وجابرٌ وإن كان صعباً أسوهُ وانجباره
لكم شرفٌ أرضى قواعداً بيته أبو بكرٍ الساري إليكم نجاره
أجلٌ وزيرٍ عطر الأرض ذكره وأخجل زهر الثّيرات فخاره
فلو كان للعلياء جيدٌ ومقصمٌ لأصبح منكم عِقدُهُ وسواره

ومما يُستغربُ له ويستبدع ، ويشاد بذكره ويسمع ، ويُعدُّ مما ابتكر
معناه واخترع ؛ قوله في وصف طول الليل عليه ، كابد منه ما عظم لديه .
تُرى ليلنا شابت نواصيه كبرَةً كما شبت أم في الجو روضُ بهارٍ
كأنّ الليالي السبع في الأفق جمعت ولا فضل فيما بينها لنهارٍ

وحضر عند الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون ، رحمه الله ، مجلساً
رفعت فيه المنى لواءها ، وخلعت عليه الشمس أضواءها ، وزفت إليه المسرات
أبكارها ، وفارقت إليه الطير أوكارها ؛ فقال يصفه :

ومجلسٍ جمّ الملاهي أزهرًا
ألدّ في الأجفان من طعم الكرى
لم ترّ عيني مثله ولا ترى
أنفس في نفس وأبهي منظرًا
إذا تردّى وشيّه المصورًا
من حوك صنعاء وحوك عبقرًا
ونسج قرقوب^(١) ونسج نسترًا^(٢)

(١) قرقوب (بالضم) ثم السكون وقاف أخرى ، وبعد الواو الساكنة باء موحدة) : بلدة

متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز ، وكانت من أعمال كسكر (عن معجم البلدان).

(٢) نستر (بالضم) ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء : مدينة بخوزستان .

[٦٠٦]

خَلَّتْ الرِّبْعَ الطَّلَقَ فِيهِ نَوْرًا
كَأَنَّمَا الْإِبْرِيْقُ حِينَ قَرَقَرَا
قَدْ أَمَّ لَتَمَ الْكَاسِ حِينَ فَعَرَا
وَحَشِيَّةٌ ظَلَّتْ تَنَاعِي جُوْذَرَا
رُضِعَ الدَّرُّ وَيَزْنُو حَذَرَا
كَأَنَّمَا مَجَّ عَقِيْقًا أَحْمَرَا
أَوْفَتْ مِنْ رَبَّاهِ مِسْكَ أَذْفَرَا
أَوْعَابُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا ذُكِرَا
فَنَمَّ مِسْكَ ذِكْرُهُ وَعَنْ بَرَا
الظَّافِرُ الْمَلِكُ الَّذِي مَنْ ظَفِرَا
بِقَرْبِهِ نَالَ الْعِلَاءُ الْأَكْبَرَا
لَوْ أَنَّ كَسْرِي رَأَاهُ ^(١) أَوْ قَيْصَرَا
هَلَّلَ إِكْبَارًا لَهُ وَكَبَّرَا
تُبْدِي سَمَاءَ الْمَلِكِ مِنْهُ قَرَا
إِذَا حِجَابُ الْمَجْدِ عَنْهُ سَفَرَا
يَأْيِهَا الْمُنْضَى الْمَطَايَا بِالشَّرَى
تَبْغِي غَمَامَ الْمَكْرُمَاتِ الْمُطَرَا

وقال رحمه الله :

يَعْلُو لِسَانِي فِيمَكُمُ وَمَا أَفَكَ

(١) كذا في ط ، ص . وراءه : رآه . وفي م : « زاره » .

فَاهْزُرْ بِهِ عَضْبًا إِذَا هُزَّ فَتَكَ^(١)
قَائِمُهُ قَلْبِي وَالْغَمْدُ الْحَنَكُ

وقال يتغزل أيام جرى في ميدان الصِّبَا مُتَهَاوِنًا ، وأبدى له الجَوَى نَفْسًا خَافِتًا ؛
وهو من أبدع أنواع الاستعطاف ، وأحسن من النُّور عند القِطَاف ؛ خَضَعَ فيه
لحبوبه وذَلَّ ، وهان له وابْتَدَلَ ؛ ورَضِيَ بما سامه من العذاب ، وبذل نفسه في
رَشْفَةٍ من ثناياه العذاب ؛ وتشكَّى من جَوْرِهِ وحيفه ، وبكى حَتَّى مِنْ اجْتِنَابِ
طَيفِهِ ؛ واستدعى رِضاه ، وخلع ثوب التَّنَاسُك ونِضاه ؛ ونحا في استلطافه أَرْقً
مَنْحَى ، وتَصَامَّ عن قول من عَذَلَ والْحَى ؛ وهذا غرض من كَوَاهِ الغرام ، وسبيل
من رام من الوصال ما رَام ؛ فما مع الهوى عِزٌّ ولا صبر ، وما هو إِلَّا ذُلٌّ أو قهر .
[والقطعة] :

أَبَا عَامِرٍ أَنْتَ الْحَبِيبُ إِلَى قَلْبِي وَإِنْ كُنْتُ دُهْرًا مِنْ عِتَابِكَ فِي حَرْبٍ
أَتَعْرِضُ حَتَّى بِالْخِيَالِ لَدَى الْكَرَى وَتَبْعُلُ حَتَّى بِالسَّلَامِ مَعَ الرِّكَبِ
كَأَنِّي أَخُو ذَنْبٍ يَجَازِي بِذَنْبِهِ وَمَا كَانَ لِي غَيْرَ الْمَوَدَّةِ مِنْ ذَنْبٍ
فِيَا سَاخِطًا هَلْ مِنْ رَجُوعٍ إِلَى الرِّضَا وَيَا نَارِحًا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الْقُرْبِ
وَيَا جَمَّةَ الْفَرْدَوْسِ هَلْ يَقْطَعُ^(٢) الْعِدَا بِحَرْيَالِكِ الْخُتُومِ أَوْ مَائِكَ الْعَذْبِ
وَيَا بَابُنَا بَابَ الْعِزِّاءِ بَيِّنُهُ فَأَصْبَحْتُ مُسْلُوبَ الْعِزِّيمَةِ وَالْقَلْبِ
أَذِقْنِي بِالْمُتَبَيِّجِي النَّحْلِ مُنْعِمًا فَإِنَّكَ قَدْ جَرَعْتَنِي الصَّابَ بِالْعُتْبِ
وَكُنْتُ أَرَى الْمَجْرَانَ أَعْظَمَ حَادِثٍ فَقَدْ صَارَ عِنْدَ الْبَيْنِ مِنْ أَصْغَرِ الْخُطْبِ

[٦٠٧]

(١) كَذَا فِي ط . وَفِي ص : « إِذَا هَزَّ بِكَ » . وَفِي م : « إِذَا أَهْوَى فَتَكَ » .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُول .

أَتَرَكُنِي رَهْنًا بِأَيْدِي حَوَادِثٍ غَدَوْتُ لَهَا نَهْبًا وَمَا كُنْتُ بِالنَّهْبِ
 مَا جَعَلَ عَيْدًا يَوْمَ عَوْدِكَ يَغْتَدِي مُحَيَّاكَ فِيهِ قِبْلَةَ الْهَائِمِ الْعَبِّ
 أَقِيمُ لَوَاءَ الْوَصْلِ فِي حُلَّةِ الصَّبَا بِهِ وَأُضْحَى بِالصَّبَابَةِ وَالْكَرْبِ
 لَكَ الْقَلْبُ مَا فِيهِ لَغَيْرِكَ مَنَزَلٍ مَنَحْتُكَ فَانْزِلْهُ بِالسَّهْلِ وَالرُّخْبِ

وقال شاكيًا مثل هذه الشكوى ، مخبرًا بما يلقاه من البلوى :

خَلِيلِي هَلْ تَقْضَى أُبَانَةُ هَائِمٍ أَمْ الْوَجْدُ وَالتَّبَرُّحُ ضَرْبَةُ لَازِمٍ
 فَإِنِّي بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ مُعْرَمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِإِسْحٍ مِثْلُ كَاتِمٍ
 وَلِي عِبْرَاتٌ يَسْتَهْلُ غَمَامُهَا بِخَدِّي إِذَا لَاحَتْ بَرَقُ الْمُبَاسِمِ
 كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَذُوبُ صَبَابَةً وَأَشْكُو الَّذِي أَلْقَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمٍ
 وَأَرْتَعُ مِنْ خَدْيِهِ فِي جَنَّةِ الْمُنَى وَيَصَلِّي فَوَادِي مِنْ هَوَاهُ بِجَاحِمٍ
 تَقْضَى الصَّبَا وَاللَّهُوُ إِلَّا خُشَاةً تَجِدُّدِي عَهْدَ الصَّبَا لِلْمُقَادِمِ
 كَأَنِّي لَمْ أَقْطَعْ بِصُبْحٍ وَقَهْوَةٍ زَمَانِي وَلَمْ أَنْعَمْ بِأَحْوَرٍ نَاعِمٍ
 وَلَا بَتُّ فِي لَيْلِ الْغَوَايَةِ لَا نَمًا لَهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الدُّجَى وَهُوَ لَا نَمِي
 إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ وَهَنًا حَسِبْتُهُ يُدِيرُ هَالَا طَالَعًا فِي غَمَائِمِ
 أَبَا حَسَنِ إِنِّي بِوُدِّكَ مُعْصِمٌ ^(١) فَهَلْ أَنْتَ يَوْمًا مِنْ جَفَائِكَ عَاصِمِي
 جَعَلْتَنِي فِي نَفْسِي وَقَلْبِي مُحَكَّمًا لَتَرْضَى فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَجُورَ حَاكِمِ
 أَنْظِمْنِي وَدِّي وَمَا زَالَ فِيكُمْ قَرِيبُ عَلَيَّ يُرْجَى لَرْدِ الْمَظَالِمِ
 وَقَدْ كَانَ فَصَّ الْفَخْرِ فِي خِنْصَرِ الْعَلَا أَبُوكَ ، وَوَسْطَى فَوْقَ جِيدِ الْمَكَارِمِ

(١) معصم : ممسك .

وكم ضمَّ ظهرُ الأرضِ منكم وبطنُها بدور دُجى من كل أشوس^(١) حازم
وأبلج فضفاض القميص خلّاحل طویل نجاد السيف ماضى العزائم
وما أذهلتنى عن وداك غيبة قدحت بها نار الأسى فى حيازى
وكم لى فيها نحوكم من تحية أحملها مَرْضَى الرياح النواسم
إذا مرّ ذكر منك يوما على فى توهّمته مسكا سرى فى خياشمي
دعانى إليك الشوق فاهتاج طائرى ضحى بخواف للهوى وقوادم
ولو أننى فى ملحدى ودعوتى لبستك من تحت الصّعيد رمائمى
سأضفيك محض الوُدّ ما هبت الصّبا وما سجت فى الأيك ورُق الحمام

[٦٠٨]

^(٢) وقال أيضا جاريا على عادته من التشبيب ، وسالكا جادّته من الخضوع
للحبيب ، إلا أنه اعتذر من الهوى فى المشيب ، وأنكر أخلاق الشبان على الشيب :

خليلى ما للريح أنضى نسيئها يذكّرني ما قد مضى ونسيئ
أبعد نذير الشيب إذ حلّ عارضى صبوت بأحداق الها وسبيئ
ولى سكن أغرى بى الحزن حسنه جرى على قتل الحبّ مقبيئ^(٣)
تلاحظنى العينان منه برحمة فأحيا ويقسو قلبه فأموت
فيا قمر أغرى بى النقص واكتسى كالا ووافى سعدته وشقيئ
وليت فرقى إذ وليت لهاثم سباه لعمى كالشهد منك وليئ^(٤)
وجودى يبرد الوصل ياجنة المنى فإنى بحرّ الوجد منك صليئ

(١) أشوس : متكبر ، وهو من الشوس : النظر بمؤخر العين تكبرا .

(٢) من هنا إلى قوله : «للحبيب» ساقط فى م .

(٣) المقيت : الحافظ للشيء . يريد أنه قادر على قتل من يحبه وإحيائه .

(٤) الليت : صفح العنق .

وكتب إليه الكاتب أبو الحسن راشد بن عريب يستدعيه إلى معاطاة
قهوة ، وساعات سلوة :

لابن عريب
يستدعيه إلى
معاطاة قهوة

طربت إلى شمسية قد تروقت
فأربت على الصهباء لونا ورائحة
فلو أن فيها نقطة هندسية
لبات بها في ظلمة الليل بأحبه
فكن مسعدى يامن سجاياه لم تزل
وأخلاقه تغني عن المسك فأحبه
فأجابه رحمه الله :

رده على
ابن عريب

طربت فأطربت الخليل إلى الذي
طربت له فالنفس نحوك جانحة
وكم أسكرتنا منك من غير قهوة
شماثل تغنينا عن المسك فأحبه
فالله أيام بقربك أسعدت
غواد علينا بالسرور ورائحه
فساعاتي الطولى لديك قصيرة
وصفقه كفي في التجارة راجحه

وقال يصف كتابا ورد عليه من محبوب كان هجره ، ووعد فيه باللقاء وبشّره :

وله في وصف
كتاب جاءه من
محبوب

نفسى فداء كتاب حاز كل منى
جاء الرسول به من عند محبوب
مبشرا أن ذاك السخط عاد رضا
وبدأت منه من بعد بتقريب
حسبته ناظرا نحوى بناظره
ومهديا لى ما فى فيه من طيب
ظلمات أطويه من وجد وأنشوره
وكاد يبلية تقبيلي وتقبلي
كم قبله لى فى عنوانه عذبت
وبردت بالتلطى حرّ تعذيب
كأنه حين جلى الحزن عن خلدى
« قيص يوسف فى أجفان يعقوب »
لو كان ما فيه من مؤعوده كذباً
شقى فكيف بوعد غير مكذوب

[٦٠٩]

وكتب إليه بعض إخوانه متمثلا بقول القائل :

كتب إليه بعض
إخوانه متمثلا

ودادكم كالورد ليس بدائم
ولا خير فيمن لا يدوم له عهد

وودى لكم كالآس حسنا وبهجة له خضرة تبقى إذا ذهب الورد

رده عليه

فراجع به هذا الشعر :

لعمري لقد شرفت ودى بشلمه وصيرت لي فضلا عليك^(١) ومفخرًا
صدقت : وداؤ الورد رطبًا وباسًا وماء إذا عطر الأزهار أذبرًا
وودك مثل الآس ليس بنافع ولا نافع إلا إذا كان أخضرًا
ألم تر أن الورد يكرم إن ذوى وي طرح في الميضة آس تغيرًا
أفضلت عبد السوء جهلا على الذى غدا فى الأزهارير الأمير المؤمرا

وكتب إلى الكاتب أبى عبد الله بن أبى الحِصَال ، يراجعه عن شعر وله فى الرد على ابن أبى الحِصَال خاطبه به :

بماذا أكا في ندبا كسانى حلى من علاه بها قد حبانى
وقلّد جيدي من درّه مالم تقلّد نحرور الغوانى
محاسن أصبح لي لفظها معارًا وأخت لديه المعانى
فقل للذى حاز خصل المدى فليس يُباريه فى السبق ثانى
أهلى شمالك الزاهرا ت أهديتها أم ثغور الحسان
أم الأنجم الزهر أطلعتها على أفق بسماء البيّان
أم الوشى ما نمنمت راحتا لك أم الأعين الحور جاءت روانى
أم الروض بات نديم الغمام يسقيه من غير بنت الدنان
يضاحكه عن ثغور البروق ويشدوه من وعده بالأغانى
لئن زف وذك نحوى لقد غدا من فؤادى بأعلى مكان

[٦١٠]

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : « عليه » .

ومهما أساءت بطول البعادِ خطوبٌ فقد أحسنت بالتداني
كأنَّ الزمانَ أتى تائبًا إلىَّ وأنت اعتذار الزمان

ومما يستجاد له ومن شعره الذي يُرَى بزهر الرِّياض ، وغُنْج الأَعْيُن المِراض ، قوله :
أَيَا مُمْرَضًا جَسْمِي بِأَجْفَانِهِ الْمَرْضَى سَلَبَتْ الْكَرَى عَنِّي فَهَبْ مِنْهُ لِي الْبَعْضَا
لِيَهْنِكَ غُمْضُ الْعَيْنِ عَمَّنْ تَرَكْتَهُ سَمِيرَ نَجُومِ اللَّيْلِ مَا يَطْعَمُ الْغُمْضَا
أَتَسْخَطُ مِنْ ذُلِّي لِعَزِّكَ فِي الْهَوَى وَأَرْضِي بِخُدِّي أَنْ يَكُونَ لَكُمْ أَرْضَا
قَضَى اللَّهُ أَنْ أَشْقَى وَغَيْرِي بِوَصْلِكُمْ سَعِيدٌ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ رَدًّا لِمَا يُقْضَى

ومما أغرب به وأبدع ، قطعة تنفك منها ست قطع ، وهي :
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِحُجُودِ حُلُوِّ اللَّيْلِ مُسْتَحْسَنٍ بِصُدُودِهِ أَضْنَانِي
فِي فِيهِ سَمَطًا جَوْهَرٍ يُرَوِّي الظَّلْمَا لَوْ عَلَانِي بِبُرُودِهِ أَحْيَانِي

ثم زاد في غرابة هذا المنزع ، بأن صنع قطعة تنفك منها تسع قطع ، وهي :
طَيْفٌ سَرَى مِنْ خَاطِرِ الْقَلْبِ الذَّوِي فَوْفِي لَنَا بَعْدَاتِهِ وَقَضَى الْوَطَرُ
بَذَّ الْكَرَى عَنْ نَاطِرِ الصَّبِّ الْجَوِي وَشَفَى الضَّنَى بِهَبَاتِهِ وَمَضَى حَذِرُ

وقال يصف تيننا أسود مكتبا :
أَهْلًا بِتَيْنٍ كَالْهُودِ حَوَالِكِ ضَمْنَنَ مِسْكَ شَيْبٍ بِالْكَافُورِ
وَكأنَّ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيوبُهَا شَهْدُ يُشَابُ بِسَمْسَمٍ مَقْشُورِ

(١) في ط : « منى » .

وَكَاثِمًا لَمِستَ لُجَيْنًا مُحَرَّقًا فِيهِ بَقَايا مِنْ بَياضِ سُطُورِ

وقال يصف حماما :

أَرَى الْحَمَامَ مَوْعِظَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ فِتْنَى أَرِيبٍ ذِي ذِكاءٍ
يُذَكِّرُنَا عَذَابَ ذَوِي الْمَعَاصِي وَأُحْيِيَانَا نَعِيمَ الْأَتْقِيَاءِ
شَقًّا هَجَرَ يَشُوبُ نَعِيمٌ وَصَلٌ وَحَرًّا النَّارِ فِي بَرْدِ الْهَوَاءِ
إِذَا مَا أَرْضُهُ التَّهَبَتْ بِنَارٍ تَبَادَرُ سَمَكُهُ هَطْلًا بِمَاءِ
كَصَدْرِ الصَّبِّ جَاشَ بِمَا يَلَاقِي فَلَجَّ الطَّرْفُ مِنْهُ بِالْبُكَاءِ [٦١١]
كَأَنَّ لَهُ حَبِيبًا بَانَ عَنْهُ فَبَانَ وَخَانَهُ حُسْنُ الْعَزَاءِ

ومن شعره المطرب ، وتغزله المعجب ، قوله :

أَيَا قَرًّا فِي وَجْنَتَيْهِ نَعِيمٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ جَجِيمٌ
إِلَى كَمِ أَقَامِي مِنْكَ رَوْعًا وَقَسْوَةً وَصَرْمًا وَسُقْمًا إِنَّ ذَا الْعَظِيمِ
وَإِنِّي لِأَنْهَى النَّفْسَ عَنْكَ تَجَلُّدًا وَأَزْعُمُ أَنِّي بِالسُّلُوفِ زَعِيمِ
فَإِنْ خَطَرْتُ بِالْقَلْبِ ذِكْرَكَ خَطَرَةً ظَلَلْتُ بِلَا لُبٍّ إِلَيْكَ أَهْمِ

ومن مديحه الذي أبدع فيه وأغرب ، وذهب فيه أحسن مذهب ، قوله وله في مدح القادر

يمدح القادر ، رحمة الله عليه :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنِيكَ أَنِّي هَائِمٌ تَصَدَّعُ قَلْبِي حَوْلَ وَصْلِكَ حَائِمٌ
فَوَادِكَ قَائِسٌ لَيْسَ لِي فِيهِ رَحْمَةٌ وَيَوْهَمُ مِنْكَ اللَّاحِظُ أَنَّكَ رَاحِمٌ
ظَلَمْتَ وَلَمْ تَرْهَبْ مَغْيبَةَ مَا جَنَّتْ جَفَوْنَ لَهَا فِي الْعَاشِقِينَ مَلَاحِمٌ

أظنُّ عقابَ الله نالك في الهوى نخصرك مظلومٌ وردفك ظالمٌ
ولحظك مُضني ما يُفريق من الضنى كما ضنيتُ فيك الجسومُ النوام
وخدك بالألحاظ يجرح دائبا فكلُّ له بالأعظ مُدمٍ وكالم
يقولون عُصنُ البان ما حاز خضره ودعصُ النقا ما حاز منه المعاكِم
وفي طوقه بدر الدُّجَنَةِ طالعٌ تجلَّه قطعٌ من الليل فاحم
وقالوا اللهم الحمرُ فص عقيقه بمبسمه المعسول والثغرُ خاتم
لك المثلُ الأعلى وفي الجهل عاذرٌ بتقصيرهم إن لامهم فيك لأم
وما أنت إلا آيةُ الله في الورى وحكمته إن قال بالعلم عالم
لقد بحسوك الحقَّ جهلا وأخطأتُ بما رجت فيك الظنون الرواجم
كما بحسوا يحيى بن ذى الثون حقه فقالوا ابنُ سعدى في النوال وحاتم
وقالوا حكى الضرغام في الرّوع بأسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم
وقالوا هو الدهرُ الذى ليس دونه حَمَى وهو الخدوم والدهر خادم
وأنى لليث الغاب في الرّوع بأسه إذا صال في الهيجاء والنقع قاتم
ومن أين للسيف الحُسام مضاؤه إذا انتضيت للحرب منه العزائم
ومن أين المزن الكنهوَر جوده إذا انهملت من راحتيه المكارم
لنا بارقٌ من بشره ليس خلبا إذا شامه يوما من الناس شائم
عليه من المأمون يحيى مشابهٌ ترى ولإسماعيل فيه مياهم
هُامان^(١) شادا بيت مجدله الثقى أساسٌ وأطرافُ الرماح دعائم
أبا الحسن استنشق ثنائى^(٢) فإنما فؤادى دارين وشعرى لظائم

(١) في م : « إمامان » .

(٢) كذا في م . وفي ط ، ص : « ثناء » .

لبستَ حِلِّيَ للفضلِ حائِكها التَّقَى ومُعَلِّمها الإِفْضالُ والمجدُ راقمُ
وأورثك المأمونُ صارمه الذي به لم تزل تُفَرِّى الطَّلَى والجِجامِ
فصمَّ ولا تُحْجِمُ فإنك صارمُ حسامٌ ومنه في يد الله قائمُ
لك السرحة الغناء في المجد لم تزل تُروِّضها من راحتيك الغائمِ
رياضُ لنا سَجَّعَ بمدحك وسَطها كماأنا على أفنانهن حاتمُ
ودونك بَكْرًا من ثنائى زَفَّتْها إليك كما زُفَّ الغواني الكرائمِ
كستك بَطْلَمْيُوسُ بها عِبْقَرِيَّةٌ كما انشَقَّ عن زَهْرِ الرِّياضِ كِثامُ
وما أنت ذو فَقْرٍ لما أنا واصف ولا أنا ذو إِفْكِ بما أنا زاعمِ
سجايك تُعَلِّي الفخرَ والدهرُ كاتبُ وعَلِيَّكَ تُعْطِي الدَّرَّ والشَّعْرُ ناظمِ
فدُمُ عاسرا المجدِ تعنو لك العدا وتحسُدنا فيك النجومُ النواجمِ

قال أبو نصر : هذا ما سَمَحَ به خاطر لم تَحْطُرَ عليه سَلْوةٌ ، وذهن نابٍ
لم تُرْهَفَ له نَبْوةٌ ، ووقت أضيقُ من المأزقِ المتداني ، ومَقَّتْ للزمنِ شغائى عن
كل شىءٍ وعدائى ، أُنَجَّرَعُ به الصاب ، وأندَرَّعُ منه ^(١) الأوصاب ، فما أفرغ
لإنشاء قول ، ولا أحوو من الانتشاء من هول ، وإلا فحاسنُ هذا الرجل كانت
أهلاً أن يَمْتَدَّ عِناها ، ويُسَكَّبَ عِناها ، لكن عاق عن ذلك الدهر الذى
شَغَلَ ، وأوغلنا فى شباب الأنكاد حيث وَغَلَ .
انتهى التأليف البارع .

* * *

ولا بد أن نذكر ما لأبى نصر من القلائد فى حق الرجل المذكور ، وأختصر ^{ترجمة ابن السيد}
ما جرى ذكره هنا من النظم . [٦١٣]

(١) فى ص : « به » .

قال في القلائد في حق الشيخ ابن السيد المذكور ما نصه :

الفقيه الأستاذ أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السيد البطلاني ، شيخ المعارف وإمامها ، ومن في يديه زمامها ، لديه تُنشد ضوَالُ الأعراب ، وتُوجد شوارد لغات الإعراب^(١) ، إلى مقطع دِمِث ، ومنزِع في النفاسة غير مُنتكِث ؛ وكان له في دولة ابن رزّين مجال ممتدّ ، ومكان معتدّ ؛ ولما رأى الأحوال واختلاها ، والأقوال واعتلاها ؛ وتلك الشموس قد هَوّت ، ونجوم الأمال قد خَوّت ، أَضْرَبَ عن مشواه^(٢) ، ونسكَبَ عن نجّواه ، وأغترَبَ^(٣) بلوعة ابن رزّين وجواه ؛ ونصب نفسه لإقراء علوم النحو ، وقنع بتغيم جَوْه^(٤) بعد الصحو ، وله تحقّق بالعلوم الحديثة والقديمة ، وتصرف في طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار مشرع ، ولا نكَبَ عن أصل للسنة ولا فرع ، وتواليفه في الشروحات وغيرها صنوف ، وهى اليوم في الآذان شُنُوف ؛ وقد أثبت له ما يريك شُفُوفه^(٥) ، وتجد على^(٦) النفس خفُوفه^(٧) .

فمن [ذلك] قوله في طول الليل :

تُرى ليلُنَا البيتَيْن . وقد سبقا .

ثم قال الفتح : وأخبرني أنه حضر مع المأمون بن ذى النون في مجلس الناعورة ، بالمنية التي تطمح إليها المنى ، ومرآها هو المقترح والمتمنى ، والمأمون قد احتبى ،

(١) في قلائد العقيان المطبوع بمصر : « اللغات والإعراب » .

(٢) في القلائد : « سواء » .

(٣) كذا في القلائد . وفي الأصول : « وأعرب » .

(٤) كذا في م والقلائد . وفي ط ، ص : « وجده » .

(٥) شُفُوفه : يريد فضله .

(٦) في م : « في » .

(٧) كذا في الأصول . وفي القلائد : « خفوفه » . ولم نوفق إلى تصويبه .

وأفاض الحبّا ؛ والمجلسُ يروق كأن الشمس في أفقه ، والبدرُ [كالتاج] ^(١)
 في مفرقه ؛ والنور عبق ، وعلى ماء النهر مصطبّح ومُعْتَبِق ؛ والدُّولاب يئن
 كمنافاة إثر الحُوار ، أو كمشكلى من حرّ الأوار ؛ والجوُّ قد عنبرته أنواؤه ،
 والروضُ قد رشّته أندأؤه ^(٢) ؛ والأسد قد فغرت أفواهها ، ونجت أمواها ؛ فقال :
 يا منظرًا إن نظرتُ بهجته الأبيات . وقد تقدمت .

[٦١٤]

ثم قال الفتح : وله رُقعة يصف بها هذا التصنيف ، يعنى قلائد العقيان :
 تأملت فسح الله سيّدى وولى في أمد بقائه ، كتابه الذى شرع في إنشائه ؛
 فرأيت كتابا سيّنجِد ويغور ، ويبلغ حيث لا تبلغُ البدور ، وتبينُ به الذرى
 والمناسم ، وتعتدى له غُررُ في أوجه ومواسم ؛ فقد أسجد الله الكلامَ لكلامك ،
 وجعل النيرات طوع أقلامك ؛ فأنت تهدي بنجومها ، وتردى برجومها ؛
 فالنثرة من نثرِكَ ، والشعرى من شعرِكَ ؛ والبلاء لك معترفون ، وبين يديك
 متصرفون ؛ وليس يباريك مُبار ، ولا يجاريك إلى الغاية مُجار ؛ إلا وقف
 حسيّرا ، وسبقت ودعى أخيرا ؛ وتقدمت لا عدمت شفوقا ، ولا برح مكانك
 بالآمال محفوقا ؛ بعزة الله .

وله يراجع الأستاذ أبا محمد بن جوشن عن شعر كتب به إليه ، وتضمن غزلا
 في أول القصيدة ، فحذا حذوه :

حلفتُ بشعرٍ قد حمى ريقه العذبا وسلّ عليه من لواظله عضبا
 وفرحة لُقيا أذهبتُ ترحه النوى وعُتبي حبيب هاجر أعقبتُ عتبا

(١) زيادة عن القلائد .

(٢) فى القلائد : « قد وشته أمطاره وأنواؤه » .

لقد هزَّ عِطْفِي بالقريبِضِ ابنُ جَوْشِنِ
كسَانِي ارتِيحَ الرَّاحِ حَتَّى حَسِبْتُنِي
وَأُطْرَبْنِي حَتَّى دَعَانِي الْوَرَى فَنِي
كَأَنَّ الْمَثَانِي وَالْمَثَالَتِ هَيَّجَتِ
فِيَا مُزْمَعِ التَّرَحُّالِ قُلْ لَابْنِ جَوْشِنِ
أَمْهَدِي سَـــــــــــــــــجَايَاهُ إِلَى وَنَاظِلَا
وَمَا خِلْتُ إِهْدَاءَ الشَّمَانِلِ مُمَكَّنَا
فَهَلْ نَالَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ سِحْرِ بَابِلِ
لِيَهْنِكَ فَضْلُ حُزْنٍ مِنْ خَصَلِهِ الْمَدَى
وَهَاكَ سَلَامًا صَادِرًا عَنْ مَوَدَّةِ
سُرُورًا كَمَا هَزَتِ صَبَا غُصْنَا رَطْبَا
حَلِيفَ بَعَادِ نَالٍ مِنْ حَبِّهِ قُرْبَا
وَقَالُوا كَبِيرٌ بَعْدَ كِبَرَتِهِ شَبَابَا
سُرُورِي وَلَمْ أَسْمَعْ غِنَاءَ وَلَا ضَرْبَا
مَقَالَ مُحِبٍّ لَمْ يَشِبْ جِدُّهُ لِعِبَا
لِيَ الشَّهْبِ عِقْدًا رَاقِي نَظْمُهُ عُجْبَا
لَهُدًى وَأَنَّ الدَّهْرَ يَنْتَظِمُ الشَّهْبَا
نَصِيبًا فَأَرْبَى أَوْ حَوَى الدَّهْرُ وَالْإِرْبَا^(١)
وَنَظْمُ بَدِيعٍ قَدْ غَدَوْتُ لَهُ رَبًّا
عَمَرْتُ بِهِ^(٢) مَنِي الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبَا

وله في الزهد

وله رحمه الله في الزهد من لزوم ما لا يلزم :

أَمَرْتُ إِلَهِي بِالْمُسْكَارِمِ كُلِّهَا
فَقُلْتُ أَصْفَحُوا عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ
فَهَلْ لَجُوهْلٍ خَافَ صَعْبَ ذَنْوِهِ
لَدَيْكَ أَمَانٌ مِنْكَ أَوْ جَانِبٌ سَهْلٌ
وَلَمْ تَرْضَهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا أَهْلٌ
وَعُودُوا بِحِلْمٍ مِنْكُمْ إِنْ بَدَا جَهْلٌ

[٦١٥]

وله يحيب
ناعرا مدحه

وله رحمه الله يحيب شاعرا قُرْطُبِيًّا مدحه :

قُلْ لِلَّذِي غَاصَ فِي بَحْرِ مِنَ الْفِكْرِ
لِلَّهِ عَذْرَاءُ زُفَّتْ مِنْكَ رَائِحَةُ
بَذْنُهُ فَحَوَى مَا شَاءَ مِنْ دُرَرِ
تَحْتَالُ مِنْ حَبْرِهَا الْمَرْقُومِ فِي حَبَرِ

(١) الدمى : النكر وجودة الرأي والأدب . والإرب : بقمناه .

(٢) في س : « بها » .

صَدَاقُهَا الصَّدَقُ مِنْ وَدَى وَمَنْزِلُهَا بصيرتى وسواد القلب لا بصيرى^(١)
 كَأَنَّمَا خَامَرْتَنِي مِنْ بَشَاشَتِهَا راح وسكر بلا راح ولا سكر
 هَزَّتْ بِدَائِعِهَا عِطْفِيَّ مِنْ طَرَبٍ أحسنها هزّة المشغوف^(٢) للذكر
 مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ النَّيِّرَاتِ غَدَّتْ يصيدها شرك الأوهام والفكر
 وَلَا تَوَهَّمتْ أَيَّامَ الرَّبِيعِ تُرَى فى ناجر غصّة الأنوار والزهر
 أَمَّا الْجَزَاءُ فَشَىءٌ لَسْتُ مُدْرِكُهُ ولو بددت إلى التوجيه بالبدر
 لَكِنْ جَزَائِي صَفَاءُ الْوَدِّ أَضْمِرُهُ إذا القلوب انطوت منه على كدر
 جَارَاكَ ذَهْنِي فِي مِضْمَارِهَا فَكَبَا ذهني وفرت بحصل السبق والظفر
 وَهَلْ بَطْلَيْوُسُ فِي نَظْمٍ مَنَاطِرُهُ^(٣) يوما لقرطبة في حكم ذى نظر

وله أيضا رحمه الله يصف زربطانة^(٤) [ملغزا]^(٥) :

وَذَاتِ عَمَى لَهَا طَرَفٌ بَصِير إذا رمدت فأبصر ما تكون
 لَهَا مِنْ غَيْرِهَا نَفْسٌ مُعَار وناظرها لدى الإبرار طيف
 وَتَبَطَّشَ بِالْيَمِينِ إِذَا أَرَدْنَا وليس لها إذا بطشت يمين

وكتب إلى الأستاذ أبي الحسن بن الأخضر رحمه الله :

يا سيدى الأعلى ، وعمادى الأسنى ، وحسنة الزمان الحسنى ، الذى جلّ
 قدره ، وسار مسير الشمس ذكره ؛ ومن أطال الله بقاءه ، لفضل يعلى مناره ،

(١) فى القلائد : « وسواد القلب والبصر » .

(٢) يريد بالمشغوف : الذى هزله الحب وأضناه التذكر .

(٣) فى م : « فى نظم مشاكلة » .

(٤) هى الزبطانة والسبطانة (محرّكة) ، وهى قناة جوفاء يرمى فيها الطير بالبندق
 وبالْحَسْبَانِ نَفْخًا ؛ قال فى تاج العروس : وهى المشهور الآن بزربطانة .

(٥) زيادة عن القلائد .

وعِلْمٌ يحْيِي آثاره ؛ نحن — أَعَزَّكَ اللهُ — نتداني إخلاصا ، وإن كنا نتداني
أشخاصا ؛ ويجمعنا الأدب ، وإن فرّقنا النَّسَب ؛ فالأشكال أقارب ، والآداب
مناسب ؛ وليس يضرّ تنائي الأشباح ، إذا تقاربت الأرواح ؛ وما مثْلُنَا في هذا [٦١٦]
الانتظام ، إلا كما قال أبو تمام ، رحمه الله :

نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعِلْمِي وَمَذْهَبِي وَإِنْ بَاعَدْتَنِي فِي الْأَصُولِ الْمُنَاسِبُ
ولو لم يكن لما ترك ذاكر^(١) ، ولا لمفاخرنا ناشر ، إلا ذو الوزارتين أبو فلان ،
أبقاه الله ، لقام لك مقام سحبان وائل ، وأغناك عن قول كل قائل ؛ فإنه يمدّ
في مضمار ذكرك باعا رحيما ، ويقوم بفخرك في كل ناد خطيبا ؛ حتى تُثَنِّيَ
إليه^(٢) الأحداق ، وتُلَوِّيَ نحوه الأعناق ؛ فكيف وما يقول إلا بالذي
علمت سعد ، وما تقرر في النفوس من قبل ومن بعد ؛ فذكرك قد أنجد وغار ،
ولم يسر فلّك حيث سار ؛ وإن ليلُ جهلٍ أطلعت فيه فجر تبصيرك ، لجدير بأن
يصير نهارا ، وإن نبع فكر قد حتمه بتذكيرك لجدير أن يعود مرّحًا وعفارا ؛
فهنيئًا لك الفضل الذي أنت فيه راسخ القدم ، شامخ العلم ؛ منشور اللواء ،
مشهور الذكاء ، مُلِيَّتِ الآدابُ عمرك ، ولا عَدِمَتِ الأبوابُ ذكرك ؛ ورقيت
من المراتب أعلاها ، ولقيت من المآرب أقصاها ، بفضل الله .

وكتب مراجعا إلى الوزير أبي محمد بن سُفْيَانِ رحمه الله :
يا سيدي الأعلى ، وعمادي الأشفي ، ومشرّبي الأصفى ، ومن أدام الله
عزّته ، وحَمَى من النوائب حوزته ؛ وافاني لك كتاب سريّ الموضع ، سنيّ

في الرد على
سالة للوزير
ابن سفيان

(١) كذا في قلائد العقيان . وفي الأصول : « شاكر » .

(٢) كذا في الأصول . وفي القلائد : « إليك » .

الموقع ، أطال على إيجازه ، وأطمع بعد إيجازه ؛ وقابلت الرغبة التي ضمّنتها فيه ، بما تقتضيه جلالته مُهْدِيه ؛ ولئن تراخى الكتاب ، عن حسن في ذلك العتاب ؛ فإن المودة لم يقدح فيها من الملل قادح ، ولم يَسْنَحْ لها من الخلل سانح ؛ بل كانت كالبرْد طَوِي على غَرّة ، إلى أوان جلالته ونشره ؛ وقد علم علام الضمائر ، والذي يُظَنّ غائبا وهو حاضر ، أني أعتقدك القدح المُعَلَّى ، وأضرب بك المثل الأعلى ، وأرى أنك تحجّل واضح في دُھمة الزمان ، وعلّق راجح في كِفّة الامتحان ، وبَقية سِنخ كريم ، ما عهدهم عنا بذميم . [٦١٧]

عليهم سلام الله ما ذرّ شارقٌ ورحمته ما شاء أن يترحمًا
[وما أدعى لك جانبًا من السيادة ، إلا ولك عليه أعدلُ الشهاده ؛ ولكن
قديمًا سَفَل ذو الرُّجْحان ، وعاد الكمال على أهله بالنقصان ؛ وكَبِتَ الأعلى
بارتفاع الأسافل ، حتى اقتضى ذلك قولَ القائل :

فوا عجبًا كم يدعى الفضل ناقصٌ ووا أسفًا كم يظهرُ النقصَ فاضلٌ ^(١)
وقال المذمّر للنسّاجين متى ذُمّرت قبلي الأرجل ^(٢)
وقد جاريتك — أعزك الله — في ميدان من البلاغة أنا فيه كمن كاترَ البحر
والمطر ، وجلب التمر إلى هجر ؛ والذي حداني إليه ، أنه مرّ بي ^(٣) زمن ، ألهى
خاطري عنك فيه وسن ، فقلتُ قد كان من العقوق ، ترك رعاية الحقوق ؛
فلأستَمطرَنَّ مُزَنَ القول ، فقد كنتُ عهدتها تسجُم فتُعْدِق ، ولأستَسقينَّ

(١) التكملة عن قلائد العقيان .

(٢) هذا البيت للكميت . والمذمر : الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر

جنينها أم أنثى . يقول : إن التذمير إنما هو في الأعناق لا في الأرجل .

(٣) في القلائد : « لي » .

جائبة الشيخ العراقي ، فقد كانت تَطْمُ فَتَفْهَقُ^(١) ، أيام كنتُ أسحب ذيلَ الشباب ، وأسلُكَ مَسَلَكِ الكُتَّابِ ، ويُعْجِبُنِي سَهْلُ الكلامِ وحُزُونِهِ ، والتصرف بين أبكاره وعُونِهِ ، أَسْتَتُّ استِنانَ الطَّرْفِ [الجامح ، ولا أثنى عِنانَ الطَّرْفِ] ^(٢) الطامح ، وأُرَوِّى هامتي ، وأقول بما صَبَّتْ على غمامتي ، إلى أن تَعَمَّ مَفْرِقَ بالْقَتِيرِ^(٣) ، وَعَلَّتْنِي أُهْبَةُ الكَبِيرِ ؛ ووَدَّعْتُ زَمَنِي الزَائِلَ ، وعادت سهاى بين رَثِّ وناصل^(٤) ؛ وعُرِّيتُ أَفْرَاسُ الصَّبَا ورواحله^(٥) ، وسُدَّدْتُ عَلَى سَوَى قَصْدِ السَّبِيلِ مَعَادِلُهُ^(٦) ؛ فَلَمَّ نَ هُرَيْقُ [ماء] ^(٧) الشباب ، واستَشَنَّ الأديم^(٨) ؛ وأقشع السَّحَابَ ، وَتَجَلَّتْ الغيوم ، فَلَعَلَّ في الأفق رِبابَهُ ، وفي الحوض صُبابَهُ ؛ وعسى أن يكون في أَخْلَافِ المَقَالَةِ دُرٌّ يُرْضَعُ ، وفي حِقَاقِ البَلَاغَةِ دُرٌّ يُرْصَعُ ؛ وَلَازَفْنَاهَا عِذْرَاءَ ، لَا تَرْضَى إِلَّا الأَكْفَاءَ ؛ فَلَيْسَ يَبِينُ النَّجْدُ إِلَّا في مَآزِقِ الهَيْجَاءِ ، وَلَا يَحْسُنُ الْعِقْدُ إِلَّا في عُنُقِ الحُسْنَاءِ ؛ وَلَا جَعَلَنَّ الشَّعْرُهَا شِعَارًا ، وَفَقَرَ النَثْرُهَا دُثَارًا ؛ فَاهْتَصَرَّهَا إِلَيْكَ وَلَهْمِي^(٩) عَرُوبًا^(٩) ، قَدْ رَضِيتُ

(١) الجائبة : الحوض ؛ والعراقي إذا تمكن من الماء ملاء جائبته لأنه حضري ، فلا

يعرف مواقع الماء ولا محاله . وفي العبارة إشارة إلى قول الأعشى :

نفي الذم عن رهط المخلق جفنة كجائبة الشيخ العراقي تفهق

(انظر كتاب الكامل لأبي العباس المبرد) .

(٢) التكملة عن القلائد .

(٣) القتير : رءوس مسامير حلق الدروع ، شبه بها الشيب إذا نق في سواد

الشعر . (عن اللسان) . (٤) الناصل من السهام : ما لا نصل له .

(٥) يشير إلى بيت زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

(٦) معادل الطريق : مذاهبه ومسالكه . وهو من قول زهير :

وأقصرت عما تعلمين وسددت . على سوى قصد السبيل معادله

(٧) استشن الأديم : يفس وتشنج . وجلد الإنسان : تفضن عند الهرم . وهو من

قول أبي حبة التميمي : * هريق شباي واستشن أديمي *

(٨) ولهى : ذاهبة العقل من الفرح .

(٩) العروب (في الأصل) : الحسنة المتحبة إلى زوجها .

بك مُحِبًّا ومُحِبُّوًا ، فَتُضَمَّخَكَ بِمَسْكَمَا ، وَتُؤَمِّنُكَ مِنْ فِرْكِهَا^(١) ، وَتَذَرُّ ذُرُورَ^(٢)
الشمس عليك ، وَتَهْزِرُ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عَطْفِيكَ ؛ فَإِنْ قَضَتْ مِنْ حَقِّكَ فَرَضًا ،
[٦١٨] وَرَتَقَتْ مِنْ فَتْقِ الْإِخْلَالِ وَلَوْ بَعْضًا ؛ فَذَاكَ مَا تَضَمَّنَهُ الْخَاطِرُ الَّذِي نَمَنَمَ^(٣)
بُرْدَهَا ، وَنَظَّمَ عَقْدَهَا ؛ وَإِنْ أَخْلَفَ الظَّنُّ مَا أَوْهَمَ وَوَعَدَ ، وَقَعَّصَرَ الذَّهْنَ فِيمَا
أَحْكَمَ وَسَدَّدَ ؛ فَلِخَاطِرِ عُدْرِ فِي أَنَّهُ مُنْصَلُّ أُغْفِلْ شَحْذَهُ وَجِلَاؤُهُ ، حَتَّى ذَهَبَ
فِرْنَدُهُ وَمَاؤُهُ ، وَمَنْهَلُ ضَيْعِ^(٤) وَرَدُّهُ ، فَنَضَبَ عِدَّهُ :
وَالشَّوْلُ مَا حُلِبَتْ تَدَقَّقَ رَسْلُهَا وَتَجَفُّ دِرَّتُهَا إِذَا لَمْ تُحْلَبِ

وله يمدح ابن
الفرج

وله من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج :
نَبِيَّةُ اللَّيْلِ بِالْوَجِيفِ وَلَا تُؤَلِّعُ بَدَارُ الْهَوَاثِ بِالْإِنْقَاضِ
وَاقْرِ ضَيْفَ الْهَمُومِ كُلِّ أَمُونٍ عَنَسْتَرِيسٍ وَبَازِلٍ شِرْوَاضِ^(٥)
أَنْقَذْتَنِي مِنَ الرَّدَى وَطَأْتِي الْبَيْدَ وَنَقَضَ الْهَمُومُ بِالْإِنْقَاضِ^(٦)
شَكْلُهَا كَالْقَيْسِيِّ وَهِيَ سِهَامٌ لِلْفَلَا^(٧) وَالرَّغَاءُ كَالْإِنْبَاضِ^(٨)

(١) الفرك (بكسر الفاء وفتح) : بغضة المرأة لزوجها .

(٢) ذرور الشمس : طلوعها .

(٣) كذا في القلائد . وفي الأصول : « سهم » بمعنى جعل فيه نقوشا كالسهم .

(٤) ضيع (بالبناء للمجهول) : صار مهملًا .

(٥) الأمون : الناقة القوية على السفر التي يؤمن عثاها . والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والبازل من الإبل : الذي طلع نابه ، وذلك في التاسعة من عمره .
والشرواض : الضيخ .

(٦) الإنقاض : حث الدابة على السير ، يقال أنقض بالدابة : إذا ألحق لسانه بالحنك ثم صوت في حافتيه . (٧) في القلائد : « للبلأ » .

(٨) الإنباض : رنين القوس عند جذب وترها .

خَلَّتْهَا حِينَ خَاضَتْ اللَّيْلَ سَبْحًا غُمِسَتْ مِنْ دُجَاهٍ فِي خَضْخَاضٍ^(١)
 صَدَعَتْ عَرْمَضَ الدِّيَاجِرِ حَتَّى كَرَعَتْ فِي مَاءِ الصَّبَاحِ الْمُفَاضِ^(٢)
 حِينَ رَاعَ الظَّلَامَ وَخَطَّ مَشِيبَ قَدْ سَرَى فِي سَوَادِهِ بِيَاضِ

وله في الزهد

وقال في الزهد :

تَجَوَّهْ هُرْكَ الْأَدْنَى عُنَيْتَ بِحِفْظِهِ وَضَيَّعْتَ مِنْ جَهْلٍ تَجَوَّهْرَكَ الْأَقْصَى
 لَقَدْ بَعْتَ مَا يَبْقَى بِمَا هُوَ هَالِكٌ وَآثَرْتَ لَوْ تَدْرَى عَلَى فَضْلِكَ النِّقْصَا

وقال في ذلك أيضا :

« وما دارنا إلا موات ... » البيتين^(٣) .

وقد تمثلت بهما في خطبة هذا الكتاب ، فراجعهما .

وله يعزى ابن
لبون في أخيه

وله أيضا يعزى ذا الوزارتين أبا عيسى بن لبون في أخيه :

لِلْعَرَى فِي أَيَّامِهِ عِبْرٌ وَالصَّمْفُ يُحَدِّثُ بَعْدَهُ كَدْرُ
 خَرَسُ الزَّمَانِ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ نَطَقُ وَخُبْرُ صُرُوفِهِ خَبْرُ
 نَادَى فَأَسْمَعَ لَوْ وَعَتْ أُذُنٌ وَأَرَى الْعَوَاقِبَ لَوْ رَأَى بَصَرُ
 كَمْ قَالَ هُبُّوا طَالَمَا هَبَّجْتُ مِنْكُمْ عَيُونٌ حَقَّهَا السَّمَرُ
 أَبْأَذِنْ مَنْ هُوَ مُبْصِرٌ صَمَمٌ أَمْ قَلْبُ مَنْ هُوَ سَامِعٌ حَجَرُ
 لَوْلَا عَمَّاكُمْ عَنْ هُدًى نُدْرَى وَمَوَاعِظِي مَا جَاءَتْ النُّدُرُ

(١) الخضخاض : ضرب من النفط أسود رقيق ، تهنأ به الإبل الجرب .

(٢) العرمض : الطحلب يكون على الماء . والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .

(٣) البيتان هما :

وما دارنا إلا موات لو اتنا نفكر والأخرى هي الحيوان
 شربنا بها عزا بهون جهالة وشستان عز للفتى وهوان

هذى مَصَارِعُ مَعْشَرٍ هَلَكُوا وَعَظَمْتُمْ بِالصَّمْتِ فَاعْتَبَرُوا
[ومنها]:

قالت أرى ليلَ الشبابِ بدتُ للشَّيْبِ فيهِه أنْجَمُ زُهرُ
فأَجَبْتُهَا لَا تُكْثِرِي عَجَبًا من شَيْبَةٍ لَمْ يَجْنِهَا كِبَرُ
لَكِنْ طَوَّيْتُ مِنَ الهمومِ لَفَظِي أَضْحَى لَهَا فِي عَارِضِي شَرَرُ
[٦١٩]
ومنها:

حَسُنْتَ شَمَائِلُكُمْ وَأَوْجَهُكُمْ فَتَطَا بَقَا مَرَأَى وَنَحْتَا بَرُ
وَالْحَسَنُ فِي صُورِ النَفُوسِ وَإِنْ رَاقَتْكَ مِنْ أَجْسَامِهَا الصُّورُ
لَا ضَعْفَ ضَعْفَتْ أَيْدِي الْخُطُوبِ لَكُمْ رَكْنَا وَلَا رَاعَتْكُمْ الْغَيْرُ
وقال يخاطب مكة أغرّها الله:

أَمَكَةُ تَفْدِيكَ النَفُوسُ الْكَرَامُ وَلَا بَرَحَتْ تَهْلُ فِيكَ الْغَائِمُ
وَكُفَّتْ أَكُفُّ الشُّوءِ عَنْكَ وَبُلَّغَتْ مُنَاهَا قُلُوبُ كِي تَرَكَ حَوَائِمُ
فَإِنَّكَ بَيْتُ اللَّهِ وَالْحَرَمُ الَّذِي لِعِزَّتِهِ ذَلَّ الْمُلُوكُ الْأَعَاظِمُ
وَقَدْ رُفِعَتْ مِنْكَ الْقَوَاعِدُ بِالتَّقَى وَشَادَتْكَ أَيْدٍ بَرَّةٌ وَمَعَاصِمُ
وَسَاوَيْتِ فِي الْفَضْلِ الْمَقَامَ كَلَاكُمَا تُنَالُ بِهِ الزُّلْفَى وَتُحْمَى الْمَائِمُ
وَمِنْ أَيْنَ تَعْدُولُ الْفَضَائِلُ كُلُّهَا وَفِيكَ مَقَامَانِ : الْهُدَى وَالْمَعَالِمُ
وَمَبْعَثُ مَنْ سَادَ الْوَرَى وَحَوَى الْعُلَا بِمَوْلَاهُ عِبَادُ الْإِلَهِ وَهَاشِمُ
نَبِيُّ حَوَى فَضْلَ النَّبِيِّينَ وَاغْتَدَى لَهُمْ أَوَّلًا فِي فَضْلِهِ وَهُوَ خَاتِمُ
وَفِيكَ يَمِينُ اللَّهِ يَلْتَمِسُهَا الْوَرَى كَمَا يَلْتَمِسُ الْيُمْنَى مِنَ الْمَلَكِ لَا نَمِ
وَفِيكَ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ وَطِئَ الثَّرَى ضَحَى قَدَمٍ بُرْهَانُهَا مَتَقَادِمُ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ص ، ط : « الصفا » .

فدوئك يا رسول الله مني تحية مؤمن وهدي محب
 سأجعل عروتي الوثقى بقيني لصحة ما أتيت به وحي
 عسى وددت أني لك في فؤادي على بعد سوجب منك قربي
 شهدت بأن دينك خير دين بلا شك وصحبك خير صحب
 ولنمسيك العنان .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله :

أبو علي الغساني
 من شيوخ
 عياض

الشيخ أبو علي الجبائي ، وهو حسين بن محمد بن أحمد الغساني (بنين
 معجمة وسين مهلة مشددة) الجبائي (بحجم ومثناة من أسفل مشددة) رئيس
 الحديثين بقرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلها أبوه في الفتنة ، وأصلهم
 من الزهراء .

روى عن أبي العاصي حاكم بن محمد الجذامي ، وأبي عمر بن عبد البر ،
 وأبي شاكر القبري ، وأبي عبد الله محمد بن عتاب ، وأبي القاسم حاتم بن محمد ،
 وأبي عمر بن الحذاء القاضي ، وأبي مروان الطائي ، والقاضي سراج بن عبد الله ،
 وابنه أبي مروان ، وأبي الوليد الباجي ، وأبي العباس الغدري ، وجماعة غيرهم
 يطول^(١) تعدادهم ، سمع منهم ، وكتب الحديث عنهم .

وكان من جهابذة الحديث ، وكبار العلماء المسندين ، وعنى بالحديث
 وكتبه وروايته وضبطه ، وكان حسن الخط ، جيد الضبط ؛ وكان له بصر باللغة
 والإعراب ، ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه
 أحد في وقته ؛ ورحل الناس إليه ، وعولوا في الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد

(١) في الصلة لابن بشكوال : « يكثر » .

الجامع بقرطبة ، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها ، وفقهاؤها وجلّتها .

أخبر عنه غير واحد من الشيوخ^(١) ، ووصفوه بالجلالة ، والحفظ والنباهة ، [٦٢١] والتواضع والصيانة . وذكره الشيخ أبو الحسن بن مغيث فقال : كان [من] أكمل من رأيت علما بالحديث ، ومعرفة بطرقه ، وحفظا لرجاله ، عانى كتب اللغة ، وأكثر من روايته الأشعار ، وجمع من سعة الرواية ما لم يجمعه أحد أدركناه ؛ وصحح من الكتب ما لم يصححه غيره من الحفاظ ، كتبه حجة بالغة ، وجمع كتابا في رجال الصحيحين ، سماه « تقييد المهمل ، وتمييز المشيكل » ، وهو كتاب حسن مفيد ، أخذه الناس عنه .

قال أبو القاسم بن بشكوال : قرأت بخط أبي علي رحمه الله تعالى في كتابه : أنا حاكم بن محمد ، قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن رزيق ، قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البغدادي الورّاق ، قال : سمعت ابن الأصم يقول : سمعت أبي يقول — إذا رأى أصحاب الحديث — :

أهلاً وسهلاً بالذين أحبهم وأودّهم في الله ذى الآلاء
أهلاً بقوم صالحين ذوى تقى غرّ الوجوه وزين كلّ ملاء
يا طالبى علم النبى محمد ما أنتم وسواكم بسواء

وأصاب الشيخ أبا علي زمانة عطلته ، فأعمل الرحلة إلى المريّة للاستشفاء ، بماء حثتها ، حجة بجّانة ؛ فقدم عليها في صدر الحرّم سنة ست وتسعين وأربع مئة ؛ وكان نزوله بها على الشيخ الفقيه أبي الربيع سليمان بن حزم السبائي ، وفي منزله وبقراءته وقراءة القاضي أبي القاسم بن وزد ، كان أكثر ما سمع عليه [من] بالمريّة ، ويوجد السماع عليه بحجة بجّانة ؛ ثم قفل إلى قريته ، وبها توفي رحمه الله ليلة

(١) في الصلة لابن بشكوال : « وأخبرنا عنه غير واحد من شيوخنا » .

الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقال أبو جعفر بن الباقر لعشر خلون منه سنة ثمان وتسعين وأربع مئة ؛ ودُفِن يوم الجمعة بمقبرة الرِّبَضِ عند الشريعة القديمة ؛ ومولده في الحرم سنة سبع وعشرين وأربع مئة ؛ وكان لَزِمَ داره قبل موته لزمانته .

ذكر ذلك كله ابنُ بَشْكُوَال ؛ وفيه عن غيره ، وهذا هو الصحيح الذي لا يُلْتَفَت إلى غيره ، ممن قال إن وفاته سنة ست وتسعين وأربع مئة . والله أعلم .

ومن أسيّاح القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله تعالى :

القاضى الشهير [الشهيد] أبو عليّ الصَّدْفِيّ . وهو حُسَيْن بن محمد بن فَيْرُة ابنِ حَيَّوْن بن سُكَّرَة . وفَيْرُة (بكسر أوله ، وياء مُثَنّاة في أسفل ، وراء مضمومة مشدّدة ، وهاء ساكنة) : قيل معناه الحديد بلغة العجم ، وقد صرّح بذلك صاحب الديباج المذهب . وحَيَّوْن بحاء مهملة ، وياء مُثَنّاة من أسفل مشدّدة . وسُكَّرَة : (بضم السين المهملة ، وفتح الكاف المشدّدة ، وآخره تاء تأنيث) : مؤنث سُكَّر . والصَّدْفِيّ : بفتح أوله وثانيه . وهو من أهل سَرْقُسْطَة ، سكن مُرْسِيَة ، وروى بسرقُسْطَة عن أبى الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وأبى محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل وغيرهما ، وسمع ببِلَنْسِيَة من أبى العباس العُدْرِيّ ، وسمع بالمريّة من أبى عبد الله محمد بن سَعْدُون القَرَوِيّ ، وأبى عبد الله بن المرباط ، وغيرهما .

ورحل إلى المشرق أولَ الحرم من سنة إحدى وثمانين وأربع مئة ، وحجَّ من عامه ، ولَقِيَ بِمَكَّةَ أبا عبد الله الحسين بن عليّ الطَّبْرِيّ : إمامَ الحَرَمَيْنِ ، وأبا بكر الطُّرُطُوشِيّ ، وغيرهما ، ثم صار إلى البَصْرَة ، فلقى بها أبا يَعْلَى المَالَكِيّ ، وأبا العباس الجُرْجَانِيّ ، وأبا القاسم بن شُعْبَة ، وغيرهم ؛ وخرج إلى بغداد ،

أبو علي الصدفى
من شيوخ عياض

رحلته إلى المشرق

فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصبهاني وغيره ؛ ودخل
بغداد يوم الأحد السادس عشر لجمادى الآخرة ، سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة ،
فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة ، وسمع بها من أبي الفضل أحمد بن الحسن [٦٢٣]
ابن خيرون مُسْنِد بغداد ، ومن أبي الحسين [بن] المبارك بن عبد الجبار
الصيرفي ، وأبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي ، وأبي القوارس
طراد بن محمد الزينبي ، وأبي عبد الله الحميدي ؛ وتفق على [الفقيه]
أبي بكر الشاشي وغيره ، وسمع من جماعة سواهم من رجال بغداد ، ومن
القادمين عليها أيام كونه بها . ثم رحل عنها في جمادى الآخرة سنة
سبع وثمانين وأربع مئة ، فسمع بدمشق من أبي الفتح [نصر] بن إبراهيم
المقدسي ، وأبي الفرج سهل بن بشر الأسفرائني وغيرهما ، وسمع بمصر من
القاضي أبي الحسن علي بن الحسين الخلعي ، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الرازي
وأجاز له بها أبو إسحاق الحبال ، مُسْنِد مصر في وقته ومكثرها ؛ وسمع بالإسكندرية
من أبي القاسم مهدي بن يوسف الوراق ، ومن أبي القاسم شعيب بن سعد وغيرهما .
ووصل إلى الأندلس في صفر من سنة تسعين وأربع مئة ؛ وقصد
مُرُسية ، فاستوطنها ، وقعد يحدث الناس بجامعها ؛ ورحل الناس من البلدان
إليه ، وكثر سماعهم عليه . وكان عالما بالحديث وطرقه ، عارفا بعالمه وأسماء رجاله
ونقلته ، بصيرا بالمعدلين منهم والمجرحين ؛ وكان حسن الخط ، جيد الضبط ،
وكتب بيده علما كثيرا وقَيَّده ؛ وكان حافظا لمصنفات الحديث ، قائما عليها ،
ذا كرامتونها وأسانيدها ورواياتها ، وكتب منها صحيح البخاري في سفر ، وصحيح
مسلم في سفر ، وكان قائما على الكتابين ، مع مصنف أبي عيسى الترمذي .
وكان فاضلا دينا ، متواضعا حلما ، وقورا عالما عاملا ؛ واستقضى بِمُرُسية نم [٦٢٤]

عودته إلى
الأندلس

استعفى فأعفى ؛ وأقبل على نشر العلم وبثّه .

قال ابن الأثير : وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه ، لدخوله الشام . قال : وبعد أن استقرت به النوى ، واستمرت إفادته بما قيد وروى ؛ رفعته ملوك أوانه ، وشفعته في مطالب إخوانه ؛ فأوسعته رعيًا ، وحسنت فيه رأيا ؛ ومن أبنائهم من جعل يقصده ، لسماع مُسنده . وعلى وقاره الذي كان به . يُعرف ، ندر له مع بعضهم ما يُستظرف ، وهو أن فتي منهم يسمى يوسف ، لازم مجلسه ، معطرًا رائحته ، ومُنظفًا ملبسه ، ثم غاب لمرض قطعه ، أو شغل منعه ؛ ولما فرغ أو أبل ، عاود ذلك النادى المبارك والحل ؛ وقبل إفضائه إليه دل طيبه عليه ؛ فقال الشيخ ، على نزاهته من المجون ، وسلامته من الفتون : «إني لأجد ربح يوسف لو لآ أن تُفقدون» . وهى من طُرف نوادره ، رحمة الله عليه .

ولما قلّد الشيخ أبو على قضاء مُرسية ، وعُزم عليه في توليه ، ولم يُوسعه عُذرًا في استعفائه مُقدمه لذلك وموَلّيه ؛ خرج منها فارًّا إلى المَرِيَّة ، فأقام بها ، [سنة خمس وبعض سنة ست وخمس مئة . وفي سنة ست قبل قضاءها على كره ، إلى أن استخفى آخر سنة سبع ، في قصة يطول إيرادها . واطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه فيها] ، فلما كانت وقعة كُتندة ، ويقال قُتندة بالثقاف ، من حَيَز دَوْرَقة ، من عمل سرقسطة ، من الثغر الأعلى ، وذلك سنة أربع عشرة وخمس مئة كان الشيخ أبو على ممن حضرها ، هو وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفرج ، خرجا مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين غازيين ، فكانا فيمن قُتد فيها . واختلف فيها أصحابه ، فجعلها أبو جعفر بن الباذش بعد العصر ، من يوم الأربعاء السابع عشر من ربيع الآخر ، من السنة المذكورة ، وتابعه أبو عبد الله بن عبد الرحيم ؛ وجعلها القاضي أبو الفضل عياض بن موسى يوم الخميس ، لست

حديث ابن
الأبار عنه

توليه قضاء
مرسية
واستشهاده
في وقعة قُتندة

بقين منه . وقال أبو القاسم بن بشكوال : استشهد القاضي أبو علي في وقعة
قُتُنْدَة ، بشعر الأندلس ، يوم الخميس ، ووافق عياضا إلا في الشهر ، فإنه قال من [٦٢٥]
ربيع الأول . قال ابن الأبار : وهو الأصح . وقال أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن :
تَوَقَّى في الكائنة على المسلمين بكتُنْدَة ، عَشِيَّ يوم الخميس ، الثامن عشر من
شهر ربيع الأول ، فتابع ابن بشكوال على الشهر . قال أبو عبد الله بن الأبار :
وقرأت بخط أبي عبد الله بن مُدْرِكِ الغَسَّانِي المَالَقِي : استشهد الفقيه أبو علي
رحمه الله تعالى في وقعة كُتُنْدَة ، يوم الخميس ، التاسع عشر من ربيع الأول ،
وذكر السنة . قال : وكانت على المسلمين ، جَبَرَهُمُ الله تعالى ، قُتِلَ فيها من
المطوَّعة نحو من عشرين ألفا ، ولم يُقْتَل فيها من العسكر يعني الجند أحد ،
وحكى غيرهم أن العسكر انصرف مفلولا إلى بَلَنْسِيَّة ، في الموقى عشرين من
ربيع الأول أيضا ، وأن القاضي أبا بكر بن العربي حفرها . قال : وسُئِلَ
مَخْلَصُهُ منها عن حاله ، فقال : حال من ترك الخبا والعبا . قال ابن بشكوال :
وكان القاضي أبو علي يومئذ من أبناء السَّتين ، وقد ذكره ابن بشكوال ، وقال :
وهو ممن كتب إلينا بإجازة ما رواه ، ولم ألقه . وذكره ابن الأبار في معجم أصحابه ،
وقد أَلَفَ ابن الأبار هذا المعجم في أصحاب القاضي أبي علي ، كما أَلَفَ القاضي
أبو الفضل عياض بن موسى معجم شيوخه ، رحمه الله عليهم أجمعين .

* * *

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى :

ابن بقوى من
أشياخ عياض

أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالي ، يُعْرَفُ بابن بَقْوَى ، ويُقال
ابن بَقْوَة ، من أهل غَرْناطة ، وسكن المَرْيَة وسمع من شيوخ المَرْيَة ، مثل ظاهر
ابن هشام الأزدي ، وأبي محمد حَجَّاج بن قاسم بن محمد الرُّعَيْنِي ، المعروف بابن [٦٢٦]

المأموني ، وأبي القاسم خلف بن أحمد الجراوي ، وأبي العباس أحمد بن عمر
الغذري ، وغيرهم ؛ ومن الطائرين عليها ، مثل القاضي أبي الوليد الباجي ، وأبي
عبد الله محمد بن سعدون القروي . وكان خروجه من المريّة بعد سنة
اثنين وتسعين وأربع مئة^(١) ، وسكن غرناطة مدة ، وولي الأحكام بعدة جهات
من كورة البيرة . وكان من حفاظ الحديث المعتننين بالتقير عن معانيه ، واستخراج
الفقه منه ، مع التقدم في حفظ مسائل الرأي ، والبصر بعقد الوثائق ، والتقدم في
معرفة أصول الدين . روى عنه جماعة . وولد في صفر سنة أربع وأربعين وأربع مئة ،
وتوفي بغرناطة في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مئة ؛ ذكره ابن بشكوال .

* * *

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله :

ابن شبرين من
أشياخ عياض

القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي [بن سعيد] بن عبد الله بن
شبرين ، بشين معجمة مكسورة ، وباء موحد ساكنة ، وراء مكسورة ، بعدها
ياء ، آخر الحروف ، وآخره نون ، الجذامي ، من أهل مرجيق : حصن من
حصون شلب ، بينهما أربعون ميلا من الغرب .

أخذ عن القاضي أبي الوليد الباجي كثيرا من مروياته وتآليفه ، وصحبه
واختص به ، وكان من أهل العلم ، والمعرفة والفهم ، عالما بالأصول والفروع ،
واستقضى بأشبيلية ، وحدث سيرته ، ولم يزل يتولى القضاء بها ، إلى أن توفي ليلة
الأربعاء ، ثلاث خلون من رجب الفرد ، سنة ثلاث وخمس مئة .

قال ابن بشكوال : كتب إلى القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن

(١) الذي في الصلة لابن بشكوال بالأرقام بالحروف : « بعد سنة ٤٨٠ » .

عياض بوفاته ، وقال قَيَّدَتْهَا حين وفاته . قلت : وهذا هو الصواب ، لا ما قاله
بعض من شَرَحَ الشُّعْبَا : إنه تُوُفِّيَ يومَ الخميس رابع رجب المذكور ، ولعله ظنَّ [٦٢٧]
أن يوم دفنه هو يوم وفاته ، على أن مثل هذا قريب ، لاسيما إن كانت وفاته
آخرَ الليل ، فلا يكون بين اليوم والليلة إلا مُدَّةٌ قليلة جدًا ، فافهم .

وحكى القاضي أبو الحسن عيسى بن حبيب : أنه رَحَلَ إلى أبي الوليد الباجي
سنة تسع وستين وأربع مئة ، ومعه بسرْقُطَةٌ ، ثم سافر معه إلى المَرْيَةِ ، حتى
مات أبو الوليد ، فكانت صحبته له نحو أربعة أهوام ، ووصل من منفعة به في
العلم في هذه المدة ، ما لم يصل إليه غيره منه في المدة الطويلة ، رحمهما الله تعالى ؛
وأجاز له جميع رواياته أبو العباس العُدْرِيّ ، وأبو القاسم عبد الجليل الرَّبْعِيّ
الْقَيَّرَوَانِيّ ، مع تواليفه ، وأجاز له أبو عبد الله بن المُرَابِط رواية عن الطَّائِفِيّ
وَحَلَفَ الْبَغَوِيّ ، وصحب بعد وفاة القاضي أبي الوليد الباجي ابنه أبا القاسم ، وأجاز
له جميع ما رواه ، وانصرف إلى حضن مُرْجِيّ ، فولى الأحكام به ، ثم نُقِلَ
إلى قضاء شَلَب ، فأقام بها قاضيا أعواما ، ثم نقله الأمير سير بن أبي بكر إلى
قضاء إشبيلية ، بعد صرف أبي القاسم بن منظور عن قضائها ، فضبط الأمور ،
وجمع المُفْتَرِق من شئون القضاء ، وكان صَليبيّا في الحق ، نافذا في أحكامه ،
لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، وشيئته أقوام ، فَبَغَوْا عليه ، بغيا وحسدا ، عند أمير
المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين ، فعُصِرَ عنه القضاء ، ثم لم يلبث إلا نحو
خمسة عشر يوما ، حتى رُدَّ إليه أحسن ردّ . وكان الفقيه أبو مروان الباجي
يُثْنِي عليه ، ويمالغ في تقرّظه ، ويقول : ما علمنا القضاء إلا أبو عبد الله بن
شَبْرِينَ . ولم يزل قاضيا بإشبيلية ، مضطّعا بأعباء القضاء ، حسن السياسة فيه ،
ناشرا للعلم ، إلى أن تُوُفِّيَ بها ، رحمه الله تعالى . ذكره ابن بشكوال . [٦٢٨]

وإذا تَبَعْنَا أَشْيَاخَ الْقَاضِي عِيَاضَ بِالْتَعْرِيفِ ، لَمْ يَسَعْ ذَلِكَ هَذَا
المَوْضُوعُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُمْ نَحْوُ الْمِئَةِ ، وَرَتَّبَهُمْ وَلَدَهُ عَلَى الْحُرُوفِ ،
حَسَبًا نُقِلَ مِنْ فَهْرَسْتِهِ .

فمنهم في حرف الهمزة :

الشيخ بن بَقِيٍّ ، وهو أحمد بن محمد بن محمد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أحمد
ابن بَقِيٍّ بن مُحَمَّد . ولد في شعبان سنة ست وأربع مئة . ومات مُنْصَلَخَ
ذِي الْحِجَّةِ سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة . وكُفِّ بصره بآخر عمره . رحمه الله .

ومنهم في هذا الحرف :

أبو جعفر بن المرخي ، وهو أحمد بن محمد بن عبد العزيز الأَنْصَارِيُّ تُوُفِّيَ ليلة
الجمعة ، لثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ ربيع الأول ، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة .

ومنهم :

الشيخ ابن غَلْبُون ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان
ابن غَلْبُون ، بفتح الغين المعجمة ، وضم الباء الموحدة ، وآخره نون . وُلِدَ سنة
ثَمَانٍ عَشْرَةَ وَأَرْبَع مِئَةٍ ، ومات في شعبان سنة ثَمَانٍ وخمس مئة .

ومنهم :

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشارقي ، تُوُفِّيَ
قرب خمس مئة .

ومنهم :

أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد الفقيه اللواتي ، بفتح اللام ، منسوب

ابن بقي من
شيوخ عياض

ابن المرخي من
شيوخ عياض

ابن غلبون من
شيوخ عياض

أبو العباس
الشارقي من
شيوخ عياض

أبو إسحاق
اللواتي من
شيوخ عياض

لِلوَاتَةِ ، مخففة الواو ، مفتوحتها ، ومفتوحة اللام أيضا ، وتاء مثناة من فوق ،
قبيلة . الفاسي ، نسبة لفاس الحضرة المشهورة ، حاط الله أرجاءها ، وبلغها من
الأمن والعافية رجاءها . مات في الثامن من مجدى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة
وخمس مئة .

ومنهم :

أحمد بن سعيد بن بشتغير ، وأحمد بن محمد بن مكحول ، إلى غيرهم من
جملة سبعة عشر رجلا في هذا الحرف ، أعنى حرف الهمة .

ابن بشتغير وابن
مكحول من
شيوخ عياض

[٦٢٩]

ومنهم في حرف الحاء :

الحسين بن محمد الصّدّقيّ ، والحسين بن محمد الغَسّانيّ ، وقد تقدم الكلام
عليهما ، والحسين بن عبد الأعلى السّمّاقُسيّ ، والحسين بن علي بن طريف .

من شيوخ عياض
المذكورين في
حرف الحاء

ومنهم في حرف الخاء :

خلف بن إبراهيم أبو القاسم الخطيب المقرئ . وهو خلف بن إبراهيم بن
خلف بن سعيد ، المعروف بابن النخّاس ، بخاء معجمة ، وابن الحصار . ولد سنة
سبع وعشرين وأربع مئة ، وتوفي بقرطبة يوم الثلاثاء ، سادس عشر صفر سنة
إحدى عشرة وخمس مئة . وخلف بن خلف الأنصاريّ بن الأنقر . وخلف
ابن يوسف بن فرّتون .

من شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف الخاء

ومنهم في حرف الميم :

القاضي أبو الوليد بن رُشد ، والقاضي أبو عبد الله بن حمّدين ، والقاضي
أبو عبد الله بن الحاج ، والقاضي ابن العربيّ ، والقاضي ابن شبرين ، و [قد]
تقدّم ذكرهم .

من شيوخ عياض
المذكورين في
حرف الميم

وأبو عبد الله التميمي ، وهو محمد بن عيسى بن حسين ، ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة ، ومات بسبئة صبيحة يوم السبت لتسع بقين من جمادى الأولى ، سنة خمس وخمس مئة .

وأبو عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الطليطلي ، بضم الطاءين^(١) . ولد سنة ست وخمسين وأربع مئة ومات بقرطبة ، في ربيع الأول ، سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة .

وأبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد ، بمُثَنَّاة من فوق مفتوحة ، الشاطبي الرُعيني ، منسوب لذي رعين من حمير . ولد سنة أربع [وأربعين] وأربع مئة ومات في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمس مئة .
ومن شعره رحمه الله ، ورضى عنه :

[٦٣٠] اللَّيَالِي تَسُوءُ ثُمَّ تَسْرُ وَصُرُوفُ الزَّمَانِ مَا تَسْتَقِرُّ
بينما المرء في حَـلاوة عيشٍ إذ أَنَاهُ عَلَى الْحَلَاوَةِ مُرُّ
فَالكَرِيمِ الْمَصَابُ يَفْزَعُ فِيهِ الْكَرِيمُ وَيَنْفَعُ الْحَرَّ حُرُّ

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الأشقرى المقرئ النحوى ، مات سنة خمس وخمس مئة . ومحمد بن علي الشاطبي ابن الصيقل ، ومحمد بن سليمان النَّفْزِيَّ بن أخت غانم ، ومحمد بن عيسى التُّجَيْبِيَّ القاضى ، إلى غيرهم ، من جملة أحد وثلاثين شيخا في هذا الحرف ، منهم المازرى والطُّرُوشى ، لكن بالإجازة [له] ، إذ لم يلقهما كما سيأتى قريبا .

(١) هكذا ضبطها الصاغاني . قال شارح القاموس : « والصواب بكسر الطاء الثانية ، كما ضبطه مؤرخو المغرب وابن السمعاني » . وقال ياقوت في المعجم : « أكثر ما سمعنا من المغاربة : بضم الطاء الأولى وفتح الثانية » .

ومنهم في حرف العين :

أبو محمد عبد الله بن السيّد البَطْلَمَيْوسِيّ ، وقد تقدم ذكره . وأبو محمد بن عَتَّاب الجُذَامِيّ ، الإمام الشهير ، فقيه قُرطبة وإمامها ، وشيخ زمانه في العلم الموروث كابرًا عن كابر ، تُوفّي سنة ثمان وخمس مئة . وأبو محمد عبد الله بن أبي جعفر ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله الخُسَنِيّ . وعبد الرحمن بن محمد السَّبْتِيّ ابن العَجُوز ، وعبد الله بن محمد بن أيُّوب الفِهْرِيّ . وعبد الرحمن بن محمد بن بَقِيّ . وعلي بن أحمد الأنصاري بن الباذِش . وأبو الحسن علي بن مُشَرَّف [اسم مفعول شُرِّفَ بالتشديد] وهو ابن مُسَلَّم [مفعول ، سُمِّ مُشَدَّد] ابن أحمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنماطي [بفتح الهمزة] ، [الإسكندراني . وأبو محمد عبد الله بن أحمد العدُل « بالفتح وسكون الدال » ، التميمي] ، مات بسببته عام أحد وخمس مئة . وعلي بن عبد الرحمن التَّجِيبِيّ بن الأخضر ؛ إلى غيرهم من جملة سبعة وعشرين في هذا الحرف .

من شيوخ عياض
المذكورين في
حرف العين

ومنهم في حرف الغين :

غالب بن عطية الحارثي ، وقد تقدم .

ومنهم في حرف السين :

من شيوخ عياض
المذكورين في
حرف الغين

سِرَاجُ بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن . وأبو بحر سفيان بن العاصي الأَسَدِيّ ، مات بقُرطبة لثلاث بقين من جُمادى الآخرة سنة عشرين وخمس مئة ، [٦٣١] وولد سنة تسع وثلاثين ، وقيل أربعين وأربع مئة ، وفي سنة وفاته المذكورة توفي القاضي أبو بكر الطُّرُطُوشِيّ رحمه الله ، وفيها أيضا توفي الإمام المؤرخ ، الشيخ الراوية ، أبو مروان حَيَّان بن حَيَّان رحمه الله .
وشيوخ القاضي أبي الفضل في هذا الحرف خمسة .

من شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف السين

ومنهم في حرف الشين .

شريح بن محمد الرُعَيْنِي الشَّيْبَلِي .

ومنهم في حرف الهاء .

أبو الوليد هشام بن أحمد بن العَوَّاد ، الفقيه المشهور ، ولد سنة
اثننتين وخمسين وأربع مئة ، وتوفي سنة تسع وخمس مئة .
وهشام بن أحمد الهَلَالِي الغَرْنَاطِي ، وقد تقدم ذكره .

ومنهم في حرف الياء .

يونس بن محمد بن مُغِيث بن الصَّغَّار .

ويوسف بن موسى السَّكَلَبِي ، سمع القاضي أبو الفضل منه أرجوزته .
[وهو الضرير الأديب الذحوي المتكلم الزاهد . وأصله من سَرَقِسطَة ، وسكن
مَرَّاكش ، وبها توفي سنة عشرين وخمس مئة . وهو من تلامذة أبي بكر محمد
ابن الحسن المرادي الحضرمي . والمرادى هذا أول من أدخل علوم الاعتقاد إلى
المغرب الأقصى ، وسكن بأغمت ؛ فلما توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ، حمله ،
وولاه القضاء ، فمات بأركر^(١) من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين وأربع مئة ؛ خلفه
أبو الحجاج يوسف في علوم الاعتقادات ، وغلب عليه الزهد ؛ وله أرجوزة صُغْرَى
في علم الاعتقاد ، قرأها عليه القاضي أبو الفضل عياض ، كما ذكرناه .

قال عياض : وأجازني أرجوزته الكبيرى وجميع تأليفه ورواياته ، وكتاب
التحرير لشيخه المرادى ؛ وعن المرادى كان أكثر أخذ أبي الحجاج .

قال عياض رحمه الله تعالى : أنشدني لشيخه أبي بكر المرادى رحمه الله تعالى :

(١) كذا في الصلة لابن بشكوال ، وفي نسخة منها « أزكد » وفي م : « أركى » .

بعض شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف الشين

بعض شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف الهاء

بعض شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف الياء

من شعر المرادى

عَلِمِي بِقُبْحِ الْمَعَاصِي حِينَ أَرْكَبُهَا يَقْضِي بَأَنِّي مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدَرِ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي أَوْ أَصْرِفُهَا مَا كُنْتُ أَطْرَحُهَا فِي لُجَّةِ الْعَذْرِ
كُلَّفْتُ فَعَالًا وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْعَالِ أَفْعَالًا بِلا قَدَرِ
وَكَانَ فِي عَدْلِ رَبِّي أَنْ يَعْذِبَنِي فَلَمْ أَشَارِكُهُ فِي نَفْعٍ وَلَا ضَرَرِ
إِنْ شَاءَ نَعْمَتِي أَوْ شَاءَ عَذَابِي أَوْ شَاءَ صَوْرَتِي فِي أَقْبَحِ الصُّورِ
يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِ قَضَيْتَ بِهِ عَدْلًا عَلَيَّ فَهَبْ لِي صَفْحَ مُقْتَدِرِ

ومن شيوخ القاضي عياض رحمه الله تعالى في حرف الياء [.

يوسف بن عبد العزيز بن عديس الطليطلي ، رحم الله جميعهم .

وممنه أجاز القاضي أبا الفضل عياضاً ولم يلفه :

الشيخ الأستاذ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، الطائر الصيت ،
الشهير الذكر ، وقد تقدم ذكر وفاته .

من أجاز عياضاً
أبو بكر
الطرطوشي

وهو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري
الطرطوشي [بضم الطاءين المهملتين ؛ وقد تفتح الطاء الأولى] ؛ أصله من طرطوشة ،
بلاد بالأندلس ، ويعرف بابن أبي رندقة ، [براء مهملة مفتوحة ، ثم نون ساكنة ،
ثم دال مهملة مفتوحة ، ثم قاف . كنيته أبو بكر ، وهو الملقب] بقول ابن الحاجب
في مختصره الفقهية ، في باب العتق : « وقال الأستاذ : ومقتضاه إذا باعه قبل
التقويم أن يُقوّم » .

صحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة ، وأخذ عنه مسائل الخلاف ، [٦٣٢]
وسمع منه ، وأجازته ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أبي محمد
ابن حزم بمدينة إشبيلية .

ثم رحل إلى المشرق سنة سِتِّ وسبعين وأربع مئة ، وحجَّ ودخل بغداد والبصرة ، فتفقه عند أبي بكر الشاشي ، وأبي أحمد^(١) الجرجاني ، وسمع في البصرة من أبي علي التستري ، وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان إماما عالما عاملا ، زاهدا متواضعا ، دينا ورعا ، متقشفا متقللا من الدنيا ، راضيا منها باليسير .
ومن كلامه رضي الله عنه : إذا عرض لك أمران : أمر دنيا وأمر أخرى ، فبادر بأمر الأخرى ، يحصل لك أمر الدنيا والأخرى .

وله عدة تأليف ، منها مختصر تفسير الثعالبي ، والكتاب الكبير في مسائل الخلاف ، وكتاب في تحريم جُبن الروم ، وكتاب سراج الملوك ، وهو من أنفع الكتب في بابها وأشهرها ، وكتاب يدع الأمور ومُحدثاتها ، وكتاب شرح رسالة ابن أبي زيد .

وُلِدَ سنة إحدى وخمسين وأربع مئة تقريبا ، وتُوُفِّي في ثلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جمادى الأولى ؛ وقال ابن بشكوال في الصلة : في شعبان سنة عشرين وخمس مئة ، كما تقدم ، بشعر الإسكندرية ، وصلى عليه ولده محمد ، ودُفِنَ قبلي الباب الأخضر . رحمه الله ورضى عنه .

وقال ابن خلكان في حقه ما نصّه^(٢) : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن سليمان ، [بن أيوب]^(٣) القرشي الفهري ، [الأندلسي]^(٤) الطرطوشي المالكي ، المعروف بابن أبي رندقة (بالراء المهملة المفتوحة)^(٥) ، وتسكين النون) ،

(١) كذا في الصلة لابن بشكوال وابن خلكان . وفي الأصول : « وأبي محمد » .

(٢) بين الكلام المنقول هنا عن ابن خلكان والنسخة المطبوعة منه بمصر خلاف كثير بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص ، والتنصرف في العبارة .

(٣) زيادة عن نسخة ابن خلكان ، طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هجرية .

(٤) ضبطها ابن فرحون في الديباج المذهب بالعبارة : « بضم الراء » .

إمام ورع ، أديب مُتَقَلِّل . كان يقول : إذا عَرَضَ لك أمران : أمر آخرى وأمر دنيا ، فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى .

[٦٣٣]

وله طريقة في الخلاف ، وله أشعار ، منها :

إذا كنت في حاجة مُرْسِلاً وأنت بإنجازها مُغْرَمٌ
فأرسل بأبلة^(١) خلافة به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى رسول يُقال له الدرهم
قال الطرطوشي : كنت ليلة نأما في البيت المقدس^(٢) ، إذ سمعت في الليل صوتاً حزينا يُنشد :

أخوف ونوم إن ذا لعجيب تكلمت من قلب فانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقاً لما كان للإغماض فيك^(٣) نصيب
قال : فأيقظ النوم ، وأبكي العيون .

وكان الطرطوشي يُنشد^(٤) :

إن لله عبداً فطناً طلقوا الدنيا وخافوا الفتناً
فكروا فيها فلهما علموا أنها ليست لحى وطمناً
جعلوها لجةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً

ودخل الطرطوشي على الأفضل بن أمير الجيوش ، فوعظه ، وقال : إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك ، إنما صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن يدك ، بمثل ما صار إليك ، فاتق الله فيما خوّلك من هذه الأمة ، فإن

(١) في م ونفع الطبيب وابن خلكان : « بألمه » .

(٢) في ابن خلكان : « في بيت المقدس » :

(٣) في ابن خلكان : « منك » .

(٤) في ط : « ينشد ويقول » .

الله عز وجل سائلك عن النّقيير والقَطْمِيرِ والفَتِيلِ ؛ وأعلم أنّ الله عز وجل آتَى سليمانَ بن داود مَلَكَ الدّنيا بمحذافيرها ، فسَخَّرَ له الإنس ، والجن ، والشیاطین ، والطیر ، [والوحش] ، والبهاائم ؛ وسَخَّرَ له الرّيح تجرى بأمره رُخاءً حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عزّ من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ؛ فماعد ذلك نعمة كما عددتوها ، ولا حَسِبَها كرامة كما حَسِبَتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل ، فقال : « هذا من فضل ربّي ، لئيلوّنّي أَشْكُرُ أم أَكْفُرُ » ؛ فافتتح الباب ، وسَهّلَ الحجاب ، وانصُرَّ المظلوم ؛ وكان إلى جانب الأفضّل رجل نصرانيّ ، فأنشده :

[٦٣٤] يَا ذَا الَّذِي طَاعْتُهُ قُرْبَةٌ وَحَقُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبُ
إِنَّ الَّذِي شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبُ

وأشار إلى [ذلك] النّصرانيّ ، فأقامه الأفضّل من موضعه .

وتوفي الطُّرْطُوشيّ سنة عشرين وخمس مئة بالإسكندرية .

انتهى كلام ابن خَلِّكان . وذكرته برُمَّتِهِ وإن كان بعضه قد تقدم ، تكميلاً للغرض ؛ وقد يقع لي مثل هذا في هذا الموضوع ^(١) كثيراً ، والقصد به التقوية لما تكرر معه ، أو غير ذلك ، كارتباط الكلام ببعضه ببعض ؛ وعلى الله قصد السبيل .

وممن أجاز الفاضل عياضاً ولم يلقه :

الشيخ الإمام المجتهد أبو عبد الله المازريّ ، محمد بن عليّ بن عُمر بن محمد التميمي المازريّ ، بفتح الزّاي عند الأكثر ، وجوّز كسرّها جماعة ؛ نسبة إلى مازر ، بليدة بجزيرة صِغْلِيّة ، أعادها الله . أخذ عن الشيخين أبي الحسن

(١) يريد بالموضوع : التأليف .

اللَّخْمِيَّ ، وأبي محمد بن عبد الحميد القَرَوِي المعروف بالصائغ ، وكان إماماً مُحَدِّثاً ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه ، مُحمَّدة النظَّار ، ونُحْفة الأمصار ، المشهور في الآفاق والأقطار ، حتى عدَّ في المذهب إماماً ، وملاك من مسائله زماماً . وله تآليف مُفيدة ، عظيمة النفع ، منها كتاب المُعَلِّم ، بفوائد مُسلِّم ؛ وكتاب التعليقة على المدونة ، وكتاب شرح التلقين ، وكتاب الرد على الإحياء للقرزالي ، المسمى بكتاب الكشف والإنباء ، عن المترجم بالإحياء ؛ وكشف الفطا ، عن لمس الخطأ ؛ وكتاب إيضاح الحصول ، من برهان الأصول ؛ وتعليقة على أحاديث الجوزقي ؛ وله أيضاً إملاء على شيء من رسائل إخوان الصفاء ، سأله السلطان تميم عنه ، وكتاب النكت القطعية ، في الرد على الحشوية والذين يقولون بقدوم الأصوات والحروف ؛ وفتاوى .

تُوفِّي ثامنَ عشرَ ربيعِ الأوَّل سنة سِتِّ وثلاثين وخمس مئة ؛ وقيل [٦٣٥] يوم الاثنين ثامن الشهر المذكور بالمهدية ، وعمره ثلاث وثمانون سنة ، رحمه الله ورضى عنه .

وحُكِيَ أن بعض طلبة الأندلس ورد على المهديَّة ، وكان يحضر مجلس المازري ، ودخل شمع الشمس من كوة ، فوقع على رجل الشيخ المازري ، فقال الشيخ : « هذا شمع مُنْعَكِس » فذيله الطالب المذكور حين رآه متزناً ، فقال :

هَذَا شُعَاعٌ مُنْعَكِسٌ لِعِـلَّةٍ لَا تَلْتَبَسُ
لَمَّا رَأَىكَ عَنْصُرًا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَنْبَجِسُ
أَتَى يُمُودًا سَاعِدًا مِنْ نُورِ عِلْمٍ يَقْتَبِسُ

وأظن أني رأيت هذه الحكاية في نظم الدرِّ والعقيان ، للشيخ الحافظ

أبي عبد الله التَّنَسِيُّ التَّلَمِسَانِي ؛ فَلْتَرَجَعْ نَمَّ لَأَنِّي نَقَلْتُهَا بِالْمَعْنَى .

وممن أجاز الفاضل عياضا ولم يلفه :

الشيخ الحافظ إمام المحدثين أبو الطاهر السَّلْمَانِي ، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَةَ الْأَصْبَهَانِي ، الملقب صَدْرَ الدِّين .

قال ابن خَلِّكَان : هو أحد الحُفَظَاة الْمُسْتَكْرَمِينَ . رَحَّلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، وَلَقِيَ أَعْيَانِ الْمَشَايِخِ ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ . وَرَدَ بَغْدَادَ ، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَلَى الْكَلْبِيَا^(١) [أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ الْمُرَّاسِيَّ] ^(٢) فِي الْفِقْهِ ، وَعَلَى الْخَطِيبِ أَبِي زَكَرِيَا يَحْيَى بْنِ عَلِي التَّبْرِيزِيِّ الْأَلْفَوِيِّ بِاللُّغَةِ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بْنِ السَّرَّاجِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَةِ الْأُمَائِلِ ، وَجَابَ الْبِلَادَ ، وَطَافَ الْأَفَاقَ ، وَدَخَلَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ؛ وَكَانَ قُدُومُهُ إِلَيْهَا فِي الْبَحْرِ مِنْ مَدِينَةِ صُورَ ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ ، وَسَمِعُوا عَلَيْهِ ، وَانْتَفَعُوا بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي آخِرِ عَمْرِهِ فِي عَصْرِهِ مِثْلَهُ . وَبَنَى لَهُ الْعَادِلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ السَّلَّارِ وَزِيرُ الظَّافِرِ الْمُعْبَيْدِيِّ صَاحِبُ مِصْرَ ، فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، مَدْرَسَةً بِالتَّنْعَرِ الْمَذْكُورِ ، وَفَوَّضَهَا إِلَيْهِ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ بِهِ الْآنَ . وَأَتَرَكْتَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ بِالشَّامِ وَالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَسَمِعْتَ عَلَيْهِمْ ، وَأَجَازُونِي ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ الْكَثِيرُ ؛ وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ فَوَائِدَ جَمَّةَ ؛ وَمِنْ جَمَلَةٍ مَا نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

(١) قال ابن خَلِّكَان : « الْكَلْبِيَا » فِي اللُّغَةِ الْعَجَمِيَّةِ : هُوَ الْكَبِيرُ الْقَدِيرُ ، الْمَقْدَمُ بَيْنَ النَّاسِ .

(٢) زِيَادَةُ عَنْ ابْنِ خَلِّكَانَ طَبْعَةُ الْمِمْبَنِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٣١٠ هَجْرِيَّةً .

لولا اشتغالي بالأمير ومدحه لأطلت في ذاك^(١) الغزال تغزلي
 لكن أوصاف الجلال عذبني لي فتركت أوصاف الجمال بمعزل
 ونقلت من خطه أيضا البثينة [صاحبة جميل تربيته] :

وإن سلوى عن جميل لَساعة من الدهر ماحنت ولا حان حينها
 سواء علينا يا جميل بن مَعمر إذا مت بأساه الحياة ولينها
 وكان كثيرا ما يُنشد :

قالوا نفوس الدار سُكَّانها وأنتم عِنْدِي نفوس النفوس
 وأماليه وتعاليقه كثيرة ، والاختصار بالمختصر أولى .

وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة تقريبا بأصهبان ، وتوفي
 ضحوة نهار الجمعة ، وقيل ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر ، سنة ست
 وسبعين وخمس مئة ، بشعر الإسكندرية . ودُفن في وُعلَة ، وهي مقبرة داخل
 الشور ، عند الباب الأخضر ، فيها جماعة من الصالحين ، كالطُرُوشى وغيره ،
 وهي بفتح الواو وسكون العين المهملة ، وبعدها لام ثم هاء . ويقال إن هذه المقبرة
 منسوبة إلى عبد الرحمن بن وُعلَة السَّبَّيِّ المصرى ، صاحب ابن عباس رضى الله
 عنهما . وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى ، آمين .

قلت : وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية ، من جُمَلَتهم الحافظ زكى الدين
 أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المُنْذِرِي المحدث ، محدث مصر في زمانه ،
 يقولون في مولد الحافظ السَّلَفِي هذه المقالة . ثم وجدت في كتاب : زهر الرياض
 المفصَّح عن المقاصد والأغراض ، تأليف الشيخ جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن
 ابن أبي الفضل عبد الحميد بن إسماعيل بن حفص الصَّقْرَاوِي الإسكندري ، أن
 (١) كذا في ابن خلكان . وفي الأصول : « في وصف » .

تحقيق ميلاد
 الحافظ السلفي
 ونسبته

الحافظ السَّلَفِيُّ المذكور ، وهو شيخه ، كان يقول : مولدى بالثُمَيْنِ لا باليَقِينِ
سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغُ عُمره هلى مقتضى ذلك ، ثمانِيَا وتسعين سنة .
هذا آخر كلام الصَّفَرَاوِي المذكور .

ورأيت فى تاريخ الحافظِ مُحِبِّ الدين محمد بن محمود المعروف بابن النُّجَّار
البغدادى ، ما يدل على صحة ما قاله الصَّفَرَاوِي ، فإنه قال : قال عبد الغنى
المقدسى : سألت الحافظ السَّلَفِيَّ عن مولده ، فقال : أنا أذكر قتل نظام الملك فى
سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وكان لى من العمر حدود عشر سنين .

قلت : ولو كان مولده هلى ما يقوله أهل مصر إنه فى سنة اثنتين وسبعين ،
ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فإنه على
ما يقولونه قد كان عمره ثلاث عشرة سنة ، أو أربع عشرة سنة ، ولم تجر العادة
أن من يكون فى هذا السن يقول : أنا أذكر القضية الفلانية ، وإنما يقول ذلك
من يكون عمره تقديراً أربع أو خمس أو ست سنين . [٦٣٨]

فقد ظهر بهذا أن قول الصَّفَرَاوِي تلميذه أقرب إلى الصحة ، وقد سمع منه
أنه قال : مولدى فى سنة ثمان وسبعين ، وليس الصَّفَرَاوِي ممن يُشَكُّ فى قوله ،
ولا يُرتاب فى صحته ، مع أننا ما علمنا أن أحداً منذ ثلاث مئة سنة إلى الآن بلغ
المئة ، فضلا عن أنه زاد عليها ، سوى القاضى أبى الطَّيِّب طاهر بن عبد الله
الطَّبري ، فإنه عاش مئة سنة وسنتين ، كما سيأتى فى ترجمته .

ونسبته السَّلَفِيَّ إلى جدِّه إبراهيم سلفه ، بكسر السَّين المهملة ، وفتح الَّام
والفاء ، وفى آخره الهاء ، وهو لفظ عجمي ، ومعناه بالعربى ثلاث شفاة ، لأن
شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين ، غير الأخرى الأصلية ،

والأصل فيه سِلَكة ، بالباء ، فأبدلت بالفاء .

اتهى كلام ابن خلكان .

تعليق للمؤلف

قلت : ولا يخلو ما ذكره من بحث ، لأن السِّلَكي قال : أنا أذكر قتل نظام الملك وأنا في حدود العشر السنين ، وبحث ابن خلكان يقتضي أنه ابن ست سنين ونحوها ؛ بل قد يقال : إن قول السِّلَكي وكان في حدود عشر سنين ، لا ينافي قول الآخرين ، لما جرت العادة به من العلماء ، من إلغاء الكسر الزائد . سلمنا عدم ذلك ، فلا دليل فيه لواحد منهما ، فتأمله مُنصفاً ، والله سبحانه أعلم .
وكان ابن قنفذ اعتمد في وفاته على قول المصريين في مولد أبي الطاهر السِّلَكي ، فلذا قال ما نصّه : « وتوفي القاضي بغرناطة ، أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض سنة خمس وسبعين وخمس مئة ، وعرف في تاريخه بأبيه ، وفي التي [٦٣٩] تليها توفي الشيخ أبو الطاهر السِّلَكي ، وعمره مئة وأربع سنين ، وكان أجاز لكل من أدركته حياته . وسلفه (بكسر السين المهملة) : قرية في المشرق » . انتهى .

وما قاله في سلفه مخالف لما سبق قريباً لابن خلكان ؛ ولعل قول ابن خلكان هو الصواب ، والله تعالى أعلم .

ومن مشهور نظم السِّلَكي رحمه الله [قوله] :

شيء من نظم
الحافظ السلفي

ليسَ عَلَى الأرضِ في زمانِي مَنْ شأنه في الحديثِ شَانِي
عِلْماً وَنَقْداً وَلَا عُلُوماً فِيهِ عَلَى رَغْمِ كُلِّ شَانِي

ومن ذلك قوله رحمه الله :

بِاللهِ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِي اغْتَنِمُوا عِلْماً وَآدَابِي

إِنْ نَذِيرَ الْمَوْتَ جَاءَ وَقَدْ حَلَفَ لَا يَرْحَلُ إِلَّا بِي

ومن نظمه ، رحمه الله ، ما أجاب به القاضي عياضا حين استجازه بقصيدة على روى القاف ، أولها :

أَبَا طَاهِر خُذْهَا عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ لَذَكَرَاكَ شَيْقٍ
فَأَجَابَهُ أَبُو الطَّاهِرِ بِقَوْلِهِ :

أَتَانِي نَظْمُ الْأَلْمَعَى الْمَوْفَقِ يَمِيسُ اخْتِيَالًا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
وَسَيَّاتِيَانِ مَعًا عِنْدَ تَعْرِضِنَا لَذَكَرَ نَظْمَ عِيَاضٍ ، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ .

الإجازة العلمية
عند تعذر اللقاء

أقول : ولم يزل الفضلاء من الأئمة ، والنُهباء من أعلام هذه الأمة ، يستجيزون الأشياخ الأخيار ، عند تعذر اللقاء وبعْد الديار ، ولو تَبَعْنَا ذِكْرَ من فعل ذلك لضاقت هذه الموضوع ، ولما احتمله هذا المجموع . وقد استجاز الإمامُ الشهير ، الأديب الكبير ، الشيخ العلامة أبو الحسن حازم ، صاحب [٦٤٠] المقصورة ، وَجِيهَ الدين منصورا ، فكتب إليه الوجيه رحمه الله بقوله :

إِنِّي أَجَزْتُ لِحَازِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ صَدْرَ الْأَفْضَالِ وَالْإِمَامِ السَّيِّدِ
مَجْمُوعَ مَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْ رِوَاةِ الْمُسْنَدِ عَنْ أَلْفِ شَيْخٍ مِنْ رِوَاةِ الْمُسْنَدِ
فِي مِصْرَها مَعَ شَامِها وَعِرَاقِها وَحِجَازِها مِنْ مُتَمِّمٍ أَوْ مُنْجِدِ
وَجَمِيعَ مَا صَنَّفْتَهُ وَجَمَعْتَهُ فِي عِلْمِ فَقِهِ الشَّافِعِيِّ مُحَمَّدِ
فَلْيَرَوْا غَنَى مَا رُوِيَ رِوَايَةً مَشْرُوطَةً بِتَوْثُقٍ وَتَشَدُّدِ
وَلْيَبْقَ فِي رَوْضِ الْعُلُومِ مُنْعَمًا بِسَعَادَةٍ وَسُـيَادَةٍ وَتَأْيِيدِ

وإذ جرى ذكر حازم ، فلا بد أن نُورد بعض التعريف به ، فنقول :

ترجمة السيوطي
لحازم القرطاجني

قال السيوطي في الطبقات :

حازم بن محمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الانصاري القرطاجي
النحوي ، أبو الحسن ، شيخ البلاغة والأدب .
قال أبو حيان : كان أَوْحَدَ زمانه في النظم ، والنثر ، والنحو ، واللغة ،
والعروض ، وعلم البيان . روى عن جماعة يقاربون الألف ؛ وروى عنه أبو حيان
وابن رُشيد ، وذكره في رحلته ، فقال : حَبْرُ الْبُلْغَاءِ ، وبحر الأدباء ، ذو اختيارات
فائقة ، واختراعات رائقة ، لا نعلم أحداً من أئمنائه جمع [من علم اللسان ما جمع] ،
ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم ، من منقول ومُبتدع ؛ وأما البلاغة فهو
بحرها العذب ، والمتفرد بحمل رايثها أميراً في الشرق والغرب ؛ وأما حفظ لغات
العرب وأشعارها وأخبارها ، فهو سَحَّادٌ رواياتها ، وسَحَّالٌ أوقارها ؛ يجمع إلى ذلك
جودة التصنيف ، وبراعة الخط ؛ ويضرب بسهم في العقلية ، والدراية أغاب
عليه من الرواية .

صَنَّفَ : مِراجِ الْبُلْغَاءِ في البلاغة ، وكتاباً في القوافي ، وقصيدة في النحو على
روى الميم ، ذكر منها ابن هشام في المغني أبياتاً في المسألة الزُّنُورِيَّة ، وقد ذكرناها [٦٤١]
في الطبقات الكبرى مع أبيات آخر .

مولده سنة ثمان وست مئة ، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من
رمضان سنة أربع وثمانين وست مئة .
ومن شعره :

من قال حَسْبِي من الورى بَشَرٌ حَسْبِي اللهُ حَسْبِي اللهُ
كَمْ آيَةٍ لِلَّهِ شَاهِدَةٌ بَأَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ
انتهى كلام السيوطي .

وَأُنْزِدَ نَحْنُ مَا أَمَكُنَّا، حَيْثُ لَمْ يَوْفِ السُّيُوطِيُّ بِحَقِّهِ فِي الطَّبَقَاتِ الصُّغْرَى ،
لأنها مبنية على الاختصار ، ولم نَقِفْ عَلَى الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى الَّتِي أَحَالَ عَلَيْهَا ؛
فَنَقُولُ :

قال بعض المؤرخين : هو حازم بن محمد بن الحسن بن حازم الأنصاري ،
فَجَعَلَ وَالِدَ الْحَسَنِ حَازِمًا ، وَجَعَلَهُ السُّيُوطِيُّ مُحَمَّدًا ، فَلَا نَدْرِي هَلْ هَذَا مِنَ النَّسَبَةِ
إِلَى الْجَدِّ ، فَيَرْجِعُ مَعَ مَا عِنْدَ السُّيُوطِيِّ إِلَى وَفَاقٍ ، أَوْ هَا مَخْتَلِفَانِ ؟

الْقَرْطَاجَنِيُّ : مَنْسُوبٌ إِلَى قَرْطَاجَنَةٍ مِنْ سِوَا حِلْ كُورَةِ تَدْمِيرَ ، مِنْ شَرْقِ
الْأَنْدَلُسِ . وَهُوَ خَاتِمَةُ شِعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ الْفُحُولِ ، مَعَ تَقْدِمِهِ فِي مَعْرِفَةِ لِسَانِ
الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا ، وَنَزَلَ إِفْرِيْقِيَّةَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَلَدِهِ ، فَطَارَ لَهُ بِهَا صِيتٌ ، وَغَمَّرَ
إِلَى أَنْ مَاتَ بَتُونِسَ ، حَضْرَةَ مَلُوكِهَا ، لَيْلَةَ السَّبْتِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ،
مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَفِي بَعْضِ الْجَامِيعِ الْأَدَبِيَّةِ مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ
الْمُرَابِطِ نَزِيلِ تُونِسَ ، أَنَّهُ كَانَ فِي حَضْرَةِ سَمْرَاكُشِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، اِتَّهَمَ .

[٦٤٢] قُلْتُ : وَلَهُ فِي الرَّشِيدِ أَمْدَاحٌ كَثِيرَةٌ ، أَنْشَدَهَا فِي الْإِشَادَةِ ، وَمَدَحَ الْأَمِيرِ
أَبَا زَكْرِيَاءَ ، صَاحِبِ إِفْرِيْقِيَّةِ ، وَوَلَدَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُسْتَنْصَرَ ، وَلَهُ أَلْفُ الْمَقْصُورَةِ
الْمَشْهُورَةِ ، وَقَصَرَ مُحَاسِنَهَا عَلَى مَدَحِهِ ، وَمَدَحَ أَخَاهُ أَبَا يَحْيَى .

[وَمُطْلَعُهَا ^(١)] :

لِلَّهِ مَا قَدْ هَجَّتْ يَا يَوْمَ النَّوَى عَلَى فَوَادِي مِنْ تَبَارِيحِ الْجَوَى
قُلْتُ : قَدْ كُنْتُ ضَمَنْتَ مُطْلَعَهَا بِاِكْتِفَاءٍ وَتَوْرِيَةٍ فَقُلْتُ :
لَمْ أَنْسَ يَوْمًا لِلنَّوَى عِيُوبَهُ فِي نَهْرِ فَاَسَ شَجَعْنُ هَاجَ الْجَوَى

(١) زِدْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِيَتَّصِلَ الْكَلَامُ .

فقلت إذ ذكّرني معاهداً «لله ما قد هجت يا يوم النوى»
ومقصورته تدل على اطلاعه ، وصدرها بخطبة بليغة جداً ، وتولى شرح
هذه المقصورة الشيخ أبو القاسم الشريف الحسنى القاضى كاف بغرناطة ،
وسمى شرحه هذا رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة ، وملاء بكل غريبة ،
وقد طالعه غير مرة . وقد ألف الإمام المكوذى شارح الألفية ، مقصورة بديعة
نبوية ؛ وعاب على ابن دُرَيْدٍ وحازم جعلهما مقصورتيهما مدحا في بنى الدنيا ،
فكان من جملة أبياتها :

فحازم قد عدّ غير حازم وابن دُرَيْدٍ لم يفده ما درى
وقد تولى شرح مقصورة المكوذى بعض أصحابنا ، وهو الكاتب الأديب
أبو عبد الله المسكلافى أعانه الله تعالى .

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة جيمية ، غريبة المنزع ، لها صيت عظيم
عند الحذاق من أهل الأدب ، والنحارير من الفضلاء ، عارض بها في المعنى
رائية ابن عمار^(١) الوزير ؛ للمعتمد بن عباد . وفضل غير واحد هذه الجيمية
الحازمية ، على تلك الرائية العمّارية :

أدر المدامة فالنسيم مؤرج	والروض مرقوم البرود مدبج
والأرض قد لمست برود جملها	فكانما هي كاعب تتبرج
والنهر مما ارتاح معطفه إلى	لقيم النسيم عبابه متموج
يُمسّي الأصيل بعسجدى شعاعه	أبدا يوشى صفحه ويدبج
وتروم أيدى الريح تسأب ما اكتسى	فتزيده حسنا بما هي تنسج

جيمية التي
يعارض بها رائية
ابن عمار

(١) مطلع رائية ابن عمار :

أدر الزاجحة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى

فارتح لشرب كنوسٍ راح نورها
 واسكر بنشوة لحظ من أحببته
 واسمع إلى نغمات عود تطبي
 بتم وزير يسعدان مثانينا
 من لم يهيج قلبه هـذا فما
 فاجب فقد نادى بالسُن حاله
 طربت جمادات وأفصح أعجم
 أفيضل الحى الجماد مسرة
 ما العيش إلا ما نعمت به وما
 بمن يروقك منه ردف مردف
 فإذا نظرت لطرة وغيرة
 أيقنت أن ثلاثهن وما غدا
 ليل على صبح على بدر على
 كأس ومحبوب يظل بلحظه
 يا صاح ما قلبي بصاح عن هوى
 وبمهجتي الظبي الذى فى أضلعي
 ناديت حادى عيسه يوم القوى
 قف أيها الحادى أودع مهجة
 لما تواقفنا وفى أحداجها
 ناديتهم قولوا لبدر كم الذى
 يحيا المليل بلفظة أو لحظة
 بل نارها فى مائها تنوهج
 أو كأس خمر من لماء تهرج
 قلب الخلى إلى الهوى وتهيج
 ومثالها طبقاتها تتدرج
 للقلب منه محرك ومهيج
 للأنس دهر للهموم مفرج
 فرحا وأصبح من سرور بهزج
 والحق للسرء منه أحوج
 عطاك فيه الكأس ظبي أدهج
 عبل وخضر ذو اختصار مدمج
 ولصفحة منه بدت تتأرجح
 من تحتها يناد أو يتوج
 غصن تحمله كشيء رجز
 قلب الخلى إلى الهوى يستدرج
 شيتين بينهما المنى تستنبح
 قد حل وهو يشبها ويوجج
 والعيس تحدى والمطايا تحدج
 قد حازها دون الجوانح هودج
 قمر منير بالهلال متوجج
 بضياؤه تسرى الركاب وتدلج
 تطفي غليلا فى الحشا يتأرجح

[٦٤٣]

قالوا نخافُ يَزيدُ قلبَكَ لاجِبًا فأجبتهمُ خَلَوْا اللواعجُ تَلَعَجُ
وَبَكَيْتُ واستَبَكَيْتُ حَتَّى ظَلَّ دِنُ عِبْرَاتِنَا بِحُورٍ بِبَحْرِ يُمَزَجُ
وَبَقِيتُ أَفْتَحُ بِمَدِّهِمْ بَابَ الْمُنَى مَا بَيْنَنَا طَوْرًا وَطَوْرًا يُرْتَجُ
وَأَقُولُ يَا نَفْسُ اصْبِرِي فَعَسَى الذَّوَى بِصَبَاحٍ قَرِيبٍ لَيْلُهَا يَتَبَلَّجُ
فَتَقَرَّبَ السَّرَّاءُ مِنْ دَهْرٍ شَجَا وَالْدَهْرُ مِنْ ضِدِّ لُذَّةٍ يُخْرَجُ
وَتَرَجَّ فُرْجَةٌ كُلُّ هَمٍّ طَارِقٍ فَلِكُلِّ هَمٍّ فِي الزَّمَانِ تَفْرُجُ

[وتذكرت بهذه الجيمية قصيدة ابن قلايس الإسكندري ، رحمه الله تعالى :

جيمية ابن
قلايس

عَرَضَتْ اِمُعْتَرِضُ الصَّبَاحِ الْاَبْلَجِ حَوْرَاهُ فِي طَرْفِ الظَّلَامِ الْاُدْعَجِ
فَتَمَزَقَتْ شَيْبَةُ الدُّجَا عَنْ مُغْرَتِيْ شَمْسِينَ فِي اُفُقٍ وَكِلَةٍ هُوْدَجِ
وَوَرَاءَ اَسْتَارِ الْحَمُولِ لَوَاحِظُ غَازِلِنَ مَعْتَدِلِ الْوَشِيحِ الْاَعْوَجِ
مِنْ كُلِّ مَبْتَسِمِ السَّنَانِ اِذَا جَرَى دَمْعُ النَّجِيعِ مِنَ الْكَمَى الْاَهْوَجِ
وَلَقَدْ صَحِبْتُ اللَّيْلَ قَلَصَ بُرْدِهِ لُعْبَابِ بَحْرِ صَبَاحِهِ الْمَتَمَوِّجِ
وَكَاثِبَ مُنْتَشِرِ النُّجُومِ لَا اِلٰهَ نَظَمْتُ عَلَى صَرَحٍ مِنَ الْفَيْرُوزِجِ
وَسَهَرْتُ اَرْقَبُ مِنْ سُهَيْلٍ خَافِقًا مُتَهَرِّدًا وَكَأَنَّهُ قَلْبُ الشَّجِي
وَاسْتَمَعَرْتُ مُقَلَّ السَّحَابِ فَاَنْحَكْتُ مِنْهَا ثَعْوَرًا مُقَوِّفًا وَمَدَّجِ

وابن قلايس هذا له في النظم الباع المديد ؛ ومن محاسنه قوله رحمه الله تعالى :

ولابن قلايس
أيضا

سَدَدُوْهَا مِنْ الْقُلُوبِ رِمَاحًا وَانْتَضَوْهَا مِنَ الْجَفَوْنَ صِفَاحًا

يا لها حالة من السلم حالت فاستحالت - ولا كِفاح - كِفاحًا
 صحَّ إذ أذرت العيون دماءً أنهم أثخنوا القلوب جراحًا
 يا فؤادى وقد أخذت أسيرًا أتفطرت أم وضعت سلاحًا
 قل لأعدائك التي اقتسموها ضربوا فيك بالعيون قداحًا
 عجبًا للجفون وهى مراض كيف تستأسر القلوب الصّحاح
 أه من موقف يؤد به المغمـرم لو مات قبله فاستراح
 حيث يخشى أن ينظم الائم عقدًا فيه أويـعقد العناق وشاحًا

رجع إلى قول حازم رحمه الله تعالى :

فمن قوله من قصيدة :

فتق النسيم أطام الظالماء عن مسكة قطرت مع الأنداء
 وغدا الصباح يفض خاتم عنبر بالشرق عن كافورة بيضاء
 والكوكب الدررى يز هو ساجحاً في مائه كالدرّة الزهراء
 وكأما ابن ذكاء يذكى بحجر منه يفيد الريح طيب ذكاء

وقال صاحبه الله من قصيدة فى المستنصر :

أمن بارق أورى بجنح الدجى سقطاً تذكرت من حلّ الأبارق فالتقطاً
 وبان ولكن لم يبين عنك ذكره وسقط ولكن طيفه عنك ماشطاً
 حبيب لو أن البدر جراه فى مدى من الحسن لاستدنى من البدر واستبطاً
 سقى الله عيشاً قد سقانا من الهوى كئوساً بمسول اللمى (١) خلطت خلطاً

(١) فى ط : « المنى » .

(١٢ - ج ٣ - أزهار الرياض)

ولحازم فى
الوصف

وله يتغزل

فى صدر قصيدة
مديحية

وله مطالع قصيدة :

سُلْطَانُ حُسْنٍ عَلَيْهِ لِصَّبَا عِلْمٍ إِذَا رَأَتْهُ جِيوشُ الصَّبْرِ تَنْهَزُمُ

وقال رحمه الله يصف وردة بيضاء :

وله يصف وردة

وَمُبِیْضَةٌ الْأَنْوَابِ تُدْعَى بِوَرْدَةٍ تَقِلُّ لَهَا الْأَشْبَاهُ عِنْدَ التَّمَاثِيلِ
أَنَافَتْ عَلَى سَاقٍ لِتَشْرَبَ عِنْدَمَا أَشَارَتْ لَهَا كَفُّ الْبُرُوقِ بِكَامِهَا [٦٤٤]
كُجَارِيَّةٍ قَامَتْ بِبَيْضِ غُلَاثِلٍ مُرْقَعَةٍ أَذْيَالُهَا حَوْلَ رَاسِهَا

ومن بديع نظمهم رحمه الله تعالى تضمينه قصيدة امرئ القيس ، وصرف
معناها إلى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهي من غُرِّ القصائد :

تضمينه معلقة
امرئ القيس

لَعِينِيكَ قُلْ إِن زَرْتَ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ « قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ »
وَفِي طَيِّبَةٍ فَانْزِلْ وَلَا تَغْشَ مَنْزِلًا « بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ خَوْمَلٍ »
وَزُرْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرُهَا « لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ »
وَأَثْرَابَكَ اخْلَعْ مُحَرِّمًا وَمَصَدَّقًا « لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ »
لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لِبُعْدِهَا (١) « عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي »
فِيَا حَادِيَ الْآبَالِ سِرِّي وَلَا تَقُلْ « عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا مَرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلْ »
فَقَدْ حَلَفْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ وَأَقْسَمْتُ « عَلَى » وَأَلَّتْ حَلْفَةً لَمْ تَحْلَلْ «
فَقُلْتُ لَهَا لَا شَكَّ أَنَّ طَائِعُ « وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ »
وَكَمْ حَمَلْتُ فِي أَظْهَرِ الْعِزْمِ رَحْلَهَا « فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ »
وَعَاتَبَتِ الْعِجْزَ الَّذِي عَاقَ عِزْمَهَا « فَقَالَتْ لَكَ الْوِيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي »

(١) في م : « لذكراها » .

نبيُّ هُدًى قد قالَ للكفرِ نورُهُ
 تلا سُورًا ما قولُها بمعارضِ
 لقد نَزَّتْ في الأرضِ مَلَّةٌ هَدِيهٍ
 أتتْ مَغْرِبًا من مَشْرِقٍ وتعرَّضتْ
 ففازتْ بلادُ الشرقِ مِنْ زِينَةٍ بها
 فصلى عليه اللهُ ما لاحَ بارقُ
 نبيُّ غَزَا الأعداءِ بينَ تَلَاعٍ
 فكمْ مَلِكٍ وُفاه في زِيٍّ مُنْجِدٍ
 وكمْ من يَمَانٍ وَاضِحٍ جاءهُ اِكْتَسَى
 وَمِنْ أَبْطَحِيٍّ نَيْطَ مِنْهُ نِجَادُهُ
 أزالوا بِيَدٍ عن سُرُوجِهِمُ العِدا
 ونادَوْا ظَبَاهُهمْ لا يَفْتِكُ فَتَى وَلَا
 وَفَضَّ جُمُوعًا قد غدا جامِعًا بها [٦٤٥]
 وأَحْمَوْا وَطِيسًا في حُنَيْنٍ كَانَهُ
 ونادَوْا بِنَاتِ التَّبَعِ بالنَّصْرِ أُمْرِي
 وَمِنْ أَلِهٍ سَدَّدَتْ سَهْمِينَ فاضْرِبِي
 فما أَغْنَتْ الأبدانَ دِرْعُهَا اِكْتَسَتْ
 وَأَصْحَتْ لَوَالِيهَا وَمَالُكُهَا العِدا
 وقد فرَّ مُنْصَاعٌ كما فرَّ خاضِبُ
 وكمْ قالَ يا لَيْلَ الوَعَى طُلْتَ فَاثْبِلِجْ
 فليتْ جَوادِي لم يَسِرْ بِي إلى الوَعَى
 « أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ »
 « إِذَا عَيَّ نَصْتُهُ وَلَا بِمَعْطَلِ »
 « نَزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ »
 « تَعَرَّضَ أَثْنَاءَ الْوَسَّاحِ الْمُفْضَلِ »
 « بِشَقٍّ وَشَقٍّ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلِ »
 « كَلِمَةِ الْيَسِيدِينَ فِي حَيٍّ مُكَلَّلِ »
 « وَبَيْنَ إِكْلَامٍ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ »
 « بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْسَلِ »
 « بِضَافٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْمَلِ »
 « بِجَيْدٍ مُعِمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُحَوَّلِ »
 « كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ »
 « كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بِحَادٍ مُزْمَلِ »
 « لَنَا بَطْنٌ حَقَفَ ذِي قِفَافٍ عَقْنَقَلِ »
 « إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيمُهُ عَلَى مَرَجَلِ »
 « وَلَا تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ »
 « بِسَهْمِيكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ »
 « تَرَائِبُهَا مَعْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ »
 « يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ »
 « لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلِ »
 « بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ »
 « وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ »

وكم مرَّتْ أوطاسَ منهم بِمُسْرِجٍ
وَقَرَّطَهُ خُرُصًا^(١) كَمَصْبَاحِ مُسْرِجٍ
فَيَرْنُو لَهَا فَوْقَ هَادِيهِ طَرَفُهُ
وَيَسْمَعُ مِنْ كَافُورَتَيْنِ بِجَانِبِي
تَرْفَعُ أَنْ يُعْزَى لَهُ شَدْ شَادِنٍ
وَلَكِنَّهُ يَنْصِي كَمَا سَمَّ مَزِيدُ
وَيَنْشَى الْعِدَا كَالسَّهْمِ أَوْ كَالشَّهَابِ أَوْ
جِيَادُ أَعَادَتْ رَسْمَ رُسْتَمِ دَارِسَا
وَرَبِعَتْ بِهَا خَيْلُ الْقِيَاصِ فَاخْتَفَتْ^(٢)
سَبَتْ عُرْبًا مِنْ نِسْوَةِ الْعُرْبِ تَسْتَبِي
وَكَمْ مِنْ سَبَايَا الْفُرْسِ وَالْعُصْفَرِ أَسْهَرَتْ
وَحُزْنَ بَدُورًا مِنْ لِيَالِي شُـمُورِهَا
وَأَبْقَتْ بِأَرْضِ الشَّامِ هَامًا كَأَنَّهَا
وَمَا جَفَّ مِنْ حَبِّ الْقُلُوبِ بِغُورِهَا
لَخُصْرَاءَ مَا دَبَّتْ وَلَا نَبَتَتْ بِهَا
شَدَا طَيْرُهَا فِي مُثْمَرِ ذِي أَرْوَمَةٍ
فَشُدَّتْ بَرُوضٍ لَيْسَ يَذْبُلُ بَعْدَهَا
وَكَمْ هَجَّرَتْ فِي الْقَيْظِ تَحْكِي دَوَارِعًا

« مَتَى مَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلُ »
« أَهَانَ السَّلِيلُ فِي الدُّبَالِ الْمُغْتَلُ »
« بِنَازِلَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٌ مُعْطَلُ »
« أَثْبَتِ كَقِفْنُو النُّخْلَةَ الْمُتَعَشِّكُ »
« وَإِذَا سِرْحَانٌ وَتَقْرِبُ تَنْفُلُ »
« يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحُ السَّكَنَبُكُ »
« كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلِ »
« وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلِ »
« جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيْلِ »
« إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَجَبُولِ »
« تَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ »
« تَضِلُّ الْمَدَارِي فِي مُمْثَنِّي وَمُرْسَلِ »
« بِأَرْجَانِهَا الْقَعْوَى أَنَا بَيْشُ غُنْطُلِ »
« وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلَقُلِ »
« أَسَارِيعُ ظُلِّي أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ »
« وَسَاقِ كَأَنْبُوبِ السَّقَى الْمُدَّالِ »
« بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شَدَّ بِيَذْبُلِ »
« عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمُدَّيْلِ »

[٦٤٦]

(١) الخرس « بالضم ويكسر » : حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط ، أو الحلقة

الصغيرة من الحل . يريد بها الحلقة التي في عذار اللجام .

(٢) في م : « فاغتدت » .

وكم أذلجت والقطر يهفو هزيره
« ويُلوي بأثواب العنيف المنقل »
وخضن سسيولا فضن بالبيد بعد ما
« أثرن غبارا بالكديد المركل »
وكم ركزوا رحا بدعص كأنه
« من السيل والغناء فلكة مغزل »
فلم تبين حصنا خوف حصنهم العدا
« ولا أطما إلا مشيدا بجندل »
فهذت بعضب شد^(١) بعد صقاله
« بأسراس كتان إلى ضم جندل »
وجيش بأقصى الأرض ألقى جرانه
« وأردف أعجازا وناء بكاكل »
يدك الصفا دكا ولو مرر بعضه
« وأيسره على الستار فيذببل »
دعا النصر والتأييد رايته اسحي
« على أثربنا ذيل مرط مرحل »
لواء منير النضل طاو كأنه
« منارة مسمى راهب متبئل »
كأن دما الأعداء في عذباته
« عصاره حفاء بشيب مرجل »
صحاب برؤوا هام العداة وكم قرؤوا
« هفيف شواء أو قدير معجل »
وكم أكثروا ما طاب من أحرم جفرة
« وشخم كهذاب الدمقس المقتل »
وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها
« دراكا ولم ينضج بناء فيعسل »
حكي طيب ذكراهم وور كفايحهم
« مذك عروس أو صلاية حنظل »
لأمداح خير الخلق قلبي قد صبا
« وليس صباي عن هواها بمنسل »
فدغ من لأيام صلحن له صبا
« ولا سيما يوم بدارة جلجل »
وأصبح عن أم الحويرث ما سلا
« وجارتها أم الرباب بمأسل »
وكن في مديح المصطفى كمدجج
« يقلب كفيه بخيط موصل »
وأمل به الأخرى ودنياك دغ فقد
« تمتعت من لوبها غير معجل »

(١) في الأصول ونفح الطيب : « شيب » : ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وَكَمْ لِنَبِيٍّ لِلْفُؤَادِ مُنَابِتٍ^(١) «نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ»
يُنَادِي إِلَهِي إِنَّ ذَنْبِي قَدْ عَدَا «عَلَى بِأَنْوَاعِ الْمَعُومِ لِيُنْتَلِي»
فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ «عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يُشِيرُونَ مَقْتَلِي»
وَيُنْشِدُ دُنْيَاهُ إِذَا مَا تَدَلَّلَتْ «أَفَاعِلَمْ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّ»
فَإِنْ تَصَلَّى حَبْلِي بِخَيْرٍ وَصَلَّتُهُ «وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمْتَ صَرْمِي فَأَجْلِي» [٦٤٧]
وَأَحْسِنْ بَقِطْعِ الْحَبْلِ مِنْكَ وَبَتِهِ «فَسَلِّ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَدَلُّ»
أَيَا سَامِعِي مَدْحَ الرَّسُولِ تَنْشَقُّوْا «نَسِيمَ الشَّجَرِ جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرَنُفُلُ»
وَرَوْضَةَ مُحَمَّدٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ «غَدَاهَا نَوِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَالِ»
وَيَا مَنْ أَنْبَى الْإِصْغَاءَ مَا أَنْتَ مُهْتَدٍ «وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْعَايَةَ تَنْجَلِي»
فَلَوْ مُطْفِئًا أَنْشَدْتُهَا لَفَظَهَا ارْعَوْتُ «فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مُحْوَلُ»
وَلَوْ سَمِعْتُهُ غُفْمَ طَوْدٍ أَمَانَهَا «فَأَنْزَلَ مِنْهَا الْعُفْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزَلِ»

وقال رحمه الله في مثل هذا الغرض ، مؤديا من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المفترض ، مضمنا قصيدة أخرى لامرئ القيس :

وله في مدح
الرسول

أَقُولُ لِعَزْمِي أَوْ لِمَصَالِحِ أَعْمَالِي «أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَثْبَاهَا الطَّالُّ الْبَالِي»
أَمَّا وَاعْظِي شَيْبُ سَمَا فَوْقَ لَيْتِي «سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ»
أَنَارَ بِهِ لَيْلُ الشَّجَابِ كَأَنَّهُ «مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لَقْفَالِ»
نَهَانِي عَنْ غَيٍّ وَقَالَ مُنْهَبًا «أَلَسْتُ تَرَى الشُّمَارَ وَالنَّامَ أَحْوَالِي»
يَقُولُونَ غَيْرُهُ لَتَنْعَمَ بِرُهَةٍ «وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي»

(١) النبيت : ما يستخرج من البئر من التراب ، شبه به ما في القاب من خواطر السوء .
والنابت في الأصل : الذي يستخرج التراب ، والاراد هنا من يستخرج أسرار غيره .

أَغَالِطُ دَهْرِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي
 وَمُؤْنِسُ نَارِ الشَّيْبِ يَقْبُحُ لَهْوُهُ
 أَشْيَخَا وَتَأْتِي فَعْلَ مَنْ كَانَ عَمْرُهُ
 وَتَشْغَفُكَ الدُّنْيَا وَمَا إِنَّ شَغَفَتَهَا
 إِلَّا إِنَّهَا الدُّنْيَا إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهَا
 فَأَيْنَ الَّذِينَ اسْتَأْثَرُوا قَبْلَنَا مَهَا
 ذَهَلَتْ بِهَا غَيًّا فَكَيْفَ الْخُلَاصُ مِنْ
 وَقَدْ عَلِمْتُ مَنِي مَوَاعِيدُ تَوْبَتِي
 وَمُذْ وَثِقَتْ نَفْسِي بِحُبِّ مُحَمَّدٍ
 وَأَصْبَحَ شَيْطَانُ الْغَوَايَةِ خَاسِئًا
 أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَقُولُ عَزَائِمِي
 فَأَنْزِلَ دَارًا لِلرَّسُولِ نَزِيلَهَا [٦٤٨]
 فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَاوَرَتْ خَيْرَ مَرْسَلٍ
 وَمِنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ الْقَبُولِ تَعَطَّرَتْ
 جِوَارُ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ مُؤْتَلٌ
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْتَبِي عِنَانَ الشَّرَى وَقَدْ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الظُّبْيَةَ اسْتَشْفَعَتْ بِهِ
 وَقَالَ لَهَا عُودِي فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ
 فَعَادَتْ إِلَيْهِ وَالْهَوَى قَائِلٌ لَهَا
 وَيَا لَبِئْسَ عَصِيرٍ قَالَ أَرْمَعْ مَالَكِي
 وَتَوَرَّ ذَبِيحٍ بِالرَّسَالَةِ شَاهِدٍ

« كَبُرْتُ وَالْأَلَا يُخْسِنُ اللَّهُ أَمْشَالِي »
 « بَانَسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ تَمْشَال »
 « ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَال »
 « كَمَا شَغَفَ الْمُهْنُوَّةَ الرَّجُلَ الطَّالِي »
 « دِيَارُ اسْمَلَى عَافِيَاتُ بَذَى خَال »
 « لَنَامُوا فَمَا إِنَّ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَال »
 « لَعُوبٌ تُنْسِنِي إِذَا قَتُّ سِرْبَالِي »
 « بَانَ الْفَتَى يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَقَال »
 « هَصَرْتُ بَعْضُ ذِي شِمَارِيخٍ مَيَّال »
 « عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّ الظَّنِّ وَالْبَال »
 « لَخِيلِي كَرَّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْمَال »
 « قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَال »
 « يَبْثَرُ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي »
 « حَبَّأَ وَشَمَالٌ فِي مَنَازِلٍ قُمَال »
 « وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلَّ أَمْشَالِي »
 « كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ »
 « تَمِيلُ عَلَيْهِ هُونَةٌ غَيْرُ مَجْمَال »
 « وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي »
 « وَكَانَ عَدَاؤُ الْوَحْشِ مَنِّي عَلَى بَالِي »
 « لَيْقُمْتَلْنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَال »
 « طَوِيلُ الْقَرَا وَالرَّوْقِ أَخْنَسَ ذِيَال »

وَحَنَّ إِلَيْهِ الْجِدْعُ حَنَّةً عَاطِشٍ « لَغَيْثٍ مِّنَ الْوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالٍ »
 وَأَصْلَيْنِ مِنْ نَحْلٍ قَدْ التَّامَا لَهُ « بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالٍ »
 وَقَبْضَةٍ تَرْبٍ مِنْهُ ذَلَّتْ لَهَا الظُّبَا « وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ »
 وَأَخْصَى ابْنُ جَعْفَرٍ بِالْعَسِيبِ مُقَاتِلَا « وَلَيْسَ بَذَى رُمُوحٍ وَلَيْسَ بَنَبَالٍ »
 وَحَسْبُكَ مِنْ سَوْطِ الطُّفَيْلِ إِضَاءَةٌ « كَصَبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذُبَالٍ »
 وَبَذَتْ بِهِ الْعَجَفَاءُ كُلَّ مُطَهَّمٍ « لَهُ حَجَبَاتٌ مَشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ »
 وَيَا خَسَفَ أَرْضٍ تَحْتَ بَاغِيهِ إِذْ عَلَا « عَلَى هَيْكَلٍ نَهْدِ الْجُرَازَةِ جَوَالٍ »
 وَقَدْ أَخَذَتْ نَارُ لِفَارِسٍ طَالِمَا « أَصَابَتْ غَضَى جَزْ لَأَوْكُفٍّ بِأَجْزَالٍ »
 أَبَانَ سَبِيلَ الرُّشْدِ إِذْ سُبُلُ الْهُدَى « يَقْلُنَ لِأَهْلِ الْحِلْمِ ضَلَالٌ بِتَضَالٍ »
 لِأَحْمَدَ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ انْتَقِيَتْهَا « وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صُعْبَةٌ أَيْ إِذْ لَالَ »
 وَإِنْ رَجَائِي أَنْ أُلَاقِيَهُ غُدًّا « وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخِلَالَ وَلَا قَالِي »
 فَأُذْرِكَ آمَالِي وَمَا كُلُّ آمَلٍ « بِمُذْرِكِ أَطْرَافِ الْخَطُوبِ وَلَا آلِي »

قلت : هكذا وجدت بخط بعض أعلام مرَّا كش نسبة هذه القصيدة
 لأبي الحسن حازم المذكور، واعتمدت على هذه النسبة، ثم بان لي خطأها، وإنما
 هذه القصيدة من نظم الفقيه العلامة أبي بكر بن جزي الكلابي العرناطي، حسبما
 نصَّ على ذلك غير واحد .

تحقيق نسبة
 القصيدة السابقة

ولنورد كلام بعض الأئمة في حقه ، لأن فيه المطلوب وزيادة ، ونصه^(١) :

محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلابي ،

ترجمة أبي القاسم
 ابن جزي

(١) هذه الترجمة لأبي القاسم بن جزي ، والد أبي بكر صاحب القصيدة ، وستأتي ترجمته
 بعد والده .

يُكنى أبا القاسم ، من أهل غرناطة ، وذوى الأصالة والنباهة فيها ، وأصل سلفه من ولّبه ، من حصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح ، نُحبة قريتهم أبي الخطّار حُسام بن ضرار الكلبي ، وعند خلع دعوة المرابطين كان لخدمهم [يَحْيَى] بجيآن ، رياسة وانفراد بالتدبير .

وكان رحمه الله على طريقة مُثُلَى ، من المُكوف على العلم ، والافتنيات من حُرّ النَّسَب ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيها حافظا ، قائما على التدريس ، مشاركا في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب ، حافظا للتفسير ، مستوعبا للأقوال ، جماعةً للكتب ، ملوكي الخزانة ، حسن المجلس ، مُتَمِّع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن ؛ تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده ، على حدّاثه سنّه ، فاتفق على فضله ، وجري على سنن أصالته .

ومن شيوخه الأستاذ أبو جعفر بن الزبير وابن الكماماد وابن رُشيد والحضرمي وابن أبي الأحوص وابن برطال ، وأبو عامر بن ربيع الأشعري والولي أبو عبد الله الطنجالي ، وابن الشاط .

توالبفه : كتاب « وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم » ؛ و « الأنوار السنّية في الكلمات السنّية » ؛ وكتاب « الدعوات والأذكار » ؛ وكتاب « القوانين الفقهية » ؛ وكتاب « تقريب الوُصُول إلى علم الأصول » ، وكتاب « النور المبين في قواعد عقائد الدين » ؛ إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات .

[٦٥٠] شعره : قال في الأبيات الغينية ، ذاهبا مذهب الجماعة ، كآبي العلاء المعري ، والرئيس ابن المظفر ، وأبي الطاهر السلفي ، وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي الربيع

من شعره يبين غرضه في الحياة

ابن سالم ، وأبي علي بن [أبي] الأحوص ، وغيرهم :
 لكل بني الدنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ وإن مُرادِي حَجةٌ وفَرَاغُ
 لأبْلُغُ في علم الشريعة مَبْلَغًا يكون به لي لِلْجَنَانِ بَلَاغُ
 ففي مثل هذا فلينافس ذُووُ النِّهَى وحَسْبِي من دار الغُرُورِ بَلَاغُ
 فما الفوز إلا في نعيم مُؤَبَّدٍ به العيش رَغْدٌ والشرابُ يساغُ

وقال في مذهب الفخر :

وله يفخر بعفته

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي حُسْنُها قلبَ الحزين
 غَضَضْتُ الطرفَ عن نظري إليها محافظةً على عِرْضِي ودينِي
 [انتهى] .

ومن مشهور نظمته رحمه الله :

وله في جلال
 مقام النبوة

أرومُ امتداحِ المصطفى فيردني قصُوري عن إدراك تلك المناقبِ
 ومن لي بحضرةِ البحرِ والبحرِ زاهرٍ ومن لي بإحصاءِ المعنى والكواكبِ
 ولو أن أعضاءي غدت وهي ألسنُ لما بَلَغْتُ في القول بعضَ ما ربي
 ولو أن كلَّ العالمين تألفوا على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجبِ
 فأقصرَت عنه هيبَةٌ وتَأَدَّبَا وعجزا وإعظامًا لأعظم جانبِ
 ورُبَّ سكوتٍ كان فيه بلاغةٌ وربَّ كلامٍ فيه عيبٌ لعائب (١)

ورأيت بخط الإمام ابن داود أن قوله وكم من صفحة ... البيتين ، ليس

(١) كذا في ط ، م . وفي ص والديباج لابن فرحون ونفع الطيب : « عتب لعائب » .

من كلامه ، بل من كلام ابنه أبي بكر ، وهو خطأ ، لأن ابن الخطيب ذكر في
الكتيبة أن البيهقي للشيخ أبي القاسم لا لابنه أبي بكر ، والله الموفق .
ثم قال هذا المعروف بابن جُزَي :

[٦٥١] مولده : يوم الخميس التاسع لربيع الثاني من عام ثلاثة وتسعين وست مئة .

وفاته : قُتِلَ وهو يُحَرِّضُ الناس وَيَشْعِدُ بصائرهم وَيُثَبِّتُهُمْ ، يوم الكائنة
بطريف ، ضُخْوَةُ يوم الاثنين ، السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبع مئة .
تَقَبَّلَ الله شهادته . [انتهى] .

وله في الرجوع
إلى الله

ولنختم ترجمته بقوله [رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنّه بمنه] :
يَا رَبِّ إِنِّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ عَظُمَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَدًا
وليس لي بعذاب النار^(١) من قَبْلِ وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلَدًا
فَانْظُرْ إِلَيَّ إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَنَتِي وَلَا تَذِقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا

ثم قال في التعريف بولده أبي بكر المقصود ذكره هنا ، وهو الذي أُلِفَ له^(٢)
أبوه الأوار السنية ، ما نصّه :

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جُزَي الكَلْبِي ، يُكْنَى أبا بكر ، من أهل الفضل
والزاهة والهمة ، وحسن السمت ، واستقامة الطريقة ، عَرَبَ في الوقار ، ومال
إلى الانقباض ، وله مشاركة حسنة في فنون ، من فقه وعربية وخط ورواية وأدب ،
وشعر تسمو ببعضه الإجابة إلى غاية بعيدة ، وقرأ على والده ولازمه ، واستظهر
ببعض تأليفه ، وثقّه وتأدب به ، وقرأ على بعض معاصري أبيه ، ثم ارتسم في

(١) كذا في ص ، م والدباج لابن فرحون . وفي ط : « الله » .

(٢) كذا في الأصول . وفي نفع الطيب « أو » بدل « له » .

الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبي الحجاج بن نصر ، وولي القضاء
ببرجة وبأندرش ، ثم بوادي آش ، مشكور السيرة ، معروف النزاهة .

ومن شعره :

شعر له في حب
الناس للمال

أرى الناس يُولون الغنى كرامةً وإن لم يكن أهلاً لرفعةٍ مقدارٍ
ويُلَوُّونَ عن وجه الفقير وجوههم وإن كان أهلاً أن يُبلاقى بكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديثُ جمةً فما صحَّحوا إلا حديث ابن دينار

ومن بديع ما صدر عنه تصدير أعجاز قصيدة امرئ القيس بقوله :
أقول لعزى أو لصالح أعمالى « ألا عِمَّ صباحاً أيها الطللُ البالي »
ثم سرد منها أحد عشر بيتاً إلى قوله :

تصديره أعجاز
قصيدة امرئ
القيس

فأين الذين استأثروا قبلنا بها « لنأموا فما إن من حديثٍ ولا صالٍ »
ثم قال ما نصه : وهي ثمانية وأربعون بيتاً ؛ ولا خفاء ببراعة هذا النظم ،
وإحكام هذا النسيج ، وشدة هذه العارضة .

وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ، ورجز في
الفرائض ، وإحسانه كثير .

بعض تواليفه
وأعماله

وتقدم قاضياً للجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوال عام ستين وسبع مئة ، ثم
صُرف عنها . ثم لما توفى الأستاذ الخطيب العالم الشهير ، أبو سعيد فرج بن
لُبِّ رحمه الله تعالى ، وكان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة ، وُلِّيَ عَوْضاً منه
أستاذاً وخطيباً ، عام اثنين وثمانين وسبع مئة ، فبقي في الخطابة ثلاثة أعوام ،
ثم توفى . وأظن أن وفاته إنما كانت في أواخر عام خمسة وثمانين وسبع مئة ،
رحمه الله تعالى . انتهى .

ولاشك أن ما ذكره هذا الإمام في حق والده، إنما هو من كلام ابن الخطيب في الإحاطة، والله أعلم.

ولأبي بكر بن جُزَيِّ هذا أخ كاتب مجيد، من عجائب الزمان، وهو الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير أبي بكر عبد الرحمن، التأثير بجيان، ابن يوسف بن سعيد الغرناطي، المتوفى بفاس في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة رحمه الله، وقيل بل توفى آخر شوال من السنة قبلها مبطوناً، رحمه الله.

قلت: وهذا هو الصواب في وفاته، فإني رأيت بخط من يوثق به من الأعلام الذين عرفوا حاله^(١)، أنه توفى بداره من البيضاء، قرب المغرب من يوم الثلاثاء التاسع والعشرين لشوال، من عام سبعة وخمسين وسبع مئة، وكان دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر، وراء الحائط الشرقي الذي بالجامع الأعظم، من المدينة البيضاء؛ وكان مولده في شوال من عام واحد وعشرين وسبع مئة. انتهى. [٦٥٣]

يكفى أبا عبد الله. قال ابن الأحرر في نثر الجان: أدركته ورأيت، وهو من أهل بلدنا غرناطة، وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها، عالم الأندلس، الطائفة فتية منها إلى طرابلس، وقتل شهيدا في المقتك، في الواقعة التي كانت للنصارى، دمرهم الله، بطريف على المسلمين، في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، بعد أن أبلى بلاء حسنا.

وأبو عبد الله محمد هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عم أئينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف، وله فيه أمداح عجيبة، ولم يزل كاتباً في الحضرة الأحرية

(١) في م: «وفاته».

التَّصْرِية ، إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عمِّ أَيْبِنَا .

قلت : كان هذا الامتحان الذي ذكره ابن الأحمر ، هو أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه ، بل ظلمه ظلما بَيِّنًا . هكذا أَلْقِيَتْهُ في بعض المَقَيَّدَات ، والله أعلم .

ثم قال ابن الأحمر : فَقَوَّضَ الرِّحَالُ عَنِ الْأَنْدَالُسِ ، وَاسْتَقَرَّ بِالْعُدُوَّةِ ، فَكَتَبَ بِالْحَضْرَةِ الْمَرْيُوفَةِ ، لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَبِي عِيَّانَ ، إِلَى أَنْ تُؤْتَى بِهَا رَحْمَةُ اللَّهِ .

هَاجِلُ رَحْمَتِهِ النَّصْر :

طَلَعَ فِي سَمَاءِ الْعُلُومِ بَدْرًا مُشْرِقًا ، وَسَارَتْ بِرَاعَتِهِ غُرُبًا وَمُشْرِقًا ، وَسَمَا بِشَعْرِهِ
فَوْقَ الْفَرْقَدِينَ ، كَمَا أُرْبَى بِنَثَرِهِ عَلَى الشُّعْرَى وَالْبُسْلَيْنِ ، لَهُ بَلَعٌ مَدِيدٌ فِي التَّارِيخِ ،
وَاللُّغَةِ ، وَالْحِسَابِ ، وَالْفَقْهِ ، وَالنَّحْوِ ، وَالْبَيَانِ ، وَالْآدَابِ ، بِصِيرًا بِالْأَصُولِ
وَالْفُرُوعِ وَالْحَدِيثِ ، عَارِفًا بِالْمَاضِي مِنَ الشَّعْرِ وَالْحَدِيثِ ؛ إِنَّ نَظْمَ أَنْسَاكَ أَبَا ذُوئَيْبٍ
بِرِقَّةً ، وَنُصَيْبًا بِمَنْصِبِهِ وَنَخْوَةً ؛ وَإِنْ كَتَبَ أُرْبَى عَلَى ابْنِ مُقْلَةٍ بِخَطِّهِ ،
وَإِنْ أَنْشَأَ رِسَالَةَ أَنْسَاكَ الْعِمَادَ بِحَسَنِ مَسَاقِفِهَا وَضَبَطَهُ ؛ وَهُوَ رِبِّ هَذَا الشَّانِ ، [٦٥٤]
وَفَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ ؛ وَمَعَ تَفَنُّنِهِ فِي الْعُلُومِ فَهُوَ فِي الشَّعْرِ قَدْ نَبَغَ ، وَمَا بَلَغَ أَحَدٌ
مِنْ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ مِنْهُ مَا بَلَغَ ؛ بَلْ سَلَمُوا التَّقَدُّمَ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَأَلْقَوْا زِمَامَ الْاعْتِرَافِ
بِذَلِكَ فِي يَدَيْهِ ؛ وَدَخَلُوا تَحْتَ رَايَةِ الْآدَابِ الَّتِي حَمَلَ ، إِذْ ظَهَرَ سَاطِعُ بَرَاعَتِهِ ظُهُورَ
الشَّمْسِ بِالْحَمَلِ .

أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا الْحَجَّاجِ يَوْسُفَ بْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي
الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ ، عَمِّ أَيْبِنَا ، ابْنَ جَدِّنَا الرَّئِيسِ الْأَمِيرِ أَبِي سَعِيدِ فَرْجَ ، ابْنَ جَدِّنَا

قصيدة له في مدح
أبي الحجاج
يوسف

الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ،
ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر ، محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن
نضر الخزرجي ، هذه القصيدة البارعة ، وحذف منها الراء المهملة :

قَسَمًا بوضَّاحِ السَّيِّ وَهَاجٍ مِنْ تَحْتِ مَسْبُولِ الذَّوَابِ دَاجٍ
وَبَابِلِجٍ بِالمَسكِ خُطَّتْ نُونُهُ مِنْ فَوْقِ وَسْنَانِ اللّٰوَاظِ سَاجٍ
وَبِحُسْنِ خَيْدٍ دُبَّجَتْ صَهَّاحَتُهُ فَعَدَّتْ تَحَاكِي مُذْهَبِ الدِّيَابِجِ
وَبِمَبْسَمٍ كَالْعَقْدِ نَظَّمَ سِلْكُهُ وَلَمَّى حَكَايَ الصَّهْبَاءِ دُونَ مِرَاجِ
وَبِمَنْطِقٍ تَصْبُو القُلُوبُ لِحُسْنِهِ أَنْسَى الْمَسَامِعَ نَعْمَةَ الْأَهْزَاجِ
وَبِمَائِسِ الْأَعْطَافِ تَذْنِيهِ الصَّبَا فَيَمِيسُ كَالْخَطِّ يَوْمَ هِيَاجِ
وَمُنْعَمٍ مِثْلِ الْكَثِيبِ يُقْلَهُ مُتَضَمِّنٌ يَشْكُو مِنَ الْإِدْمَاجِ
وَبِمَوْعِدٍ لِلْوَصْلِ أَنْجَزَ فِجَاءَهُ مِنْ بَعْدِ طَوْلٍ تَمْنَعُ وَلِجَاجِ
وَبِأَكْوَسِ أَطْلَقْنَ فِي جُنْحِ الدَّجَى شَمْسَ الشَّلَافَةِ فِي سَمَاءِ زَجَاجِ
وَحَدَائِقِ سَحَبِ السَّحَابِ ذِيُولَهُ فِيهَا وَبَاتَ لَهَا النِّسِيمُ يَنَاجِي
وَحَدَاوِلِ سَلَّتْ سَيُوفًا عِنْدَمَا رَحُفَتْ بِمِيشِ الصَّبَا عَجَاجِ
وَبِأَقْعَوَانٍ قَدْ تَضَاحَكَ إِذْ بَكَتْ عَيْنُ الْغَمِّ بِمَدْمَعِ تَجَاجِ
وَقُدُودِ أَغْصَانٍ يَمْلَنَ كَانَهَا تُخْفِي حَدِيثًا بَيْنَهَا وَتَنَاجِي
وَحَامِئِ يَهْتَفِنَ شَجَوًا بِالضَّحَى فَهَدِيلُهُنَّ لَدَى الصَّبَابَةِ شَاجِي
إِنْ الْمَعَالَى وَالْعَوَالِي وَالنَّسْدَى وَالْبَاسَ طَوْعُ يَدَيَّ أَبِي الْحَجَّاجِ
مَلِكٌ تَتَوَجَّجُ بِالمَهَابَةِ عِنْدَمَا لَمْ يَسْتَجِرْ فِي الدِّينِ لُبْسَ التَّاجِ
وَأَفَاضَ حَكْمَ الْعَذْلِ فِي أَيَّامِهِ فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَاصْخُ الْمُنْهَاجِ
هُوَ مُنْقِذُ الْعَانِي وَمُعْغِي الْمُعْتَقِي وَمُذَلِّلُ الْعَانِي وَغَوِثُ اللَّاجِي

ماخِي العزيمَةِ والسيوفِ كَلِيلَةً طَلَقُ الْمُحَيَّا وَالْخُطُوبُ دَوَاجِي
 عِلْمُ الْهُدَى وَالنَّاسِ فِي عَمِيَاءٍ قَدْ ضَلُّوا الْوَقْعَ الْحَادِثَ الْمُهِتَاجِ
 غَيْثُ النَّدَى وَالسَّحْبُ تَبْخُلُ بِالْحَيَا وَالْمَحَلُّ يُبْدِي فَاقَةَ الْحِمَاجِ
 لَيْثُ الْوَعَى وَالْخَيْلُ تُزَجَّى بِالْقَنَا وَالْبَيْضُ تَهْتَلُ فِي دَمِ الْأَوْدَاجِ
 يَتَقَشَّعُ الْإِظْلَامُ إِذْ يَبْدُو لَهُ وَجْهُ كَمِثْلِ الْكُوكَبِ الْوَهَّاجِ
 مِنْ آلِ قَبِيلَةٍ مِنْ ذُؤَابَةِ سَعْدِهَا أَعْلَى بَنِي قَحْطَانَ دُونَ خِلَاجِ
 حَيْثُ الْعُلَا مَمْدُودَةُ الْأَطْنَابِ لَمْ تُخْلَقْ مَعَالِمَهَا يَدُ الْإِنْهَاجِ
 وَالْأَعُوجِيَّاتُ السَّوَابِقُ تُمْتَطِي فَتَظَلُّ الْآفَاقَ سُحْبُ عَجَاجِ
 وَالْبَيْضُ وَالْأَسَلُ الْعَوَامِلُ تَقْتَضِي مُهَجَّ الْكَلِمَةِ بِأَبْنِغِ الْإِزْجَاجِ
 مَجْدَهُ لَيْسَ سَفْ مُجِّتُ أَشْتَاتِهِ أَعْيَا سِوَاهُ بَعْدَ طَوْلِ عِلَاجِ
 مَوْلَايَ هَاكَ عَقِيلَةً تَزْهُو عَلَى أَخَوَاتِهَا كَالْعِلَاقَةِ الْمَغْنَاجِ
 إِنْشَاءَ عَبْدٍ خَالِصٍ لَكَ حُبُّهُ وَمِنْ الْعَبِيدِ مُدَاهِنٍ وَمُدَاجِي
 أَوَّى إِلَى أَكْنَافِ نِعْمِكَ الَّتِي لَيْسَتْ إِلَيْهِ صِلَاتُهَا بِخِجَاجِ
 سَبَاقُ مَيْدَانِ الْبَلَاغَةِ وَالْوَعَى لِشُعَابِ كُلِّ مِنْهُمَا وَلَاجِ
 جَانِبَتْ أُخْتَ الزَّأَى فِيهَا عَامِدًا فَاتَتْ مِنَ الْإِحْسَانِ فِي أَفْوَاجِ
 فَافْتَحْ لَهَا بَابَ الْقَبُولِ وَأَوَّلِ مَنْ أَهْدَاكُمَا مَا يَبْتَغَى مِنْ حَاجِ

قال ابن الأحمر: وأنشدني أيضا لنفسه، يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله،
 أبا عنان فارسًا مَلِكَ الْمَغْرِبِ، رحمه الله:

قصيدة له في
 مدح أبي عنان
 فارس

إِنَّ قَلْبِي لَعَهْدَةُ الْعَبْرِ نَاكُثٌ عَنْ غَزَالٍ فِي عُقْدَةِ السَّحَرِ نَافِثٌ
 أَضْرَمَ النَّارَ فِي فُؤَادِي وَوَلَّى قَائِلًا لَا تَخَفْ فَإِنِّي عَابِثٌ

[وَرَمَانِي مِنْ مُقَلَّتِيهِ بِسَهْمٍ
كَمْ عَذُولُ أَتَى يُنَاطِرُ فِيهِ
وَيَمِينِ آلَيْتُهَا بِالتَّسَلَّى
جَبَرَ اللَّهُ صَدْعَ قَلْبٍ عَمِيدٍ [٦٥٦]
فَهُوَ يَهْفُو إِلَى الْبُرُوقِ وَيَرُوي
سَلْبَتَهُ الْأَشْجَانِ إِلَّا بَقَايَا
وَبِكَاءٍ عَلَى عَهْدٍ مُوَاضٍ
لَسْتُ وَحْدِي أَشْكُو بَلِيَّةَ وَجْدِي
يَا مُضِيعَ الْعُهُودِ وَاللَّهُ يَعْفُو
غَرَّنِي مِنْكَ وَالْجَمَالَ غَرُّورُ
مُقَلٌّ يَقْتَسِمُنْ أَعْشَارَ قَلْبِي
كَيْفَ غَيَّرْتَ بَانْتِزَاحِكَ حَالِي
فَرَطَ حَبِّي وَفَرَطَ حُبِّكَ إِلَّا
وَنَدَى فَارِسٍ وَحُسْنُكَ رَدًّا
مَلِكِ الْبَاسِ وَالنَّدَى فَهُوَ بِالسَّيْفِ
مُحَرَّرُ الْجِدِّ وَالْتِنَاءِ فَهَذَا
أَوْطَأَ الشَّهْبَ رَجُلُهُ وَتَرَفَّى
فَدَرَارٍ تَسْرِي وَمَا لِحَقَّتْهُ
وَلَهُ الْمُقَرَّبَاتُ لَا بَلْ هِيَ الْعَقْبُ
مُطْلِعَاتٍ مِنْ كُلِّ نَقْلٍ هِلَالَا
إِنْ تَوَاقَفْنَ فَالْجِبَالُ الرُّوَاسِي
ثُمَّ قَالَ اصْطَبِرْ لثَانٍ وَثَالِثٍ
كَانَ تَعَذَّالَهُ عَلَى الْحَبِّ بَاعَثَ
فَقَضَى حُسْنُهُ بِأَنَّى حَانَتْ
صَدَعَتْ شَمْلُهُ صُرُوفَ الْحَوَادِثِ
عَنْ نَسِيمِ الصَّبَا ضِعَافَ الْأَحَادِثِ
مِنْ أَمَانِ حَبْلُهَا رَثَائِثِ
مَلَأَتْ صَدْرَهُ هُمُومًا حَدَاثِ
إِنَّ دَاءَ الْغَرَامِ لَيْسَ بِحَادِثِ
عَنْكَ إِنِّي ارْتَضَيْتُ خُطَّةً نَاكَثِ
وَطَبَا اللَّحْظِ فِي الْقُلُوبِ عَوَابِثِ
بِالرِّضَا مِنِّي اقْتِسَامَ الْمَوَارِثِ
وَتَغَيَّرَتْ لِي وَلَسْتُ بِحَارِثِ
أَنْ عَيْنِيكَ بِالْفُتُورِ نَوَافِثِ
قَوْلَ مَنْ قَالَ سُدَّ بَابُ الْبَوَاقِثِ
مَلِكِ الْبَاسِ وَالنَّدَى فَهُوَ بِالسَّيْفِ
مُحَرَّرُ الْجِدِّ وَالْتِنَاءِ فَهَذَا
أَوْطَأَ الشَّهْبَ رَجُلُهُ وَتَرَفَّى
فَدَرَارٍ تَسْرِي وَمَا لِحَقَّتْهُ
وَلَهُ الْمُقَرَّبَاتُ لَا بَلْ هِيَ الْعَقْبُ
مُطْلِعَاتٍ مِنْ كُلِّ نَقْلٍ هِلَالَا
إِنْ تَوَاقَفْنَ فَالْجِبَالُ الرُّوَاسِي
ثُمَّ قَالَ اصْطَبِرْ لثَانٍ وَثَالِثٍ
كَانَ تَعَذَّالَهُ عَلَى الْحَبِّ بَاعَثَ
فَقَضَى حُسْنُهُ بِأَنَّى حَانَتْ
صَدَعَتْ شَمْلُهُ صُرُوفَ الْحَوَادِثِ
عَنْ نَسِيمِ الصَّبَا ضِعَافَ الْأَحَادِثِ
مِنْ أَمَانِ حَبْلُهَا رَثَائِثِ
مَلَأَتْ صَدْرَهُ هُمُومًا حَدَاثِ
إِنَّ دَاءَ الْغَرَامِ لَيْسَ بِحَادِثِ
عَنْكَ إِنِّي ارْتَضَيْتُ خُطَّةً نَاكَثِ
وَطَبَا اللَّحْظِ فِي الْقُلُوبِ عَوَابِثِ
بِالرِّضَا مِنِّي اقْتِسَامَ الْمَوَارِثِ
وَتَغَيَّرَتْ لِي وَلَسْتُ بِحَارِثِ
أَنْ عَيْنِيكَ بِالْفُتُورِ نَوَافِثِ
قَوْلَ مَنْ قَالَ سُدَّ بَابُ الْبَوَاقِثِ
مَلِكِ الْبَاسِ وَالنَّدَى فَهُوَ بِالسَّيْفِ
مُحَرَّرُ الْجِدِّ وَالْتِنَاءِ فَهَذَا
أَوْطَأَ الشَّهْبَ رَجُلُهُ وَتَرَفَّى
فَدَرَارٍ تَسْرِي وَمَا لِحَقَّتْهُ
وَلَهُ الْمُقَرَّبَاتُ لَا بَلْ هِيَ الْعَقْبُ
مُطْلِعَاتٍ مِنْ كُلِّ نَقْلٍ هِلَالَا
إِنْ تَوَاقَفْنَ فَالْجِبَالُ الرُّوَاسِي

والمواضى كأنها قد أُعيرت حِدَّةُ الذَّهْنِ مِنْهُ عِنْدَ الْمُبَاحِثِ
هِيَ نَارُ مُحَرِّقَاتِ الْأَعَادِي وَهِيَ مَاءُ مُطَهَّرَاتِ الْخَبَائِثِ
فَيَرْدَنَ الْوَعَى ذِكُورًا عِطَاشًا ثُمَّ يَصْدُرْنَ نَاهِلَاتٍ طَوَامِثِ
مِنْ مَعَالِيهِ قَدْ رَأَيْنَا عِيَانًا كُلُّ فَضْلٍ يَنْصُبُهُ مَنْ يُحَادِثِ
خُلُقٍ كَالنَّسِيمِ مَرًّا سُخِيرًا بِالْأَزَاهِيرِ فِي الْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ
فِي سَبِيلِ الْإِلَهِ يُقْصَى وَيُذْنِي وَيُؤَالِي فِي ذَاتِهِ وَيُنَاكِثِ
شَرَفَ الْمُلْكِ مِنْهُ سَامٌ وَحَامٌ فَقَدْتُهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثِ
هَا كَهَا مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي بِكَرًا لَيْسَ يَسْمُو لَهَا مِنَ النَّاسِ طَامِثِ
ذَاتَ لَفْظٍ لَا يَعْتَرِيهِ اخْتِلَالٌ وَمَعَانٍ لَا تَنْتَجِيهَا الْمُبَاحِثِ
زُعْمَاءُ الْقَرِيضِ أَبْقَوْا بَقَايَا كُنْتُ دُونَ الْوَرَى لَهْنِ الْوَارِثِ
مَنْ أَرَادَ انْتِقَادَهَا فَهِيَ هَذِي غُرُضَةُ الْبَحْثِ فَلْيَكُنْ جِدًّا بَاحِثِ

[٦٥٧]

قلت: رأيت بخط ابن الصَّبَاغِ العقيلي على حاشية قوله:

حسن تخلصه في
القصيدة

« وندى فارس وحسنك ردًا ... » البيت ، مانصه : ما أبدع تخلصه للمدح
وأطبعه ، فإنه أشار إلى قول الشاعر رادًا عليه بالتبكيك ، ومُعَنِّفًا له بالتعنيك :
قالوا تركت الشعر قلت ضرورةً بَابُ السَّمَاحَةِ وَالْمَلَاخَةِ مُعَاقُ
مَاتَ الْكِرَامُ فَلَا كَرِيمَ يُرْتَجَى مِنْهُ النِّوَالُ وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
اتمى .

وعلقَ بِحَفْظِي أَنْ السُّلْطَانَ أَبَا عَيْنَانَ أَطْلَّ مِنْ بُرْجٍ ، يشاهد الحرب بين
الثور والأسد ، على ما جرت به عادة الملوك ، فقال ابن جُرَیِّ هذا في وصف

وله في وصف حال

الحال ، ما يكاد تُعدُّ معارضته من قبيل الحال ، وهو :

لله يومٌ بدار المُلْك مرَّ بهِ من العجائب ما لم يَجْرُ في خَلْدِ
لاح الخليفةُ في بُرْجِ العُلا قرَّأ يُشاهدُ الحرب بين الثور والأسد

وله في حفظ
العهد

[ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى :

أبا حسنٍ إن شئت الدهر شملنا فليس لودِّ بالفؤاد شتاتُ
وإن حُلتَ عن عهد الإخاء فلم أزلْ لِقابِي على حفظ العهود ثباتُ
وهبني سرتُ مني إليك إساءةٌ ألم تتقدَّم قبلها حسنات !]

ألف رحلة ابن
بطوطة

وهو الذي ألفَ رحلةَ ابنِ بطُوطَة ، حَسْبُما هو معلوم .

ومن شعر
له في مرضه

قال ابن الأحمر : ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله وهو بحال مرض :

إن يأخذِ السُّمُّ من جِسْمِي ما خَذَهُ وَأَصْبَحَ القَوْمُ من أَمْرِي على خَطَرٍ
فإنَّ قلبي بِحِمْدِ اللَّهِ مُرْتَبِطٌ بالصَّبرِ والشُّكْرِ والتَّسليمِ للقَدَرِ
فالمرءُ في قَبْضَةِ الأقدارِ مَصْرُوفُهُ للِبَرِّ والسُّمِّ أوْ للنَّفْعِ والضَّرَرِ

ومن شعره
يخاطب أبا
إسحاق بن الحاج

وحكى لى غير واحد ، أن الفقيه الكاتب القاضى الحاجَّ الرَّحَّالَ أبا إسحاق

ابن الحاج الثَّمِيرِي ، بقى في خَلوته جميع شهر رمضان المعظَّم ، من عام سبعة

وخمسين وسبع مئة ، فلما خرج يومَ عيد الفطر أنشده سيدي أبو عبد الله بن

[٦٥٨]

جُرَيزِي المذكور لنفسه يخاطبه :

ما سِرَّارُ البُدُورِ إلا ثلاثُ فلماذا أَرى سِرَّارَكَ شَهْرًا

أَتَعَجَّلْتَهُ سُرُورًا لِعَامٍ ثُمَّ تَبَقَّى في سائرِ العامِ بَدْرًا

وله مصحفاً وحكى أنه كتب رحمه الله للرئيس الكاتب ، أبي القاسم بن رضوان ، يطلب منه شراب سكتنجبين ، وقصد التصحيف بقوله :
أَحْسَنُ زَانَ يَدَيْكَ نَجِيبٌ تُسَرُّ بِهِ بُرٌّ مَرْضِي .

تصحيفه :

أَحِبُّ شَرَابَ سَكَنْجَبِينَ شُرْبُهُ بُرٌّ مَرْضِي .

[قال] جأوبه ابن رضوان بقوله :

« إِنَّ بَرَّكَ نَفِيسٌ » . تصحيفه مقلوباً : « يَشْفِيكَ رَبُّنَا » .

ولابن الجباب مصحفاً وتذكرت بهذا ما وقع للرئيس ابن الجباب ، فإنه أهدى له الفقيه ابن قُطَيْبَةَ رُماناً ، ثم دخل عليه عائداً ، فلما رآه قال له : يا فقيهِ ، نَعِمَ بِالْهُدَنَةِ زَمَانُكَ ، أراد : نَعَمَتِ الْهُدْيَةُ رُمانُكَ . وكان هذا قبل موته من مرضه يسير : وهو مما يدل على ثَقُوبِ ذهنه ، حتى قرب الموت ، سامحه الله ، وعَفَّرَ له .

ولابن جزى في المرية وأهلها ومن نظم أبي عبد الله بن جُزَيِّ المذكور قوله :
رَعَى اللَّهُ عَهْدًا بِالْمَرِيَّةِ لَا أُرَى لَهُ أَبَدًا مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ بِالنَّاسِي
وكيفَ تَرَى بِاللَّهِ صُحْبَةً مَعَشَرَ مُجَاهِدُ بَعْضُ مِنْهُمْ وَإِنْ عَبَّاسُ

وله في زاوية أبي عنان وعليها إلى قرب هذا التاريخ :

هَذَا مَحَلُّ الْفَضْلِ وَالْإِيثَارِ وَالرَّفْقِ بِالسُّكَّانِ وَالزُّوَارِ
دَارٌ عَلَى الْإِحْسَانِ شِيدَتْ وَالتَّقَى فِجْرَاؤُهَا الْحُسْنَى وَعُقْبَى الدَّارِ

هي مَلْجَأٌ للواردِين ومَوْرِدٌ لابن السبيل وكل ركب سارى
 آثارُ مولانا الخليفة فارس أكرم بهما في المجد من آثار
 لا زال منصورَ اللواء مُظَفَّرًا ماضى العزائم سامى المقدار
 بُنِيَتْ على يدِ عبدِهِم وخديمِها بِهِم العلى محمد بن جدار [٦٥٩]
 فى عام أربعة وخمسين انقضت من بعد سبع مئين فى الأعصار

ومن بديع نظمه

ومن بديع نظمه رحمه الله [قوله]:

وما أنسى الأحبة حين^(١) بانوا تخوض مَطِيْهِمْ بِحَرَ الدُمُوعِ
 وقالوا اليومَ مَنَزَلْنَا الحنأيا فقلتُ نعم ولكن من ضلوعى

وقوله رحمه الله:

ورُبَّ يهوديٍّ أتى مُتَطَبِّبًا لِيَأْخُذَ ثاراتِ اليهودِ مِنَ الناسِ
 إذا جَسَّ نَبْضَ المرءِ أودى بِنَفْسِهِ سَريعًا لم تسمع بفتكة^(٢) جَسَّاسِ

وقوله رحمه الله:

مِنْ أَى أَشْجَانِي الَّتِي جَنَّتِ الْهَوَى أَشْكُو الْعَذَابَ وَهَنٌ فِي تَنْوِيْعٍ؟
 مِنْ وَصَلَى الْمَوْقُوفِ أَوْ مِنْ هَجَرَى الْمَوْصُولِ أَوْ مِنْ نَوْمَى الْمَقْطُوعِ؟

(١) فى ص ، م : « يوم » .

(٢) فى م : « بقتلة » .

وقوله رحمه الله :

فَخَذَى وَجَسْمِي وَالْفُؤَادَ وَأَذْمَعِي شُهُودَهُمْ دَعَوَى الْغَرَامِ تَصَحَّحُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ رَجَّحَ النَّاسُ نَقْلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ ذُو جِرْحَةٍ فِيهِ تَقْدَحُ
لِجَسْمِي ضَعِيفَ وَالْفُؤَادَ مُخَاطَّ وَدَمْعِي مَطْرُوحَ وَخَذَى مُجَرَّحَ

وقوله رحمه الله :

يَا مُحَيَّا كَتَبَ الْحَسَنُ بِهِ أَحْرَفًا أَبْدَعَ فِيهَا وَبَرَعَ
مِيمَ ثَعْرٍ ثُمَّ نَوَّنَ حَاجِبٍ ثُمَّ عَيْنٌ هِيَ تَنْمِيهِ الْبِدَعَ
أَنَا لَا أَطْمَعُ فِي وَصْلِكَ لِي وَعَلَى وَجْهِكَ مَكْتُوبٌ مَنَعَ

قال ابن الأحمر :

ومن إنشائه البارع موزوناً بالكتب^(١) ، ورفعها لأمر المؤمنين المتوكل على الله
أبي عنان فارس ، رحمه الله ، يهنئُهُ بإبلال ولده ووليَّ عهده ، الأمير أبي زيان
محمد من مراض :

تهنئته أبا عنان
إبلال ولده
وتوربته بأسماء
الكتب

مَاذَا عَسَى أَدَبُ الْكِتَابِ يُوَضِّحُ مِنْ خِصَالِ تَجْدِيدِكَ وَهُوَ الزَّاهِرُ الزَّاهِي
وَمَا الْفَصِيحُ بِكَلِمَاتٍ مُوَعِّبِهَا كَافٍ فَيَأْتِي بِأَنْبَاءٍ وَإِنْبَاءِ
أَبْقَى اللَّهُ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ وَلِسَعَادَتِهِ الْقِدْحُ الْمَعْلَى ، وَلِزَاهِرِ كَلَامِهِ التَّاجُ
الْحَلَّى ؛ تُجَلَّى مِنْ حِلَاةِ نَزْهَةِ النَّازِرِ ، وَيَسِيرُ بِعِلَالَةِ الْمَثَلِ السَّائِرِ ؛ وَيَتَسَّقُ مِنْ ثَنَاهُ
الْعَقْدُ الْمُنْظَمُ ، وَيَتَضَحُّ بِهَدَاهِ الْقَصْدِ الْأَمَمِ ؛ وَلَا زَالَتْ مَقَدِّمَاتُ النَّصْرِ لَهُ مَبْسُوطَةٌ ،

[٦٦٠]

(١) يلاحظ أن هذه الرسالة مشتملة على التورية بأسماء كثير من الكتب المشهورة .
وقد اكتفينا بهذه الإشارة عن التنبيه على كل منها .

ومعونة السعد بإشارته منوطة ؛ وهدايته متكفلة بإحياء علوم الدين ، وإيضاح
 منهاج العابدين ؛ وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين ، ويأتي من شفاء الصدور بالنور
 المبين ؛ وميمات الخدمة ببابه مطمح الأنفس ، وملخص الجود من كفة بغيته
 الملتبس ؛ قد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك ، لما أتته عوارفك
 بالمشرع السلسل ومعارفك بنظم السلوك ؛ ووضعت معالم مجدك وضوح أنوار
 الفجر ، وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر ، ؛ فلك في
 جمهرة الشرف النسب الوسيط ، ومن مجل المآثر الخلاصة والبسيط ؛ وسبل
 الخيرات لها برعايتك تيسير ، ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير ؛ وأنت
 حجة العلماء ، الذي تقصر عن تقصى ماثره فطن الأذكياء ، إن أنبههم التفسير
 ففي يديك ممالك التأويل ، أو اعتاص تفريع الفقه فعندك فضل البيان له
 والتحصيل ؛ وإن تشعب التاريخ فلديك استيعابه ، أو تطاول الأدب ففي إيجاز
 بيانك اقتضابه ؛ وإن ذكر الكلام ففي انتقائك من برهانه الحصول ،
 أو المنطق ففي موجز أماليك لبابه المنخول ؛ وليس أساس البلاغة إلا ما تأتي
 به من فصل المقال ؛ ولا جامع الخير إلا ما حُرته في تهذيب الكمال ؛ ولذلك
 صارت خدمتك غاية المطلوب ، وحُبك قوت القلوب ؛ ولا غرو أن كنت من
 العلياء دُرّتها المكنونة ، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة ؛ بحماستهم
 أصيبت مقاتلُ الفرسان ، وبجود جودهم نسى رى الظمان ؛ وبتسهيل عدلهم [٦٦١]
 ونحت شعب الإيمان ؛ وأنت المنتقى من سبط جمانهم ، والواسطة في قلاند
 عقيانهم ؛ عنك تؤثر سيرة الاكتفاء ، وعن فروعك السعداء ، تروى أخبار
 نجباء الأبناء ؛ فهم لملكك العلية بهجة مجالسها ، وأنس مجالسها ؛ وقطب
 سرورها ، ومطالع نورها ؛ وولى عهدك دُرّتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة ؛

لا زال كاملُ سعادته بطول مُقامِك، محكماً، وحِزْزُ أمانِيَّه بالجمع بين الصَّحيحين :
 حَبِّكَ ورضاك مُعلماً ، وقد وَجَّهَت التهنئةُ بما كان في حيلة برئه من التيسير ،
 وما تهيأ في استقامة قانون صحته من نُجْح التدبير ؛ ولم يكن إلا أن بُعِدَتْ به
 عنك المسالك ، وأعوز نورَ طَرَفه تقريبُ المَدَارِك ، وتذكرُ ما عهدَه [من]
 الإيناس الموطأً جنابه عند أفضل مالك ؛ فَوَرَى من شوقه سَقَطُ الزَّند ، والتهب
 في جوانحه قَبَسُ الوجد ؛ فأمددته من دعائك الصالح بحِلْيَةِ الأولياء ، فظفر لَمَّا
 شارف مَشَارِق الأنوار من حضرتك بالشفاء ؛ وقد حاز إكمال الأجر بذلك
 العارض الوجيز ، وكان له كتشبيب الإبريز ؛ وها هو قادم بالطالع السعيد ،
 آتِب بالمقصد الأسنى من الفتح والتمهيد ؛ يطلعُ بين يديك طلوع الشهاب ،
 ويبسيمُ عن مفصل الثناء في الهناء بذلك زهر الآداب ؛ فأعدَّ له تحفة القدام
 من إحسانك الكامل ، واخصه بالتهكلة من إيناسك الشامل ، فهو السكوك
 الدرِّي ، المستمد من أنوارك السنيَّة ، وفي تهذيب شمائله إيضاح للخُلُق^(١) الكريمة
 الفارسيَّة^(٢) ؛ لا زالت تزدان بصحاح مآثر عيون الأخبار ، وتتعطر بنفحة الزهر
 من ثنائك روضة الأزهار ؛ وتُتلى من محامدك الآيات البينات ، وتتوالى عليك [٦٦٢]
 الألطاف الإلهيات ، بمن الله وفضله .

والسلام الكريم يعتمد المقام العلى ورحمة الله وبركاته . انتهى .

وقد قال أبو عبد الله بن جُزَيّ المذكور رحمه الله عدة قطع يُورَى فيها
 بأسماء الكتب ، منها قوله :

من نظم ابن جزي
 موريا بأسماء
 الكتب

(١) الخلق مذكر ، لكنه حمل على معنى السجايا ، فأنته .

(٢) نسبة إلى أبي عنان فارس .

ظيُّهُ هو الكامل في حُسْنِهِ وثغره أنهى من العَقْدِ
جماله المشرق لَكِنَّهَا أخلاقه تحكى صَبَا نَجْدِ
وقوله رحمه الله :

لَكَ اللهُ مِنْ خَلِّ حَبَانِي بِرَقْعَةٍ حَبْتِي مِنْ آيَاتِهَا بِالنَّوَادِرِ
رِسَالَةٌ رَمَزِي فِي الْجَمَالِ نِهَائِيَّةٌ ذَخِيرَةٌ نَظْمٍ أَتَحَقَّقُ بِالْجَوَاهِرِ
وقوله رحمه الله :

قِصَّتِي فِي الْهَوَى الْمُدَّةُ نُهُ الْكِبَرِ وَأَخْبَارُ عِشْقِي الْمَبْسُوطَةُ
حَبَّتِي فِي الْغَرَامِ وَاضِحَةٌ إِذَا لَمْ تَزَلْ مَهْجَتِي بُوْجْدٍ مَنُوطَةُ
أَقُولُ : مَا أَبْدَعَ هَذَا الْفَصْلُ (١) ، الَّذِي حَبَرَهُ هَذَا الْحَبْرُ فِي فَنِّ التَّوْرِيهِ ،
وَشَاهِدُهُ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ مُبَرِّزٌ عَدْلٌ ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَرْكِهِ .

وتذكرت بهذه التورية بأسماء الكتب قولَ بعض الأكابر ، وأظنُّه الشيخ
الكاتب ، أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي ، لأن الكاتب أبا إسحاق بن الحاج
القمي رحمه الله ، قال حسبا وجدت بخطه ما نصه :

أنشدني شيخنا الإمام أبو محمد لنفسه :

مَنْ اغْتَدَى مُوْطَأً أَكْنَافُهُ صَحَّ لَهُ التَّمْيِيدُ فِي أَحْوَالِهِ
وَقَابَلَ اسْتِدْكَارَهُ بِالْمُنْتَقَى مِنْ رَأْيِهِ الْخِتَارِ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَأَضْحَتِ الْمَسَالِكُ الْحُسْنَى لَهُ تُدْنِي تَقْصِيًا قِصِيَّ أَمَالِهِ
وَسَارَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَنْوَارِ فِي أَدْنَى الْمَدَارِكِ [أَوْ] (٢) إِلَى إِكْمَالِهِ

(١) في الأصول : « الفرد » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) زيادة عن نفع الطيب .

ثم قال أبو إسحاق بن الحاج المذكور : ولما وقفت على ذلك صاحبنا [٦٦٣] لأبي علي حسين
ابن صالح موريا
بأسماء الكتب
الفاضل العالم ، أبو علي حسين بن صالح بن أبي دلامة ، أنشدني له هذه الأبيات ،
وزاد ذكر التّيس والمُعَلِّم :

قل للموطّأ للورى أكنافه بُشراه بالتهديد فى الأحوال
وإذا اكتفى بالمنتقى استذكاره وقى له الختار فى الأعمال
ومسالك الحسنى تؤدّيه إلى أقصى التّقصى من قصى الآمال
ويلوح من قبس الهداية رُشدُه من مُعَلِّم التفصيل والإجمال
انتهى كلام ابن الحاج .

ومن هذا المعنى قول الوزير أبي عبد الله بن الخطيب :
الوزير لسان
الدين بن الخطيب
موريا بأسماء
الكتب
وظي لأوضاع^(١) الجمال مدرّس علم بأسرار الحاسن ماهر
أرى جيده نصّ الحلى وقرّرت ثناياه ماضت صحاح الجواهر

وقول ابن خاتمة :
لابن خاتمة موريا
بأسماء الكتب
ومُعطر الأنفاس يلبس دائما عن درّ ثغير زانه ترتيب
من لم يشاهد منه عقد جواهر لم يدّر ما التّنقيح والتهذيب
ومن قول ابن خاتمة أيضا :

سفّهنى عاذلى عليه وقال لى وُدّه عليل
فقلت معتلّ أو صحيح يودعه عيّنهُ الخليل

(١) فى م : « بأوصاف » .

وقال بعضهم :

حاز الجمال بصورة قمرية تجلو عليك مشارق الأنوار
وحوى الكمال بسيرة عمرية تتلو عليك مناقب الأبرار

ولنرجع إلى نظم ابن جزي فنقول :

وأنشد في الإحاطة لأبي عبد الله بن جزي المذكور :

تلك الذؤابة^(١) ذُبْتُ من شوقى لها واللحظُ يحميها بأى سلاح
يا قلبُ فأنجُ وما إخالكَ ناجياً من فتنَةِ الجعدى والسفاح^(٢)
وقوله رحمه الله تعالى .

وعاشقٍ صليٍّ ومحرابه وجّه غزال ظلَّ يهواه
قالوا تعبدتَ فقلتُ نعم تعبدًا ينفهم معناه

وقوله رحمه الله :

[٦٦٤]

نصب الحبائل للورى بالحسن إذ رفع اللثام وذيله مجرور
وأماله عني العواذل ضلالةً فهو المحال وقلبي المكسور
وقوله رحمه الله :

لا تعدُّ صِنْتَكَ إنْ ذهبتَ لصاحبٍ تَعَدُّهُ لكن تَخَيَّرَ وانتقى
أوما ترى الأشجارَ مهما رُكِبَتْ إنْ خولقتَ أصنافها لم تَعْلَقْ
انتهى .

(١) في نفح الطيب : « الذؤابة » .

(٢) الجعدى : هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . لقب بالجعدى لمصاحبتة الجعد ابن درهم المتكلم . والسفاح : هو أبو العباس عبد الله بن محمد مؤسس الدولة العباسية .

وانختم ما أوردنا من نظمه بقرله :

أَيَّتْهَا النَّفْسُ قَفِيْ عِنْدَمَا أَلْزِمْتُ فِعْلاً كَانَ أَوْ قَوْلَا
فَمَنْ يَكُنْ يَرْضَى بِمَا سَاءَ أَوْ سَرَّهُ فَهُوَ لَهُ الْأَوَّلَى
لَا يُتْرَكُ الْعَبْدُ وَمَا شَاءَ إِلَّا إِذَا أَهْمَلَهُ الْمَوْلَى

وقوله رحمه الله :

لَوْلَا ثَلَاثٌ قَدْ شُغِفْتُ بِمَجْهَبِهَا مَا عَقْتُ فِي حَوْضِ الْمَنِيَّةِ مَوْرِدِي
وَهِيَ الرِّوَايَةُ لِلْحَدِيثِ وَكُتُبُهُ وَالْفِقْهُ فِيهِ وَذَلِكَ حَسْبُ الْمُهْتَدِي

ولنعد إلى ذكر حازم ، فنقول :

كان أبو الحسن حازم والكاتب الفقيه المحدث أبو عبد الله بن الأَبَّار
فَرَسِي رِهَانٍ فِي مَيْسَدَانِ الْأَدَابِ ، وَقَدْ جَمَعَهُمَا الزَّمَانُ وَتَعَلَّقَهُمَا مِنَ الدَّوْلَةِ
الْخَفْصِيَّةِ بِأَهْدَابِ .

كان حازم وابن
الأَبَّار فرسي
رهان

وَإِذْ قَدِمْنَا نُبْذَةً مِنْ أَخْبَارِ أَبِي الْحَسَنِ حَازِمٍ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ تُتْبِعَهَا بِمَثَلِهَا مِنْ
أَخْبَارِ الْإِمَامِ ابْنِ الْأَبَّارِ .
وَهُوَ الْفَقِيهَ الْأَجَلُّ ، الْكَاتِبُ الْخَافِلُ ، الرَّوَايَةُ الْمَحْدَّثُ ، الْفَاضِلُ الْمُنَاقِدُ
الْبَارِعُ ، الْخَافِظُ الْكَامِلُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَضَاعِي الْبِلَنْسِيُّ ،
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَبَّارِ .

ترجمة ابن الأَبَّار
وطرف من
أخباره

قَالَ قَاضِي الْقَضَاةِ وَلِيِّ الدِّينِ بْنِ خَلْدُونٍ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ ، الْمَوْسُومِ بِدِيْوَانِ
الْعَبَرِ ، وَكِتَابِ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ ، وَمَنْ عَاصَرَهُمْ
مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ ، مَا نَصَّهُ :

[٦٦٥]

الخبر عن مقتل ابن الأبار وسبب أوليته

كان هذا الحافظ أبو عبد الله بن الأبار من مشيخة أهل بلنسية ، وكان علامة في الحديث ولسان العرب ، وبليغا في الترسيل والشعر ، وكتب عن السيد أبي عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن ببلنسية ، ثم عن ابنه السيد أبي زيد ، ثم دخل معه دار الحرب حين نزع إلى دين النصراينة ، ورجع عنه قبل أن يأخذ به ، ثم كتب عن ابن مرزنديش . ولما زحف الطاغية إلى بلنسية ونازلها ، بعث زيان يوفد بلنسية وبيعتهم ، إلى الأمير أبي زكرياء ، وكان فيهم ابن الأبار هذا الحافظ ، فحضر مجلس السلطان ، وأنشد قصيدته على روى السين يستصرخه ، فبادر السلطان بإغاثتهم ، وشحن الأساطيل بالممدد إليهم ، من المال والأقوات والكسأ ، فوجدوهم في عسرة^(١) الحصار ، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية ، ورجع ابن الأبار بأهله إلى تونس ، غبطة بإقبال السلطان عليه ، فنزل منه بخير مكان ، ورشحه لكتب علامته في صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدة ، ثم إن السلطان أراد صرفها لأبي العباس الغساني ، لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرقي ، وكان آثر عنده من الخط المغربي ؛ فسخط بن الأبار ، أنفة من إيثار غيره عليه ، وافتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه ، لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه ، وأن يبقى مكان العلامة منه لوضعها . فجأهر بالرد ، ووضعها استبدادا وأنفة ؛ وعوتب على ذلك ، فاستشاط غضبا ، ورمى بالقلم ، وأنشد متمثلا :

أطلب العز في لظى وذو الذلّ ولو كان في جنان الخلود

(١) كذا في م . وفي ط ، س : «هوة» .

فَنَمِيَ ذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَأَمَرَ بِلُزُومِهِ بَيْتَهُ ؛ ثُمَّ اسْتَعْتَبَ السُّلْطَانُ بِتَأْلِيْفِ رَفْعِهِ [٦٦٦] إِلَيْهِ ، عَدَّ فِيهِ مِنْ عُوتَبِ مِنَ الْكِتَابِ وَأُعْتَبَ ، وَسَمَّاهُ إِعْتَابَ الْكِتَابِ ، وَاسْتَشْفَعَ فِيهِ بِابْنِهِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، فَغَفَرَ السُّلْطَانُ لَهُ ، وَأَقَالَ عَثْرَتَهُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى الْكِتَابَةِ . وَلَمَّا هَلَكَ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ رَفَعَهُ الْمُسْتَنْصِرُ إِلَى حُضُورِ مَجْلِسِهِ ، مَعَ الطَّبَقَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْضُرُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ [وَأَهْلِ تُونِسَ] . وَكَانَ فِي ابْنِ الْأَبَارِ أَنْفَةٌ وَبَأْوٌ^(١) وَضَيْقُ خَلْقٍ ، وَكَانَ يُزْرَى عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ فِي مِبَاحَثِهِ ، وَاسْتَقْصَرَ مَدَارَكَهُ ؛ فَخَشِنَ لَهُ صَدْرُهُ ، مَعَ مَا كَانَ يُسَخِّطُ بِهِ السُّلْطَانُ ، مِنْ تَفْضِيلِ الْأَنْدَلُسِ وَوُلَاتِهَا عَلَيْهِ . وَكَانَتْ لَابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ فِيهِ سَعَايَةٌ ، لِحَقْدٍ قَدِيمٍ ، سَبِيهِ أَنْ ابْنَ الْأَبَارِ لَمَّا قَدِمَ فِي الْأَسْطُولِ مِنْ بِلَنْسِيَّةٍ ، نَزَلَ بِبَنْزَرَتٍ وَخَاطَبَ ابْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ بِغَرَضِ رِسَالَتِهِ ، وَوَصَفَ أَبَاهُ فِي عُنْوَانِ مَكْتُوبِهِ بِالْمَرْحُومِ ؛ وَنَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ فَاسْتَضْحَكَ ، وَقَالَ : إِنْ أَبَا لَا تُعْرِفُ حَيَاتُهُ مِنْ مَوْتِهِ لِأَبٍ خَامِلٍ ؛ وَنُمِيَّتَ إِلَى ابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَاسْرَّهَا فِي نَفْسِهِ ، وَنَصَبَ لَهُ ، إِلَى أَنْ حَمَلَ السُّلْطَانُ عَلَى إِشْخَاصِهِ إِلَى بَجَايَةِ ؛ ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ وَاسْتَقْدَمَهُ ، وَرَجَعَهُ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَعَادَ هُوَ إِلَى مَسَاءَةِ السُّلْطَانِ بِنَزَاعَتِهِ ، إِلَى أَنْ جَرَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ذِكْرُ مَوْلِدِ الْوَائِقِ ، وَسَاءَلَ عَنْهُ السُّلْطَانُ بَعْضَ مَنْ حَضَرَ فَاسْتَبْتَبَهُمْ ، فَعَدَا^(٢) عَلَيْهِ ابْنُ الْأَبَارِ بِتَارِيخِ الْوِلَادَةِ وَطَالِعِهَا ، فَاتَّهَمَ بِتَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ لِلدَّوْلَةِ وَالتَّرَبُّصِ بِهَا ، كَمَا كَانَ أَعْدَاؤُهُ يُشِيعُونَ عَنْهُ ، بِمَا كَانَ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ ؛ فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَى دَارِهِ ، فَرُفِعَتْ إِلَيْهِ كُتُبُهُ أَجْمَعُ ، وَأُلْفِيَ فِي أَثْنَائِهَا — فِيمَا زَعَمُوا — رَقْعَةٌ بِأَبْيَاتٍ أُولَٰهَا :

طَغَا بِتُونِسَ خَلْفٌ سَمَّوْهُ ظُلُمًا خَلِيفَهُ

فَاسْتَشَاطَ لَهَا السُّلْطَانُ ، وَأَمَرَ بِامْتِحَانِهِ ثُمَّ بَقَلَهُ ، فَقَتِلَ قَعْعَصًا بِالرَّمَاكِ وَسَطَ مُحَرَّمِ [٦٦٧]

(١) الْبَأْوُ : الْكِبَرُ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « فَعَدَا »

من سنة ثمان وخمسين ، يعنى وست مئة . ثم أُحرق شلوه ، وسيقت مجلدات
كتبه ، وأوراق سماعه ودواوينه ، فأحرقت معه .
اتهى كلام ابن خلدون .

والقصيدة السَّيْنِيَّةُ التى أشار إليها ابن خلدون ، كنت غزمت على ذكرها
أول تراجم هذا الكتاب ، حين ذكرت أمر الجزيرة ، وأتيتُ بقصيدة صالح
ابن شريف ، فنسيتُ ذلك ، حتى قضى [الله] به الآن ؛ [وهى] من غرر القصائد
الطنانة ، وهذا نصها :

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلَسَا	إِن السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسْتُ	فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عَنِ النَّصْرِ مُنْتَسَا
وَحَاشَ مِمَّا تَعَانِيهِ حُشَاشَتُهَا	فَطَالَمَا ذَاقَتْ الْبَلْوَى صَبَاحَ مَسَا
يَا لِلْجَزِيرَةِ أَخْجَى أَهْلُهَا جَزَرًا	لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلَى بَائِقَةٍ	يَعُودُ مَا تَمُّهَا عِنْدَ الْعِدَا عُرُسَا
وَكُلِّ غَارِبَةٍ إِجْجَافُ نَائِبَةٍ	تَثْنَى الْأَمَانَ حِذَارًا وَالْمُرُورَ أَسَا
تَقَاسَمَ الرُّومُ لَا نَالَتْ مَقَاسِمَهُمْ	وَلَا عَقَائِلُهَا الْحُجُوبَةَ الْأَنَسَا
وَفِي بَلَنَسِيَةٍ مِنْهَا وَقَرْطَبِيَّةٌ	مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا
مَدَائِنُ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسِمَا	جَذَلَانِ وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسِمَا
وَصَيَّرَتْهَا الْعَوَادِي الْعَابَثَاتُ بِهَا	يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضِعْفَ مَا أُنَسَا
فَمَنْ دَسَاكَرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَمًا	وَمَنْ كُنَّاسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنَّاسَا
يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَا بَيْعًا	وَاللِّتْدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا
لَهْفَى عَلَيْهَا إِلَى اسْتَرْجَاعِ فَائِتِهَا	مَدَارِسًا لِلْمُتَانِي أَصْبَحَتْ دُرُسَا

سِينِيَّةُ التى
يستصرخ بها
أبازكرياء الحفصى

وأربعا نَمَمْتُ أَيْدِي الرِّبْعِ لَهَا
كَانَتْ حَدَائِقَ لِلأَحْدَاقِ مَوْثِقَةً
وَحَال مَاحَوْهَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ
سَرَّعَانَ مَاعَاثِ جَيْشِ الْكُفْرِ وَاحْرَبَا
وَابْتَزَّ بَرَزَتَهَا مِمَّا تَحْيِيهَا
فَأَيْنَ عَيْشُ جَنِينَاهُ بِهَا خَضِرًا
حَمَى مُحَاسِنَهَا طَافِعٍ أُتِيحَ لَهَا
وَرَجَّ أَرْجَاءَهَا لَمَّا أَحَاطَ بِهَا
خَالَالُهُ الْجَوْ فَا مَتَدَتْ يَدَاهُ إِلَى
وَأَكْثَرَ الزَّعَمَ بِالتَّثْلِيثِ مَنْفَرِدَا
صَلَّ حَبْلَهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا
وَأُخِي مَا طَمَسَتْ مِنْهَا الْعُدَاةُ كَمَا
أَيَّامَ سَرَتْ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُسْتَبِقَا
وَقَمْتُ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرَا
تَمَحَّوْا الَّذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظَلَمٍ
وَتَقْتَضِي الْمَلِكِ الْجَبَّارِ مُهْجَتَهُ
هَذِي رِسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِنْ كَثَبٍ
وَأَفْتَكِ جَارِيَةً بِالشُّجْعِ رَاحِيَةً
خَاضَتْ خُضَارَةً يُعْلِمُهَا وَيَخْفِضُهَا
وَرَبَّمَا سَبَحَتْ وَالرِّيحُ عَاتِيَةً
تَوْمُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي

مَا شَتَّتَ مِنْ خِلَعٍ مَوْشِيَّةٍ وَكُسا
فَصَوَّحَ النُّضْرَ مِنْ أَدْوَاهِهَا وَعَسَا
يَسْتَجْلِسُ الرِّكْبَ أَوْ يَسْتَرْكِبُ الْجُلُوسَا
عَيْثَ الدَّبَا فِي مَقَانِيهَا الَّتِي كَبَسَا
تَحْيِيْفَ الْأَسَدِ الضَّارِي لَمَّا افْتَرَسَا
وَأَيْنَ (١) غَصَنُ جَنِينَاهُ بِهَا سَلَسَا
مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينَمَا وَلَا نَعَسَا
فَغَادَرَ الشَّمَّ مِنْ أَعْلَامِهَا خُسَا
إِدْرَاكِ مَا لَمْ تَطَأْ رِجْلَاهُ مُخْتَلَسَا
وَلَوْ رَأَى رَايَةَ التَّوْحِيدِ مَا تَبَسَا
أَبْقَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسَا
أُحْيِيَتْ مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيِّ مَا طُمَسَا
وَبِتْ مِنْ نُورِ ذَلِكَ الْمَهْدِيِّ مُقْتَنَسَا
كَالضَّارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالْعَارِضِ أَنْبَجَسَا
وَالْعَصْبُحِ مَا حِيَمَةُ أَنْوَارِهِ الْغَلَسَا
يَوْمَ الْوَعْيِ جَهْرَةً لَا تَرْقُبُ الْخُلَاسَا
وَأَنْتِ أَنْضَلُ مَرْجُوءٍ لَمَنْ يَنْسَا
مِنْكَ الْأَمِيرَ الرِّضَا وَالسَّيِّدَ الْقُدُّسَا
عُبَابُهُ فَتَعَانِي الْإِيْنَ وَالشَّرَسَا
كَمَا طَلَبْتَ بِأَقْصَى شَدَّةِ الْفَرَسَا
حَفْصٍ مُقْبِلَةً مِنْ تَرْبَةِ الْقُدُّسَا

[٦٦٨]

(١) في ط : « فأى عيش ... وأى » .

مَلَكٌ تَقَلَّدَتْ الْأَمْلَاقُ طَاعَتَهُ دِينًا وَدُنْيَا فَعَشَّاهَا الرِّضَا لِبَسَا
 مِنْ كُلِّ غَايَةٍ عَلَى يُمْنَاهُ مُسْتَلِمَا وَكُلُّ صَادِرٍ إِلَى نِعْمَاهُ مُلْتَمِسَا
 مُؤَيَّدٌ لَوْ رَمَى نَجْمًا لِأَثْبَتَتَهُ وَلَوْ دَعَا أَفْقًا لَبَى وَمَا اخْتَبَسَا
 تَالَهُ إِنَّ الَّذِي تُرْجَى السَّعُودُ لَهُ مَا جَالَ فِي خَلَدِ يَوْمَا وَلَا هَجَسَا
 إِمَارَةً يَحْمِلُ الْمَقْدَارُ رَايَتَهَا وَدَوْلَةً غَرَّهَا يَسْتَصْحِبُ الْقَعَسَا
 يُبْدِي النَّهَارُ بِهَا مِنْ ضَوْئِهِ شَذَبًا وَيُطْلِعُ اللَّيْلُ مِنْ ظُلُمَائِهِ لَعَسَا
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ وَالْأَيَّامُ قَدْ نَكَلَتْ طَلَقُ الْمُحَيَّا وَوَجْهُ الدَّهْرِ قَدْ عَبَسَا
 كَأَنَّهُ الْبَدْرُ وَالْعَلِيَاءُ هَالَتُهُ تَحُفُّ مِنْ حَوْلِهِ شُهْبُ الْقَنَا حَرَسَا
 تَدْبِيرُهُ وَسِعَ الدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ وَعُرِفُ مَعْرُوفُهُ وَاسَى الْوَرَى وَأَسَا
 قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ دَوْلَتُهُ وَأَنْشَرَتْ مِنْ وُجُودِ الْجُودِ مَارُوسَا
 مَبَارَكٌ هَدْيُهُ بَادٍ سَكِينَتُهُ مَا قَامَ إِلَّا إِلَى حُسْنَى وَلَا جَلَسَا
 قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بَصِيرَتَهُ فَمَا يَبَالِي طُرُوقَ الْخُطْبِ مُلْتَمِسَا
 بَرَى الْعُصَاةَ وَرَاشَ الطَّائِعِينَ فَقُلْ فِي اللَّيْلِ مَفْتَرَسًا وَالْغَيْثِ مُرْتَجِسَا
 وَلَمْ يُغَادِرْ عَلَى سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ حَيًّا لِقَاحًا ^(١) إِذَا وَفَيْتَهُ بَخْسَا
 فَرُبَّ أَصِيدٍ لَا تُلْفِي بِهِ صَيْدًا وَرُبَّ أَشْوَسٍ لَا تَلْقَى لَهُ شَوْسَا
 إِلَى الْمَلَائِكِ يُنَمَّى وَالْمُلُوكِ مَعَا فِي نَبْعَةٍ أَثْمَرَتْ لِلْمَجْدِ مَا غَرَسَا
 مِنْ سَاطِعِ النُّورِ صَاغَ اللَّهُ جَوْهَرَهُ وَصَانَ صِيغَتَهُ أَنْ تَقْرُبَ الدُّنْسَا
 لَهُ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا خُطَّتَانِ فَلَا أَعَزَّ مِنْ خُطَّتَيْهِ مَا سَمَّا وَرَسَا
 حَسْبُ الَّذِي بَاعَ فِي الْأَخْطَارِ يَرْكَبَهَا إِلَيْهِ نَحْيَاهُ أَنْ الْبَيْعِ مَاؤُكِسَا
 إِنْ السَّعِيدَ أَمْرًا أَلْقَى بِحَضْرَتِهِ عَصَاهُ مُحْتَزِمًا بِالْعَدْلِ مُحْتَرَسَا

[٦٦٩]

(١) حيا لقاحا : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصحبهم سباء .

فَظَلَّ يُوطِنُ مِنْ أَرْجَائِهَا حَرَمًا وَبَاتَ يوقِدُ مِنْ أَضْوَائِهَا قَبَسَا
 بُشِّرَى لَعْبِدٍ إِلَى الْبَابِ الْكَرِيمِ حَدَا آمَالَهُ وَمِنْ الْعَذْبِ الْمَعِينِ حَسَا
 كَأَنَّمَا يَمْتَطِي وَالْمِينُ يَصْحَبُهُ مِنَ الْبَحَارِ طَرِيقًا نَحْوَهُ يَبَسَا
 فَاسْتَقْبَلَ السَّعْدَ وَضَّاحًا أَسْرَتُهُ مِنْ صَفْحَةِ قَاضٍ مِنْهَا النُّورُ وَانْعَكَسَا
 [وَفَقَبَلَ الْجُودَ طَفَّاحًا غَوَارِبُهُ مِنْ رَاحَةِ غَاصٍّ فِيهَا الْبَحْرُ وَانْغَمَسَا]
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَنْتَ لَهَا عَلِيَاءُ تَوْسِيعُ أَعْدَاءِ الْهَدَى تَعَسَا
 وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَنْبَاءُ أَنَّكَ مَنْ يُحْيِي بِقَتْلِ مُلُوكِ الصُّفْرِ أُنْدُسَا
 طَهَّرَ بِلَادَكَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ نَجَسٌ وَلَا طَهَارَةَ مَا لَمْ نَغْسِلِ النَّجَسَا

تغيم : « نغسل النجسا » ، هكذا ثبت بالنون ، كما رأيت في بعض النسخ العتيقة ، وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالتاء ، لأن مثله لا يصلح للمخاطبات السلطانية ، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالتاء ؛ والصواب ما قدمته من أنه بالنون ، والله أعلم .

وَأَوْطَى الْفَيْلَقَ الْجَرَارَ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَطَاطَى رَأْسًا كُلُّ مَنْ رَأَسَا
 وَأَنْصُرُ عَبِيدًا بِأَقْصَى شَرْقِهَا شَرِقت عِيُونُهُمْ أَدْمَعًا تَهْمِي زَكَاً وَخَسَا^(١)
 هُمْ شِيعَةُ الْأَمْرِ وَهِيَ الدَّارُ قَدْ تُهَكَّتْ دَاءٌ وَمَا لَمْ تَبَاشِرْ حَسَمَهُ انْتَكَسَا
 فَامْلَأْ هَنِيئًا لَكَ التَّأْيِيدُ سَاحَتَهَا جُرْدًا سَلَاهِبَ أَوْ خَطِيئَةً دُعَسَا
 وَاضْرِبْ لَهَا مَوْعِدًا بِالْفَتْحِ تَرْقُبُهُ لَعَلَّ يَوْمَ الْأَعَادَى قَدْ أُنَى وَعَسَى
 انتهت القصيدة .

(١) الزكا : الزوج ؛ والحسا : الفرد .

ارتجاله يبتين
في حضرة
المستنصر

وذكر غير واحد أنه دخل مرة على المستنصر بالله الحَفَظِيّ ، فلما مَثَلَ بين يديه آنسه بإقباله وسؤاله ، فأنشده الحافظ رحمه الله :

بُشْرَى بِأَشْرَتِ الْهُدَى والنورا يَلْقَانِي المستنصر المنصـورا
فإذا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقِيَّتُهُ لم أَلْقَ إِلَّا نَصْرَةً وسرورا

ومن بديع نثره رحمه الله رسالته الحافلة ، التي كتب بها للمستنصر ، وهي الرسالة الغريبة مَسَاقَا ، المتلازمة نظما واتساقا ؛ التي لم يُنْسَجَ على مِنوالها ، ولم يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثَالِهَا ؛ يصف وصول الماء إلى تونس ، ويشير في ذلك إلى إشارات عجيبه ، تدل على أن قَرِيْبَتَهُ الْوَقَادَةَ لداعى الإجابة بحبيبه ؛ وهي :

الحمد لله حمدا لا نُقَلِّلُهُ . هذا الزمان الذي كُفِنَا نُؤْمَلُهُ ، « بلدة طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » ، ودولة مباركة لحاسنها سفُور .

إلى أَبِي حَفْصٍ أَلُوْا ، فهل جالت النجوم حيث جالُوا ، أو نالت الملوك بعضَ ما نالوا ؛ مُلْكٌ يَشْتَمِلُ الْإِقْبَالَ ، وعز يُقْلِقِلُ الْأَجْبَالَ ؛ وكرم صريح الاتِّمَاءِ ، في النماء ، وشرف سَمَتِ ذَوَائِبِهِ عَلَى السَّمَاءِ ؛ إلى عَدَلٍ وإحسان ، هما قِوَامُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ؛ مع رِفْقٍ وإِسْجَاحٍ ، ضِمْنَا كُلَّ فَوْزٍ وَنَجَاحٍ ؛ فقد آضَتِ الظُّلُمَاءُ أَنْوَارًا ، وفاضتْ الْبَرَكَاتُ أَنْجَادًا وَأَغْوَارًا ؛ أليس العامُّ ربيعًا ، والعالمُّ جميعًا ؛ وَالسُّعُودُ طَالَعُهُ ، وَالْعُصُورُ طَائِعُهُ ؛ مَصَالِحُ الْأَعْمَالِ تُحَلِّيْهَا ، وَعَلَى مَنَصَّاتِ السَّكَمَالِ تُجَلِّيْهَا ؟ فَمَنْ ذَا أَيُّهَا الْمَوْلَى يَجَارِيكَ إِلَى مَدَى ، أَوْ يَبَارِيكَ فِي إِقْدَامِ صَادِقِ وَنَدَى ، وَأَيَاتِكَ لِلْأَبْصَارِ هُدًى ، وَحَيَاتِكَ لِلْكَفَّارِ رَدًى ؛ بِسِيرَتِكَ عَدَلُ الدَّهْرِ وَمَا جَارُ ، وَلَوْلَا نُورُ غُرَّتِكَ مَا أَنْارَ ؛ لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ ، حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الزَّمَنِ ابْتِسَامُ ، أَعْرِفْتَ فِي الْمَجْدِ وَالْعُلْيَا ، وَعُنَيْتَ بِالْدِينِ فَعَنَتَ لَكَ الدُّنْيَا ؛

أَيُّ عَنِيدٍ أَوْ عَمِيدٍ مَا أَلْقَى بِالْيَدِ ، وَاتَّقَى فِي الْيَوْمِ عَاقِبَةَ الْغَدِ ؛ إِصْفَاقًا عَلَى التَّعَوُّضِ
بَصْفَحِكَ وَإِسْمَادِكَ ، وَإِشْفَاقًا مِنَ التَّعَرُّضِ لَصَفَاحِكَ وَصِعَادِكَ ؛ تَعَمُّرًا بِالْحَسَنَاتِ
آثَاءَكَ ، وَتَتَبُّعًا فِي الْقُرْبَاتِ آبَاءَكَ ؛ بَانِيَا كَمَا بَنَوْا ، بَلْ زَانِدًا عَلَى مَا أَتَوْا ، وَبَادِيَا
مِنْ حَيْثُ انْتَهَوْا :

أُنَاسٌ مِنَ التَّوْحِيدِ صَيَّغَتْ نَفُوسُهُمْ فَزُرْهُمْ تَرِ التَّوْحِيدَ شَخْصًا مَرَكَّبًا
وَمِنْ سَاكِبَاتِ الْمَزْنِ قَيْضُ أَكْفَهُمْ فَزِدْهُمْ تَرِ مَاءَ الْغَمَامِ وَأَعْدَابًا
أَمْجَادُ أَجْوَادَ ، فِي الْحَبَاءِ بِحَارٍ وَفِي الْحُبَا أَطْوَادَ ، تَقِيلَ أَبُو زَكْرِيَاءَ نَهْجَ
أَبِي مُحَمَّدٍ ، وَأَيَّدَا جَمِيعَا بَأَبِي خَفْصٍ الْمُؤَيَّدَ :

نَسَبٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نَوْرًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عُمُودًا
أَوَّلُكَ صَفْوَةُ الْأُئِمَّةِ ، وَحَفَظَةُ الْأَذِمَّةِ ، وَالْقَائِمُونَ دُونَ الْأُئِمَّةِ ، فِي الْحَوَادِثِ
لِلدَّهَمَةِ ، وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ الْحَمْدِيَّةُ ، الْخَالِدَةُ بِمَكَانِهَا الدَّعْوَةُ الْمَهْدِيَّةُ ؛ إِلَيْهَا انْتَهَتْ
الْمَرَاشِدُ ، وَعَلَيْهَا التَّفَتُّ الْحَامِدُ ، وَبِهَا اعْتَزَّتْ حِينَ اعْتَزَّتِ الْعُنَاصِرُ وَالْحَاتِدُ ؛
وَمِنْ خَصَائِصِهَا انْفِعَالُ الْوُجُودِ ، وَمِنْ مَرَامِهَا الْإِيْشَارُ بِالْمَوْجُودِ ، وَالْبَسْدَارُ إِلَى
إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَإِعَانَةِ الْمُنْجُودِ ؛ مَا بَرِحَتْ لِلْخَيْرَاتِ إِيْضَاعُهَا وَخَبْئُهَا ، وَبِالْصَّالِحَاتِ
غَرَامُهَا وَخُبْئُهَا ؛ حَتَّى لَقَدْ فَهِمَتْ أَسْرَارَهَا ، وَأَوْدَعَتْ أَنْوَارَهَا ، وَكَافَّتْ أَوْ
كَفَلَتْ إِفْشَاءَهَا وَإِظْهَارَهَا ؛ يَمِينًا أَنْ يَمِينَ الْحَقِّ بِهِ طَوَّلَى ، وَالْآخِرَةَ خَيْرَ لَهَا
مِنْ الْأُولَى ؛ بِمَوْلَانَا أَيْدَهُ اللَّهُ عَزَّ مَكَانُهَا ، وَخُلِّدَتْ سَدِيدَةً آثَارَهَا ، شَدِيدَةً
أَرْكَانُهَا ؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُ الطَّاهِرُ كَالْمَاءِ الَّذِي جَلِبِهِ لِلطَّهَارَةِ ، وَالظَّاهِرُ وَلَاءٌ وَلِوَاءُ
فِي مَصْعَدِ الْخِلَافَةِ وَمَقْعَدِ الْإِمَارَةِ ؛ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَجْدُهُ وَكَفْلُهُ ، وَمَا هُمُّهُ إِلَّا
تَجَاوُزُ مَا أَسْلَفَهُ سَلْفُهُ ؛ فَجَرَّ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، وَجَدَّدَ لِلْجَدْوَى رَسُومًا عَافِيَةً
وَرُبُوعًا ؛ سَاحَتَهُ الْحَرَمَ ، وَهُوَ زَمَزَمُ قَصَادِهِ وَحُجَّاجِهِ ؛ وَرَاحَتَهُ الْبَحْرَ الْخِفْمُ ، غَيْرَ

[٦٧٢] طَعِمَهُ وَارْتَجَاجَهُ ؛ مَا أَظْهَرَ خِلَالًا ، وَأَبْهَرَ جَلَالًا ، « هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا » ؛ غَابَتْ كِمَاةُ الْمَعَارِكِ وَشَهِدَ ، وَنَامَتْ وُلاةُ الْمَمَالِكِ وَشَهِدَ ؛ فَتَى قَسَطُوا أَقْسَطَ ، وَإِذَا غَوَّرُوا أَنْبَطَ ، وَلِذَلِكَ مَا أَبْطَلَ عَمَلُهُ أَعْمَالَهُمْ وَأَحْبَطَ ؛ غَلِبَهُمْ عَلَى صِفَتِي النَّدَى وَالْبَاسَ ، وَسَلَبَهُمْ مَنَقَبَتِي حِمَاةَ الْعَبَّاسِ .

قال جامع هذا المصنّف : أشار الإمام ابن الأثير بقوله : « منقبتى حمزة والعباس » إلى شجاعة حمزة الشهيرة الذكر ، وثباته الذى يحل عن الفكر ؛ وإلى استسقاء عمر بالعباس رضى الله عنهما ، فأتى من الحيا ما عمّ بالإحيا ، وهمر من الماء ما شفى بعميم الإرواء ، نفوس الظماء ؛ والله أعلم .

رجع الى كلام ابن الأثير

فَلَا غَمْرَ أَنْ مَنْ أَمَّنَ وَوَقَى ، ثُمَّ لَمَّا كَسَا وَأَطْعَمَ سَقَى ؛ آيَةُ نِعْمَتِي وَقَّتْ بِالْمِعَادِ ، وَخُسْنَى مِثْلُهَا يَعُودُ لِلْعَمَادِ ؛ وَأَتَتْ بِمَاءٍ مَعِينٍ قَدْ أَصْبَحَ غَوْرًا ، وَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ لَا بَتَيْهَا جَنَانًا تَرَفٌ ظِلًّا وَتَرَقُّ نُورًا ؛ فَيَا بُشْرَى لَتَوَسَّأُ خَصْبَ جَدِيدِهَا ، وَأَحْسَنَ وَصْفَ الرُّوضِ وَالْغَدِيرِ أَدْيَبُهَا ؛ وَطَالَمَا ^(١) أَطْلَعْتُ صَحْرَاءَ بِلْ بَغْضَاءِ ^(٢) ، فَكَمْ لِلْإِمَارَةِ قَبْلُهَا مِنْ يَدٍ بِيضَاءَ ؛ غُشِّيَتْ حَبْرَ الْحُبُورِ وَالسَّرُورِ ، وَعُودَتْ بَرْدَ الظَّلِّ مِنْ وَهَجِ الْحُرُورِ ؛ خَمَائِلُ وَجْدَاوِلُ ، تَزَاوَلُ مِنْهَا الْعَيْنُ مَا تَزَاوَلُ ؛ تِلْكَ يَضِلُّ مِنْ أَحْصَايَا ، وَهَذِهِ يَصِلُّ بِهَا أَحْصَايَا ؛ وَيَا لِقَصْرِهَا السَّعِيدِ ! نَعِمَتْ أَدْوَا حَهُ ، وَهَبَّتْ عَلَى خُضْرِ الْأَغْصَانِ وَزُرْقِ الْغُدْرَانِ أَرْوَاحَهُ ؛ هَذَا وَإِنْ بَاتَ السَّمَاحُ الْمَفَاضِ يَسْقِيهِ ، وَالْجَوْدُ ^(٣) الْفَضْفَاضُ يَنْقَعُ فَوَادَهُ وَيَشْفِيهِ ؛ وَهَنِيئًا لِلْمَسْجِدِ الْجَامِعِ أَنْ رَوَيْتَ جَوَانِحَهُ الصَّادِيَةَ ، وَجُمِعْتَ فِي شِرْعَتِهِ السَّارِيَةَ وَالْغَادِيَةَ ؛

(١ - ١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . (٢) فِي ص : « الْجَوْ » .

فها هو فجره بادی الغرر والأوضح ، وصخره منبجس بالزلال القراح ؛
وللجمهور بصفوه المنساب ، لهج الغياب بالإياب ، وطرب الشيب لذكر الشباب ؛ [٦٧٣]
أمسوا قد سوغوا ما ربههم ، وأضحوا قد علم كل أناس مشربهم ؛ فهم يردون
على العذب النمر ، ويجدون بركة رأي الأمير ؛ مكرمة ذخرها لسلطانها
الزمان ، وكرامة هناها به الإيمان ، وقضية إن حبيب عن داود فما حجب
عنها سليمان :

جمعت للناس بين الرئی والشعب فهم بأخصب مصطافٍ ومترتع
ولم تدع كرمًا إلا أتيت به تضيف مبتدعًا منها لمبتدع
لما وليت خلعت الخير أجمعه عليهم فبدوا في أجل الخلع
لله أيامك استوقت محاسنها فلا فضيلة للأعياد والجمع
دامت مساعيك والأقدار تسعدها تولى^(١) المساجد إنصافًا من البيع
اللهم إن الإيالة الحفصية قد أعلنت مظاهرها ، ونصرت معاشرها ، وقصرت
على المصالح الدينية والدنيوية مواردَها ومصادرَها ؛ ثم أعطيت من شرف بيتها
الصراح ، ومعدن سوددِها الوضاح ؛ مولانا الأمير الأجل ، المؤيد المبارك ،
أبا عبد الله ، فانتضيت حُسامًا في يدك قائمه ، وارتضيت إماما لا تلين في ذاتك
صرامه ، ولا يلحق شأوه في الثيل من عُداتك رائمه ؛ يَمْضِي بأسا حين
لامضاء للحُسام الغضب ، ويَهْمِي جودًا والسماء في أزر من نَجْمِ الجذب ، وَيَنْتَدِبُ
سعيًا لكل حُسنى أعيت على القربع النذب .

فاقض اللهم لسلطانته بتأييد التأيد ، وأدم بأيامه المباركة نعمة التمهيد ،
وضاعف عزه جانبه بأعزازة كلمة التوحيد . وأجزه اللهم أفضل الجزاء ، عن

(١) في م : « توفى » .

[٦٧٤] إفاضة النعماء ، وإنارة الظلماء ، وكافته عن نَقْع الغُلل والأظْماء ، بما فَجَّر من
ينابيع الماء ، وكما شَرَفَتْ فعله في الأفعال واسمه في الأسماء ؛ فاجعله في الدنيا داعيا
إلى سبيلك ، وفي الأخرى هاديا إلى حوض رسولك ، صلى الله عليه وسلم ، الذي
آتيته بعدد نجوم السماء .

آمين آمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

ومن بديع ما كتب به مخاطبا رئيس منورقة سعيد بن حكم القرشي ،
رحمه الله تعالى :

إِنْ سَعِيدَ بْنَ حَكَمٍ صِنُّوْهُ الْمَلَانِجِلُ الْكَرَمُ
رَأْسُهُ بِمِثْلِهَا يَفَاخِرُ السِّيفَ الْقَلَمُ
وَسُودَدُ مَجْمُوعَةٍ فِيهِ مُحَاسِنُ الشِّيمِ
مُعْتَمِدٌ مِنْ شَأْنِهِ رَغَى الْعُهُودَ وَالذِّمَّ
فَاتَحَنِي مُمَهَّدًا إِلَى جَوَابِهِ الْقَلَمُ
عَادَةً نَذْبَ أَرْوَاحٍ خَصَّ بِرَّهِ وَعَمَّ
فَشَكَرَهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَمَالَ مُلْتَزِمِ
حَيًّا الْحَيَا حَضْرَتُهُ وَجَادَهَا ثَرُّ الدِّيمِ

اقتضيتها أيها السيد الأعظم ، والسند الأعصم ؛ أبقاه الله وجنابه تحفود ، ومنابهُ (١)
محود ، وحزبه مودود ، وشربه مودود ، ورواق السعادة ، والنصرة المفادة ، فوهِ
ممدود ؛ من دانية كلاًها الله تعالى ، والوقت مضايق ، والرغب ملّازم لا يفارق ؛
وأنا بسيادته الأصيلية دائم الاعتداد ، وعلى عنايته الجميلة قاصر الاعتماد ؛ والله

(١) كذا في ط ، س . وفي م : « ومقامه » .

يُبقِيه كاسمه سعيدا ، وَيُسَمِّيهِ مُبْدِنًا فِي الْمَعْلُوتَاتِ وَمُعِيدًا ، بِمَنِّهِ .

ووصلني وصل الله حراسته ، وكَلَّا من الغَيْرِ والغَيْلِ رِياسته ، مخاطبته
الكريمة الخطيرة ، مشرفة بالسؤال عن خاص الأحوال ومُنِيفه ؛ بما تَضَمَّنَتْ مِنْ
الاعتناء ، والبر المتوافر الأجزاء ، على الأمانى البعيدة والآمال ؛ فَلْتَمَّتْ سطورها
قياما بحقه الأكبر ، وَلَزِمَتْ مِنْ شكره ما لا أَقْصِرُ عنه بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تعالى ولا
أَقْصِرُ ؛ وكان الظنُّ بِناديه الأشرفِ جميلا فقد عاد يقينا ، والأمل فيه مَتِينًا فعاد
مُبِينًا ؛ ويعلم الله سبحانه أَنِّي أَعْطَرْتُ بِذِكْرِهِ الأمكنه ، وَأَزَكَّى بِشُكْرِهِ الأزمَنه ؛
وَبُودَى لَوْ رَكِبْتُ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ ، حَتَّى أَوْفِيَهُ بَعْضَ وَاجِبِهِ ، وَأَشَافِهِ بِمَا أَجْنَحُ
إِلَيْهِ ، وَأَنْطَوِي عَلَيْهِ ، مِنْ اعْتِمَادِ جَانِبِهِ ، وَإِحْصَادِ مَقَاصِدِهِ الرِّيَاسِيَةِ وَمَذَاهِبِهِ ؛
وَقَدْ حَمَلْتُ فَلَانَا عَصَمَهُ اللَّهُ وَيَسَّرَ مَرَامَهُ ، وَأَدَامَ حِفْظَهُ وَإِكْرَامَهُ ؛ مِنْ جُلِّ
الْإِعْظَامِ مَا يُؤَدِّيهِ مُفَسِّرًا ، وَأَفْهَمْتُهُ أَنِّي كَاتِبْتُ مُعْتَقِدًا خَالِصًا وَمُضْمَرًا ؛ وَإِنْ
تَفَضَّلَ سَيِّدِي الْأَعْلَى حَرْسَهُ اللَّهُ بِتَكْلِيفِ بَعْضِ أَغْرَاضِهِ الْكَرِيمَةِ ، شَفَعَ يَدَهُ
الْبَيْضَاءُ بِمِثْلِهَا ، وَاسْتَزَادَ مَعْلُومَةً لَمْ يَزَلْ مِنْ أَهْلِهَا ؛ وَمَا يَصْدُرُ عَنِ الْجَنَابِ الرِّيَاسِيِّ
أَسْمَاءُ اللَّهِ مِنَ الْأَلْتِفَاتِ إِلَيْهِ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَعْدُودٌ فِي بَرِّهِ الْجَسِيمِ ، وَيَدُ
مِنْ أَيْدِيهِ الَّتِي أَعْيَتْ عَلَى التَّعْدِيدِ وَالتَّقْسِيمِ ، وَاللَّهُ يُعْلِي مَحَلَّهُ ، وَيُسْعِدُ عَقْدَهُ
وَحَلَّهُ ؛ وَيُسَوِّغُهُ مِنْ مَوْرِدِ الْإِسْعَادِ ، فِي حَالَتِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ ، أَعْلَاهُ وَأَجَلَّهُ ؛
وَيَصِلُ حِرَاسَتَهُ ، وَيُوَيِّدُ رِيَاسَتَهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ ، الْمُبَارَكُ الْعَمِيمُ ، يَخْصُّ بِهِ مَقَامَهُ الْأَظْهَرَ ، مُلْتَزِمٌ إِكْبَارِهِ
وَإِجْلَالِهِ ، الْمَعْتَدُّ بِتَمَامِهِ فِي السِّيَادَةِ وَكَمَالِهِ ؛ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْأَبَّارِ ،
وَرَحِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب إليه
شافعا ومعتنيا

وكتب إليه أيضا شافعا ومعتنيا .

تَعَمِّدُ رِيَّاسَتَكُمْ الْمُؤَمَّلَةَ ، وَسِيَادَتَكُمْ الْمُؤَثَّلَةَ ، تَحِيَّةُ الشَّاكِرِ لِعَتْنَائِهَا ، الْمَبَاهِي
بَسْنَاهَا الْوَضَّاحِ وَسَنَائِهَا ، الْمُسْتَدِيمِ لِلْأَحْرَارِ ، الْمُتَمَتِّعِينَ إِلَيْهَا أَثْبَاجَ الْبَحَارِ ، شَرَفَ
عَنَائِهَا ^(١) ، وَكَرَمَ غَنَائِهَا ، مُحَمَّدِ بْنِ الْأَبَّارِ ، وَلَا مَزِيدَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ إِعْظَامٍ
يُؤَدِّي وَظَائِفَهُ ، وَاعْتِدَادٍ يَشْفَعُ بِتَالِدِهِ طَارِفَهُ ، وَثَنَاءٍ يُعَاطِيهِ أَوْلِيَاءُ جَلَالِكُمْ
وَمَعَارِفَهُ ، وَاللَّهُ يُضْعِدُ مَكَانَكُمْ ، وَيُسَعِدُ زَمَانَكُمْ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

وَتَتَأَدَّى إِلَى رِيَّاسَتِكُمْ ، حَفَظَهَا اللَّهُ ، فِي جَانِبِ أَبِي فَلَانٍ ، أَعَزَّهُ اللَّهُ ، وَبَلَّغَهُ
أَبْعَدَ أَمَلِهِ وَأَقْصَاهُ ؛ وَهُوَ مَنْ عَلِمْتُمْ مَكَانَ بَيْتِهِ الْقَبِيهِ مِنْ حَيَّهِ ، وَسَبَبَ نَزْوَجِهِ
عَنْ وَطْنِهِ الْحَبَّابِ وَنَأْيِهِ ، وَاسْتَحْقَاقِهِ بِالْمَزَايَا الْمَعْلُومَةِ ، وَالسَّجَايَا الْكَرِيمَةِ ،
لِإِجْزَالِ حَفَظِهِ وَرَعْيِهِ ؛ وَمَا زَالَ لِكَمَالِكُمْ وَاصْفَا ، وَعَلَى تَعْظِيمِ جَانِبِكُمْ وَالْإِفْصَاحِ
بِوَاجِبِكُمْ عَاكِفَا ، إِمْضَاءَ لِمَا أُكِّدَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَالِفُ الْأَيَّامِ ، وَتَمْيِيزَا بِحَفَظِ
الْوَدِّ الَّذِي لَا يَحْفَظُهُ غَيْرُ الْكَرَامِ .

وَمِنْ مَطَالِبِي لَهُ ، حَمْلُهُ مِنَ التَّكْرَمَةِ وَالتَّقَدُّمَةِ عَلَى النَّهْجِ الْأَقْوَمِ ، وَإِنْزَالُهُ مِنْ
جَلَالِكُمْ ، هُنَا وَهُنَا لَكُمْ ، مَنَزَلَةُ الْمُحَبِّ الْمَكْرَمِ ؛ وَتَوْصِيَةِ الْخُصُوصِ
بِالسَّفَارَةِ فِي أَشْغَالِكُمُ الْمُبَارَكَةِ ، بَأَنَ يَسْتَصْحِبَهُ عِنْدَ الْإِيَابِ ، وَيُورِدَهُ مُحْفُوظَ
الْجَانِبِ عَلَى ذَاكُمُ الْجَنَابِ ؛ وَاخْتِصَاصَهُ مَعَ ذَاكُمُ بِمَخَاطَبَةٍ كَرِيمَةٍ ، تَرْفَعُهُ
مَكَانًا عَلِيًّا ، وَيَكُونُ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ ، وَيَخْلُصُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، عُثْوَانًا
جَلِيًّا ؛ وَتَحْدُكُمْ حَرَسَهُ اللَّهُ يَغْتَفِرُ جِنَايَةَ الْإِذْلَالِ ، وَيُبْلِغُ نِهَايَةَ الْأَمَالِ ؛ وَاللَّهُ
يُبْقِي رِيَّاسَتَكُمْ تَجْبِرُ الْكَسِيرَ ، وَيُنَيِّسُ الْمَرَامَ الْعَسِيرَ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يُؤَيِّدُ مَقَامَكُمْ ،
وَيُكَافِي إِنْعَامَكُمْ ، بِمَنِّهِ .

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط ، ص : «مَنَائِهَا» .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يعتمد محلكم الرياسي ، بدءاً وعوداً ،
ورحة الله تعالى وبركاته .

وكتب يهني الفقيه الأجل القاضي أبا المطرف بن عميرة بولايته قضاء شاطبة :
بأي بنان أم بأي بيان تخط وتلي شكرها الملوان

تهنئته أبا المطرف
ابن عميرة بقضاء
شاطبة

لولاية عقد لواءها الوجوب ، وأسفر وجه محاسنها المحبوب ؛ فأشرق لألاء
محياتها ، وتعاطى الأولياء محيائها ؛ فاشتت من جذلان يحبر شكرا ، ونشوان
يجهر سكرًا ؛ يترنم كالشادي الباغ ، ويترنح كالغصن الناعم ، وكلا أصلح الله
قاضينا الأعلى ، لا نسكر ، على من يصف حالة الشكر ؛ وإن تناهى طربا ، وقضى
من رفض الأناة أربا ؛ فالمرتاح لا يتأسك ولا يتألك ، والارتياح لا يهلك أحدا
على راحه يتهالك ؛ لا جرم أنه تسمو به الجدود ، وتذرا عنه بالشبهات الحدود ؛
وبأيها المولى المولى أشرف الخطط ، الضيق عن عادى جلاله ، وخالدي خلاه ،
أرحب الخطط .

قال جامع هذا الموضوع أحمد بن محمد المقرئ وفقه الله :

أشار ابن الأثير بقوله : « وخالدي خلاه » إلى أن أبا المطرف من ولد
خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فاعلم ذلك .

رجع الى كلام ابن الأثير :

ما نبأ تهاداه التجدد والقور ، واقتسم الحياة والموت به العدل والجور ؛
سوغ المجد المنيف نطافه ، وهزله الدين الحنيف أعطافه ؛ حين قرأ الحكم
الشرعي في نصابه ، وشفي من آلامه وأوصابه ، وأزغم المناصب لذلك بنصبه

وانتصابه ؛ وسرَّ معلِّم العلم فأسار يرُّه مُتَهَلِّلَه ، وسُلَّ حُسام الحق ، فأبطال الباطل
متسلِّله ؛ وأُشْرِع سِنَانُ الشَّرْع ، فكلُّ مُعْتَدِلٍ بِالْجَهَالَةِ مُعْتَدِلٌ ، وهبَ نَسِيم
المهابة ، فكلُّ مُعْتَزِلٍ لِلشَّفَاهَةِ مُعْتَزِلٌ ، أَمَا وَخُطَّةٌ خَطَبْتَ مِنْكَ أَكْفَانَهَا ،
وأقرت عين الهدى بتعيينها لك وهدائها ، لقد عُصِبَتْ بِقَاضٍ يَسْعَى لِلْقَوْمِ
وَيَسْعَدُ ، وَنِيَطَتْ بِمَاضٍ يَنْهَضُ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَيَنْهَدُ ؛ وَلَا عَجَبَ أَنْ آثَرَتْ
جَلَالَهُ ، وَاعْتَمَدَتْ خِلَالَهُ ، فَلَمْ تَكُ تُصْلِحْ إِلَّا لَهُ ، فَهَيْثَا لَهَا مَا أُنْبَسَتْ مِنْ شَرَفِ
خَالِدٍ ، وَأَنْ حُرِسَتْ بِأَقْلَامِ ابْنِ سَيِّفِ اللَّهِ خَالِدٍ ؛ وَيَا لَبَلْدَةٍ وَطِئَتْ رُبَّتَهَا ،
وَبُؤَى رُبَّتَهَا ؛ مَا أَخْصَبَ عَيْشَتَهَا وَأَرْغَدَهَا ، وَأُسْعَدَ يَوْمَهَا وَغَدَهَا ! وَمَا ذَا بَهَا
مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا ، وَتَجَدَّ وَعَلِيَا ؛ إِذْ جَمَعَتْ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْأَنْصَارِ ، وَأُطْلِعَتْ
مُحَمَّدَهَا وَمُحَاسِنَهَا مِلَّةَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ ؛ لَا زَالَتْ حَوَازَتُهَا تَحُوزُ الْأَكْبَارِ ،
[وَأَمْرَتُهَا تَعُزُّ عِزَّتُهَا الْمُسْكَبَرِ] ؛ وَدَامَ عِمَادُنَا الْمَفِضِلُ ، وَعِمَادُنَا الْمُخْزِلُ ؛ بَيْنَ
وَلِيِّ شَاكِرٍ حَامِدٍ ، وَعَدُوِّ كَاشِرٍ حَاقِدٍ ؛ يَنْزِلُ الرِّبِّ الْمَنِيغَةُ ، وَيَطُولُ بِهِ مَالِكُ
أَبَا حَنِيفَةٍ ؛ وَاللَّهُ يُنْهَضُهُ بِمَا تَقَلَّدَ ، وَيُخَلِّدُ بِجَدِّهِ الْأَوَّلَى بِأَنْ يُخَلِّدَ .
وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْلَ يَخْصُهُ كَثِيرًا ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب رحمه الله إلى رئيس شاطبة أبي الحسين بن عيسى ، شافعا في فكِّ
أسير ، وتيسير عسير :

كتبته إلى سيدي ، حرس الله شرفه العبادي ، وكلا كنفه السيادي ،
ولا مزيد على ما عندي من الإعظام لرفيع جانبهِ ، والقيام بكبير واجبه ؛ واللَّهُ
يحفظ شرف بيته العتيق ، وحديث قديمه الفائت بطيبيه المسك الفتيت الفتيق ؛
ومؤدِّيهِ فلانُ أدام الله حفظه وعصمته ، وأنتم عليه إحسانه ونعمته ؛ والمذكور

وكتب شافعا
في فكِّ أسير

يَمُتُّ إِلَيْكُمْ بِقَدِيمِ الْإِخْلَاصِ ، وَيَرْغَبُ أَنْ يُنْظَمَ لَدَيْكُمْ فِي أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ ؛
 وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا نَابَهُ مِنْ غَيْرِ الدَّهْرِ وَنَوْبِهِ ، وَكَيْفَ نَشِبَ فِي حِبَالَةِ الْأَسْرِ الَّذِي أَتَى
 عَلَى نَشَبِهِ ؛ وَعِلْمُكُمْ بِنِبَاهَةِ بَيْتِهِ أَغْنَى عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، وَفَضْلُكُمْ كَفَيْلُ بَتْسِيْبِ
 الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ؛ وَقَدْ وَثِقَ بِسَعِيْكُمْ الْكَرِيمِ فِي جَبْرِ كَسْرِهِ ، وَأَمَلُ سَيَادَتِكُمْ
 لَلتَّهَمُّ بِأَمْرِهِ ، وَالتَّصَرُّفِ فِيْمَا يَصْرَفُ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا بُذِلَ فِي خِلَاصِهِ مِنْ أَسْرِهِ ؛
 وَمِثْلُكُمْ اصْطَنَعَ أَمْثَالَهُ ، وَآثَرُ فِيمَا يَلِيْقُ بِنِبَاهَتِهِ اسْتِعْمَالَهُ ؛ وَاللَّهُ يُعْلِيْ شَأْنَكُمْ ، [٦٧٩]
 وَيَحْرُسُ مَكَانَكُمْ ، وَالسَّلَامُ .

وكتب أيضا شافعا بما نصّه :

وكتب أيضا
شافعا

تلك السجاياء العذاب ، والكرم اللباب ، والساحة التي ألْبَسَهَا جِدَّتَهُ
 الشَّبَابُ ؛ مَخْصُوصَةٌ بِتَحِيَّةِ التَّوْقِيرِ وَالتَّكْبِيرِ ، الْمَعْبُورَةُ أَنْفَاسُهَا الْعَبْقَةُ عَنِ الْعَبِيرِ .
 وَمُنْهَبُهَا مِنْ زَانِ قَوْمَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَحَسَمَ قَضَاؤُهُمْ وَعِظَاؤُهُمُ الْوَهْنَ وَالْوَهْيَ ؛
 فَلَنْ ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ الْأَوْطَارِ وَالْأَوْطَانِ ، وَأَعَادَهُ إِلَى عَادَتِهِ مِنْ عِزَّةِ الْجَوَانِبِ
 وَشِدَّةِ الْأَرْكَانِ ؛ وَهُوَ كَرِيْمَةٌ كِرَامٍ ، آمَتْ بَعْدَهُمُ الْأَيَّامُ ، وَشَكَا فَقَدَهُمُ الْأَنَامُ ،
 وَلَبِسَتْ الْحِدَادَ عَلَيْهِمُ الْأَسْيَافُ الْحِدَادَ وَالْأَقْلَامُ ؛ وَمَا بَانُوا وَلَا بَادُوا إِلَّا وَأَيَادِيهِمْ
 أَطْوَاقُ فِي الرِّقَابِ ، وَتَشْرِيفُهُمْ بَاقٍ فِي الْأَعْقَابِ ، عَلَى مَرِّ الْأَحْقَابِ .

وهذا فلان عَرَفَهُ اللَّهُ إِسْعَادَ الْأَقْدَارِ ، وَأَعْفَى مَشَارِبَهُ وَمَشَارِعَهُ مِنَ الْأَكْدَارِ ؛
 يَرُوقُ وَقَارُهُ ، وَيَكْرُمُ سِبَارُهُ ^(١) ، وَعَيْنُهُ فِرَارُهُ ؛ وَأَدْنَى حِلَاةِ الطَّلَبِ ، وَبَعْضُ
 خِصَائِصِهِ الْأَدَبِ ؛ ثُمَّ شَأْنُهُ الْأَخْطَرُ شَأْنَهُ ، وَمَكَانُهُ مِنْ حِيَةِ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْأَحْيَاءُ
 مَكَانُهُ ؛ وَرَأَى عِنْدَ أَخْذِهِ فِي الثَّقَلِ ، وَعَزَمَهُ عَلَى الرَّحْلِ ؛ أَنْ يَسْتَصْحِبَ إِلَى

(١) سِبَارُهُ : يريد اختباره . والسبار في الأصل : ما يسير به غور الجرح .

مجدكم هذه الحروف ، ويستدفع بمعلوم جدكم الصروف ؛ وإن تأملتُم ماله من
 سَمَتْ وَسِيَا ، أَقْبَلْتُمُوهُ وَجْهَ الإِقْبَالِ وَسِيَا ؛ وأوليتُموه من رَغَى الحق الواجب ،
 ما يراه ضَرْبًاؤُكُمْ ضَرْبَةً لَازِبَ ؛ واللهُ يُبْقِيكُمْ للمكارم تُشَيِّدُونَ رسومها الدائرة ،
 وَتُنْظَمُونَ عقودها المتناثرة ؛ وهو تعالى يَكْلَأُ محلكم الرحيب ، ولا يُعْذِمُكُمْ من
 [٦٨٠] الزمان وأهله التَّرجيب^(١) والترحيب ، والسلام .

* * *

وله في الحبيبات

ومن نظمه رحمه الله قوله في المُجَبَّنَات :

بِنَفْسِي مُثْلِجَاتٌ لِلصَّدُورِ لَهَا سَمَتَانِ مِنْ نَارٍ وَنُورٍ
 حَوَامِلُ وَهِيَ أَبْكَارُ عَزَازِي تُزَفُّ عَلَى الْأَكُفِّ مَعَ الْبُكُورِ
 كَبَرْدُ الطَّلِّ حِينَ تَذَاقُ طَعْمًا وَفِي أَحْشَائِهَا وَهْجُ الْحُرُورِ
 لَهَا حَالَانِ بَيْنَ فَمٍ وَكَفٍّ إِذَا وَافَتَكَ رَائِعَةُ الشُّفُورِ
 فَتَغْرُبُ كَالْأَهْلَةِ فِي لَهَاةٍ وَتَطْلُعُ فِي يَمِينِ كَالْبَدُورِ

* * *

وله يشكو الزمان

وقوله يشكو الزمان :

تَحْيَيْفُ حَالِي حَيْفُ الزَّمَانِ وَصِدْقُ الْيَأْسِ مِنْ كَذِبِ الْأَمَانِ
 وَبَرَّتْ فِي أَلْيَتِهَا اللَّيَالِي بِتَرْوِيحِي فَإِنِّي بِالْأَمَانِ
 أَمَا قَنَعَتْ وَقَدْ كَلِمَتْ بِهِضَمِي وَضَيْمِي دُونَ أَبْنَاءِ الْبَيَانِ
 أَحَاوَلُ أَنْ أَقُومَ لَمَّا يُؤَاتِي فَتُقْعِدُنِي الْخُطُوبُ بِلَا تَوَانِي
 وَأَطْبَاقُ الثَّرَى بِالْحُرِّ أُخْرَى إِذَا أَلْفَى الثَّرَاءُ مِنَ الْهَوَانِ
 فَهَلْ مِنْ آخِذٍ بِيَدَيَّ أَخِيذٍ بَعَيْنِ اللَّهِ شِدَّةُ مَا يِعَانِي

(١) الترجيب : التعظيم .

أَيَا مَا أَشْتَكِيهِ مِنْ أَيْامِي عَوَارٍ فِي يَدِ الْبَلَوَى عَوَانِي
وَمَا أَبْقَى عَلَى تَلْفِي دَلِيلًا كَفَانِي أَنَّى حَيْثُ كَفَانِي

وقوله أيضا :

يَعِيرُنِي قَوْمِي بِجَفْوَةِ سُلْطَانِي وَبَشْفِهِمْ شَكْوَى بَنِيوَةِ أَوْطَانِي
يَرُونَنِي خَمُولًا عَظْمَاتِي لَتَوْفِّي وَتِلْكَ عَلَى تَحْضِ النَّبَاهَةِ بَرَهَانِي
وَقَالُوا خُفُوفٌ قُلْتُ لَا بَلْ رَجَاحَةٌ كَفْتَنِي إِقْلَاءُ بَكْفِي لِإِذْعَانِ
إِذَا عَهْدُونِي لِلنَّزَاهَةِ رَاكِبًا فَصَعْبُ الْأَسَى سَهْلٌ وَإِنْ هَذَا رَكَانِي

وقوله أيضا رحمه الله :

عَلَّتْ سِنِّي وَقَدَرِي فِي انْخِفَاضٍ وَحُكْمُ الرَّبِّ فِي الْمَرْبُوبِ مَاضٍ
إِلَى كَمْ أَسْخَطُ الْأَقْدَارَ حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ يَوْمًا بِرَاضٍ

[٦٨١]

وقال أيضا في معنى التسليم للمقدور :

وله في التسليم
للمقدور

أَمَّا إِنَّهُ قَدْ خُطَّ فِي اللَّوْحِ مَا خُطَّ فَلَا تَعْتَقِدْ لِلدَّهْرِ جَوْرًا وَلَا قِسْطًا
وَلَا تَسْخَطِ الْمَقْدُورَ وَارْضَ بِمَا جَرَى عَلَيْكَ بِهِ إِنْ الرِّضَا يُفْضِلُ السُّخْطَا
وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَاهُ :

إِلَامٌ فِي حَلٍّ وَفِي رِبْطٍ تَخْبِطُ جَهْلًا أَيْمًا خَبِطُ !
دَعِ الْوَرَى وَارْجُ إِلَهَ الْوَرَى فَإِنَّهُ ذُو الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ
لَيْسَ لِمَا يُعْطِيهِ مِنْ مَانِعٍ وَلَا لِمَا يَنْتَعُ مِنْ مُعْطَى

وقال رحمه الله معارضا للرُّصافي في أبياته التي أولها :
« ومَهْدَبِ الشَّطِينِ تحسب أنه »

بقوله :

ونهر كما ذابت سبائكُ فضّة
إذا الشفقُ استولى عليه احرارُه
وتحسبه سُنَّتْ عليه مُقَاضَةٌ
وتُطْلِعُهُ في دُكْنَةٍ بعد زُرْقَةٍ
كما انفجر الفجرُ المِطْلُ على الدُّجَى
وَمِنْ دُونِهِ في الأفقِ سُحْمُ الغَمَامِ

وقال أيضا في معناه :

مَقَمًا لروضِ رُذُتِهِ رَأْدُ الضحَا
شَتَّى محاسنُهُ فَمِنْ زَهْرٍ على
وكأنما حَمَى الربيعُ لِقَطْفِهِ
غَرَبَتْ به شمسُ الظهيرة لا تَنَى
حتى كساه الدوحُ من أفيائه
وكأنما أَلَمَعَ الظلالُ بمتنه

وقال في معناه أيضا :

لله نهرٌ كالْحُبَابِ
يصف السَّاءَ صفاءُه
وكأنما هورِقَّةٌ
ترقيشه سامي الحَبَابِ
فخصاه ليس بذى احتجاب
مِنْ خالصِ الوَرِقِ المَذَابِ

م : « تسلا » .

وله يعارض
الرصافي في
وصف نهر

وله في معناه أيضا.

وله في معناه أ

[٦٨٢]

غازلتُ في شَطِيَّه أَبْـكَارِ الْمَنَى عَصْرَ الشَّبَابِ
والظِّل يَبْدُو فَوْقَهُ كَالْخَالِ فِي خَدِ الْكَعَابِ
لَا بَلْ أَدَارَ عَلَيْهِ خَوْفَ الشَّمْسِ مِنْهُ كَالْتَّقَابِ
مِثْلَ الْمَجَرَّةِ جَرٍّ فِيهَا ذِيْلُهُ جَرَّ السَّحَابِ

وقال في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

وله في تمثال
نعل النبي

سَجَّامٌ لَعَمْرِي أَدْمَعُ وَسِجَالٌ لَأَنَّ عَزَّ مِنْ نَعْلِ الرُّسُولِ مِثَالُ
وَهْلٍ يَمْلِكُ الْعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِهَا سَوَى خَلِيٍّ عَدَاهُ عَنْ هُدَاهُ ضَلَالُ

ومنها :

مِثَالٌ إِلَى نَعْلِ الْمُطَهَّرِ يَعْتَزِي فَأَعْرَازُهُ لِلْحُسْنَيْنِ مَنَالُ
أَقْبَلَهُ شَوْقًا تَمْلِكُنِي لِمَا حَكِي وَشَهِيدِي لَوْ يَفُوهُ قِبَالُ
وَأِلَى اشْتِرَاكِ فِي التَّزَامِ شِرَاكِهِ وَحُسْنِيٍّ مِنْهُ عَصْمَةٌ وَمَنَالُ
وَمُعَقَّدُهُ مِمَّا عَقَدْتُ بِهِ الْهُوَى فَلَا صَحَّ عَزَمِي إِنْ صَحَّ لِي بِالِ
مِرَادِيٍّ مِنْ تَمْرِغٍ شَدِيدِي عَلَيْهِ أَنْ تَسِحَّ مِنَ الرُّحْمَى عَلَى سِجَالِ
وَمَنْ وَضَعَهُ فِي حُرٍّ وَجْهِي وَرَفَعَهُ لِقَمَّةٍ رَأْسِي أَنْ يَعْزَّ مَا لِ
فَأَحْظَى بِحَظِّي مِنْ جِوَارِ مُحَمَّدٍ وَهْلٍ بَعْدَ تَنْوِيلِ الْجَوَارِ نَوَالِ

وله في ذلك المعنى أيضا رحمه الله :

لِمِثَالِ نَعْلِ الْمُصْطَفَى أَصْفِي الْهُوَى وَأَرَى السَّلَوى خَطِيئَةً لَنْ تُغْفَرَ
إِذَا أَصَاحَفَهُ وَأَمْسَحَ لَانْمَا أَرْكَانُهُ فَمَعْرَازًا وَمَوْقَرًا
اعْتَرَاظِي فِي جِهَارِ تَذَلُّي جَلَالُهُ أَثَرًا بِقَلَامِي

إن شاقني ذاك المثال فطالما شاق الحبيب الطيف يطرق في الكرى
لى أسوة في العاشقين وقصدهم لثم الطلول لأهلين تذكر
وبكانهم تلك المعاهد ضلّة تحت الظلام على الغرام توفرا
أفلا أمرغ فيه شبي رايدا وأريق دمي وسطه مستبصرا
ثقة بآرائى من الخيرات في شغفى بنغلى خير من وطى الثرى

[٦٨٣]

وقال في التشوق إلى الضريح الشريف على الدفين به صلوات الله وسلامه :

وله في التشوق إلى

الضريح النبوي

لَوْ عَنْ لى عَوْنٍ من المقدار لهجرت للدار الكريمة دارى
وحلت أطيّب طينة من طيبة جارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للأبصار لَمَّا استثار حفاظ الأنصار
يا زائرين القبر قبر محمد بشرى لكم بالسبق في الزوار
أَوْضَعْتُمْ لنجاتكم فوضعتم ما آدكم من فادح الأوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى حملتكم شوقا إلى المختار
أدوا السلام سلّتم وبرّده أرجو الإجارة من ورود النار

[استطرد لما قيل في نعل النبي صلى الله عليه وسلم]

قلت : وإذ جرى ذكر النعل النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فلا بد أن نورد جملة مما قيل في مثالها على جهة التبرك ، والتوصل بصاحبها إلى الله سبحانه ، أن يُفرّج عنا بجاهه كُرب الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة ؛ وظفروا بالمقام الأسنى ، وفازوا بالزيادة والحسنى .

لمحمد بن فرج
في نعل النبي
نحسا لأبيات
أبي الزبيد
ابن سالم

فمن ذلك قول الشيخ أبي عبد الله محمد بن فرج، نحسا لأبيات الإمام الشهيد
أبي الزبيد بن سالم الكلاعي، رحمه الله، التي على رويها وقافيتها سلك ابن
الأبّار، رحمه الله، في الأبيات المذكورة آنفاً :

خبالٌ عرا ما إن جنّاه سوى النوى
نوى من نوى من كشف بلاوى ما نوى
فيا مُنكرًا ما قد عراني في الهوى

«خواطرُ ذى البلوى عواسرُ بالجوى فى كلِّ يومٍ يعتريه خبالٌ»

سمعتُ اسمه الأعلى الشريف المشرقاً
فخيلتُني يعقوب ذُكر يوسف
ومن شيم الصب المتيم ذى الوفا

«متى يدعُ داعرُ باسم محبوبه هفاً فيمتاجُ بآبِئالٍ ويكشفُ بال»

[٦٨٤]

رعى الله صبّاً بالهوى نفسه سمّت
له آية فى الحب بالكتم أخكمت
فما كم يُلج من حبه أثرٌ صمت

«وإن يرَ من آثاره أثرًا همت له من غروب المُقلّتين سجال»

فيا نفسي الجـالى دُجاها هلالها
أما إنه نور البـدور كالألها
ألا فاعذرى نفساً تحن فخالها

«كحالى وقد أبصرت نعلا مثالها لنعل الرسول الهاشمي مثال»

ويأبى الراني إلى مُفَنِّدَا
وقد كدت لولا نهى حبي لِأَسْجُدَا

هوى وجوى إن يبَلْ دهره تجددا
 «عرانى ما يعزُّو الحبَّ إذا بدا لعينيه من معنى الأحيّة آلُ»
 ذكرت به عضرا مضى ومعاها
 فنوديتُ من نفسى نداء مُساعدا
 وحدتُ فعاودُ لثمه تُدعِّعُ واجدا
 «فقبَلْتُ فى ذاك المثلَّ معاودا أرى أن ذُلِّي فى هواه جلالُ»
 وشبهته صفحا ونفحا حديقة
 مُفتحة الأزهار غنّا أنيقة
 سقتهَا غَوَادٍ قد غدَوْنَ غديقة
 «ومثلته نعلَ الرسولِ حقيقة وإنى لأدري أن ذاك مُحالُ»
 فيا جاهلا داء الحبين والدَّوا
 غويتَ ولا تدري فلا كان مَنْ غوى
 أتُنكرَ أتم المثلُ فى حالة النَّوى^(١)
 «ومن سنة العشاق أن يبعثَ الهوى مثالُ ويقتادَ الغرامَ خيالُ»
 تساوتُ معانى الحبِّ فى كل مقصدٍ
 فمن مُقْلَةٍ عبْرَى وجفن مُسَهَّدٍ
 وبرَّحٍ وتهنّامٍ وشوق مُجدِّدٍ
 «فلا فرق إلا أن حُبَّ محمد هُدًى والهوى فيمَن عداه ضلالُ»
 انتهى .

(١) فى هامش ص عن نسخة أخرى : « أتُنكرَ عرو الحب ... الخ » .

وله في مدح النعال
على حروف
المعجم

ولحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه ، وتقبل بكرمه ورحمته منه ؛
[قطع] ^(١) على حروف المعجم ، في لزوم ما لا يلزم ؛ وسماها بالقطع الخمسة ،
في مدح النعال المقدسه .

قال رحمه الله حسبما نقلت من خطه :

وآثرت التخميس على التعشير ، ليكون أسرع لحفظها ، وأبرع للفظها ؛
وأیضا فوجود خمس من القوافي في نظم لزومي أو نثر ، أهون على الفكر من
وجود عشر . هذا وإن كان اللسان العربي فصيحاً فسيحاً لا يضيق ، ولا يكاد
يخرج عنه لسان كل فريق ؛ لكن ليس من شرط المطالعه ، أن يحفظ الغريب
من الكلام كل من طالعه ؛ والله سبحانه أسأل أن يجعلها من القربات التي
تنفع ، والوسائل التي تشفع ، والتأمين التي تذود كل سوء في الدارين وتدفع ،
وصلى الله على الشفيع المشفع ؛ وسلم تسليماً ، من آفة الانفصال سائياً .

قافية الزمزم

أتمثال نعل كان يلبسها الذي	إذا عُدَّتِ الأرسال ليس له كفء
أبو القاسم الأسمى الذي وطئ السما	بأخصه لئلا فشرها الوطاء
أقبل في طرس حواك كأني	عليل وفي تقبيل شكلك لي البرء
أنا المرء بالآثار ممن هو يئسه	قنعت وقد يخطي إذا قنع المرء
أأحمد لا يهوى الفؤاد سواك ما	تقدم عود الشيء في الرتبة البدء

قافية الباء

بنفسي مثال النعل نعل محمد
نبي الهدى الخصوص بالقرب والحب

(١) زيادة يقتضيه السياق .

بدالى فكان البدر جلى بنوره غياهب أشجان تراكم فى قلبى
بكت مقلتى شوقا للابىها وهل بمطفئة نار الآسى دمعته الصب
بعث به شخصا من الأنس مبيتا فبشرنى بالقرىب منه على قرب
بموطنها قد شرف الله تربة عليها مشيت فالتبر يحسد للترب

فافية الناء

تلوت وقد أبصرت مثلاً لنعل من تميز بالوصف الشريف وبالنعمة
ترفعت من نعل بأخص مرسل قد أنقذ من شر الطواغيت والخبث
تقدست الأرض التى قد مشى بها عليها فصار الفوق يغبط للتحث
تمنيت لو أتي ظفرت بتربها فرغت فيه الخلد للحين والوقت
تمنى صبى عاشق دنف جوى معنى كئيب دأبه حفظ ذى الست^(١)

فافية الناء

نمار الأمانى قد جنى الطرف إذا رأى مثال نعال المصطفى من أولى البعث
نراها ومن أعلاه طاب نسيمه وما أنا فى هذى اليمين بذى حنث
نربا السما ودت لتنقل بانثرى إليك فلم تنقل فهان فى بث^(٢)
نويت به يا طيب فهو كمسكة يفوق شذاها المسك فى الطيب والمكث
نواى يامن شرفت بلباسه على مدحها تأمين خوفى فى البعث

فافية الجيم

جلت أيا نعلأ بأخص سيد إلى حضرة القدس العلية عارج

(١) يريد الصفات الست ، المذكورة فى البيت .

(٢) فى الأصول : « ذوبت » . والتصويب عن هامش ص .

جُبِلْتُ عَلَى حُبِّ لَه فَمَتَى بَدَا مِنْ آثَارِهِ شَيْءٌ تَشُورُ لَوَاعِجِي
جَنَى الْأَنْفُ مِنْهَا زَهْرَ رَوْضٍ إِذَا انْبَرَى نَسِيمُ شَدَاهُ بَدَّ عَرَفَ النَوَافِجِ
جَبَرْتُ بِهِ صَدْعًا جَنَاهُ الْهَوَى وَمَا شُغِفْتُ بِغُنْجِ الْخَوْدِ ذَاتِ الدَّمَالِجِ
جَزَى اللَّهُ عَنِّي الْقَلْبَ خَيْرًا فَإِنَّهُ تَعَلَّقَ بِالْهَادِي لِأَهْدَى الْمَنَاهِجِ

قافية الحاء

حَظِّيتِ أَيَا نَعْلًا بِأَخْصِ مَرَسَلٍ قَدْ أَنْزَلَ رَبُّ الْعَرْشِ فِيهِ أَلَمْ نَشْرَحْ
حَلَّتْ بِسَاطِ الْقُدْسِ حِينَ عُروجه لِيُوضِحَ فِي الْمَسْرَى لَهُ اللَّهُ مَا أَوْضَحَ
حَلَفْتُ: لَأَرْضُ قَدْ وَطِئْتُ تَرَابَهَا لَكَلِمَسْكَ مَفْضُوضًا أَمَا إِنَّهُ أَفْوَاحُ
حَلَّتْ نِطَاقَ الْكُتْمِ لَمَّا رَأَيْتُهَا فَصَرَّحَ مِنْ حُبِّي اللِّسَانُ بِمَا صَرَّحَ
حَبِيبِي الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى وَمِنْ أَجَلِهِ مَدَحْتُ لِنَعْلَيْهِ وَحَقُّ بَأْنِ أَمْدَحَ

قافية الحاء

خَذِيهَا أَيَا نَفْسِي الْمَشُوقَةَ كَلَّمَا سَرَى نَفْسٌ مِمَّنْ هَوَايَ بِهِ بَدَخْ
خَمِيلَةَ شَعْرِ أُودِعَتْ مَدْحَ نَعْلٍ مَنْ بِشِرْعَتِهِ كُلَّ الشَّرَائِعِ قَدْ نَسَخَ
خَضَبْتُ نِصَالَ الشَّيْبِ لَمَّا رَأَيْتُهَا بِدَمْعِ مُحِبٍّ عَقْدَ كِتْمَانِهِ فَسَخَ
خُطَاهَا أَفَادَ الْأَرْضَ زَهْوًا فَأَنْفَهَا عَلَى قِمِّ الشَّهْبِ الْمَنِيْفَةِ قَدْ شَمَخَ
خُصِّصَتْ أَيَا نَعْلًا بِأَجْلَى مَرْيَةِ تَبَيَّنَ لِمَنْ فِي الْعَالَمِ أَخْصَهُ رَسَخَ

قافية الدال

دَعِ الطَّرْفَ يَسْرَحْ فِي رِيَاضٍ تَزِينَتْ بِمَدْحِ نَعَالِي مُصْطَفَى الرُّسُلِ أَحْمَدَا
دُعِيَ فَمَشَى فَوْقَ السَّمَاءِ فَلَمْ يَطَأْ بِهَا مَوْضِعًا إِلَّا وَأَصْبَحَ مَسْجِدَا

دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ إِذْ دَنَا فَأَوْحَى الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى
 دُنُوَّ حَبِيبٍ مِنْ حَبِيبٍ لِأَجَلِهِ لَأَدُمَ أَمْلَاكَ السَّمَوَاتِ أَسْجَدَا
 دَرَى فَضْلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَكُلَّهُمْ يَرَوْنَ وَجِيهَهُ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدَا [٦٨٧]

قافية الزال

ذَرِ الْأَنْفَ يَسْتَنْشِقُ خَائِلَ رَوْضَةٍ تَبْذُ نَسِيمَ الْمِسْكِ أَنْفَاسُهَا بَذَا
 ذَكَرْتُ بِهِ نَعْلًا لَا كَرَمَ مَرْسَلٍ بَرَاهُ الَّذِي أَعْلَاهُ فِي رُسْلِهِ قَذَا
 ذَرُورُ تَرَاهَا الْمِسْكَ فَاقَ فَإِنْ تَسَلَّ عَنَّا أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْفَتِيْقِ شَذَا قَذَا
 ذُكَايَ تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ سَحَاءَةً تَعْنِي مَدَحَهَا أَوْ جِلْدَةً مِثْلَهَا تُحْدَى (١)
 ذُوو حُبِّهِ التَّدُّوا بِرُؤْيَيْهَا كَا بَشُوبِ ابْنِ يَعْقُوبِ أَبَوْه قَدِ التَّدَا

قافية الراء

رَأَيْتُ مِثَالَ النَّعْلِ نَعْلَ الَّذِي بِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْقُدُسِ الْعَلِيَّةِ قَدْ أُسْرِيَ
 رَعَى اللَّهُ مِنْهَا نَعْلَ أَيْ كَرِيمَةٍ بِرَجُلٍ عَلَتْ نَخْرًا عَلَى قَمَةِ النَّسْرِ
 رُوِيَ أَنَّهُ نُودِيَ وَقَدْ رَامَ خَلْعَهَا وَمَاءَ الْحَيَا فِي وَجْنَتَيْهِ مَعًا يَجْرِي
 رَسُولِي لَا تَخْلَعْ تُشْرِفْ بِوِطْنِهَا بِسَاطِي يَا مَعْنَى وَجُودِي يَا سَرِّي
 رَفَعَتْ لَوَاءَ الْمَكْرُمَاتِ جَمِيعَهَا بِيَمْنَى الْعُلَا وَالنَّاسِ فِي قَبْضَةِ الذَّرِّي

قافية الزاي ، وهي مخجاسة

زَفِيرُ اشْتِيَاقِي إِذَا بَدَا نَعْلُ مُعْتَقِي مَخَاطِبِي كَتَمِي وَعَزَمِي قَدْ عَزَا

(١) السحاة : قطعة صغيرة من الورق تؤخذ من القرطاس . وتسمى : تحفظ . يريد أن الشمس تتمنى أن تكون هذه السحاة التي تحوى مدح نعل النبي ، أو أن تكون قطعة من الجلد مثلها .

زَكَتْ شَفَّةٌ قَدْ قَبَّلَتْ نَعْلَ سَيِّدٍ بِهِ عَالَمُ الْإِنْسَانِ أَجْمَعُهُ عَزًّا
زَعِيمٌ بِهِ هَذَا السُّرُورُ لَنَا وَفِي مَصَائِبُنَا الْعُظْمَى الْمَصَابُ بِهِ عَزَّى
زُهُوُّ سَنَاهُ ظُلْمَةِ الشَّرِكِ قَدْ جَلَا وَلَوْلَاهُ كُنَّا نَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعَزَّى
زَمَانِي لَا أَنْفَكَ لَأَتَمُّهَا أَرَى هَوَانٌ هَوَانًا يَا أَخْلَاءَنَا عَزًّا

فافية الطاء

طَوْتُ بَعْضَ مَآمِنٍ وَخُشَّةٍ نَشْرَ النَّوَى نِعَالُ خُطَاهَا فِي الْمَكَارِمِ لَا تُخْطَا
طَفِئَتْ أُنَادِي حِينَ لَاحَتْ لِنَاطِرِي وَزَنَدَ الْهَوَى بِالسَّقَطِ قَدْ وَصَلَ السَّقَطَا
طِبِّ أَنْعَمٍ تَنْزَهُ يَا فَوَادِي فَهَذِهِ نِعَالُ الَّذِي جَاوَزَتْ فِي حُبِّهِ الْفَرْطَا
طُبِعْنَا عَلَى حَبِّ لَهُ فَمَتَى يَلُحُ لَنَا أَثَرٌ نَنْتَرُ مِنْ أَدْمُعِنَا سِمَطَا
طَلَعْنَا نَجُومًا فِي هَوَاهُ فَأَفْقُنَا قَدْ أَخْلَدَ عَنْهُ النُّجُومُ لِلْأَرْضِ وَالْمَحَطَا

فافية الظاء

ظَلَلْتُ أُنَادِي إِذْ رَأَيْتُ نِعَالَ مَنْ قَدْ أَنْقَذَنِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ لَظَى
ظَهَرَتْ لَنَا فِي شَكْلِ بَدْرِ فَلَمْ نَكُنْ لِبَدْرِ الدَّجَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِنَلْحَظَا [٦٨٨]
ظَمِينًا فَكُنْتُ الْمَاءَ مَقْلُوبَ هَمْزَةٍ نَقَعْتُ وَمِيمٍ جِيءَ فِي إِثْرِهَا بَطًّا
ظَهِيرِي رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ لَحَظْتَنِي بِهِدْيِي وَفِي الْآخِرَى تَرَى لِمَنِ الْحَظَا
ظِلَالُكُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ حَفِظْتَنِي وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْفَضْلُ مِنْكُمْ لِأُخْفَظَا

فافية الطاف

كُرُمْتَ أَيَا نِعَالًا لَا كَرَمَ مَرْسَلٍ بِهِ وَهُوَ وَسَطَى السَّلَكِ قَدْ خُتِمَ السَّلَكُ
كَأَنَّكَ فِي عَيْنِي نَافِثَةٌ خَلَّتْ وَأَبْقَى بِهَا لِلْأَنْفِ مِنْ نَفَحِهِ السَّلَكُ

كتمتُ فلما لُحِثَ لي باحَ محجري بسرَّ معنَى قلبه بالنوى يشكو
كفاني كفاني أن بدا أثرُ لمن به من إيسارِ الشُّركِ قلبى مفتك
كريمُ كرامِ الرُّسلِ أحمدُها الذى بتوحيده الإِشراكِ أودى فلا شرك

فافية المرم

لمثلِكِ يا نعلًا بلا بسهما نعلو ويا طيبَ قلبى كما قلت يا نعل
لثمت وما أبغيه بالثم لا ولا سواه فما قصدى النعال بلا الرِّجل
لها الله من رِجلٍ مشى بأجلٍ من شأى رسلِ الله الكرام وإن جأوا
لنا قد أتى منا عزيزٌ عليه ما عفتنا رءوفٌ راحمٌ ما له مثل
لعمري لولاه لما سحت السما ولا دحيت أرض ولا برى الكل

فافية الميم

وفيا وفيما بعدها لزوم زائد لم يهد الله إليه ولا ألهم ، إلا بعد الفراغ من
نظم ما تقدّم ، وإلا فجناب تجده فسيح ، ولسان الألسن فى مدحه عليه
السلام فصيح ، [وصلى الله على سيدنا محمد النبى المليك] :

مثالك نعل المصطفى هاج لي جوى جناه هوى قلبى السعيد به سما
مددت له عينى مشوق به على صبابته ألا تحول قد أقسما
مشيت به فوق السماء فكلما وطئت سماء فاخرت فوقها سما
مواطنه قسمن فيها مناسكا فأسمى الذى أدناه ذاك المقسما
محمد أبكيت الترى إذ عرجتم وعدهتم إليه بعد ذا فتبسما

فافية النون

نظرت بعينى هائم القلب مدنف شجيت أبى إلا البسكا طرفه خدنا

نَعَالَ حَبِيبٍ مُصْطَفًى مِنْ حَبِيبِهِ دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى [٦٨٩]
 نَبِيٍّ جَمِيعَ الرُّسُلِ سَادَ حِلِّي كَمَا بِمَبْعَثِهِ فِينَا جَمِيعَ الْوَرَى سُدْنَا
 نَجَّى لِرَبِّ الْعَرْشِ نَاجٍ مُحِبُّهُ غَدَا مِنْ لَظَى ذَاتِ الْلَظَى وَارْتَا عَدْنَا
 نَزَعْنَا إِلَى التَّوْحِيدِ مِنْ مُلْكٍ شَرَكْنَا وَلَوْلَاهُ مَا وَاللَّهِ لَهِ وَحْدَنَا

قافية الصاد

صَبَرْتُ فَلَمَّا لَاحَ لِي مِثْلُ نَعْلٍ مَنْ حِلَاهُ تَعَالَتْ أَنْ تُعَدَّ وَتُسْتَقْصَى
 صَبَبْتُ دُمُوعًا مِنْ جَفُونٍ كَأَنَّهَا عَزَا إِلَى سَحَابٍ نُؤْيِيهَا النَّأَى قَدْ أَقْصَى
 صَبَوْتُ هَوًى فِي السَّيِّدِ الْعَلَمِ الَّذِي قَدْ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
 صَمِيمٌ صَمِيمٌ الْجِلَّةِ الْقَمَرُ الَّذِي وَقَاهُ الْإِلَهُ الْحَقَّ وَالْكَسْفُ وَالنَّقْصَا
 صِرَاطِي هَوَاهُ لِلْجَنَانِ وَإِنَّهُ بَقِيَ وَوَقَى جِيدَ اغْتِصَامِي بِهِ الْوَقْصَا

قافية الضاد

ضُلُوعِي لَا تَهْدَا وَدَمْعِي لَا يَرْفَا وَلَيْسَ سِوَى حَالِهِمَا مِنْهُمَا أَرْضَى
 ضَلَّالِي هُدًى فِي ذَا الْهَوَى عِنْدَ أَهْلِهِ ذَوِي النَّظَرِ الْأَقْوَى ذَوِي السَّيْنِ الْأَرْضَى
 ضَعُوهَا قَلْبِي الشَّاكِي بِحَيْثُ نَعَالُهُمْ فَأَثَارُهُمْ تَشَنَّى أَحِبَّتْهَا الْمَرْضَى
 ضَمَمْتُ نَعَالَ الْمُصْطَفَى رِجْلَهُ الَّتِي بِهَا شَرَفَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَا
 ضَعُوهَا كَمِثْلِي فَوْقَ أَرْوَاسِكُمْ فَقَدْ زَكَ مِنْ رَأْيِ تَعْظِيمِ مِقْدَارِهَا فَرَضَا

قافية العين

عَلَى وَجْنَتِي فَاضَتْ دُمُوعِي فَصَرَّحَتْ بِسِرِّ فُؤَادِي بِالتَّكْتُمِ أُولِعَا
 عَشِيَ بَدْتُ نَعْلُ الْحَبِيبِ كَأَنَّهَا هِلَالُ بَآفَاقِ الْقُلُوبِ قَدْ أَطْعَا

عَجِبْتُ لِقَلْبِي أَنْ رَأَاهَا وَلَمْ يَطِرْ • وَيَخْرِقُ شَعَاظًا قَدْ حَوَاهُ وَأَضْلَعَا
عَمْرَاهُ خِيَالًا فَاسْتَقَرَّ وَلَمْ يَطِرْ • إِلَيْهَا وَشَيْكَا حِينَ بِالْأَمْرِ طَوَّعَا
عَسَى مِنْ أَرَانِي نَعْلَهُ أَوْ مِثْلَهَا • يُرِينِي ضَرْيَحًا لِلْمَكَارِمِ مُطْلَعَا

قافية الغين

غَلِيلِي لَا يُطْفَا وَشَجْوِي لَا يَنْفَى • وَدَمْعِي لَغَيْرِ الْمُزْنِ لَيْسَ بِمَنْبَغِي
غَسَلْتُ بِهِ رَيْنَ الْجَوَى وَهُوَ نَكْتَةٌ • بَخْدِي وَقَلْتُ اسْفِكَ نَجِيمَكَ وَاصْغِي
غَدَاةً بَدَتْ نَعْلًا لَا كَرَمَ مَرْسَلٍ • رَفِيعٍ شَفِيعٍ ذِي مَكَارِمَ سَبَّغِ
غَيُورٍ شَكُورٍ رَاحِمٍ مُتَلَطِّفٍ • كَرِيمٍ مُنِيلٍ وَاسِعِ السَّيْبِ مُسْبَغِ
غُلَامُكَ يَا مَوْلَايَ يَنْبَغِي شَفَاعَةٌ • وَذَلِكَ أَمْرٌ مَا لَغَيْرِكَ يَنْبَغِي [٦٩٠]

قافية الفاء

فَوَادِي لَا تَشْكُ الْبِعَادَ فَهَذِهِ • نِعَالُهُمْ فَاسْتَشْفَيْنَ بِهَا تَشْفَى
فَمَيِّ قَبَّلْنَاهَا مِثْلَ نَعْلٍ كَرِيمَةٍ • بِتَقْبِيلِهَا يُشْفَى سَقَامٌ مَنِ اسْتَشْفَى
فَلَيْتَ يَمِينِي وَالشِّمَالُ وَمِسْمَعِي • قُلْبُنْ شِفَاهَا تُحْسِنُ اللَّثْمَ وَالرَّشْفَا
فَأُطْفِئُ بِالتَّقْبِيلِ وَالرَّشْفِ سَجْمَةً • قَدْ أَشْعَلَهَا شَوْقٌ عَلَى الْهَلَاكِ بِي أَشْفَى
فَأَقْسِمُ يَا نَعْلَ الْحَبِيبِ لَأَنْتَ مِنْ • شَرَابِ بَطُونِ النَّحْلِ الْمُسْتَكِي أَشْفَى

قافية القاف

قَلْبِي لَا تَقْنَطْ فَهَذِي نِعَالُ مَنْ • عَلِقَتْ بِهِ مِنْ قَبْلِ سَرَّابَةِ الْعَلَقِ
قَدْ أَبْصَرْتُهَا فِي أَفْقٍ كَفَى كَأَنَّهَا • هِلَالٌ مُنِيرٌ لِلْعُيُونِ قَدْ ائْتَلَقَ
قَمًا فِي السَّنَى آثَارَهُ الْقَمَرُ الَّذِي • لِلْأَبْسَةِ كَالْبُرْدَةِ انْشَقَّ وَانْفَلَقَ

قَرَأْتُ حِذَارَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ بِأَفْقٍ يَمِينِي طَالَعًا سُورَةَ الْفَلَقِ
قَسَتْ مُهْجَةً قَدْ أَبْصَرْتُهُ وَمَا جَرَتْ مَسَابِقَةً شُهْبَ الْمَدَامِيعِ فِي طَلَقِ

قافية السنين

سَمَوْتَ أَيَا نَعْلَ الرَّسُولِ بِرَجْلِهِ عَلَى قِمَمِ الشَّهْبَانِ وَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
سَرَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَوْقَ بُرَاقِهِ لَيْسُمَيَّ أَقْطَارَ السَّمَوَاتِ بِاللَّامِ
سَمَاءَ بِهِ فَلْتَفْخَرِي بِدَرِّ سَوْدُودٍ سَائِمَ السَّنَى يَضْجِي مُنِيرًا كَمَا يُمَسِي
سِرَاجَ بِهِ طُلْنَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَلَا عَجَبُ أَنْ يُفْضَلَ الْيَوْمُ لِلْأَمْسِ
سَلَمْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ لَكِنَّا وَهُمْ حُرُوفٌ وَمَا الْإِطْبَاقُ فِي الْحَرْفِ كَالْهَمْسِ

قافية السنين

شَمَخْتُ أَيَا نَعْلًا لَا كَرَمَ سَيِّدٍ رَسُولَ عَلَى السَّمْعِ السَّمَوَاتِ قَدْ مَشَى
شَرِيفٍ لَهُ قَدْ أُسْجِدَ الْبَدْرُ وَالتَّفَتْ إِلَيْهِ تَجْدُّهُ بِالْتَّرَابِ مُنْمَشَا
شَفَى مُبْصِرِي الْقَلْبِ وَالْطَّرْفِ نُورُهُ وَقَدْ كُنْتُ أَعْشَى الْقَلْبِ وَالطَّرْفِ أَعْمَشَا
شَفَاعَتَهُ نَرْجُو امْتِدَادَ ظِلَالِهَا إِذَا مَا الرِّجَا فِيمَا سِوَاهَا تَكْمَشَا
شَقَقْتُ جُيُوبَ الْكَتَمِ وَجَدًا وَقُلْتُ يَا يَدَيَّ وَهِيَ حَبْلٌ^(١) التَّصَبُّرِ فَاخْشَا

قافية الرها

هِيَ النُّعْلُ قَدْ كَانَتْ سَمَاءَ وَرَجُلُهُ هَلَالًا فَمَا أَسْنَى وَأَضْوَأَ أَفْقَهَا
هِيََا مَنْكَرًا تَقْبِيلَهَا بَعْدَ بَدْرِهَا عَلَى دَنْفٍ مَا أَنْتَ مِنْهُ بِأَفْقَهَا [٦٩١]
هَلِ الْقَصْدُ إِلَّا رَجُلٌ لَا بِسَمَاءِ الَّذِي سُسْمُعُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَفَقَهَا

(١) في الأصول: « حد ». ونظنه محرفا عما أثبتناه .

هَلَالِي وَشَمْسِي فِي دُجَى الْخَشْرِ سَيْدِي مُبْلَغُ نَفْسِي مَا يُوَافِقُ وَفَقَهَا
هَمَّتْ عَبْرَتِي شَوْقًا لَهُ إِذْ رَأَيْتَهَا فَمَا تَرْتَجِي الْأَجْفَانُ مِنْ بَعْدُ رِفْقَهَا

* * *

انتهى ما ألفيته من هذه القطع ، ولم أجد تكملة الحروف ؛ وقد كمل ما بقى
منها على نمطها ، صاحبنا الفقيه الأصيل أبو الحسن الشامي ، حفظه الله ،
وسياتى ذلك قريباً .

وأنفيت أيضاً بخط هذا الشيخ محمد بن الفرَج السبكي ، رحمه الله ، عدة
قصائد ومقاطيع في هذا الغرض ، منها قوله رحمه الله :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِثَالَ نَعْلِ مُحَمَّدٍ فَاشْتَدَّ شَوْقِي عِنْدَ ذَلِكَ وَهَاجَا
فَظَلْتُ أَمْسِحُ وَجَنَتِي بِشَسْعِهِ مَسْحًا وَأَجْعَلُهُ بِرَأْسِي تَاجَا
يَا نَعْلَ أَكْرَمِ مَرْسَلٍ لَمَّا أَنَّى دَخَلَ الْوَرَى فِي دِينِهِ أَفْوَاجَا
كَرَّمْتَ مِنْ نَعْلِ حَوْتٍ رَجُلًا مَشَتْ بِأَجَلٍ بَادٍ فِي الظَّلَامِ سِرَاجَا
شَرُفْتَ بِمَوْطِئِ نَعْلِهِ السَّبْعُ الْعُلَا لَمَّا ارْتَقَاهَا عَارِجًا لِيُنَاجِي

* * *

ومنها قوله رحمه الله :

نَثَرْتُ مُحَاجِرُ مُتَمَلِّتِي مِنْ سِلْكِيهَا دُرًّا وَشَذَرًا مُفَرَّغًا مِنْ سِلْكِيهَا
شَوْقًا لِمَبْعُوثٍ أَنَّى فَاسْتَبَشَّرْتُ مُهَيِّجُ الْوَرَى بِنَجَاتِهَا مِنْ هَلْكِيهَا
عَايَنْتُ مِثْلَ نَعَالِهِ وَمُحَمَّدُ هُوَ خَاتَمُ الْأَرْسَالِ وَسُطَى سِلْكِيهَا
فَوَجَدْتُ فِيهَا رِيحَهُ وَلَرُبَّمَا فَاحَ النِّوَافِجِ بَعْدَ فُرْقَةٍ مِسْكِيهَا
أَشْرَفَ بِهَا نَعْلًا عَمَائِمَ كُلِّ ذِي شَرَفٍ تُقَرُّ بِأَنْهَا مِنْ مِلْكِيهَا
فَلَقَدْ وَعَتْ قَدَمًا سَعَتْ فِي فَكِيهَا مِنْ رَاحَتِي كُفْرَانِهَا أَوْ

وله مقاطيع
في مدح النعال
أيضاً

جعلت موطنها الملائكُ عندما
 باليتَ أعضائي شِفاهُ كُلِّها
 قد كنتُ ذا خوفٍ ووَخْشَةٍ أَبَدَلاً
 فكأنَّها صَكٌّ أتى عَبْدًا وَقَدْ
 وهلالٌ أَطْلَعَ فأنجَلِي مِن وَخْشَتِي
 فأنَا العتيق وإن تَشَكَّ النَّفْسُ فِي
 يا مُنْجِي الحَوْبَاءِ مِن بَحْرِ الرَّدى
 شَكْوَى غَرِيقِ ذُنُوبِهِ مَهْمَا شَكَّتْ
 ولقد أَمِرتُ بِتَرْكِ أَسْبَابِهَا
 ولئن هَدَمْتُ مَبَانِيَا مَسْتَمُورَةً
 فلقد بَنَيْتُ مِنَ الرِّجَاءِ مَبَانِيَا
 وجعلتُ حُبَّكَ يا مُحْمَدُ أَسْهًا
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهْنَا مَا ظَلَّ أَنْ

أُسْرِي بِهِ لَيْلًا مَوَاضِعَ نُسْكِيهَا
 فَمَتَى تُقْبَلُهَا شَفَاهِي تَحْكِيهَا
 رَغَدَ الْمَسْرَةِ لِلْفَوَادِ بِضَمِّهَا
 تُعْطَى الْمَوَالِي أَمْنَهَا فِي صَكِّهَا
 ما قد تَرَاكُمُ مِنْ سَحَابٍ حُلْكِيهَا
 عَتَقِي يُمِطُ لِلْحَيْنِ عَارِضُ شَكِّهَا [٦٩٢]
 ولقد غدا لَوْلَاكَ مَقْطَبُ فَلْكِيهَا
 حَوْبَاؤُهُ لِسَوَاكُمُ كَمْ يَشْكِيهَا
 تقوى الذُّنُوبِ فَمَا أَخَذْتُ بِتَرْكِهَا
 بَسُتُورَ لُطْفٍ لَا سَبِيلَ لَهُتْكِيهَا
 رَدَّتْ فَوَاتِكَ خِيفَتِي عَنْ فَتْكِيهَا
 عَلِمَا بَانَ الْأَسْرَ مُمَسِّكُ سَمْكِيهَا
 فُذَكِّرَكَ الْعِطَرَ الشَّدَا مُسْتَنْسِكِيهَا

* * *

ومن ذلك قوله رحمه الله :

أقولُ وهجراني سَيِّعُ قُبِهِ الْوَصْلُ
 غَدَاةَ رَأَتْ عَيْنِي مِثَالَ نَعَالِ مَنْ
 تَمَنَيْتُ لَوْ أَنِّي ظَفِرْتُ بِتُرْبَةٍ
 فَأَ كَحَلَّ عَيْنًا أَرْمَدَتْ بِبِعَادِهِ
 هو الكحلُّ يَجْلُو مَا بَعِثَنِي مِنْ قَدْيٍ
 طُوبَاكَ طُوبَى لِمَنْ طُوبَى وَحَقٌّ أَنْ

فَعَقْدُ الْهَوَى الشَّرْعِيُّ مَا إِنْ لَهُ حَلُّ
 بَدَا فِهْدَى أَهْلَ السَّعَادَةِ إِذْ ضَلُّوا
 عَلَيْهَا مَشَتْ نَعْلُ بِلَابِسِهَا نَعْلُو
 وَلَيْسَ سِوَى ذَلِكَ التُّرَابِ لَهَا كُحْلُ
 وَكَمْ كَحَلَّ أَنْ تَكْحَلَ بِهِ الْعَيْنُ لَا يَجْلُو
 أَرَدَّ طُوبَى لِمَنْ طُوبَى أَيَا نَعْلُ

فإنك قد أودعت رجلاً علت على
فأقسم لو نوتى العائم سؤلها
وناهيك من رجل مشيت بمحمد
أبو القاسم الأسمى الذى وطئ السما
ولو لم تطأها رجلاه كان للثرى
فيا مرسلًا ما فى النبیین مثله
أنرت ظلام الجهل فالقلب نير
فكان كمثل السيف أصبح صادقًا
يلوح به الإيمان شكلًا لناظر
فحق لدى عقل بأن يقطع المدى
وما شغل إلا امتداح جلالكم
أمولاي يا مولاي ألفا وبعده
عديد الحصى والرمل بل عد ما إذا
خبكم كهفى الذى مذ خلته
وسيفى الشرىجى الذى مذ سلته
ورمى الردينى الذى مذ شرعته
وقوسى التى مذ سدّد الصدق نبلاها
فها أنا فى ظل من الأمن قاطع
ومن يدري ما أدري من أفضالك الذى
أو الأصل والإفضال بعض فروع
بساط علًا لم تغله
لما كان غير النعل كان هـ
مفضل رسل الله إن عدت الرشد
فندوى من فيها ألا خلفه صلوا
على الفلك الأعلى بموطئها الفضل
رسولا وهل للشمس من جنسها مثل
محًا العلم منه أحرًا خطها الجهل
وأسمى وقد جلى مضارب الصقل
ولولاك لم يطالع به ذلك الشكل
مدى عمره مادام يصحبه العقل
فنعم الفتى من شغل ذلك الشغل
كذلك ألف ثم ألف له قبل
بدا فالخصى جزأ بدا منه والرمل
إذا اشتد كرب على الفور ينحل
رأيت خطوب الجهل عني تنسل
صرعت به شكلي فلا نعش الشكل^(١)
أصاب أسى ما خاب قط له نبل
على الأمن أن يمتدلى ذلك الظل
هو الباب والإفضال أجمعه فضل
وما يستوى فى الرتبة الفرع والأصل

[٦٩٣]

(١) كذا فى ط، ص. وى م: «ثقل» «الثقل» .

نَمَّ آمِنًا مِنْ جَوْرِ دَهْرٍ صُرُوفُهُ سَوَاهِرُ وَاسْتَقْصَى وَلَيْسَ لَهُ عَدْلُ
 يَا غَوْنِي وَغَيْثِي كُلَّمَا تَجَهَّمَتِ الْأَيَّامُ أَوْ أَحْجَفَ الْمَحَلُ
 مُحَمَّدُ يَا حَزْرِي وَعَزَى كُلَّمَا تَفَاقَمَتِ الْأَهْوَالُ أَوْ طَرَقَ الذَّلُ
 أَكْرَرُ فِي أَحْوَالِ اسْمِكَ إِنْهُ لِكَالشَّهْدِ مَا كَرَّرْتَهُ فِي فَيِّ يَحْلُو
 [أَمَّا إِنْهُ أَحْلَى وَأَيْمَنُ مُجْتَنِيٌّ] فَكَمْ مُجْتَنٍ لِلشَّهْدِ تَلْسَعُهُ النُّحْلُ
 وَإِنْ كَانَ فِي الشَّهْدِ الشِّفَاءُ لِمَشْتَكِي بَعْلَةُ جِسْمٍ أَصْلَاهَا الشَّرْبُ وَالْأَكْلُ
 فَبِاسْمِكَ يُشْفَى كُلُّ قَلْبٍ إِذَا اشْتَكَى إِلَيْكَ بَدَاءَ جَرِّهِ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
 وَمَا جَسَدُ الْإِنْسَانِ مِثْلَ فَوَادِهِ فَمَنْزِلُ ذَا عُلُوٍّ وَمَنْزِلُ ذَا سُفْلٍ
 فَبِالْفَضْلِ يَأْذَا الْفَضْلُ وَالْبَذْلُ إِنْ عَدَّتْ خُطُوبُ وَلَمَّا يُلَفُّ فَضْلُ وَلَا بَذْلُ
 أَجِرْنِي مِنْ نَارٍ ضَرِيعٍ طَعَامُهَا وَمُهْلُ وَمَا يَغْنِي ضَرِيعٌ وَلَا مُهْلُ
 وَمِنْ أَهْلِهَا الْعَاصِي أَوْ أَمْرَ رَبِّهِ وَإِنِّي لَهَا أَوْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِي أَهْلُ
 أَمَّا إِنْزِي أَرْجُو النِّجَاةَ وَإِنْ تَكُنْ ذُنُوبِي حِمْلًا لَا يَطَاقُ لَهَا حَمْلُ
 فَإِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُ أَيَّ ذَخِيرَةٍ تَخَفُّفُ مِنْ ثِقَلِ الذُّنُوبِ فَلَا ثِقْلُ
 هَوَاكَ الَّذِي الْمَعْضَلَاتُ خَبَاتُهُ فَمِنْ مُهْجَتِي حُقٌّ وَمِنْ غَيْرَتِي قُفْلُ
 أَلَا هَكَذَا فَلْيَحْبِبِ الْحُبَّ مُدْنَفٌ إِذَا مَا سَلَا أَهْلُ الْحُبِّ لَا يَسْلُو
 وَإِنْ يَخْلُ مَعْمُورُ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى فَمَا قَلْبُهُ الْمَعْمُورُ مِنْ حَبِّهِ يَخْلُو
 وَإِنْ يَعْتَلِلُ وَقْتًا غَرَامٌ فَيَخْتَلِلُ فَمَا حُبُّهُ يَعْتَلِلُ وَقْتًا فَيَخْتَلِلُ
 فَكَمْ بَيْنَ مَنْ قَدْ تَيَمَّمَ الْفَضْلُ وَالْعَمَلُ وَبَيْنَ الَّذِي قَدْ تَيَمَّمَ الْغُنْجُ وَالذَّلُّ
 لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا بَيْنَ وَصْلٍ وَقَطْعَةٍ وَهِيَّاتُ مَا بِالْقَطْعِ يَشْتَبُهُ الْوَصْلُ
 وَإِنْ عَرَسَتْ كَفَّاهَا شَجَرُ الْهَوَى فَغُرُوسُ ذَا شَرٍّ وَمَغُرُوسُ ذَا نَحْلٍ
 فَيَا قَلْبِي أَلَيْلٌ مِنْ هَوَاكَ بِجَنَّةٍ بِهَا احْتَلَّ قَلْبُ حُبِّهِ لَيْسَ يَعْتَلُّ

ونادِ الْوَرَى إِنِّي احتلت بِجَنَّةٍ
أَدِيرُ بِهَا كَأْسًا دِهَاقًا وما سَوَى
هِيَ الْحَرُّ لم يَتَلَفْ بِهَا عَقْلُ شَارِبٍ
ويا فَكْرِي الرَّامِي المَصِيبَ بِنَبْلِهِ
وفى قَتْلَهَا عندَ اللَّيْبِ حَيَاتُهَا
بتأليفِ شَمْلِ المدحِ في المصطفى اشْتَغِلْ
فذاك محلٌّ للمدائحِ قابلٌ
محلٌّ يُسَمَّى في عُلاه مُقَصَّرًا
محلٌّ علا فوق السَّمَاءِ ولم يكنْ
فقل للأديبِ المُسَكِّرِ القولِ في حِلِّي
فضائله بِحَرْ وَسَجَلٍ كَلَامُنَا
وتالله ما الْبَحْرُ الْعُطَامِطُ مُشَبَّهًا
ولكنها الأَمْثَالُ تُضَرَّبُ للوَرَى
وقد ضَرَبَ اللهُ الْأَقْلَ لنُورِهِ
أخيراً رَسُولٍ جاءَ لِلخَلْقِ هَادِيًا
وَكَاثِمُهُمْ تَشْوَانٍ مِنْ سَخَرَةِ الْهَوَى
فما مِنْهُمْ إِلَّا أَسِيرُ ضَلَالَةٍ
فَدَلُّوا عَلَى سُبُلِ النَّجَاةِ بنُورِهِ
فَاعْقَبَ ذَاكَ النُّورُ مَدْلُولَهُ حِلِّي
وَقَفَّتْ بِبَابِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ الَّذِي
فما كَرَمٌ يُرَوَّى عَنِ الْجُودِ وَاهِبًا
بِهَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى هَوَايَ سَيَحْتَلُّ
سِرُّوْرِي بِمَجْبُوبِي مُدَامٌ وَلَا تُقَلْ
وتلك حَرَامٌ فِي الْكِتَابِ وَذِي حِلٍّ
مَقَاتِلَ أَغْرَاضٍ أَرَاهَا لَهُ الثُّبُلُ
ومن أعْجَبَ الْأَشْيَاءِ أَنْ يُحْيِيَ الْقَتْلَ
يُعِنُّكَ عَلَى تَأْلِيْفِهِ ذَلِكَ الشَّمْلُ
إِذَا انْخَصَرَتْ فِيهِ مَدَائِحُ مَنْ قَبْلُ
أَدِيبٌ فِي الْأَمْدَاحِ مَنْ طَبَعَهُ يَغْلُو
لأَعْلَى محلٍّ ذَلِكَ الْعُلُوُّ أَنْ يعلُو
عُلاه : كَثِيرُ الْقَوْلِ فِي مَجْدِهِ قُلْ
وليس يُغَيِّضُ الْبَحْرَ دَلُّوْهُ وَلَا سَجَلُ
فضائله أَوْ يُشَبِّهُ الْوَابِلَ الطَّلُ
وليسَ مِنَ الْمَشْرُوطِ أَنْ يُفْعَلَ الْكُلُّ
فَقَالَ كَمِشْكَاةٍ وَلَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وقد دَرَسَتْ سُبُلُ النَّجَاةِ فَلَا سُبُلَ
فمَعْبُودُهُمْ نَسْرَ وَمَدْعُوهُمْ بَعْلُ
ففي جِيْدِهِ غُلٌّ وفي رِجْلِهِ كَنْبَلُ
جَمِيعًا وَلَوْلَا ذَلِكَ النُّورُ ما دُلُّوا
ففي جِيْدِهِ عِقْدٌ وفي رِجْلِهِ حِجْلُ
غَمَامَتُهُ وَطَفًا وَعَارِضُهُ وَبَلُ
مَوَاهِبُهُ تَقْرَى وَنَارُهُ جَزَلُ
(١٦ — ج ٣ — أزهار الرياض)

وَقَيْسَ بِذَا إِلَّا وَقَالَ أُولُو النَّهْيِ
وَلِي حَاجَةٌ عَنَّتْ إِلَيْكَ ، قَضَاؤُهَا
زِيَارَةُ أَرْضِ طَيِّبِ اللَّهِ تَرْبِهَا
هِيَ الْبَلَدَةُ الْغَرَاءُ طَيِّبَةُ النَّبِيِّ
فَمَنْ حَلَّ مَنُوءِي أَنْتَ فِيهِ مُحْتَمٍ
يَكُنْ آمِنًا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَخِيفَةٍ
فَمَا دَاخِلُ عَدْنًا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى
وَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْجَنَانِ وَبَيْنَهَا
وَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَمَا كَانَ لِلْمُزْنِ الَّتِي أَعْصَرَتْ هَطْلُ

[٦٩٥]

وله في تشبيه نعل الرسول
وَمِمَّا لَهُ أَيْضًا رَحْمَهُ ، مِلْتَزِمًا تَشْبِيهِ النَّعْلِ الْمُخْتَصَةِ بِالشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ ، وَقَدْ
أَبْصَرَهَا مَرْسُومَةً بِالْحَبَرِ فِي رُقْعَةٍ :

إِشْفَى بِرُؤْيَيْهَا يَا نَفْسِي الدَّنْفَةَ نَعْلًا لِرَجُلٍ رَسُولُ اللَّهِ مُكْتَنِفَةً
كَأَنَّ طَرَسًا بِهِ بِالْحَبَرِ قَدْ رُسِمَتْ بُرْدٌ مِنَ الْحَبَرَاتِ الْبَيْضِ ذُوصِنَفَةً

وله في وصف النعل أيضا
وَمِمَّا لَهُ أَيْضًا نَفْعُهُ اللَّهُ بِهَا ، وَرَسَمَ مِثَالَ النَّعْلِ الْكَرِيمَةِ إِثْرَهَا :
يَا سَائِلًا أَفْتِيهِ إِثْرَ سُؤَالِهِ عَمَّا يَرَى إِنْ يَشْكُ مِنْ إِشْكَالِهِ
تُرِّهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنَيْنِ فِي شَكْلِ هَلَالِ الْأَفْقِ مِنْ أَشْكَالِهِ
أَخْطَأْتُ لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَكُمُ مُصِيبٌ مُخْطِئٌ فِي الْبَغْضِ مِنْ أَقْوَالِهِ
فَالْبَدْرُ يُكْسِفُ فِي مَنَازِلِ سَعْدِهِ وَيَصِيدُهُ النَقْصَانُ إِثْرَ كَمَالِهِ
وَكَلَاهَا شَيْنٌ وَهَذَا قَدْ وَفَى مِنْ كُلِّ شَيْنٍ بَدْرٌ سِرِّ جَمَالِهِ

أَوَلَيْسَ تَمَثَّلَ النَّعَالِ نَعَالِ مَنْ وَطِئَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى بِنَعَالِهِ
نَعْلٌ بِلَابِسِهَا بَاتَ وَيَحِقُّ أَنْ تَبْأَى بِهِ الْجَلَالَهُ وَخِلَالَهُ
فَلَقَدْ حَوَتْ رَجُلًا مَشَتْ بِالْصَفْوَةِ الْمَخْتَارِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَرْسَالِهِ
فَالنِّمَّةُ تَمَثَّلًا لَهَا أَنْتُمْ أَمْرِي بِاللَّهِ يُرَوِّى مِنْ صَدَى بَابِئَالِهِ
فَلَرُبَّ مُشْتَقٍ رَأَى آثَارَ مَنْ يَشْتَقُّهُ فَشَفَّتْهُ مِنْ أَوْجَالِهِ
أَوْ مَا تَرَى يَفْقُوبَ عَادَ بِثُوبِ مَنْ يَهْوَى سَنَى عَيْنِيهِ بَعْدَ زَوَالِهِ
وَهَوَاىَ فِي مَوْلَاىَ يَفْضُلُ حُبَّ يَفْقُوبٍ عَلَى الْمَرْوِىِّ مِنْ أَحْوَالِهِ
فَمَحَمَّدٌ هُوَ مُعْتَقٍ مِنْ مَلِكٍ شَرِّ لِي كُنْتُ طَوْعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
قَطَعَتْ هِدَايَتَهُ حِبَالُ ضَلَالَتِي بِحُسَامِهَا الْجَالِي الرَّدَى بِصِقَالِهِ
فَغَدَوْتُ مُعْتَقَلًا وَرَحْتُ مُسَرَّحًا مُتَمَسِّكًا مِنْ هَدْيِهِ بِحِبَالِهِ
يَرْتَاحُ فِي عَدَنِ الْهَدَى قَلْبِي وَلَا يَخْشَى الْإِعَادَةَ فِي جَحِيمِ ضَلَالِهِ
أَصِلِ النَّدَاءَ مُعَرِّفًا بِعَوَارِفِ بَلِغِ الْفَوَادِ بِهَا مَدَى آمَالِهِ
يَا قَوْمُ إِقْرَارُ أَمْرِي بِفَضَائِلِ عَظُمْتُ عَلَى لَا أَحْمَدِ وَلَا لِهِ
كُنْتُ الدَّلِيلَ فَمَذُ تَمَلَّكَ مَجْدُهُ نَفْسِي بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ إِفْضَالِهِ
مَا زَالَ يَسْعَى فِي عَزَاةِ عَبْدِهِ حَتَّى مَحَا بِالْعَزِّ نُقْطَةَ ذَالِهِ
فَأَنَا الدَّلِيلُ لِأَعْبُدِ ذَلُّوا عَلَى أَنْ يُضْبَحُوا مِثْلِي عَبْدٌ جَلَالِهِ
مَوْلَاىَ يَا مَوْلَاىَ أَلْفَا مُرْدَفَا بِمِثَالِهِ وَمِثَالِهِ وَمِثَالِهِ
أَضْعَافُ أَضْعَافِ الَّذِي فِي الْبَحْرِ مَنْ نُقْطُ: أَجَاجِ الْمَاءِ أَوْ سَلْسَالِهِ
أَنَا عَبْدُكَ الْقَنْ الَّذِي أَطْلَقْتَهُ مِنْ جَهْلِ أَوْتَقِ مُهْجَتِي بِعِقَالِهِ
فَبِمَا عَلَى لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي ضَعُفْتُ قُوَى سُكْرِي عَنْ اسْتِقْلَالِهِ
إِلَّا حَمَاتَ إِلَى الْأَسَاةِ بِطَيْبَةِ جِئْنَا شَكَا بِفِرَاقِ قَلْبِ وَالِهِ

[٦٩٦]

وَأَظَنَّهُ وَالظَّنُّ يَصْدُقُ هَاهُنَا عَنْدِي وَإِنِّي لِلْخَبِيرُ بِحَالِهِ
 قَدْ حَلَّ مِنْ فَلَكِ الْعُلَى حَيْثُ الْحَلَى شَهْبٌ تَحَفُّ بِشَمْسِهِ وَهَالَاهُ
 بَلَدًا يَذُودُ الْمَارِقِينَ جَلَالَهُ بِسَيُوفِهِ وَلِدَانِهِ وَنَبَاهُ
 فَكَأَنَّهُ كَبِيرٌ نَفَى خَبَشًا وَأَبْقَى مَنْ رَضِيَ الرَّحْمَنُ بِاسْتِعْمَالِهِ
 أَرَبِي عَلَى أَمْثَالِهِ وَوَحَقَّهُ لَأَفْكْتُ فِي قَوْلِي عَلَى أَمْثَالِهِ
 فَالْأَرْضُ مِثْلُ ذُبَالَةٍ وَهُوَ السَّنَى مِنْهَا وَكَمْ بَيْنَ السَّنَى وَذُبَالِهِ
 هُوَ طَيِّبَةُ الْغَزَاءِ أَشْرَفُ مَوْطِنٍ حَثَّ النَّهْيِ شَرْعًا عَلَى إِجْلَالِهِ
 حَرَمٌ مَتَى مَا حَلَّ ذُو خَيْفَةٍ يَأْمَنُ بِهِ فِي حَالِهِ وَمَالِهِ
 أَمِيرَ الْمَلَائِكِ بِالْدُّعَاءِ لِأَهْلِهِ أَهْلُ الْفَخَارِ نَسَانَهُ وَرَجَالَهُ
 وَارَى ثَرَاهُ مَنْ لَأَجَلَ سَنَاهُ خَرَّ الْمَلِكُ الْمَخْلُوقُ مِنْ صَلَاحِهِ
 وَنَجَا ابْنُ لَامَكٍ فِي السَّعِينِ إِذَا سَتَوَى مَا هِ الرَّدَى بِسَهْوِهِ وَجِبَالِهِ
 وَنَجَا ابْنُ آزَرَ مِنْ لَطَى الْإِشْرَاكِ إِذَا نَالَ الَّذِي قَدْ نَالَ مِنْ تَمَنَاهُ
 وَفُدَى ابْنُ هَاجَرَ حِينَ تُلَّ وَإِنَّهُ كُمَسَلَّمٌ لِأَبِيهِ فِي أَفْعَالِهِ
 وَاحْتَلَّ إِدْرِيسُ مَكَانًا فِي السَّمَاءِ أَسْمَى ، مَنَالُ النَّجْمِ دُونَ مَنَالِهِ
 وَالْمَرْءُ يُخْلَقُ مِنْ ثَرَى الْقَبْرِ الَّذِي سَيَكُونُ مُنْطَبِقًا عَلَى أَوْصَالِهِ
 هَذَا حَدِيثٌ صَحَّ عَنْهُ لَدَى الْأَلَى نَظَمُوا عُثُودَ مَقَالِهِ وَفِعَالِهِ
 وَلِذَاكَ قَالَ بِفَضْلِ طَيِّبَةِ مَالِكٍ وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُقْتَدَى بِمَقَالِهِ
 إِذَا لَا تُرَابٌ أَجَلٌ مِنْ تُرْبِ نَشَا مِنْهُ حَبِيبُ اللَّهِ مِنْ أَرْسَالِهِ
 فَهَنَّاكَ يُضْحِي الْجَسْمُ مُتَّصِلًا بِمِنْ أَشْجَاهُ وَهُوَ الْقَلْبُ يَوْمَ فِصَالِهِ
 أَسْعِدْ بِمُجْتَمَعِينَ فِي دَارِهَا شَخْصٌ الَّذِي قَنَعَا بِطَيْفِ خَيَالِهِ
 مَوْلَايَ إِنْ لَمْ تُؤْتِ عَبْدَكَ سُؤْلَهُ وَرَدَدْتَ خَائِبَةً يَمِينَ سُؤْلِهِ

لا عَتَبَ بل عُتِبَ فما هو صالحُ بك للذى قد ساءَ من أعماله
 لكنَّ سُنَّةَ سيدى فى عبده إسعافه ما دام من سُؤاله
 والصفحُ عن زلاته ولو أنها كالرملِ عَدًّا فى جميعِ رماله
 ومتى يَجِدُ فالغيثُ إلا أنه عمَّ الخليفةُ كُلَّها بنواله
 ومتى يَجِرُ فالليثُ إلا أنه يَضْحِي المِجَارُ لَدَيْهِ من أَشْبَاله
 فالخائفون المَعْسُرونَ مؤمنو نَ ومُوسِرونَ بِجاهه وبماله
 هَذِي خِصَالُ من خِصَالِ حِجَّةٍ ومن الذى يُحْصِي شريفَ خِصَاله
 صَلَّى عليه إلهنا من مُرسَلٍ وَجَدَ الوجودُ الخيرَ فى إرساله

ومآله أيضاً تقبل الله منه ، ولا صرف وجه وقايته بمنه وكرمه عنه :

خُذْهُ أَيَا صَاحِ خُذِ تَمَثَّلَ نَعْلٍ قَدْ حُذِيَ
 على نعالِ أَحْمَدِ مُنْجِي الأَنَامِ المُنْقَذِ
 السَّيِّدِ الْخِتَارِ مِنْ قَبِيلَةٍ وَفَخِذِ
 ذِي الطَّوْلِ ذِي الْفَضْلِ الذِّى حِلَاةُ لا تُحْصَى بِذِي
 وانظُرْ إِلَيْهِ نَظْرَةً يُجَلِّى بِهَا طَرَفُ قَذِي
 وَقَبِّلْنَاهُ دَائِمًا تَقْيِيلَ ذِي تَلَذُّذِ
 وَقُلْ إِذَا قَبَّلْتَهُ ذِي قُبُلٍ تَلَذُّذِ
 وَنَادِهِ يَا سَيِّدًا بغيره لَمْ أَلِدِ
 شَكْوَى مُحِبٍّ مَا دَرَى غير الهوى مِنْ مَأْخِذِ
 رُمِي بِنَبْلِ لِلنَّوَى صَوَائِبِ لَمْ تُشْجِذِ
 لِكِنَّهَا مَهْمًا رُمِي بِهَا فَلَيْسَ تَنْفُذِ

وله أيضاً فى
النعل الكريمة

فقلبه من رَشَقِهَا كمثل جِلْدِ الْقُنْفُذِ
وقد رَجَوْتُ وَالرَّجَا نَهَجِي الذي قد أَحْتَذِي
إِدَالَتِي بِالْقُرْبِ مِنْ هَذَا النَّوَى الْمُسْتَعْوِذِ
وبالْجَلالِ النَّبَوِيِّ الْمَهْشَمِيِّ تَعَوُّذِي
من أن يَضِيعَ لِي هَوًى بِهِ فَوَادِي يَغْتَنِذِي
فِيهَا فَوَادِي بِالْعَرَا أَفْعَى الْخُفَاةِ أَنْبِذِي
وإن تَسِرْ لِلَّسَعِ مِنْ زُمُرُذِ الدُّجَى خُذْ
وَأَرِهِ لُمَقَةً لَتَتِيهَا كَيْ تَسِيلَ ذِي وَذِي
فَذَاكَ فِي الْأَفَاعِي مِنْ عَوَائِدِ الزُّمُرُذِ

[٦٩٨]

ومما له أيضا رحمه الله تعالى .

وله أيضا فيها

يَا مُعَرَّمًا رَسُولِ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِثْلَهُ
هَذَا مِثَالُ نَعَالِ شِرَاكُهَا^(١) ضَمَّ رِجْلَهُ
أَشْرَفَ بِهَا نَمَّ أَشْرَفَ نَعْلًا تُمَائِلَ نَعْلَهُ
فَقَبَّلَنَ فِيهِ مِثْلِي تَقْبِيلَ صَبٍّ مُوَلَّهُ
فَرُبَّ شَاكِي اشْتِيَاقٍ نَالَ الشِّفَاءَ بِقُبْلِهِ
يَا رَبِّ أَشْكُوكَ شَوْقِي وَالشَّوْقُ أَعْضَلُ عِلَّهُ
فَقَرَّبَ الدَّارَ مِمَّنْ أَبْنَتَ فِي الرُّسُلِ فَضْلَهُ
فَهُوَ الَّذِي بَنَوَاهُ فَوَادَ عَبْدِكَ وَلَهُ
صَلَّى الْإِلَهِ عَلَيْهِ مِنْ شَارِعٍ خَيْرَ قُبْلِهِ

(١) في ص : « قبالها » .

وفاسخ كل حُكمٍ وناسخ كل مِلَّةٍ
ما حرَّكَ الوجدُ قلباً وأرَّقَ البُعدُ مُقلَّةً

ومما له أيضاً ، تقبَّلَ الله عمله ، وبلغه أمله :

انْظُرْ إِلَى هَلَالَا فاق البُدرَ جَمَالَا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي فَقَدْ أَفْكَتُ مَقَالَا
فَالْمَحْقُ لَيْسَ مُصِيبِي وَقَدْ يُصِيبُ الْهَلَالَا
لَكِنْ حَكَيْتُ نِعَالَا لَسَيِّدٍ قَدْ تَعَالَا
شَأَى النَّبِيِّينَ جَاهَا وَخُظُوءَ وَخِلَالَا
فَإِنْ شَكُوتَ بِشَوْقٍ فَوَادَكَ الصَّبَّ نَالَا
فَلْتَلِمْنِي فَلْتَمِي يَشْفِي أَشْيَاقَا تَوَالِي
نَعَمْ لَتَمُتْكَ شَوْقَا لِمَا حَكَيْتِ النَّعَالَا
وَمَنْ يَظُنُّ بِنَعْلِ شَغِفْتُ ظَنَّ الْمُحَالَا
بِلَابِسِ النَّعْلِ هُنَا وَمِنْهُ تَنْبَغِي الْوَصَالَا
يَا رَبِّ يَشْكُوكَ قَلْبِي يَشْكُوكَ صَادَا وَدَالَا
فَقَرِّبِ الدَّارَ مِمَّنْ بَرَأْتَ فَأَهْ وَدَالَا
فَمَا لِأَحْمَدَ نَذْرِي فِي الْمُرْسَلِينَ مِثَالَا
هَذَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ وَالْكُلُّ حَازَ الْكَمَالَا
فَفِي السَّمَاءِ نَيِّرَاتُ وَكُلُّهَا يَتَلَالَا
وَلَيْسَ مِنْهَا مُضَاهٍ لِلشَّمْسِ فِي النُّورِ لَالَا

[٦٩٩]

وله أيضاً في
ذلك الغرض

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهٌ بِهِ أزالَ الضَّلَالَا
 مَا لَحِقَ الْجَزْمُ فِعْلًا أَوْ أَرَمَ النَّصْبُ حَالَا
 نَمَّ سَلَامٌ عُبَيْدٍ مَا إِنَّ عَنِ الرَّقِّ حَالَا
 يَخْصُ مَوْلَى كَرِيمًا عَمَّ الْعَبِيدَ دَنَوَالَا
 وَآلَهُ خَيْرَ آلٍ إِنَّ عَدَدَ الْخَلْقِ آلا
 مَا أَطْلَعَ الْأُفُقُ شَمْسًا وَأَنْشَأَ الْجَوُّ آلا

وله أيضا في ذلك

ومن قوله أيضا ، رحمه الله ، وهي من أول ما قاله :

بَكَيْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ مِثَالَ نَعَالِهِ
 وَمَا حُبُّ النِّعَالِ أَسَالَ دَمْعِي
 مُحَمَّدًا الرَّفِيعَ الْقَدْرَ أَغْنَى
 عَلَيْهِ سَلَامٌ ذِي مِقَّةٍ مَشُوقٍ
 مَدَى افْتَخَرَتْ سَمَوَاتُ وَأَرْضُ
 عَلَى حُرِّ الْخُدُودِ بَوَاطُ نَعْلِهِ
 بَكَاءٌ هَوٍ عَنِ الْأَحْبَابِ وَهُلَّهُ
 وَلَكِنْ حُبٌّ مَنْ كَرُمَتْ بَرَجِلُهُ
 حَبِيبَ اللَّهِ أَحْمَدَ خَيْرَ رُسُلِهِ
 إِلَيْهِ ظَلٌّ مُعْتَصِمًا بِمَحَبَلِهِ
 عَلَى حُرِّ الْخُدُودِ بَوَاطُ نَعْلِهِ

وله في ذلك وقد

وله رحمه الله قصيدة مطولة ، نحابها منحنى رائية أبي الربيع بن سالم ، وهي :

تَبَدَّتْ لَنَا وَالشَّوْقُ يُقَدِّحُ زَنْدَهُ
 نَعَالُ رَسُولِ اللَّهِ أَشْرَفُ بِنَعْلٍ مَنْ
 وَإِلَّا تَسْكُنَ نَعْلُ الرَّسُولِ فَإِنَّهَا
 فَيَا نَاطِرًا مِنْهَا حَدِيقًا تَعَاهَدَتْ
 فَلَهُ مَا أَذْكَى وَأَطْيَبَ نَفْحَهُ
 بِقَلْبِ شَجٍّ لَا وَجَدَ يُشْبِهُ وَجْدَهُ
 قَدْ اخْتَصَّ بَيْنَ الرُّسُلِ بِالسَّرِّ وَحْدَهُ
 مِثَالُ وَكَمْ نَذِيرٌ يُذَكِّرُ نَذَهُ
 إِذَا حَرَّكَتْ رِيحُ الصَّبَابَةِ رَنْدَهُ
 عَهَادُ الْحَيَا تُرْوِي رُبَاهُ وَوُهِدَهُ

نحنا منحنى رائية
أبي الربيع بن
سالم

وأطلع شوق الحب بذرا بهاره
 على الفور قبل فيه تقبيل فاخر
 ونزه به طرفاً جفا النوم جفنه
 فربت ذى وجد رأى أثرًا لمن
 أمولاي يا أعلى النبيين منزلاً
 نداء عبيد أضرم الشوق وجدّه
 [وإن الهوى ما لم يبين لك خمره]
 بحق هواي المحض فيك الذي متى
 أنلني ما أبغيه منك وإنه
 بأشرف جثمان لأشرف روح من
 هو المجد لا مجد يائله وهل
 سكرت وما خمرى سوى حبه ومن
 فيا طيبة الغراء أسعد منزل
 ألا فاحمل بئس الفخار وحقق
 ونوطي على جيد العلاء عده ترى
 بأعضاء مختار من الخلق مرسل
 به نسخت أديان من كان قبله
 به شاد أبراج العلاء الله ربّه
 ورد به عنا الردى وهو مقبل
 رسول على الأرسال فضله الذي

وشمس تروم الغرب في الصيف ورده
 بموئى أغر الله في الخلق عبده
 ومرغ به خذا دم الجفن خده
 له وجدّه يومًا فاطماً وجدّه
 لدى الله والمختص بالفضل عنده
 فباح بحب أبرم الصدق عقده
 بمنقودها والسقط لازم زنده
 يقس بهوى في الدهر أنفى وحده
 زيارة قبر شرف الله لحدّه
 وقى الله مما يوهن المجد مجده
 يماثل صفح السيف في القطع خده
 حسا خمر هذا الحب لم ينخش خده
 تود^(١) النجوم الزهر تنزل وهده
 بأنك قد شرفت بالحمل بنده
 مشرفة أيضا بذلك عقده
 إليهم بدين أوثق الله عهدّه
 ولا دين يأتي الخلق للحشر بعده
 ونل به عرش الضلال وهده
 وما كان لولا جاهه ليرده
 حباه بما لا يبلغ النطق عده

(١) في هامش ص : « تمني » .

وإن كان رُسُلُ الله صَلَّى عليهمُ
حَكَمُوا سُورَ القرآنِ نُورًا وحِكمةً
وفي الحمد ما فيها من الشَّرَفِ الذي
وَحَسْبُكَ أَنْ يَبْدَأَ وَيَخْتِمَ قَارِئٌ
كذلك رَسولُ اللهِ أَوَّلُ آخِرٍ
أُمولايَ ذَا قَصْدِي إِلَيْكَ وَأَنْتَ مَنْ
فِي طَيْبِ عَبْدٍ وَاصِلِ أَرْضِ طَيْبَةٍ
مَعَاهِدُ أَمْسَى الْآنَسُ مِنْهَا بَظْهَرِهَا
وَأَصْبَحَ مَنْقُولًا إِلَى بَطْنِهَا فَيَا
سَعِيدُ صَعِيدٌ مِنْهُ أَنْشَى أَحْمَدُ
فَكَانَ كَمَثَلِ الْوَرْدِ فَارَقَ وَرَدَهُ
أَخِيرَ كَرِيمٍ لَيْسَ تَطْرُقُ آفَةٌ
عَلَيْكَ وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْعَلَمِ الَّذِي
بَلِ الْعَالَمِ الْإِنْسَى عَمُومًا وَمِنْهُمْ
هِيَ الْأُمَّةُ الْعُلَمَاءُ الَّتِي هَدَيْتَ وَمَنْ
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَرُحْمَى مَدَى انْتَمَى
عَدِيدَ صَنُوفِ الْخَلْقِ عُلُومًا وَأَسْفَلَ
وَلَسْتُ مُجِيزًا أَنْ أَضِيفَ إِلَى كَذَا
كَشَمْسِ الضَّحَى كَالْمَسْكَ كَالْقَطْرِ لَمْ يَنْطُ^(٢)
أَجَاعِلَ تَشْبِيهِ حَقِيقَةَ التَّفَتِ
فَشَمْسِ الضَّحَى وَالْمَسْكَ وَالْقَطْرَ عَابَهَا

وَسَلَّمَ مَا ضَدَّ يَنْفَرُ ضَدَّهُ
فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى مِنَ الرُّسُلِ حَمْدَهُ
يُبَيِّنُ لِمَهْدِيٍّ مِنَ النَّاسِ رُشْدَهُ
بِهَا وَمُصَلِّ فَرَضَهُ ثُمَّ وَرَدَهُ
لَهُ الْمَنْزِلُ الْأَعْلَى الَّذِي لَنْ نَحْدَهُ
يَبْلُغُ ذَا الشَّوْقِ الْمُبَرَّحِ قَصْدَهُ
يُمَرِّغُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ خَدَّهُ
لَذَى وَحْشَةٍ قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ بَعْدَهُ
وَجَاهَةً بَطْنٍ قَدْ وَعَاهِ وَسَعْدَهُ
وَفِيهِ الَّذِي أَنْشَأَ بِهِ الْفَضْلَ رَدَّهُ
لِمَنْفَعَةٍ مَا تَمَّ عَاوِدَ وَرَدَهُ
فَتَى حُبِّي لَهُ لِلطَّارِقَاتِ أَعْدَهُ
أَفَادَ الثَّنَاءَ بَهْرَ السَّنَى وَمَعْدَهُ^(١)
خُصُوصًا فَرِيقَ أَكْمَلِ اللَّهِ جَدَّهُ
أُرِيدُ بِهِ خَيْرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَهْدَهُ
لَكَ الْفَضْلُ يَا قَدْ الْوُجُودَ وَفَرَدَهُ [
صُمُوتًا وَذَا نَطَقَ جَمَادًا وَضِدَّهُ
بَعْدِي فَيَأْتِي مَا لِسَانِي حَدَّهُ
بِهِ بَرَقَ الْأَفَقُ الصَّقِيلُ وَرَعْدَهُ
غَلِطَتْ فَلِلْبَابِ الْجَازِي رُدَّهُ
أَخُو النَّقْدِ وَالْبِرْهَانِ يَعِضِدُ نَقْدَهُ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي م : « أَجَادَ الثَّنَاءَ قَهْرَ الثَّنَاءِ وَمَعْدَهُ » . (٢) فِي م : « يَنْطُ » .

بكشف وإمساك وهذا دليله
وتلك التي شبهتها سلمت سنى
صلاة وتسليما ورُحمى على الذى
على العروة الوثقى على القمر الذى
على منقذ الإنسان من حفر الردى
على من له الخلق العظيم على الذى
على من له المجد الصميم على الذى
على أحمد المعروف فى ظهر آدم
على مجتبي قد نور الله قلبه
على ذاك والإيضاح لم يتعمده
لجاءت كما شاء الكمال وودّه
سنى وحي ذى العرش المجيد أمده
على الخلق ظل الأمن والمنّ مده
ولولا سنّاه كان فيها يدهده
أبان جميع الرسل والسكتب جدّه
به شرف الرحمن آدم جدّه
بتريده شكر الإله وحده
على مصطفى قد طهر الله برده

له المعجزات اللائ لحن لطرف من
فمنها انشقاق البدر ثم نزوله
ومنها حنين الجذع بالمسجد الذى
ومنها طلوع القرص بعد غروبه
ومنها سقوط السيف من كف غورث
ومنها انفجار الماء من بين أنمل
إلى أن روى منه الحميس فى له
ومنها نمان التمر حتى قضى به
ومنها كلام الشاة تنهى عن أكلها
ومنها كلام الضبّ والجمل الذى
وكيف مواليه يريدون نحره
نفى نومه سعد وأثبت سنده
رآه الذى التوفيق وافق رصده
بطيية لما آنس الجذع فقده
وما بسوى دغوى دعاها استرده
وقد كان مقدم الضلال ونجده
نقسم فى أبناء آدم رفده
خميساً أطاب الله ذو الفضل وزده
ديون أبيه جابر حين جدّه
فلم يبلغ السّام بالسّم قصده
شكا كده الموهى قواه وجلده
ولما يراعوا فيه بالأمس كده

[٧٠١]

ومنها البعيرُ المبطى السَّيرِ ساطه
إلى غيرها من معجزاتِ بواهر
تُكاثِرُ رَمَلَ الأرضِ عَدًّا وَتَبْتَهَا
وتُزْرِى سَنَى بالتَّيْرَيْنِ تَوْصَلَا
فما وَخَدَتْ من بعدِذا التَّجَبُّ وَخَدَهُ
فضَحْنَ عَدُوًّا باغِيًّا رَامَ جَعْدَهُ
وتَفَضَّلُ سِلْكَ الدَّرِّ حُسْنًا وَعَقْدَهُ
من الفَلَكِ المَجْلُوِّ بالصَّحْوِ كِبْدَهُ

ومما به قد خَصَّه اللهُ رَحْمَةً
صَابَتْهُ العُرَى الِأَلَى سَمِعُوا فِي
مُهمْ نَصَرُوا دِينَ الهُدَى بِسُيُوفِهِمْ
وَأَوْلَهُمْ سَبَقًا وَحِيدُهُمْ حَلَى
مُقَرَّبُهُ مُحِبُّوبُهُ مُصْطَفَاهُ مِنْ
خَلِيفَتِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِي لَهُ
مُيَمَّمُ ضَلَالِ الْيَمَامَةِ غَازِيًا
فَمَا سَلِمَ الْكَذَّابُ مِنْهَا رَيْسُهُمْ
أَقَاوِيلُهُ الزُّورِيَّةُ الْإِلَاءُ قَدْ دَجَتْ
مُقَاتِلِ أَهْلِ الرُّدَّةِ الرُّجَسِ الْإِلَى
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَصْدَقِ صَاحِبِ
وَفَضْلًا وَغَفْرًا قَدْ قَضَى اللهُ خُلْدَهُ
قُلُوبِهِمْ قَدْ أَسْكَنَ اللهُ وَدَّهُ
كَمَا خَذَلُوا نَسْرَ الضَّلَالِ وَوَدَّهُ
وَأَوْجُهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ وَعِنْدَهُ
جَمِيعُهُمْ لَا خَلْقَ يَعْلَمُ نِدَّهُ
مِنَاقِبُ عُرُوْدِ الطَّيِّبِ تُنْسَى وَنِدَّهُ
لِيُرَوِّى دَمًا قُضِبَ الْحَدِيدُ وَمُلْدَهُ
مُسَيَّلِمُ خَنْزِيرِ الضَّلَالِ وَقِرْدَهُ
وَرَأْسُ الدُّجَى لَا شَكَّ بِالنُّورِ يُشْدَهُ
نَحَوًا سَدًّا بِابٍ حَرَّمَ اللهُ سَدَّهُ
وَأَبْدَلُهُمْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ جَهْدَهُ

وثانِيهم الموصوفُ بالشَّدَّةِ الَّتِي
مُلَاقِي خُطُوبِ الدَّهْرِ مِنْهُ بَعِزْمَةٌ
مَكْسَرٌ كَسَرَى الْفَرَسَ وَاضَعَ تَاجَهُ
مُقَصِّرٌ أَعْمَارِ الْقِيَاصِ بِالْقَنَاسِ
بِهَا دِينَهُ قَوَى الْإِلَهِ وَشَدَّهُ
تَحَلَّى مِنَ الْخَطْبِ الْكَرِيهِ أَشَدَّهُ
مُقَلَّبُهُ بِالْعُودِ يُظْهِرُ زُهْدَهُ
مُدِدْنَ وَالصَّمَّ صَامَ مَزَقَ غَمْدَهُ

مُواصِلُ أَسْبَابِ الْهُدَى النَّدْسُ الَّذِي عَنْ الْحَقِّ مَا شَىءٌ مِنَ الدَّهْرِ صَدَّةٌ
[أَمِيرُهُمْ فَارُوقُهُمْ عُمرُ الَّذِي مَدَى الْعَمْرِ لَمْ يَفَرِّقْ مِنَ الْأَمْرِ آدَهُ]

وَنَائِثُهُمْ ذُو الْمَجْرَتَيْنِ الْفَتَى الَّذِي شَكَا هَجْرَهُ شَخْصُ النَّعِيمِ وَصَدَّةٌ [٧٠٢]
مَجْمَعٌ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ سُورٍ وَمَنْ مَتَى رُدَّ دَاعٍ قَدْ دَعَا لَمْ يَرُدَّهٗ (١)
[مُجَهَّزُ جَيْشِ الْعُسْرَةِ الْفَاضِلُ الَّذِي تَرَدَّى رِدَاءٌ غَيْرُهُ لَمْ يَرُدَّهٗ]
فَذَلِكَ عَثَمَانُ الشَّهِيدُ بِدَارِهِ بِسَيْفٍ شَقِيٍّ فِي لُطَى يَتَدَهَّدَهُ
أَبُو عَمْرٍو الْمَعْمُورُ قَلْبًا بِذِكْرِ مَنْ لَهُ مِنْ ضُرُوبِ الصَّخْرِ أَنْطَقَ صَلَدَهُ
فَسَبَّحَتِ الْحَصْبَاءُ فِي كَفِّهِ كَمَا أَتَى فِي حَدِيثٍ أَكْثَرَ النَّاسِ سُرْدَهُ

وَرَابِعُهُمْ مِنَ الْبَسْمَةِ يَدُ الْعَلَا أَجَلٌ قَمِيصٌ لِلْعَلَا وَأَجَدَّةٌ
[وَوَشَّحَهُ إِيْمَانُهُ وَجَنَّتْ لَانَهُ أَجَدَّ حَسَامٍ لِلطُّلَى وَأَحَدَهُ]
تَسْمَى لِتَفْرِيقِ الْفِقَارِ بِهِ بَذَى الْفِقْمَارِ فَمَا أَفْرَى وَأَقْطَعَ حَدَّهُ
هُوَ السَّيْفُ لَمْ تَجَلُ الصَّيَاقِلُ صَفْحَهُ وَلَا رَقَمَتْ أَيْدِي الْقِيُونِ فِرْنَدَهُ
تَزَوَّجَ بِنْتَ الْمَوْتِ بِكَرٍّ صَدَاقُهَا أَجَلٌ صَدَاقُ أَحْكَمِ الْحُبِّ عَمْدَهُ
وَلَيْسَ سِوَى الْأَرْوَاحِ أَشْرَكَنَ بِالَّذِي بَرَاهُنٌ مَا أَصْكَلَا وَعَجَّلَ نَقْدَهُ (٢)
وَمِنْ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ كَانَ خُرُوجُهُ لَهُذَى وَتِلْكَ الدَّارُ كَانَتْ سَمْرَدَهُ
فِيَا عَظُمَ مَا أَبْلَى بِهِ فِي مَوَاطِنِ تُشَيِّبُ رَأْسَ الْوَلَدِ لَمْ يَغْدُ مَهْدَهُ
إِمَامُ هَامٍ قَاسِرٌ (٣) كُلُّ قَسُورٍ وَمَدْرَكَهُ لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ نَهْدَهُ
بِهِ فَتَحَ الرَّحْمَنُ خَيْرَ عَنُودَةٍ وَسَدَّ بِهِ مَا قَبْلَهُ لَمْ يَسُدَّهُ

(١) يشير إلى مسارعة عثمان إلى الإسلام في الوقت الذي كان الناس فيه يردون دعوة

الداعي إليه. (٢) كذا في ط، ص. وفي م: «براهن تال كل نجل وفقده».

(٣) في ط: «قاهر»، وهما بمعنى.

وكان رسول الله قال لأعطين
 فتى ودّه خــــلاقه وأودّه
 فلم يك يُعطها سواه كرامة
 [وقد كان مشدود الحاجر أرمداً
 فهب هبوب الريح قسور جحفل
 وبالباب باب الحصن يسراه ترست
 هو الآية العظمى التي طُفئت به
 ومن كان مولاه الرسول فإنه
 أبوه الذي ربّى النبيّ ولم يزل
 متى خاضت فيه قریش تلقّهم
 ومن قوله فيه يعظم شأنه
 « وأبيض يستسقى الغمام بوجهه »
 فياحمرتنا إن مات لم يحن زهرة
 ولكنها الأقدار تنفذ بالذي
 فيناى الذى أدنى ويُدنى الذى نأى
 ونجلاه سبطا المصطفى السيّدان من
 حبيباه فى الدارين ريجانتاه لم
 وأمهّما من أحمد بضعة ومن
 أفاطم لم يبلغ نصيفك فاضل
 فيا صاح قل لا مجد يشبه مجده
 أبو الحسن الأسمى على العلا الذى

غدا راية الفتح المبين وبنده
 كما ودنا والله ينصر ودّه
 بها اختصّه من شدّ بالعصد عضده
 ففتح ريق الحب ما الداء سده
 تولى به رب البرية عضده [
 فله منه قسور ما أشده
 من الكفر ما قد أضرم الجهل وقده
 كذلك مولاه فطوباك عبده
 له حاميا فى السّرّ والجهر جهده
 خصيم اللسان الهاشمي ملده
 وينشر ما الرحمن أودع مجده
 ثمال يتيم كدر التيمم وزده
 قد أبرزها الإيمان بالله وحده
 نود وقد تجرى بما لن نودّه
 وكلّ بعلم يجهل العبد قصده
 بنى المجد لا ضيم ينال معدّه
 يزل منهما يستنشق الورد وزده
 يكن من رسول الله جزءا يمده
 من الخلق لم يبلغ أولو الفضل مدّه
 وصوتك مهما قلت « لا » فلتمدّه
 هو البحر لم تدرك يد الجزر مدّه

وخامسهم بحر الندى الأسد الذى
مُفَدَّى رسول الله بالوالدين إذ
وبشَّرَ من قد حَزَّ بالسيف رأسه
بنار لها غيظٌ على كل قاتل
حواريه مَنْ قد حَوَى زِيَّه سَنَى
أبو عابد الله الزبير الذى امتطى
يَبْذُ ليوث الباس أَيْدًا وأُسَدَه
مَلَأ قلبه المغسول بَرْدًا وكَبَدَه
لثيمَ زمان كان فيه وَوَعَدَه
بعمد فما أَرَدَى وأَشَامَ عَمَدَه
سنى العلم بالرحمن كان مُمَدَّه
مُطَهَّمَة المجد الأثيل وجُرَدَه

وسادسهم ذو الجود والشودد الذى
موقى رسول الله بالكف جودها
فَشَلَّتْ وقد سَلَّتْ من الهند مرهفا
فطوبى لها يُمْنَى جنت ثمر المنى
[فقل طلحة ذو المجد طلع ثقياة ^(١)]
بعد الصدى اللهبان للغوث عَدَه
يُحَلِّ من العيش المهني رَغَدَه
محلى صقيلا أ كسب الفخر هِنَدَه
وقد حَلَيْتْ قُلب النعيم وَقَلَدَه
لسان بيان الشرع أحكم نَضَدَه

وسابعهم ذو الفضل أقصد سالك
ومفرغ قطر الزهد يجعل بينه
أمير أولى الإيمان عامرهم أبو
أدلَّ طريق الهدى وأُسَدَه
وما بين يأجوج الزخارف سَدَه
عبيدة ذو الخير الذى لَنْ نَعَدَه

وثامنهم ذو المجد فى السال والتقى
ملا ذكره بطن السماء وماله
وكم بات لم يَطْعَم وأطعم غيره
مُعَمَّ خير الرُّسُل فاتح دُومَة
فله ما أجدى وأبرك وَجَدَه
ملا بطن هذى الأرض غَوْرًا ونَجَدَه
وقام ولم يَتْرُك من الجوع وَرَدَه
كما وَدَّ خير المرسلين وَوَدَدَه

(١) كذا ورد هذا البيت فى ص . وفى م : « طلع تنال من » .

فذاك ابن عوفٍ مُثَلَّةَ المجد طَرَفَه أَجَلُ فَتَى يُثَنَّى عَلَيْهِ وَيُمَدَّه

وتأسمعهم ذو الرُحَى بالنبل والدُّعَا فَمَنْ يُرَمِّمِ مِنْ قَوَسٍ وفيه يُودَّه
له السيرة الحُسْنَى له النِّجْدَةُ التي رمت فارسَ الكُفْرِ الصُّرَاحَ وكُرْدَه
فعوَّضهم من عيشهم واعتزازهم بموتٍ وذُلٍ يعذب الموت عنده
فكم فرسٍ قد راحَ أشهبَ واغتدى من الدَّمِ يحكى أشقر اللّونِ ورْدَه
وكم فارسٍ من فارسٍ بشماله عِنانٌ فَقَدَّتْ منه يُمْنَاهُ قَدَّه [٧٠٤]
فيا بنِ أبى وقاصٍ أنك واقِصُّ من الكُفْرِ جِيلا أوجب الله طَرْدَه
ويا سعدُ يا خالَ النّبي لقد سمّتُ فروغُ نِجَارٍ ثابتٍ كنتَ سَعْدَه

وعاشرهم ذوالنُّسكِ كالمِسْكِ ذكرُه سَعِيدٌ ولا سعدٌ يماثل سَعْدَه
فتى المَكْرُمَاتِ الأكرم الماْجِدُ الَّذِي يُزَيِّنُ جَمَعَ المجد طُرّاً ووَفْدَه
سَلَالَةُ زَيْدِ الفَخْرِ أرشد^(١) مُهْتَدٍ عن الشُّرْكِ جَدُّ سابقٍ قد أصدَه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نُفَيْلٍ أُمّةً وَحْدَه .

ومما به أيضا حبّا الله أَحَدًا وَعَزَّزَ ذا الدينَ العَزِيزَ وَجُنْدَه
ذَوُو المجدِ عَمَّاهُ وَجَعْفَرُ الَّذِي ملائِكَةُ الرُّضْوَانِ وارْتَهَ أَحَدَه
فَحْمَزَةُ لَيْثُ اللهِ لَا لَيْثُ غَابَه يُصَادِرُهُ إِن هاجَتِ الحربُ جُرْدَه
له الفَتَكَاتُ البِيضُ سَوَدَتِ العِدَا وزادت سَنَى بدرِ الجهادِ وَأُحَدَه

(١) في م : « أول » .

وكان إذا ما قرَّب الطرفَ وامتطى
قَرَاهُ بِرِيشِ الرُّأْلِ يُعْلِمُ بُرْدَهُ
ولا بُرْدَ إِلَّا نَثْرَةَ عَرَبِيَّةَ
لأمثالها داوُدُ قَدَّرَ سِرْدَهُ
فَيُزْعَدُ مِنْهُ الْقِرْنُ حَتَّى كَأَنَّمَا
بِهِ نَافِضٌ^(١) قَدِ قَرَّبَ الرُّوْعُ وَرَدَهُ
إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ شَهَادَةَ
مُبَوَّنةً عَدَنَ^(٢) الْجَزَاءِ وَخَلَدَهُ
عَلَى يَدِ أَشَقَى الزَّنَجِ رَامِيهِ غَدْرَةً
بِحَرْبَتِهِ شَلَّ الْمُهَيْمِنُ زَنْدَهُ
فَنَادَى الَّذِي قَدْ أَخْفَى الذَّنْبُ قَلْبَهُ
بِأَسْوَدَ مِمَّا أَخْفَى الرَّبُّ جِلْدَهُ
بِقَتْلِكَ يَا وَحْشِي سَامِي سَامِيهَا
أَصَابَ سَوَادُ الْجِلْدِ حَامَاً وَوُلْدَهُ

وعباسُ العَمِّ الأَعْمُ مَكَارِمًا
تَقَصَّرُ مِنْ نَفْرِ السَّكَامِ أَمَدَهُ
أَبُو الْخُلَفَاءِ سَاقِي الْحَجِيجِ أَجَلُ مَنْ
بِهِ يُصْرَفُ الصَّرْفُ الْجَلِيلُ وَيُنْدَهُ^(٣)

وجعفرُ الطَّيَّارِ ذُو الْمَشْهَدِ الَّذِي
مَلَأَتْهُ الرُّحْمَى غَدَتِ فِيهِ شُهُدُهُ^(٤)
مُحَمَّرُ رَايَاتِ الْهُدَى بِدَمِ الْعِدَا
بَنَى الْأَصْفَرَ الْأَسَدِ الْأَلَى لَمْ يَدْهَدُوهَا^(٥)
مُقَدِّمُ يَمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ قُرْبَةً
إِلَى مَنْزِلٍ فِي دَارِ عَدَنٍ أَعَدَّهُ
وَأَمْسَكَ بِالْعَضْدَيْنِ بَعْدَهَا اللَّوَا
لِوَاءِ الْهُدَى يَبْغِي مِنَ اللَّهِ عَضْدَهُ

وبعدهمُ الْأَنْصَارُ وَالْكَلُّ أَنْجَمُ
بِهِمْ خُضْدُ^(٦) الْإِشْرَاكُ شَرُّ قَاوِمِ غَرِبَا
قَدْ أَطْلَعَهَا مَوْلَاهُ تَكَلَّأَ مَجْدَهُ
وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ أَعْوَصَ خَصْدَهُ !

(١) النافض : ضرب من الحمى ينتفض منه الجسم . (٢) في م : « عدل » .
(٣) ينده : يبعد ويترد . (٤) شهد : جمع شاهد .
(٥) لم يدهدهوا : يريد لم يهزموا .
(٦) في م : « خد » .

{٧٠٥}

ذَوَا بِلَهُمْ قُضِبَانِ بَانَ نَوَاعِمُ
تَصِيبُ قُلُوبِ الشَّرِكِ طَعْنًا^(١) كَأَنَّهَا
وَالَا فَبَيْنَ الشَّرِكِ حَقْدٌ وَبَيْنَهَا
وَأَسْيَافُهُمْ زُرْقٌ رِقَاقٌ كَأَنَّهَا
ذُكُورٌ وَيَعْرُوهَا الْمَحِيضُ كَأَنَّهَا
فِيَا مَعْشَرَ السَّادَاتِ وَالْكُلِّ مِنْكُمْ
كَأَنَّ عُدَاةَ الدِّينِ زُرْعٌ مُحْطَمٌ
فَأَقْرَرْتُمْ عَيْنَ الرَّسُولِ وَحَسْبُكُمْ

قَدْ أَنْبَتَنَ سُوسَانَ الْحَدِيدِ وَوَزَدَهُ
تُحِبُّ الْقَضَا الْجَارِي فَتَقْصِدُ قَعْدَهُ
فَتَطْلُبُ مِنْهُ مَوْضِعًا ضَمًّا حَقْدَهُ
نِطَافٌ^(٢) بِهَا قَدْ عَيَّنَ الْمَوْتُ وَرَدَهُ
إِنَاثٌ وَلَا غُسْلٌ عَلَيْهِنَّ بَعْدَهُ
يَرَى الصَّبْرَ فِي نَصْرِ الْهَدَى هُوَ شَهْدَهُ
تَوَلَّيْتُمْ بِالْبَيْضِ وَالشُّمْرِ حَصْدَهُ
بِذَا قَرَّةٌ تَهْدِي إِلَى الطَّرْفِ بَرْدَهُ

وَلِلَّهِ مِنْ أَزْوَاجِهِ أُمَهَاتُنَا
وَأَكْرَمُهُنَّ الدَّرَّةُ الْفَذَّةُ الَّتِي
خَدِيجَةُ ذَاتُ الْجَاهِ إِنْ يَنْشُدُ أَمْرُو
لَهَا الْأَثَرَ الْحَمُودُ وَالْأَثَرُ^(٣) الَّتِي
بَنُو الْمُصْطَفَى مَا دُونَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي
بَنَوْهَا وَكُلُّ أَشْمُسٍ وَأَهْلَةٍ
وَفِيهَا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ مَكْرُمًا
أَلَا إِنَّهَا كَانَتْ تَزُورُ خَدِيجَةَ
فَبَشَّرَهَا جَبْرِيلُ عَنْ رَبِّهَا بِمَا

فَرَانْدُ عَلِيَاءَ قَدْ أُشْرِبْنَ وَدَّهَ
بِهَا زَيْنَ الْجَدِّ الْمُؤْتَلَّ عَقْدَهُ
بِهِ اللَّهُ فِي أَمْرٍ تَقَبَّلَ نَشْدَهُ
مَتَى مَرَّ عَرَفَ الطَّيِّبُ عَنْهُ تَرُدَّهُ
رَدَّاهُ رِدَاءَ الصَّبْرِ بِالشُّكْلِ قَدَّهَ
كَوَامِلُ رَسَمِ الْفَخْرِ حَازُوا وَحَدَّهُ
خَلِيلَاتِهَا وَالِدَمْعُ يُخْضِلُ خَدَّهُ
وَمِنْ خُلُقِ ذِي الْإِيمَانِ يَحْفَظُ عَهْدَهُ
لَهَا اللَّهُ فِي دَارِ النِّعَمِ أَعْدَهُ

(١) في م : « فيها » .

(٢) كذا في س ، والنطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي . وفي ط : « فطاف » ،
وفي م : « مظاف » .

(٣) الأثر (جمع أثره كغرفة) : المكربة المتوارثة .

وعائشة بنت الحبيب عتيق المصدق إبعاد الرسول ووعد
فريدة نسوان الوجود مناقباً متى يبلى ذكر صالح تستجد
عليمة أهل العلم شمسهم التي جلت سدف الجهل المضل وسده

وحفصة ذات الصيت والمنصب الذي هو الطود لا ترق السوابق مهده
مواصله الأوراد والصوم دائماً مواصلة القلب الموحد عقده

وفدة مخزوم جلالاً مبلغاً قصي المني في المنزلين معدة

وزينب ذات الطول والطول أنملاً مواهبها تنسي (١) الغمام وعده

وزينب ذات الفضل بنت خزيمه لقد وصلت بالجو ما البخل جده

وسودة ذات الشؤدد العد (٢) والتقى متى صد عن قلب تقى لم يصد هو

وميمونة الميمونة البرة التي لها الفضل لم ترق الفواضل نجده (٣)

وبنت حبي ربة الصون والحيا صفيّة من أصفى لها السعد ودّه [٧٠٦]

ورملة رمل الأرض يمكن عدّه لنا والذي خصّت به أن نعدّه

(١) في ط: «تنمي». (٢) كذا في ط، ص. والعد: الكثير. وفي م: «العد».

(٣) في ط: «مجده».

وجارية العلياء جورية التي تقدُّ سناما أختها لم تقدَّه^(١)
هنا منتهى الأزواج والكل أشمس سناهن أسداف الجهالة يشده

وما رى من ترب لمارية التي هواها له لا صرد^(٢) يشبه صرده
سرية سرياته أي منزل يرقى^(٣) من الطود الفخاري فنده
فسرية الإنسان تسمو بمن لها تمرى وهذا الجد^(٤) تعلم جدّه
وإن لم تكن أمّا لنا فهي أم من لفقدانه أبدى حبيبك وجده

حبيبي حبيبي فطرة وشريعة قد أخكمتا من حبل حبي مسده^(٥)
مدحتك والأزواج والصحب والألى بقرباك شهب الفخر أجروا وورده
فعاد مجلى كل فخر قدّامس سكيتنا تولى القرد بالسوط جلده^(٦)
هو المدح ما كررته زاد طيبه فينسى مشور الأرى طعمًا وقنده^(٧)
فصله أيا فكبرى لعلك بانغ من البحر ذى الماء الروى العذب ثمده^(٨)
ولازم جناب المجد ذا المجد مادحا ودع جانبنا هند الجمال ودّعه
ولا تطلبي يا نفس غير شفاعتي ووضّل كريم^(٩) لا أحاذر صده
وعافيت شهبانها كلما عرا بلا توتت عن جنائي لهده^(١٠)

(١) كذا في الأصول ، ولم ندين معنى الشطر الثاني .

(٢) الصرد : الصافي الخالص من كل شئ . (٣) في ط : « يلقى » .

(٤) في ط : « الجد » . (٥) المسد : القتل .

(٦) القدامس : الشديد . والسكيت : آخر خيل الحلبة .

(٧) مشور الأرى : العسل المجموع من الحلية . واقند : عسل قصب السكر إذا عقد .

(٨) الروى : الماء الكثير . والتمد (يسكون الميم هنا وقد تحرك) : الماء القليل .

(٩) في ط ، ص : « نعيم » . (١٠) لهده : دفعه وورده .

وَقَمَعَ عُدَاةَ لَمْ يَخَافُوا إِلَهُهُمْ فَبَارَوْا ذِئَابَ الْقَفْرِ ضُرًّا وَعُقْدَه
 مَذَاهِبُهُمْ ظَلَمَ الْعِبَادَ فَإِنْ يَقُلْ لَهُمْ نَاصِحَ كَفُّوا عَنِ الظُّلْمِ يَزِدْهُوا
 وَعَبْدُكَ بِالْإِيشَارِ دَانَ فَلَمْ يَكُنْ لِيَخْتَصَّ دُونَ الْغَيْرِ بِالْخَيْرِ وَحَدَه
 فَعَمَّ بِهَذَا الْخَيْرِ كُلِّ مُوَحِّدٍ هَوَاكَ لَدَيْهِ خَيْرُ عِلْقٍ ^(١) أَعَدَّه
 وَسَلَّمْ رَبَّ الْعَرْشِ بَدَأَ وَعَوْدَةً عَلَيْكَ أَيَا فَذَّ الوجودِ وَفَرَّده
 سَلَامًا يَضَاهِي هَدًى مَنْ قَدْ ذَكَرْتَهُ ^(٢) وَتَصْلِيَةً جَاءَتْ كَذَلِكَ بَعْدَه

انتهى ما أردت جلبه من كلام هذا الإمام ، في تمثال نعل المصطفى عليه
 الصلاة والسلام .

عناية الصالحين
 بالنعل الكريم

قلت : وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النعل الكريم ، وكيف لا ، وحُقَّ
 على كل مؤمن أن يَفْلِي لمشاهدتها الفلا ، فإذا شاهدها قبلها ألفا وألفا ، وتوسَّل
 بصاحبها إلى الله [الكريم] زُلْفَى ، وَلَمْ تَرَاهَا أَنَّمَا ، وَأَزَاحَ [به] عن نفسه
 حُوبًا وَإِنَّمَا ؛ وجعلها فوق رأسه تاجا ، واستغنى بالتوسل بِمَنْ لَبِسَهَا فلم يَكُ
 إلى غَايِرِ الدهر مُحْتَاجَا . وقد أفردها أبو اليُمْنِ بنُ عَسَاكَرٍ بالتأليف ، وصنَّفَ
 فيها جزءا مُفْرَدَا ؛ وكذلك أفردها بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن
 خَلْفِ الشُّلَمِيِّ ، الشهير بابن الحاج ، من أهل المَرْيَةِ ، وكذا غيرها ^(٣) .

(١) كذا في ط . وفي س : «عقد» . وفي م : «خلق» .

(٢) كذا في م . ورواية هذا الشطر في ط ، س : «سلاما يضاهي للذي مر ذكره» .

(٣) في هامش س أمام هذا الموضع ما نصه : «وقد ألف فيها المصنف تأليفا سماه :

فتح المتعال . وذكر المياثبي في رحلته أنه رأى بالمدينة تأليفا لبعض القرطبيين ،

فيه نحو ٥٥ قصيدة لم يطلع عليه هذا الشيخ ، رحم الله جميعهم » .

بعض ما جرب
من بركتها

ومن بعض ما ذكر في فضلها ، وجرب من نفعها وبركتها ، ما ذكره
أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد ، وكان شيخا صالحا ورعا ، قال : حَدَّثْتُ هَذَا الْمِثَالَ
لبعض الطلبة ، فجاءني يوما ، فقال لي : رأيت البارحة من بركة هذه النعل
نكحيا ، أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها ، فجعلت النعل على موضع الوجع ،
وقلت اللَّهُمَّ ارِنِي بركة صاحب هذه النعل ، فشفاها الله للحين .

وقال أبو إسحاق : قال [محمد] أبو القاسم بن محمد : ومما جرب من بركته
أن من أمسكه عنده متبركا به ، كان له أمانا من بغي البغاه ، وغلبة العداة ؛
وحزنا من كل شيطان مارد ، وعين كل حاسد ؛ وإن أمسكته المرأة الحامل
بيمينها وقد أشتد عليها الطلق ، تيسر عليها أمرها بحول الله وقوته .

لأبي اليمن بن
عساكر في
مدحها

ولله در الإمام [الشيخ] أبي اليمن بن عساكر رحمه الله حيث قال :
يا منشداً في رسم ربع خالي ومُنَاشِداً لدوِارس الأطلال
دع نَدْبَ آثارٍ وذكّرَ مآثرَ لأحِبَّةٍ بانُوا وعَصْرٍ خالي
والنِّمَّ تَرَى الأثرَ الكَرِيمَ فخبِّداً أَنْ فُزْتَ مِنْهُ بِلِثْمٍ ذَا التَّمثالِ
أثرُ له بقلوبنا أثرٌ لها شُغْلُ الخَلِيِّ بِحُبِّ ذاتِ الخالِ
قَبْلَ لَكَ الإقبالُ نَعْلِي أَخْصِ حَلَّ الهلالِ بها محلٌّ قِبالِ
أَلْصِقْ بها قَدْباً يَقلْبُهُ الهوى وَجِلًّا عَلَى الأوصابِ والأوجالِ
صافِخْ بها خَدًّا وَعَفَّرْ وَجَنَّةً في تُرْبِها وَجَدًّا وفَرَطْ تَغالِ
تَشْفِيكَ حَرَّ جَوَى نَوَى بِجِوانِخِ في الحبِّ ما جَنَحَتْ إلى الإبلالِ
يا شُبّهَ نعلِ المصطفى رُوحِ الفِدا لِحُلَاكِ الأسمى الشريفِ العالیِ
هَمَلْتَ لِمَرَاكِ العیونُ وَقَدْ نأى مرآی العِیانِ بغيرِ ما إهالِ
وتذكّرتُ عهدَ العقیقِ فَناءَتْ شوقاً عقیقَ المَدْمَعِ المَطالِ

وَصَبَتْ فَوَاصِلَتِ الْحَنِينَ إِلَى الَّذِي مَا زَالَ بَالِي مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ
أَذْكَرْتَنِي قَدَمًا لَهَا قَدَمُ الْعَلَا وَالْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِفْضَالِ
أَذْكَرْتَنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ ذِكْرِي لَهُ يَعْتَادُ فِي الْأَبْكَارِ وَالْأَصَالِ
لَوْ أَنَّ خَدْيَ يُحْتَدَى لِمِثَالِهَا لَبَلَّغْتُ مِنْ نَيْلِ الْمُنَى آمَالِي
وَلَهَا الْمَفَاخِرَ وَالْمَآثِرَ فِي الدُّنَا وَالْدِّينِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
أَوْ أَنَّ أَجْفَانِي لَوَطَّءَ نَعَالُهَا أَرْضُ سَمْتُ عِزًّا بِذَا الْإِذْلَالِ

وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاج ، للأديب العلامة ولمالك بن المرحل في مدحها
أَبِي الْحَكَمِ مَالِكُ بْنُ الْمَرْحَلِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهِيَ [قَوْلُهُ] :

بُوصِفَ حَبِيبِي طَرَزَ الشَّعْرَ نَازِمُهُ وَنَعَمَ خَدَّ الطَّرْسِ بِالنَّقَشِ رَاقِمُهُ
رَأَوْفٌ عَطُوفٌ أَوْسَعُ النَّاسِ رَحْمَةً وَجَادَتْ عَلَيْهِمُ بِالنُّوَالِ غَمَامُهُ
لَهُ الْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ فَأَثَارُهُ مَحْبُوبَةٌ وَمَعَالِمُهُ
بِهِ خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ وَكُلُّ فَعَالٍ صَالِحٍ فَهُوَ خَاتِمُهُ
أَحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ حُبًّا لَوْ أَنَّهُ تَقَاسَمَهُ قَوْمِي كَقَفْتِهِمْ مَقَاسِمُهُ (١)
كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ الْوُرُقِ خَفَّاقٌ أَصِيبَتْ قَوَادِمُهُ
أَهْمٌ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ أَرْضِهِ وَمَنْ لِفُؤَادِي أَنْ تَهْبُ نَوَاسِمُهُ
فَأَنْشَقَ مِسْكًا طَيِّبًا فَكَأَنَّهَا نَوَاجِهُ جَاءَتْ بِهِ وَلَطَائِمُهُ
وَمَا دَعَانِي وَالِدَوَاعِي كَثِيرَةٌ إِلَى الشَّوْقِ أَنَّ الشَّوْقَ مِمَّا أَكْتَمَهُ
مِثَالُ لِنَعْلَى مِنْ أَحَبِّ حَدِيثِهِ فَهَا أَنَا فِي يَوْمِي وَابِلَى لَأْتَمَهُ
أَجْرٌ عَلَى رَأْسِي وَوَجْهِي أَدِيمُهُ وَالْتِمَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا أُلَازِمُهُ

[٧٠٩]

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط ، ص : « قَسَائِمُهُ » .

أُمُّثْلُهُ فِي رَجُلٍ أَكْرَمَ مِنْ مَشَى فَتُبَصِّرُهُ عَيْنِي وَمَا أَنَا حَالِمُهُ
أَحْرَكُ مِنْ خَدَّتِي أَحْسِبَ رَفْعَهُ عَلَى وَجْنَتِي خَطُّوا هُنَاكَ يَدَاوِمُهُ
وَمَنْ لِي بِوَقْعِ النَّعْلِ فِي حُرِّ وَجْنَتِي لَمَّا شِ عِلْتُ فَوْقَ النُّجُومِ بَرَّاجِهِ
سَاجِدُهُ فَوْقَ التَّرَائِبِ عُوْدَةُ لِقَلْبِي لَعْلَ الْقَلْبِ يَبْرُدُ جَاحِهِ
وَأَرْبَطُهُ فَوْقَ الشُّنُونِ تَمِيمَةً لَجَفْنِي لَعْلَ الْجَفْنِ يَرْقَأُ سَاجِدِهِ
أَلَا بِأَبِي تَمَثَّلُ نَعْلُ مُحَمَّدٍ أَطَابَ مُحَازِيهِ وَقُدَّسَ خَادِمُهُ
يُودُ هِلَالِ الْأَفْقِ لَوْ أَنَّهُ هَوَى يُزَاحِمُنَا فِي لُتْمِهِ وَنَزَاحِمُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ حُبُّ نَبِيِّنَا يَقُومُ بِأَجْسَامِ الْخَلِيقَةِ لِأَزْمِهِ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا وَغَنَّتْ بِأَغْصَانِ الْأَرَاكِ حَمَائِمُهُ

وللشيخ أبي بكر أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام أبي محمد عبد الله القرطبي

وللقرطبي في
ذلك أيضا

في ذلك :

وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لَهَا نَعْلُهَا وَإِنَّا مَتَى نَخْضَعُ لَهَا أَبَدًا نَعْلُهَا
فَضَعُهَا عَلَى أَعْلَى الْمَفَارِقِ إِنَّهَا حَقِيقَتُهَا تَاجٌ وَصُورَتُهَا نَعْلُهَا
بِأَخْصِ خَيْرِ الْخَلْقِ حَازَتْ مَسْرِيَّةً عَلَى التَّاجِ حَتَّى بَاهَتِ الْمَفْرِقُ الرَّجُلُهَا
مَعَانِي الْمُدَى عَنْهَا اسْتَنَارَتْ لِمَبْصَرِ وَإِنَّ بِحَارِ الْجُودِ مِنْ فِيضِهَا تَحَلُّوْهَا
سَلَوْنَا وَلَكِنْ عَنْ سِوَاهَا وَإِنَّمَا يَهِيمُ بِمَغْنَاهَا الْغَرِيبُ وَمَا يَسْلُوْهَا
فَمَا شَاقْنَا مَذْ رَاقْنَا رَسْمَ عِزِّهَا حَمِيمٌ وَلَا مَالُ كَرِيمٍ وَلَا أَهْلُهَا
شِفَاءٌ لِّذِي سَقَمَ رَجَاءُ لِبَاسِهَا أَمَانٌ لِّذِي خُوفٍ كَذَا يُحْسِبُ الْفَضْلُهَا

[٧١٠]

ورأيت في بعض تمائيل النعل الكريمة مكتوبا بطرفها [الشريف]
ما كتب في بعض
تمائيل النعل
ما نصه :

مثال نعل الرسول خُذْهُ بِحُسْنِ الْقَبُولِ
فَفَضْلُهُ لَيْسَ يُحْصَى لَدَفْعِ كُلِّ مَهْـوَلٍ

وفي وسطها ما نصه :

أُمِرَّغُ فِي الْمَثَالِ بِيَاضَ وَجْهِهِ فَقَدْ عَقَدَ^(١) النَّبِيُّ لَهَا قِبَالَآ
وَمَا حَبَّ الْمَثَالُ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَسْكَنَ حُبُّ مَنْ لَبَسَ الْمَثَالَا

ورأيت مكتوبا بدائرتها ما نصه :

ما كان هذا المثال الكريم في دار فُسْرٍ قَت ، ولا في سفينة فُغْرٍ قَت ، وفيه
خواصٌ عجيبة . انتهى :

وقد حكى غير واحد أن سراج الدين ، سيدى عمر الفاكهاني شارح
العمدة والرسالة ، لما أبصر تمثال النعال المطهرة أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد [حين
أفاق متمثلا :
ما وقع للفاكهاني
حيث رأى
تمثال النعل

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما في زواياها
لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

وقد ذكر أن السراج الفاكهاني [لما احتضر أغمى عليه ساعة ، فلقنه بعض
من حضره ، ففتح عينيه وأنشد :

وَعَدَا يَذْكُرْنِي عَهْدًا بِالْحَمَى وَمَتَى نَسِيتُ الْعَهْدَ حَتَّى أَذْكُرَهُ

(١) في م : « جعل » .

نم أَدْخَلَ عَلَيْهِ تَمَثُّالُ النَعْلِ الطَّيِّبَةِ ، فحين شاهدها أغشى عليه ساعة ، ثم
أنشد البيتين المذكورين حين أفاق .

وقال الشيخ الرَّحَّالُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشِيدِ الْفُهْرِيِّ :

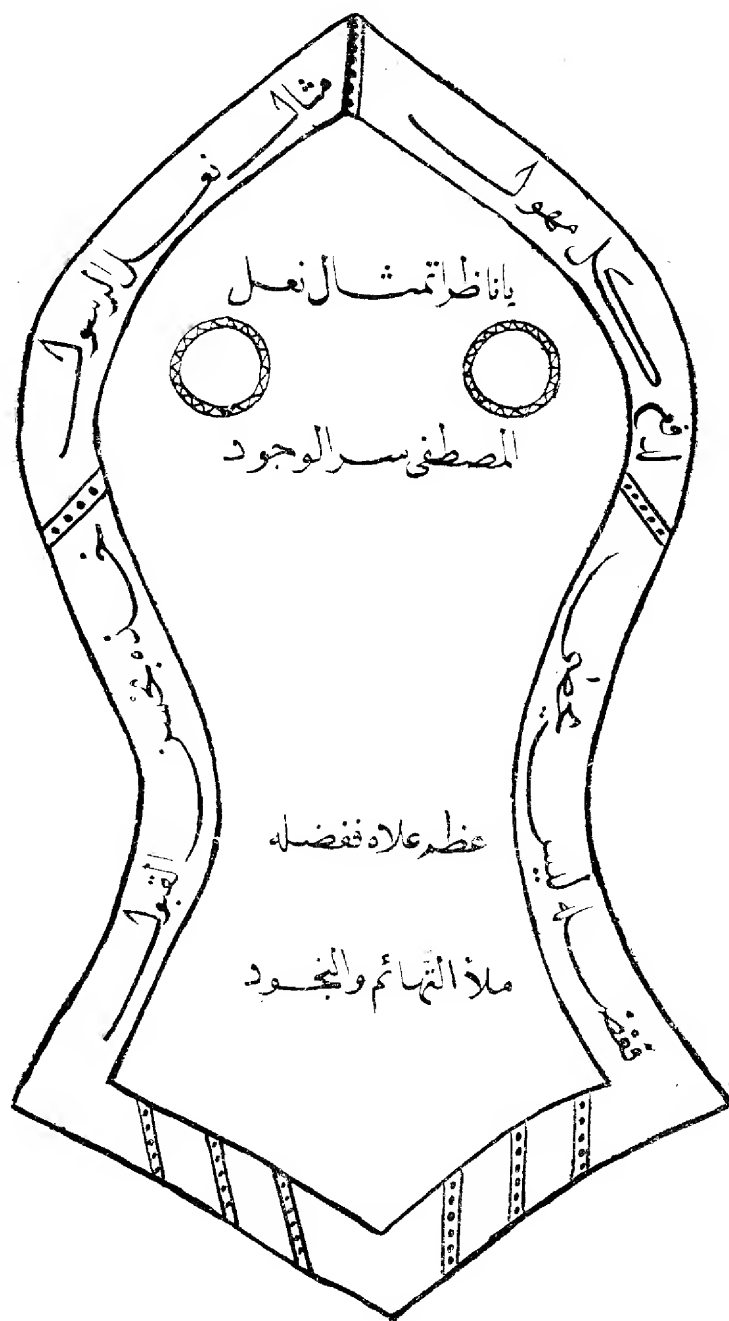
ما قاله ابن رشيد
حين رأى تمثال
النعل في دمشق

لما دخلت دار الحديث الأشرفية برسم رؤية النعل الكريمة للمصطفى
صلى الله عليه وسلم ولتمتها ، حضرتني هذه الأبيات ، فقلت :

هَنِيئًا لَعَنِي أَنْ رَأَيْتُ نَعْلَ أَحْمَدٍ فَيَا سَعْدَ جَدِّي قَدْ ظَفِرَتْ بِمَقْصِدِي
وَقَبَّلْتُهَا أَشْفَى الْغَلِيلِ فَزَادَنِي فَيَا عَجَبًا زَادَ الظُّمَأُ عِنْدَ مُوَرِّدِي [٧١١]
فَلِلَّهِ ذَاكَ اللَّثْمُ كَهَوِّ الدُّمْنِ لَمْ يَشْفَقْ لَمَيًّا وَخَذِي مُوَرِّدُ
وَلِلَّهِ ذَاكَ الْيَوْمَ عِيدًا وَمَعْلَمًا بِنَارِيخِهِ أَرَخْتُ مُوَلِّدَ أَسْعَدِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ نَشْرُهَا طَيِّبٌ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنَا مُحَمَّدُ

وَلَا بَدَّ أَنْ نَرَسُمُ تَمَثُّالَ النَعْلِ الْكَرِيمَةِ ، تبركا بصاحبها عليه الصلاة
والسلام .

وهذه صفتها :



تمثال النعل النبويّة، في دار الحديث الأشرقيّة بدمشق،
كما رسمته النسخة التيموريّة

[ما كتب في المثال الأيمن]

وكتبت^(١) في داخله ما نصّه من نظم المؤلف رحمه الله تعالى :

يا ناظرًا تمثال نعل المصطفى سِرِّ الوجود
عَظَمَ علاهُ ففضله مَلَأَ التَّهائم والنُّجود
واجهه له خير وسيلة فالله ذو كرم وجود
صلى عليه الله ما أحيا الحيا الروض المجود

ولغيره :

يا مُبْصِرًا تمثال نعل نبيّه قَبْلَ مثال نعاله مُتَذَلَّلًا
واذكر به قدما علت في ليلة ال إسرأ به فوق السموات العُلا
واخضع له وامسح جبينك ولتكن متبرِّكًا أبدًا به متوسِّلًا^(٢)
ولمؤلف رحمه الله تعالى :

يا مُبْصِرًا تمثال نعل قد علا طالع محاسنه وكن متوسِّلًا^(٣)
واخضع له وامسح جبينك ولتكن متبرِّكًا أبدًا به متوسِّلًا^(٢)
واسأل به مُتَضَرِّعًا مُسْتَهْطِرًا أَلْطَافَ رَبِّ لَمْ يزل مُتَفَضِّلًا
فهو الوسيلة والملاذ إذا عرا خطب وأخفى الكرب أمرًا مُذْهِلًا
فلكم أَعَاثَ مَنْ استغاثَ بجاهه وأناله أقصى الرام مُسَهِّلًا

(١) رسم الكاتب في ص مثالي النعل ، وكتب بداخلهما هذه الأشعار كلها . واكتفت
م برسم أحد المثاليين وفيه بعض هذه الأشعار ، وقد نقلنا صورة المثال الذي في م .
أما ط فإن الكاتب ترك موضعا خاليا للمثاليين ، ولكنه لم يرسمهما ، ولم يذكر شيئًا
من الأشعار التي كتبت فيهما — نقول : وأكبر الظن أن ما كتب بداخل مثالي
النعل ليس من عمل المؤلف ، لاختلاف النسخ في ذلك .

(٢) هذا البيت مكرر مع البيت الثاني من مقطوعة المؤلف التي تلي هذه الأبيات . ولعله
من زيادة الناسخ هنا كما يدل عليه نسخة ص . (٣) هذا البيت ساقط من ص .

يا خيرَ خلقِ الله دعوةَ حائرٍ لم يتخذْ إلا جنباكَ مَوْثِلا
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يا نورَ الهدى والآلِ والصحبِ الكرامِ ومن تلا^(١)
ما حَنَّ مُشْتاقٌ لِذِكْرِكَ أوْ غدا لمثالِ نعلِكَ لازِما ومُقَبِّلا^(٢)
وللشامى الفقيه من أهل العصر :

أيا ناظرا مَتَّعْ جفونَكَ ساعةً بأزهارِ هذا الرّوضِ من حيث ما تخطو
وقفْ مَوْقِفَ الإِذْلالِ لله واطْلُبْ بها نعمةَ الرّضوانِ إن راعَكَ السُّخْطُ
فلو لم تكن مقبولة عند ربنا لما كان من هذا النعالِ بها وَخْطُ
والمؤلف :

يا ناظرا تمثالِ نعلِ المصطفى قَبْلَهُ أَلْفا
واجعله خيرَ وسيلةٍ تدنِي إلى الرحمن زُلْفَى
واحفظه فهو ذِخْرَةٌ ما مثُلها في الدهرِ يُلْفَى

وللشامى أيضا :

أيا نعلَ الرّسولِ سموتِ قَدْرًا وفخرِي غيرُ خَفِيٍّ لِلَّيْبِ
أقولُ لمنْ بحبِّي ذابَ شوقا وأعيًا دائره طِبِّ الطَّيِّبِ
تَنَشَّقُ مسكُ أنفاسي لِتَشْفَى بهذا الطَّيِّبِ من عَرَفَ الحَبِيبِ

والمؤلف أيضا :

بشرفِ الاختيارِ قد شُرِّفَتْ نَعَالُهُ حَتَّى سَمَا ذَا المِثَالِ
فاسألْ به الرّحمنَ جَلَّ اسْمُهُ فما به يُسألُ إلا أَنالِ
وكيف لا يُدْرِكُ مستمسكُ بالعروة الوثقى المُنَى بالسؤالِ

(١) رواية هذا الشطر في ص : « ما دام نعلك في الشفاعة مقبلا » .

(٢) هذا البيت ساقط من ص .

وجاهُ خير الخلق أعظم به ملاذُنَا في حالنَا والمآل
صلى عليه الله معَ صحبه وآله أجلُّ صحب وآل
انتهى ما كتب في المثال الأيمن .

[ما كتب في المثال الأيسر]

وفي الآخر ما نصّه :

والعُوف :

يا ناظرًا تمثال نعل المصطفى في ذا الكتاب
قبَّله ألفًا ثمَّ زد ماشئت^(١) لا تخش العتاب
واسأل به ربَّ الورى سبحانهُ حُسنَ المآب^(٢)
وله أيضًا مما قاله بديهة :

حاز هذا المثال كل المزايا إذ حَكى نعلَ رجلِ خير البرايا
أحمدَ المصطفى المَلاذ إذا ما طرَق الدهرُ أهله بالبلايا
ملجأ المَئِين طُرًا إذا ما جُمِعَ الناس يوم تُخشى الرزايا
خيرَ الله ، مُجْتَبَاه ، وَمَنْ حَا زَ خِلَالاً حميدة وعطايا
فعليه الصلاة ما قَبَّلَ النَّعْلَ مَشُوقٌ يرومُ نحوَ الخطايا
وللكاتب المكلاقي من أهل العصر ، يشير إلى هذا المثال الكريم :

انظرُ إلى البدر وتكليفه بين شِرَاكٍ يالهَا من قَبَالٍ
ما صار كالعرجون من تَمَّة إلَّا محَاكاة لهذا المثال

(١) في ص : « إن شئت » . (٢) في ص : « المتاب » .

والمؤلف أيضا في ذلك :

يا ناظرًا في مثال	أخفى هنا إذا ارتسام
يحكى نعالا تناهت	في الحسن دون مُسامي
قبَّله تقييلَ عبي	مؤله مُسْتَهَام
وضعه من فوق راس	تاجًا لمفريق هام
وابسط له حرَّ وجه	ولا تخف من ملام
ففضله ليس يحصى	بنثر أو بنظام
واحفظ علاه وصنه	وكن له ذا احترام
أمان حُرْفٍ وخوف	تيسير كل سرام
لا يطرق الدهر دارا	غدت به في اتسام
والفلك إن كان فيها	لم يخش من هول طامى
فيا لها بركات	شهيرة في الأنام
وكيف لا وهو يُنمى	للهاشمي التهامي
خير البرية طرًا	إمام كل إمام
أسخى الخليفة كفا	أرعاهم لدهام
إنسان عين المعالي	وذو السجايا الجسام
عليه أركى صلاة	بطيية وسلام
والصحب والآل طرًا	والتابعين الكرام
ما استنشقت نسمات	من عَرَف مسك الختام

انتهى ما في النعل الكريمة ، واتصل به ما نصه :

ومما قيل في النعل الكريمة ، قولُ الإمامِ الحديثِ الرَّحَّالِ ، أبي عبد الله
محمد بن جابر الوادي آشي ، ونظمها بدار الحديث الأشرفية من دمشق ، وقد
رأى فيها تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقبَّله وقال :

ولابن جابر
الوادي آشي في
ذلك أيضا

دارُ الحديثِ الأشرفية للشِّفَا فيها رأت عيناى نعلَ المصطفى
ولثمته حتى قنعت وقلتُ يا نفسى أنعمى أكفالك؟ قالت لي: كفى
لله أوقاتٌ وصلتُ بها المُنَى من بعد طيبة ما أجلّ وأشرفا
لك يا دِمَشْقُ على البلادِ فضيلة أيامُك الأعيادُ لازمها الصفا
ولكم بجَيْرُونٍ جرّرتُ ولم أخفُ ذيلًا وبرحُ هوايَ فيها ما اختفى

قلت : ومما أنشدني الفقيه الأريب ، العلامة الأديب ، الحاجّ الرحال ،
أبو الحسن صاحبنا ، سيدى على بن أحمد الشامى الخزرجى لنفسه ، في تمثال
النعل الكريمة ، قوله نفعه الله بقصده ، وكتبه لى بخطه ، وكنت طالبت منه
ذلك ، لأثبتته في هذا الموضوع :

وللشامى الخزرجى
في ذلك

دَعُوا شَفَةَ^(١) المشتاق من سقمها تُشْفَى وترشِف من آثارِ تَرْبِ الهدى رَشْفًا
وتلثم تمثالًا لنعلِ كريمة بها الدهرُ يُستشَقى الغامُ ويُستشَفَى
ولا تصرفوها عن هواها وسؤلها بعدلكم فالعدلُ يمنعها الصرْفَا
ولا تعتَبوها فالعتابُ يزِيدها هُيَما ويسقيها مُدامُ الهوى صِرْفَا
جَفَتْها بكتكم الدمعُ بُحْلاً جُفُونُها فمنَ لامها في اللثمِ فهوَ لها أَجْفَى

(١) اكتفت م هنا بالإشارة إلى مطالع القصائد والقطوعات التي ذكرها المؤلف لأبي
الحسن على بن أحمد الشامى ومن بعده ، إلى أن وصلت الكلام بالموضوع الأصلي ،
وهو ذكر من استجازة القاضي عياض ، ومنهم الخزرجى .

لئن حُجِبَتْ بِالْبُعْدِ عَنْهُمْ فَهَذِهِ
وإن كان ذاك الخيف موعِد وصلهم
وأغنت بفضل عن مشقة شقة
فحركت الأشواق منا لروضة
زمانا به موصولنا نال عاندا
تولى كمثل الطيف إذ زار في السرى
تقضى وما قضى بلبقى لبانة
فزُلنا وما زُلنا نُعلل باللقا
كأننا وما كنّا نجوبُ مَنَازِلًا [٧١٥]
ولم تبصر الأبصار منها محاسنا
كذلك اللآلئ لم تحل عن طباعها
فلا عيش لى أرجوه من بعد بعدهم
ويا حَبْدًا قتل إذ العيش لم نزل
ومن لى بقتل في سبيل الهدى التي
أيا من نأت عنه ديار أحبة
لئن فاتنا وصل بخيف مناهم
وهاتيك أزهار الرياض تنفست
وقل للآلى هاموا اشتياقا لبانهم
فصفحة هذا الطرس أبدت نعالهم
تعالوا تغالوا في مديح علائها
ولله قوم في هواها تنافسوا
مكارمهم لم تبقى سِترا ولا سَجفا
فها نفحة الإفضال قرّبت الخيفا
نكابد مسراها شتاء إلى صيفا
أباح لنا الإسعاد من زهرها قطفا
وأكد نعت الوصل من نحوهم عطفًا
وإلا كمثل البرق إذ سارع الخطفا
أقيس الهوى والحب منا وما استوفى
نفوسا وما تجدى لعل ولا سؤفا
يود بها المشتاق لو رآه حق الحنفا
ولم تسمع الأذان من ذكراها هتفا
متى واصلت يوما تصل قطعا ألفا
وهيمات يرجو العيش من فارق الإلفا
سيوف الهوى تقرى به القلب والجوفا
وعدنا عليها بالجنان ومن أوفى
فمن بعدهم مثلى على الهلاك قد أشفى
فها نفحة من عرفهم للحشا أشفى
بأنفاسهم فاستشفين بها تُشفى
هلموا لعرف البان نستنشق العرفا
وصارت لها ظرفا فيا حسنه ظرفا
فرب غلوا لم يعب ربه عرفا
وقد عرفوا من بحر أمداحها عرفا
(١٨ — ج ٣ — أزهار الرياض)

وإنّا وإن كُنّا على الكُلِّ لم نطق
لئن قَبَلُوا ألفاً نَزِدْ نحنُ بعدهم
وإنْ وَصَفُوا واستغفروا الوصفَ حَسَبُنَا
ونَقَبَسَ من أنوارهم قدرَ وسعنا
فمن قال بدرُ التِّمِّ أو طلعةُ الضحى
فما الشمسُ إلا من محاسنِ ضوئها استنارتْ
وما البدرُ إلا من مشارقِ نُورها استمدَّتْ
ولولاها لما فارق الخسفا
وما طاب نشرُ الرّوضِ إلا لأنّه
وما اخضرَّتْ ربُّ الأرضِ إلا لأنها
فحلُّوا بها أعلى للمفارق واكحلُّوا
فآثارها تَبْرِي الجوى وتراها
لها الفخر أن سارت بهارِ جلٍّ من سرى
وودى لا تخلعُ نعالك واقربنْ
وأدناه قُرباً قلبَ قوسينِ ربّه
نبيُّ به نلنا المُنَى وتوا كفت
تعلّى على العلياء حتى أنار منْ
وقاتل في إظهار أنوار دينه
وكان إلى الهيجاء أوّلَ سابق
هَوَاهُ هَدَى المادين منه إلى الهدى
وآياته كالزُّهْرِ والزُّهْرِ نفحة
كفّت كفه الجيشَ اللَّهُمَّ عَنِ الحَيَا

نحاول بعضَ البعضٍ من بعض ما يُلقى
على الألف ما يستغرق العدّ والألفا
نُجِيلُ رَوْضِ الحُسْنِ من وصفهم طُرُفا
وتركض في مضمار آثارهم طُرُفا
أو الرّوضُ يحكيها فما أنصف الوصفا
فما الشمسُ إلا من محاسنِ ضوئها استنارتْ
وما البدرُ إلا من مشارقِ نُورها استمدَّتْ
ولولاها لما فارق الخسفا
وما طاب نشرُ الرّوضِ إلا لأنّه
وما اخضرَّتْ ربُّ الأرضِ إلا لأنها
فحلُّوا بها أعلى للمفارق واكحلُّوا
فآثارها تَبْرِي الجوى وتراها
لها الفخر أن سارت بهارِ جلٍّ من سرى
وودى لا تخلعُ نعالك واقربنْ
وأدناه قُرباً قلبَ قوسينِ ربّه
نبيُّ به نلنا المُنَى وتوا كفت
تعلّى على العلياء حتى أنار منْ
وقاتل في إظهار أنوار دينه
وكان إلى الهيجاء أوّلَ سابق
هَوَاهُ هَدَى المادين منه إلى الهدى
وآياته كالزُّهْرِ والزُّهْرِ نفحة
كفّت كفه الجيشَ اللَّهُمَّ عَنِ الحَيَا

وَرُدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شِعَاعُهَا كَذَا الْبَدْرُ بَعْدَ التَّمِّ صَارَ لَهُ نِصْفَا
 وَجُودُهُ أَجْدَى مِنْ رِيَّاحٍ عَوَاصِفٍ وَمِنْ ذَا يُبَارَى الرِّيحَ إِنْ رَامَتْ الْعَصْفَا
 أُمُولَايَ يَا مُولَايَ يَا خَيْرَ سَيِّدٍ تَسَامَى عَلَى الْأَشْبَاهِ طُرًّا مَعَ الْأَكْفَا
 نَأَتْ بِي عَنْكُمْ مُوَبَقَاتٌ جَنِيَّتَهَا وَعَفْوَكُمْ مِنْ كُلِّ كُفٍّ بِهَا أَكْفَى
 وَهَآنَا عِنْدَ الْبَابِ رَاجٍ وَخَائِبٌ دُمُوعِي لَا تَرَقَا وَشَجْوِي لَا يُطْفَأُ
 أَنَادِيكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نِدَاءُ عُبَيْدٍ يَرْتَجِي الْعَفْوَ وَالْعُطْفَا
 وَإِنِّي مُحِقٌّ فِي هَوَى حُبِّكَ الَّذِي يَقُلُّ جَبِيوشَ الْهَمِّ إِنْ أَقْبَلْتُ زَحْفَا
 وَمَا أَنَا فِيهِ كَالَّذِي قَالَ هَازِلًا «أَلَيْلَتُنَا إِذَا أُرْسَلَتْ وَارْدَا وَحَفَا» (١)
 فَآهَا لِنَفْسِي ثُمَّ آهَا إِذَا أَنَا طُرِدْتُ وَيَا لَهْفَا أُرَدِّدُهَا لَهْفَا
 وَوَا حَسْرَتَا يَا حَسْرَتَا ثُمَّ حَسْرَتَا إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ لِي كَهْفَا
 وَلَكِنَّ لِي ظَنًّا جَمِيلًا بِنَسَبَتِي لِأَنْصَارِكُمْ يَا خَيْرَ مَنْ رَاقِبِ الْحِلْفَا
 كَمَا أَنَّ لِي أَيْضًا مُتَمَاتًا بِمِدْحَتِي نَعَالًا بِهَا نِيلُ الْعُلَى وَالْمُنَى يُافِي
 أُنْبِي النِّظْمُ يَسْتَوْفِي حِلَالَهَا وَهَلْ يَفِي رَوِيٌّ بِأَثَارِ الْهُدَى أُنْفِ أَوْفَا
 عَلَيْكَ صَلَاةٌ مَا بَدَا بَدْرُ تَمَكِّمِ وَمَا اشْتَقُّ مُشْتَقًّا إِلَى وَعْدِكَ الْأَوْفَى

ومما أنشدنيهِ أيضًا لنفسه في ذلك قوله :

مِثَالُ النِّعْلِ فِي الْقِرْطَاسِ خَطًّا بِسَمْرِ الشَّوْقِ فِي الْأَحْشَاءِ خَطًّا
 وَلَمَّا أَنْ لَثَمْتُ نَدَى ثَرَاهُ وَغَشَى نُورُهُ جَفْنِي وَغَطَّى
 شَمَمْتُ الْوَرْدَ مِنْ رِيَّاهُ يَنْدَى وَرَشَمْتُ الْبَدْرَ مِنْ عَلِيَّاهُ حَطًّا
 فَفَجَّرَ لِي مِنَ الْعَيْنَيْنِ بَحْرًا وَنَثَرَ مِنْ لَالِي الدَّمْعِ سَمَطًا

[٧١٧]

(١) يريد : قول محمد بن هاني الأندلسي في مطلع قصيدة له :

أَلَيْلَتُنَا إِذَا أُرْسَلَتْ وَارْدَا وَحَفَا وَبَتْنَا نَرَى الْجُوزَاءَ فِي أَذْنَاهَا شَفَا

وروى من جساد الجفن جسمي وأورى من زناد الشوق سقطا
وهز من الهوى عطف ارتياحي لأرض لم تزل تزداد شحطا
وذكرني معاهد لست أنسى الـ مزار بها ولو بالبعد شطا
معاهد خير من ركب المطايا وأكرم من خطا نعلا وأوطا
بأخص رجله الحسناء حازت مفاخر لم يطقها الوصف ضبطا
سمت فسعت لها زهر الداراي لتلثم ركنها وتطوف شوطا
فكلت دونها وسطت عليها ولا بدعا بذاك الفخر يسطى
فمن قال الهلال لها مثال لعمر الله في التمثيل أخطا
ولكن البدور لها نعال تود بها تداس غلا وتخطى
وما طلعت عيون الشمس إلا لطلعتها تروم بها محطا
وما رقصت غصون النبت إلا لعلياها تخط الرأس خطا
وما غنت طيور الأيك إلا عليها تعلى الأغصان حوطا
وما حنت حداة العيس إلا إليها تبتغي أثلا وخطا
وما هبت نسيم المسك إلا لرياحها تنال بذاك خلطا
ولو يوما تخطت أرض جذب لما ألقت بها في الدهر قحطا
يحقق لنا نعظمها جلالا ونربط طرسها بالقلب ربطا
ونفعل الوجوه بها جمالا ونجعلها على الآذان قرطا
وتعتصب المفارق من ثراها وتكتحل العيون بذاك شرطا
نمقر وجنة فيها وخدا ونخضب من سواد الرأس شمطا
وننشد من يعاتب في هواها «إليك خبطت من عشواء خبطا»
ودعنا والهوى إننا أناس يزيد غرامنا بالعتب فرطا

[٧١٨]

وإنا معشر العشاق ممن ونقنع بالخيال مدى الليالى
يرى جور النوى والبعد قسطا وإن طال التباعد أو تشطّا
ولا سيما المثال وقد تبدى وما نعلّا نريد ولا مثالا
نبيّ إن أتيت إلى حماه أنى والدين أصبح فى انقباض
وقاتل فى سبيل الله حتى وعمت دعوة منه وغمت
فطوبى للذى لبيّ سريعا سما لسا العلاء فنال قرّبا
ونودى طأ ولا تخلع نعالا وأيدّه الإله بروح قدس
وعظّمه على الأرسال طرا هُناك حبّاه فرضا من صلاة
وسدده إلى أن جاء موسى إلى أن صير الخمسين خمسا
وأعطاه الشفاعة يوم حشر وتعيّز دونها الأرسال طرا
إذ الجبار يبرز بانتهام فيؤذنيه ويألمه بفضل
ومهما رام يشرع فى سجود

يرى جور النوى والبعد قسطا وإن طال التباعد أو تشطّا
يجرّ على علا الجوزاء مرطّا ولكن من بها العليا تخطى
وجدت سماحة فى الخلق بسطا فعاناه إلى أن نال بسطا
أزال عن الورى قنطا وضغطا بآيات الهدى فرسا وقبطا
ويا ويل الذى عن ذاك أبطا وهم بنعله نزعًا وكشطًا
وأبدل من مقام الرّوع بسطا ومدّ له من التقديس بسطا
ونظّمه بذاك العقد وسطى بها عنا الذنوب تصيب حبطا
وردّده إليه يروم حطا وأبقى أجرها والإصر حطا
يقول أنا لها والناس قنطى وتأتى الناس سبطا ثم سبطا
ويبدى للورى غضبا وسخطا محامد مثامها ما قطّ أعطى
ويضرع بالدعا ويخرّ هبطا

يُنَادِ ارفعْ تَطْعَ واشْفَعْ تشفّعْ وقلْ يُسْمَعْ وسلْ ما شئتَ تعطى
فَيَحْظَى بالمرادِ قريرَ عينٍ بما أولاه تَكْرِمَةً وَغَبْطَا
وَيَصْدُرُ شافِعًا في كلِّ عاصٍ مُصِرًّا دَنَسَ الأعمالَ وَخَطَا
وَيُخْرِجُ مَنْ له أدنى نَوَاةٍ من الإيمان والنيرانِ فَرَطَا
جزاه الله عنا كلَّ خيرٍ وحاط به ديار الدين حَوَطَا
ولا زالت صلاة الله تَتَرَى عليه ما بدا بدر وَغَطَى
تَقْوَحُ وَخَتَمُهَا مِسْكٌ عَمِيقٌ يعمُ عبيْرُهُ آلاَ وَرَهْطَا

وَأُنشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ ، مَكْمَلًا مَا سَقَطَ مِنَ الْحُرُوفِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ
فَرَجِ السَّبْتِيِّ الْمَتَقَدِّمِ الذِّكْرُ قَوْلُهُ جَارِيًا عَلَى طَرِيقَتِهِ :

وللشامى أيضا في
النعال مكملا ما
سقط من كلام
ابن فرج السبتى

[٧١٩]

فافية الوار

وَقَفْتُ عَلَى تَمَثَالٍ نَعْلٍ كَرِيمَةٍ فَأَحَيْتُ بِرَسْمِ الشُّوقِ مَنَى مَا أَقْوَى
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِذَا ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا تَمَسَّكْتُ فِي أُخْرَاىَ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى
وَنَادَيْتُهَا يَا نَعْلُ عُدْرًا فَإِنِّي عَلَى مَدْحٍ بَعْضٍ مِنْ مَعَالِيكَ لَا أَقْوَى
وَطِئْتُ رُبُوعًا لِلْهَدَى وَمَغَانِيَا عَلَاها عَلَى الرِّضْوَانِ أُسُسَ وَالْتَقْوَى
وَلَا مَسْتُ رَجُلًا لَوْ يَطَاوَعُ تُرْبُهَا تُرَيَّا السَّمَاءَ شَدَّتْ لَتَقْبِيلِهِ حِتُّوَا

فافية روم المؤلف

لَا لِي نَعَالٍ الْمَجْدِ أَهْلًا بِهَا أَهْلًا وَشُكْرًا لَأَنَّ كُنَّا لَتَقْبِيلِهَا أَهْلًا
لَا لِي رَسُولٍ مَسَّهَا جِلْدُ رِجْلِهِ بِهَا وَرَدُ فَنَخْرُ يَعْدُبُ الْغِلَّ وَالْهَلَا
لَا دَمَ هَذَا الْفَخْرُ أَيْضًا لَأَنَّا بِذِي النَّمْلِ أَنْقَذْنَا الْعَوَايَةَ وَالْجَهْلَا

لَأَقْسَمُ يَا مَنْ لَامَ فِيهَا عَلَيْكَ لَا تَعَذِّبْ بَعْدَ ذَلِكَ (١) ومهلاً به مهلاً
لَأَنِّي غَرِيقٌ فِي هَوَى حُبِّهَا وَكَمْ مُحِبٍّ يَرَى التَّعْذِيبَ فِي حُبِّهَا سَهْلاً
فَافِيَةِ الْبَاءِ

يُودُّ لِسَانِي أَنْ يُودِّيَ مَذْحَهَا نَعَالاً فَيُعِينَنِي عَلَاهَا وَحَرْفَ أَلْيَا
يُودِّي وَلَكِنْ لَا يُطِيقُ كَمَالَهَا وَلَوْ أَنَّهُ يَفْلِي بَيَانَ الْوَرَى فَلْيَا
يَمِينًا وَإِنِّي فِي يَمِينِي صَادِقٌ لَحَلِيمَتُهَا صِيغَتْ مِنَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا
يُوقِيتُ سِرَّ الْكُونِ وَالْجُودِ رُصَّةً بِهَا وَطَاءُ التَّقْدِيسِ فَانْتَظَمَتْ حَلْيَا
يُؤَارِي عَلَا رَجُلٍ عَلَى مَنْ مَشَى بِهَا سَلَامٌ مَدَى مَا أَزْدَادُ مِنْ رَبِّهِ وَلْيَا

وَأُنْشِدُنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ :

هَذَا نَعَالُ أَحْمَدِ مَوْلَى الْمَقَامِ الْأَحْمَدِ
فَأَشْكُرْ أَخِي إِذْ شِمْتَ مِنْ بَرَقِ سَنَاها وَاحِدِ
وَكَتَحَانِ بُتْرِيهَا فَهُوَ شِفَاءُ الْأَزْمَدِ
وَارْشُفْ ثَرَاهَا إِنَّهُ يَحْلِي صَدَا الْقَلْبِ الصَّدَى
وَالْمِسْ بِهَاءِ طَرُسِهَا تَنْلُ كَمَالَ الْمَقْصَدِ
وَاقْبِسْ سَنَى مِنْ (٢) نَوْرِهَا فَهِيَ سَرَّاجُ الْهَيْتِ
كَمْ مِنْ إِمَامٍ أَمَّهَا وَهَدَاهُمْ أَقْتَدِ
وَضَمَّهَا لَصْدَرِهِ ضَمَّةً ذِي تَوَدُّدِ
لَهَا خَصَّ الْعِلْمَ جَمَّةً تُرْبِي عَلَى التَّعَدُّدِ
مَنْ لَمْ تَزَلْ فِي بَيْتِهِ يَحْظَى بِعَيْشِ رَغَدِ

[٢٢٠]

(١) كَذَا فِي ط، ص. وَفِي هَامِشِ ص: «بَتْنِيدِي». وَفِي م: «بَتْنِيدِي».

(٢) فِي الْأَصُولِ: «سَنَا نَوْرَهَا». وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ عَمَّا أُبْتَنَاهُ.

يُضْحِي وَيُمْسِي آمِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ غَدٍ
لَا يَمْتَرِي فِي فَضْلِهَا سِوَى غَيْبٍ أَوْ غَدٍ
أَوْ جَاهِلٍ بِقَدْرِهَا أَوْ جَاهِدٍ أَوْ مُلْجِدٍ
كَمْ أَبْرَأْتُ مِنْ عِلَّةٍ مِنْ كُلِّ دَاءٍ مُجْهِدٍ
وَكَمْ أَبَانْتُ مِنْ هُدًى بِنُورِهَا الْمُؤَيَّدِ
وَكَمْ أَبَادْتُ مِنْ عَدَى بِسَيْفِهَا الْمُهَنَّدِ
وَكَمْ أَجَارْتُ مِنْ حَيٍّ بِرُكْنِهَا الْمُشَيَّدِ
فَهِيَ أَمَانٌ خَائِفٍ وَهِيَ رَجَاءُ الْقَصْدِ
وَهِيَ عِمَادُ الْمُتَجِي وَهِيَ سَمَرَادُ الرُّوْدِ
بَالِغٍ أَخَى فِي مَدْحِهَا وَاشْدُدْ بِأَزْرَى وَاعْضِدْ
وَانْسُبْ لَهَا مَا شِئْتَ مِنْ نَفَرٍ وَلَا تُفَنِّدْ
وَقِفْ هُنَا هُنَيْهَةً وَفَقَّةً صَبِّ مُسْعِدِ
وَانْهَضْ إِلَى تَقْبِيلِهَا نَهْضَةً خِلِّ مُنْجِدِ
وَقُلْ إِذَا قَبَّلْتَهَا مَقَالَةَ الْمُسْتَنْجِدِ
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ الَّذِي قَدْ حَازَ كُلَّ سُودِدِ
يَا مُصْطَفَى آثَارِهِ بِهَا الْأَنَامُ تَهْتَدِي
وَيَا مُجِيرَ خَائِفٍ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَغْتَدِي
وَيَا مُجِيبَ سَائِلٍ إِذَا أَتَاهُ يَحْتَدِي
عُبَيْدُكُمْ بِبَابِكُمْ حَيْرَانٍ ذَا تَرْدُدِ
وَإِنِّي عُيْلَاكَ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ الْمَعْدَدِ

يَرْفَعُ مِنْ مَدِيحِهِ إِلَى عُلَاكَ الْأُنْجَادِ
 عَقَائِلًا تُنْسَقُ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ زَبَرْجَدِ
 تَخَيُّكِ عُقُودَ جَوْهَرٍ أَقْسَامُهَا مِنْ عَسَجِدِ
 فَامْنُنْ لَهُ بِعَظْفُفَةٍ مِنْ فَضْلِكَ الْمَجْدِ
 وَنَهْلَةٍ مِنْ حَوْضِكَ الْعَذْبِ الَّذِيذِ الْوَرْدِ
 وَوَقْفَةٍ بِرَوْضِكَ الْغَضِّ النَّدِيِّ الْوَرْدِ
 وَزَوْزَةٍ لِقَبْرِكَ الْمَرْضِيِّ الزَّكِيِّ الْمَأْحَدِ
 وَأَوْبَةٍ لَهُ عَسَى يَكُونُ ثُمَّ سَمَرْ قَدِي
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا بَدَأَ ضِيَاءَهُ الْفَرْقَدِ
 وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ الْأَلَى فَازُوا بِكُلِّ الْأَشْعَدِ
 وَمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ كُلِّ حَبْرٍ أَوْحَدِ
 وَمَنْ تَلَا جَمِيعَهُمْ مَا زُمَ رَكْبٌ أَوْحَدِي
 وَرُدَّدَتْ مِنْ مُنْشِدٍ هَذِي نَعَالُ أَحْمَدِ

[٧٢١]

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْغَرَضِ :

نَعَالُهَا يُشْفَى الْعَلِيلُ مِنَ الْجَوَى وَتُجَلَّى بِهَا عَنْهُ الْمَصَائِبُ وَالْبَلَوَى
 هِيَ الْبَرَّةُ إِلَّا أَنَّ شُرْبَ دَوَائِمِهَا لَذَائِقُهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلَوَى
 هَلُمُّوا نَقْبِلْ تَرْبَهَا فَعَسَى بِهِ نُحْمَدُ جَمْرًا مِنْ لُظَاهَا الْحَشَى تُسْكُو
 فَرُبَّ عَلِيلٍ جَاءَهُ مِنْ طَبِيبِهِ بِشِيرِنْفَتٍ عَنْهُ مِنْ حِينِهِ الشُّكْوَى

وله ايضا

وأنشدني أيضا لنفسه في ذلك :

أنت شمس السماء تحطّ رأسًا لهذى النعل من دون النعال^(١)
وتلثم تربها ذلًا لتحظى بما رامته من رتب المعالي
فقال لها الهلال وقد رآها أنخضع لا محالة للنعبال؟
فنادته أبتة ————— دُرّها لا تؤخر فيفتّخ المِعْ ————— إلى بالمعالي

[وخاطبني في هذا الغرض ، مشيرًا إلى إثبات هذه المنظومات التي سمحت
بها قريحته ، في هذا الموضوع :

وله مخاطبا
المؤلف راغبًا في
إثبات هذه
المنظومات في
أزهار الرياض

أُمُفَّتِي فاس زَندُ شَوْقِي قد وَرَى بخير الوَرَى فأنقاد طَوَّعَ عِنان
وَهَبَّتْ صَبَا نَجْدٍ فَهَاجَتْ صَبَابَتِي وساعدَ بَلْبَالِي بيانُ بَنَانِي
وصالت على أوصال فسكرى فأقلعت عرائسُ غُرْسٍ من جِنَانِ جَنَانِي
وقد ذَوَّتِ الأغصان وانتثرت بها أزاهِرُها تحكي نثيرُ جُفَانِي
وهذا أَوَانُ الغُرْسِ جودوا بنقلها لروضة كُم تحظى بنيل أمان [

ولنرجع بعد هذا المقدار إلى ما كنا بصدده ، فإن مثل هذا الغرض لا سبيل
لحصر عدده ، فنقول :

[بين القاضي عياض والزنجشري]

وممن استجازه القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله ولم يجزه :
الزنجشري صاحب الكشف ، سأل الله .

عياض
والزنجشري

(١) في ط ، ص : « انتقال » ، وفي هامش ص : « استعمال » ، وأما محرفتان
عما أثبتناه .

وسمعت غير واحد ممن لقيته يُخبر أن القاضي عياضا لما بلغه امتناع الزمخشري من إجازته قال : الحمد لله الذي لم يجعل على يد المبتدع أو فاسق ، أو نحو هذا من العبارات ، والله أعلم .

[٧٢٢] وإمام الزمخشري في العلوم معروفة ، ولكن أعنة القلوب إلى من بيده التوفيق وضده مصروفة . ولا بُد من الإلمام ببعض أحوال هذا الرجل ، الذي اختلفت في أمره الآراء وآنس من جانب البيان والنحو نارا ، وأنكر الحق وقد وضع نهارا ، وذكر بعضهم أنه تاب ويأبى ذلك تصريحه في كشفه بما خاف السنة جهارا ، فإنه لو صح ذلك لحماه ، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتجاه ؛ وكثير من الأئمة أغضى عن اعتزاله ، وانتفع بكشافه مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله .

[بين الحافظ السلفي والزمخشري]

وممن استجازه^(١) فأجازه الإمام الحافظ أبو الطاهر السلفي الأصبهاني ، المتقدم المذكور ، رحمه الله ، فإنه خاطبه في ذلك بما نصه بعد البسملة :
 إن رأى الشيخ الأجل العالم العلامة أدام الله توفيقه ، أن يُجيز جميع سماعته وإجازاته ورواياته ، وما ألّفه في فنون العلم ، وأنشأه من المقامات والرسائل والشعر ، لأحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني ، ويذكر مولده ونسبه إلى أعلى أب يعرفه ، ويُثبت كل ذلك بخطه تحت هذا الاستدعاء ، مضافا إليه ذكر ما صدّقه ، وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم . وما سمع عليهم من أمهات المهمات ، حديثا كان أو لغة أو نحو أو بيانا ، فعمل مثابا ؛ وإن تمّ إنعامه بإثبات أبيات قصار ، ومقطوعات في الحكم والأمثال والزهد وغير ذلك ،

(١) الضمير هنا يعود على الزمخشري .

من نظمهم ومما أنشده شيوخه من قبلهم أو من قبل شيوخهم ، بعد تسمية كل منهم ، وإضافة شعره إليه ؛ والشرط في كل هذا أن يكون بالإسناد المتصل إلى قائله ، كان له الفضل ؛ وكذلك إن صحبه أصحابه بشيء من رواياته ، أنعم بكتب أحاديث عاليه ، والله تعالى يوفقه ، ويحسن جزاءه ، ويطول لنشر العلم والإفادة بقاءه . [٧٢٣]

ويعلم وفقه الله أنه قد وقع إلينا كتاب من يعقوب بن شرين الجندی رحمه الله ، وفيه قصيدة يرثي بها البرهان البخاري ، والحاجة داعية إلى معرفة اسمه ونسبه وضبطه ، هل هو ابن شرين « بالسّين المهملة » ، أو المعجمة ، وكذلك الجندی « بفتح الجيم والنون » أو « ضم الجيم وإسكان النون بعدها » .

والحمد لله حقّ حمده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعبدّه ، وعلى آله وصحبه أجمعين من بعده .

فكتب إليه الزّخشرى بما نصّه :

رسالة
الزّخشرى
للحافظ السافى

بسم الله الرحمن الرحيم . أسأل الله أن يطيل بقاء الشيخ العالم ويديعه لعلم يعوص على جواهره ، ويفتق الأصداف عن ذخائره ، ويوفقه للعمل الصالح الذى هو مرعى أغراض أولى العقل ، ومطّح أبصار المرتكضين إلى غاية الفضل ؛ ولقد عثرت من مقاطر قلبه ، على جملة تنادى على غزارة بحره ؛ ونطّى القلوب إلى التزيّن بسموط درّه . وأما ما طّلب عندي ، وخطب إلى من العلوم والدرایات ، والسّاعات والروایات ، فبنات خلعت على تربيتهن الشّباب ، ثم دفنتهن وحثّوت عليهن التراب ، وذلك حين آثرت الطريقة الأويسية^(١) على بنیّات الطرائق^(٢) ، وأخذت نفسى برفض الحُجُب والعوائق ؛ ونقات كتبي كلّها

(١) كذا في ط ، ص . وفي م : « الأوسيه » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « بنات الطريق » وفي ص : « بنات الطريق » .

إلى مَشْهَد أبي حنيفة رحمه الله ، فوقفها ، وأصغرتُ منها يدي ، إلا دفترًا واحدًا
قد تركته تيممة في عَضْدِي ؛ وهو كتابُ الله المبينُ ، والحبلُ المتينُ ، والصراطُ
المستقيمُ ؛ لأَهَبَ لما قَعَدْتُ بصدده كُلِّي ، وأُلقي عليه وَحْدَهُ كُلِّي ، لا يَشْغَانِي عنه
بعضُ ما يجعلُ الرأيَ مشتركًا ، ويردُّ القلبَ ^(١) مُقْتَسِمًا ، وَلَذْتُ بحرمِ الله المعظمِ ،
[٢٢٦] وبيته المحرَّمِ ، وطلَّقتُ ما وَزَرَنِي بَتًّا ، وكَفَتُ ذيلي عنه كَفْتًا ، ما بي هم
إلا خَوْضَتِي ، وما يلهيني إلا النظرُ في قِصَّتِي ، أنتظرُ داعِيَ الله صَبَاحَ مَسَاءٍ ،
وكأني به وقد امتطيتُ الآلةَ الحَذْبَاءُ ؛ قد وَهَنَتِ العِظَامُ ، وَوَهَتِ القُوَى ، وقلَّتِ
الصَّحَّةُ ، وكَثُرَ الجَوَى ، وما أنا إلا ذِمَاءٌ يترددُ في جَسَدٍ ، هو هامةُ اليومِ أو غدٍ ،
فما لِمَنَلِي وليس ^(٢) له من الآخرةِ شيءٌ . ولقد أجزتُ له أن يَرَوِي ^(٣) .

محمود الخوارزمي | ثم | الزمخشري ، منسوب إلى قرية منها ، هي مسقط
رأسي ، ولبعض أفاضل المشرق :

فلو وَاَزَنَ الدنيا ترابُ زَمَحْمَرٍ لِأَنَّكَ منها زاده الله رُجْجَانَا
وللشريف الأجل الإمام علي بن عيسى بن حمزة بن وهَّاس الحَسَنِي :

جميع قُرى الدنيا سِوَى القرية التي تبوأها دارا فِدَاءَ زَمَحْمَرَا
وأحرِبَ بَأَن تَزْعُمِي زَمَحْمَرُ بامرئٍ إِذْ أَعْدَدَ في أُسْدِ الشَّرِّ زَمَنَ الشَّرِّ
فلولاه ما طَنَّ البلادُ بذكرها ولا طَارَ فيها مُنْجِدَا وَمُعَوَّرَا
فليس ثَنَاهَا بالعمراق وأهلها بأعرفَ منه في الحجازِ وأشهرَا

ومن المقطوعات التي اخترعتها من قبلي :

وسرُوعِي بمشيبِ رأسي أَقْبَلَتْ تَبْكِي فَقُلْتُ لها ودمعِي جَارِي

(١) هنا في ط ورقة بيضاء فيها صفحتا ٦٢٤، ٦٢٥ والكلام بعدها متصل بما قبلهما .

(٢) في الأصول : « وما ليس » . ولعل لفظة « ما » زائدة من الناسخ .

(٣) انقطع الكلام هنا في الأصول . ثم استؤنف بعد على هذا النحو .

هذا المشيب لهيبُ نارٍ أَوْقَدَتْ في القلبِ مَوْقِدَهَا حِذَارَ النَّارِ
أخرى :

إليكَ إلهي المشتكى نفسَ مشته إلى الشرِّ تدعوني عن الخير تنهاني
وما يشتكى الشيطانَ إلا مُعَقِّلٌ ألا إن نفسَ المشتهِ ألفُ شيطانِ
أخرى :

شكوتُ إلى الأيامِ سوءَ صنيعها ومن عجبٍ بالكِ تشكّى إلى المبكى
فما زادتِ الأيامُ إلا شكَايةً وما زالتِ الأيامُ تشكّى ولا تشكّى
أخرى :

مَسْرَةٌ أَحْقَابُ تَلْقَيْتُ بِعِدها مَسَاءٌ يَوْمٍ أَرِيهَا شَبَهُ الصَّابِ
وكيفَ بَانَ تَلْقَى مَسْرَةَ سَاعَةٍ وراءَ تَقْضِيهِمْ مَسَاءَةً أَحْقَابِ
أخرى :

الْخَوْضُ فِي دَوْلِ الدُّنْيَا يَلِجُ بِكُمْ^(١) كَأَنَّهَا لَجَجُ خَوَاضِهَا لَجَجُ
كَمْ خَلَّصَتْ لَجَجُ الْبَحْرِ الرِّجَالَ وَمَا أَقَلَّ مَنْ خَلَّصَتْهُ هَذِهِ اللَّجَجُ
أخرى :

مِبَالَاةٌ مِثْلِي بِالرِّزَايَا غَضَاضَةٌ أَبَاهَا وَثِيقُ الْعُقَدَتَيْنِ حَصِيفُ
إِذَا أَقْبَلَتْ يَوْمًا عَلَى صُرُوفِهَا لِأَنْبِيَاهِهَا فِي مِسْمَعِيَّ صَرِيفُ
عِتَابُ لَهَا حَتَّى أَشُقَّ نَحْوَرَهَا أَسْنَةُ عَزَمَ حَدُّهَا رَهِيفُ
يُمَسِّحُنْ أَرْكَانِي وَهْنٌ قَوَافِلُ صَفَا صَارِدَاتُ النَّبْلِ عَنْهُ مُصِيفُ^(٢)

(١) في ط، ص : « تليج » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) الصفا : الحجارة الملس . وصارِدَاتُ النَّبْلِ : السمهام التي لم تنفذ . والمصيف : الذي صرف شره .

والقاضي أديب الملوك أبو إسماعيل يعقوب بن شرين الجندی ، أفضل
الفتيان في عصره ، وأعقلهم وأذكاهم وأدهام ، وكان كاتب سلطان خوارزم ،
فاستعفى ، وهو يكتب باللسانين العربية والفارسية ويحسن ، وهو ممن ربيت
وخرجت وبلغت تلك الدررة ، وهو أوثق سهم من كمانتي .
والحمد لله أولا وآخرا ، والصلاة على نبيه محمد وآله الطيبين .

* * *

ثم إن الشيخ السلفي عاوده الاستجازة في السنة الثانية من إسكندرية ،
كأنه ما وصلته إجازته ^(١) ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . المسؤول من كرم الشيخ الأجل العلامة ، أدام الله
بهجته ، وحرس مهجته ، أن يجز لأحمد بن محمد السلفي الأصهباني ، جميع
مسموعاته ومجموعاته ، في جميع الفنون ، ويثبت بخطه أساميها تحت هذا الخط ،
ويضيف إلى ذلك ذكر شيوخه الأعلام ، الذين أخذ عنهم الحديث واللغة ،
ويذكر جملا مما سمعه عليهم ، ويتم تفضله بإثبات ^(٢) أحاديث قصار ، من
رواياته عنهم ، وكتب شيء من شعر من رآه وأنشده من قبله ، بعد المبالغة في
التعريف به ، ولا يذكر من الأبيات إلا التصار ، التي تصلح لأصحاب الحديث ،
ويصور إخراجها في الأمالي وأواخر الفوائد ؛ ويذكر مفضلا مؤلده ، والسنة
التي ولد فيها ، فالحاجة داعية إلى كل ذلك ، ويبين ذكر المؤلف والمختلف ،
الذي ألفه ، في أي فن هو ، وعلى أي شيء يحوز ؟ أعلى ذكر الفقهاء أو الأدباء

(١) صرح ابن خلسكان في ترجمة الزمخشري بأنه أجاب الحافظ السلفي بما لا يشفي
الغليل ، فكتب إليه في العام الثاني مع الحجاج استجازة أخرى من الإسكندرية ،
وكان الزمخشري مجاورا في مكة .

(٢) في الأصول : « بأبيات » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

أم أهل الحديث ؟ ولا يُخَوِّجُ أدام الله توفيقه ، إلى المراجعة ، فالمسافة بعيدة ، وقد كاتبه في السنة الماضية ، ولم يجبه بما يَشْفِي الغليل ، وله في ذلك الثَّواب الجزيل ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

فأجاب نخر خوارزم بما نصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

رد الزمخسري
على الحافظ السلفي
بالإجازة الثانية

ما مثلي مع أعلام العلماء ، إلا كمثل الشَّهَبِ مع مصابيح السماء ، والجهنم الصُّفْرُ والرَّهَامُ^(١) ، مع الغواصي الغامرة للقيعان والإكام ، والسُّكَّيْتِ الخائف مع خيل السَّباق ، والبُعَاثِ مع الطير العتاق ، وما التلقيب بالعلامة ، إلا شبه الرقم بالعلامة ، كما قال بعض العرب وقيل له لِمَ سُمِّيتَ نعاماً : الأسماءُ علَامَةٌ ، وايسر بكرامته ، ولو كانت كرامة لاشترك الناس في اسم واحد . والعلم مدينه ، أحد بابيها الرواية ، والثاني الدراية ، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاء ، ظلي فيه أقلص من ظل حصاه ؛ أما الرواية فحديثه الميسلاد ، قريبة الإسناد ، لم تستند إلى علماء نحارير ، ولا إلى أعلام مشاهير ؛ وأما الدراية فتمد لا يبلغ أفواها ، وبرض لا يبُل شفاها ، ولا يغرّ نكم قول الوزير مُجبر الدولة :

وجوّلتُ في كُرى في البلاد فلم يَتَقَّ على رَجُلٍ في علمه غيرِ راجل [٧٢٩]
إلى أن جرى الطيرُ السَّنيحُ فداني على نخر خوارزم^(٢) ورأس الأفاضل
ولا قول المنتخب محمد بن أرسلان :

وما ناصرُ الإسلام إلا ابنُ بَجْدَةٍ يحيط بعلم لا يحيط به الوَرَى

(١) كذا في معجم الأدباء لياقوت . والذي في الأصول : « والجهنم الصفر من الرهام » .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : « خوارزم : أوله بين الضمة والفتحة ، والألف مسترقة مخلاة ، ليست بألف صحيحة ، هكذا يتلفظون به » .

أبو القاسم المحمود محمود الذي به تفخر الدنيا وناهيك مَفْخَرًا
ولا قول الشريف الأجل ذي المناقب ، أبي الحسن علي بن حمزة بن وهّاس
الحسني المَدَنِيّ

— قال أحمد المقرئ وفقه الله :

هو عليّ « بضم أوله وفتح ثانيه » ابن عيسى ابن حمزة بن وهّاس الحسني
العلويّ ؛ وقيل إنَّ الكشّاف برسمه صنعه الزخشمريّ ، رحم الله الجميع — :

ربيع الى قول^(١) الزخشمري :

وَهَانِيكَ مِمَّا قَدْ أَطَابَ وَأَكْثَرَا	وَكَمْ لِلْإِمَامِ الْفَرْدِ عِنْدِي مِنْ يَدٍ
أَنَافَتْ بِهِ عَلَامَةُ الْعَصْرِ وَالْوَرَى	أَخَى الْعَزْمَةِ الْبَيْضَاءُ وَالْهَمَّةُ الَّتِي
تَبَوَّأَهَا دَارَا فِدَاءَ زَخْشَمَرَا	جَمِيعُ قُرَى الدُّنْيَا سِوَى الْقَرْيَةِ الَّتِي
إِذَا عُدْتُ أَسَدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرَى	وَأُخْرٍ بَأَن تَزْعُمِي زَخْشَمَرُ بَامِرِي
وَلَا طَارَ فِيهَا مُنْجِدًا وَمُعَوِّرَا	فَوَلَاهُ مَا طَنَّ الْبِلَادُ بِذِكْرِهَا
بَأَعْرَفَ مِنْهُ فِي الْحِجَازِ وَأَشْهَرَا	فَلَيْسَ ثَنَاهَا بِأَعْرَاقٍ وَأَهْلِهِ
طَبَعْنَاهُ سَبْكًا كَانَ أَنْضَرَ جَوْهَرَا	إِمَامٌ فَلَيْنَا مَنْ فَلَيْنَا وَكَلِمًا ^(٢)
مُصَنَّفِي وَخُذْ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ مَكْدَرَا	وَمَكَّةُ رَاوَوْقِ الرِّجَالِ فِيهَا كُهُ
فَكَمْ أَذَلَّ أَطْوَادًا ^(٣) وَغَيْضَ أَمْحُرَا	رَسَا طُودَ تَقْوَى فَاضَ بِحَرِّ فُضَائِلِ
يُمِدَّانِ دِينَا كَالْمَجْرَةِ نِيرَا	وَتَحْتَ عَلَاقِ الصَّدَقِ سِرٌّ مَطْهَرِ

(١) في ص « كلام » . ويظهر أن الكلمة مقحمة من الناسخ ، فليست القصيدة الآتية من كلام الزخشمري ، وإنما هي لابن وهّاس كما قال الزخشمري نفسه .

(٢) في ط : « إمام قبلنا من قبلنا وكلنا » . وفي ص : « إمام قبلنا من قبلنا وكلنا » . وأعله بحرف عما أثبتناه .

(٣) في ط : « ذل أطوادا » . وفي ص : « ذل أطواد » ، وأعله بحرفان عما أثبتناه .

فلولا سماءُ أشمستُ ثم أقرتُ كَفَى بِعَالِيهِ شَمُوسًا وَأَقْمَرًا
ولا قوله رحمه الله :

لقد شجنى في أم رأسى عزُّهُ
فأصبحتُ من عزم الإمام أميما
تمنيتُ لو لم أَلْقَهُ وجهلته
ولم يخش [قلبي] بالفراق كلوما
فدبتُ امرأً يحشو الفؤادَ فِرَاقَهُ
كلوما ولقياه حَشَتُهُ علوما
وكانن رأينا من أولى العلم والتقى
رجالا أناخوا بالحجاز قروما
فأخذ أستاذُ الزمان ضياءهم
وكان وكانوا شارقًا ونجوما
ولا قوله رحمه الله :

أنى حَرَمَ اللهُ العَظِيمُ مجاورا
فلله ما أَدْنَتْ جِمالُ وَأَيْنُقُ
فَمِنْ حَوْضِهِ عَبَّتْ ظِماءُ ذَوِي النَهْيِ
فَأَبَتْ رِواءَ وَهُوَ مَلانُ يَفْهَقُ
ولا قول العميد رحمه الله :

ولو وازن الدنيا ترابُ زَخْشَرِ
لأنك منها زادهُ الله رُجْجانا
ولا قول بعض فتيانها المجيدين :

دَعْوِكَ بِجَارِ اللهِ وَاللهُ عَالِمُ
بأنك جَارِ اللهِ حَقًّا كما وَجَبَ
أَعْمَرِي لَقَدْ فَاضَتْ وَأَنْتَ مُفِيضُهَا
على حَرَمِ اللهِ الصَّنَاعِ وَالْقُرْبِ
رَقَبَتِ ذِمَامِ اللهِ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ
ووَاسِيَتِهِم بِالْعِلْمِ طُرًّا^(١) وَبِالنَّشَبِ
وَأَنْتَ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ الْوَرِعُ الَّذِي
أَبَيْتَ اغْتِرَارًا بِاللَّجَيْنِ وَبِالذَّهَبِ
وإِنَّكَ لِلْعَلَامَةِ الْجَامِعِ الَّذِي
جَعَلْتَ أَفَانِينَ الْعُلُومِ إِلَى الْأَدَبِ
وَمَا نَصَرَ الْإِسْلَامَ غَيْرَكَ أَهْلُهُ
وإن طار في أعلى المنازل والرُتَبِ
وَمَنْ طَالَعَ التَّفْسِيرِ أَيْقَنَ أَنَّهُ
مِنَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى أَنَّى ذَلِكَ اللَّقَبِ

(١) كذا في ص . وفي ط : « طورا » .

وإنك أستاذُ الزَّمانِ وكلُّهم
وسَمَّكَ إذْ فَرَّقْتَ في كلِّ بلدةٍ
فما إِخْوَارَزَمَ التي أنتَ فخرها
ولا قول ابن القرطبي :

قَسَمًا^(١) بَلَغَ تَحْيِيًّا أَتَى إِلَى
أَيْسَ قُسٍّ عِنْدَهُ قُسًّا وَلَا
أَيُّ آدَابٍ وَعِـلْمٌ وَتَقَى
قُلُّ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَمْسَى عَابَسَا
لَوْ جَعَلْتَ الْيَمَّ حَبْرًا وَالْفَلَاحَ
إِنْ مِنْ جَرَّاهُ لَوْلَا الْمَصْطَفَى
كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ حَيْثُ لَمْ
ولا قول الخطيب الموفق :

[٧٣١] لِسَانُكَ غَوَّاصٌ وَلِفْظُكَ لُؤْلُؤٌ
لِسَانٌ يَوْدُ الْحَاسِدُونَ لَوْ أَنَّهُ
وفكرك بحر للفضائل طامى
سِنَانُ قَنَاةٍ أَوْ غِرَارُ حُسَامٍ

ولا قوله أيضا :

أَفْخَرَ خَوَارَزَمَ مَالِي عَنْكَ مُنْجَرَفُ
أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي خَوَّلْتَنِي نِعْمًا
أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي رُتَبًا
أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدِ نِعْمَتِهِ
أَعْدَاؤُكَ اسْتَسْرَفُونِي مِنْ جَهَالَتِهِمْ
مَادَامَ يَخْتَلِفُ الْأَنْوَارُ وَالشُّدُفُ
تُطَوَّى وَتُنَشَّرُ فِي تَعْدَادِهَا الصُّحُفُ
بِفَضْلِ رِفْعَتِهَا الْإِيوَانُ يَعْتَرِفُ
وَوَرْدِ حِكْمَتِهِ أَجْنِي وَأُغْتَرِفُ
فِي وَصْفِهَا وَفِي عِنْدِي فَوْقَ مَا أَصِفُ

(١) كذا في ط. وفي ص، م: «منعما». (٢) كذا في ص، ط وفي م: «الشيخ».

ولا قول أديب الملوك يعقوب بن شيرين الجندی :

فنى سار في الآفاق رُكبانُ ذِكْرِه مغرّبة طَوْرًا وَطَوْرًا مُشْرِقَه
إذا حلَّ في أرض أناه فُجُوها تقيّدُ علوما حوله متحلّقه
وإن خاض في شرح العلوم رأيتهَا لفرط احتشام من معاليه مطرقة
فليس له في كل شرقٍ ومغربٍ نظيرُ بنو الدنيا على ذاك مُطَبِّقه

ولا قول البديع الخوارزمي :

أمكة هل تدرين ماذا تضمّت بمقدّم جارِ الله منك الأباطحُ
به وإليه العلمُ يَنْتَمِي وَيَنْتَمِي وفيه لأرباب العلوم المناجحُ
محطّ رحال الفاضلين فلم يزلْ يحطّ إليه الرّحل غادٍ ورائحُ
إذا انتابه صِفَر الوطاب رأيته تحوّل عنه وهو ملآن طافحُ
تمتّه السكّرام الغرّ من خير أسرة هم قدوة الدنيا الكهول الجحّاجحُ
أدلاء ضلال البرايا جِباهم مصابيح رُهبانٍ فتّتها المصباحُ

فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر الممّوه ، وجَهْلُ بالباطن المشوّه .

ولعلّ الذي غرّهم منى ما رأوا من النّصح للمسلمين ، وبلغ الشفقة على
المستفيدين ، وقطع المطامع عنهم ، وإفاعة المبار والصنائع عليهم^(١) ، وعزة النفس ،
والربّ بها عن الإسفاف للدّنيّات^(٢) ، والإقبال على خوِصّتي ، والإعراض
عما لا يعنيني ، فجَلَلْتُ في عيونهم ، وغَلِطُوا فيّ ، ونسبوني إلى ما لستُ منه في [٧٣٢]
قبيل ولا دبير .

(١) عبارة معجم الأدباء لياقوت : « وقطع المطامع ، وإفادة المبار والصنائع » .

(٢) عبارة لياقوت : « والربّ بها عن السفاف » . ولفظ « السفاف » مما
أنكره اللغويون .

وما أنا فيما أقول بهاضمٍ لنفسي ، كما قال الحسن رحمه الله في أبي بكر
الصديق رضي الله عنه وقوله « وَلَيْتَكُمْ » وَاسْتُ بَخِيرَكُمْ » : إن المؤمن ليهضمُ
نفسه ؛ وإنما صدقتُ الفاحصَ عني ، وعن كُنه رِوايتي ودرَايَتِي ، وَمَنْ لَقِيتُ
وأخذتُ عنه ، وما مَبْلَغُ علمي وقُصَارَى فضلي ، وأُطلعتُه طُلُعَ أمرِي ، وأُفضيتُ
إليه بِجَبِينَتِهِ سِرِّي ، وأَلقيتُ إليه عُجْرِي وَبُجْرِي ، وأَعلمته نَجْمِي وَشَجْرِي .
وأما المولد فقريَّةٌ مجهولة من قري خَوَارِزْمَ ، تسمَّى زَنْخَشَرُ ؛ وسمعتُ أبي
رحمه الله يقول : اجتاز بها أعرابي ، فسأل عن أسمها وأسم كبيرها ؛ فقبل له
زَنْخَشَرُ وَالرَّذَادُ . فقال : لا خير في شرِّ وردٍ ، ولم يُلِمَّ بها .
ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين وأربع مئة .
والحمد لله المحمود ، والمصلَّى عليه محمدٌ صلى الله عليه وسلم . انتهى .

قلت : وإنما أوردت ذلك مع ما في بعضه من الغلو ، وعدم التأدب
مع الشرع في بعض الألفاظ ، كي تعلم فضلَ أهلِ السُّنَّةِ رضي الله عنهم ، حيث
أنتصروا على مَنْ هذه صفته على زَعْمِهِ ، بالحجج البالغة ، وكسروا أُمَّ رَأْسِهِ
ورأس شيعته بالحجارة الدامغة ؛ ولم يُغن عنه شيء من اعتقاد هؤلاء الغلاة فيه ،
ولم تنفعه أسنتهم التي تأتي بالباطل في صورة الحق ، وتستتعي مطالوبها وتستوفيها ،
اللهم إلا أن يكونوا غيرَ عالمين باعتهادهم ، فاهم عُدْرَ عند اعتراض المعارض
وانتقاده ، وأياً ما كان فقد هدم أهلُ السنة رضي الله عنهم له ولأحزابه أساساً ،
وكلاً حمى حَوَزَتِهِ الْبِدْعِيَّةُ كُلَّيْبٌ من شيعته قَيَّضَ الله له جَسَّاساً ، فظهر الحقُّ
وأهله ، وارتفع غيُّ المبتدع وجهله .

من بديع نظم
الزخشرى

ومن بديع نظم الزخشرى المذكور قوله:

هو النَّفْسُ الصَّعَادُ عَنْ كَبِدٍ حَرَى إلى أن أرى أمَّ القُرَى مرةً أُخْرَى [٧٣٣]
سَرَيْتُ بِشَخْصٍ لَا بِنَفْسِي وَهَمَّتِي وهيات ما للأخشبين والمسرَى
مُقيمان عند البيت ما ذَرَّ شَارِقُ مُنيخان بالبطحاء ما ذَكَتِ الشَّعْرَى
[وله من قصيدة :

مَلِيحٌ وَلَكِنْ عِنْدَهُ كُلُّ جَفْوَةٍ ولم أر في الدنيا صفاءً بَلَا^(١) كَذَرُ
وَلَمْ أُنْسَ إِذْ غَاظَتْهُ قَرْبَ رَوْضَةٍ إلى جنب حوض فيه الماء مُنْجَدَرُ
فَقُلْتُ لَهُ جَنَّتِي بَوْرَدٌ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِهِ وَرْدَ الْخُدُودِ وَمَا شَعَرُ
فَقَالَ انْتَظِرْنِي رَجَعَ طَرَفٌ أَجَى بِهِ فقلت له : هيات ، ما لى مُنْتَظَرُ !
فَقَالَ وَلَا وَرْدٌ سِوَى الْخَدِّ^(٢) حَاضِرُ فقلت له إني قَنَعْتُ بِمَا حَضَرُ
وقوله :

إِذَا التَّصَقَّتْ بِالْبَحْثِ فِي الْعِلْمِ رُكْبَتِي بِرُكْبَةٍ نَحْرِيرٍ عَلَى الْجِدِّ دَابِ
فَإِنْ دَامَ لِي عَوْنُ الْإِلَهِ عَلَى الَّذِي أَعَانِيهِ مِنْ فَضْلِ وَرَرٍ وَأَدَابِ
وَإِنْ نَظَرْتُ عَيْنِي عَلَى الْوَدِّ وَالصِّفَا مَعَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى نَوَاطِرَ أَحْبَابِ
فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْأَرْضَ يَلْهَوْا وَيَلْهَبُوا فَذَلِكَ أَهْوَى مَا حَيْثُ وَتَأْمَلَابِ
وقوله أيضا :

أَرْبَعَةٌ لِلدِّينِ أَرْكَانُ حُبُّهُمْ يُمْنٌ وَإِيمَانُ
أَرْبَعَةٌ أَوَّلُ أَسْمَائِهِمْ عَيْنٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَعْيَانُ
عَتِيقُ وَالْفَارُوقُ وَالْمُجْتَبَى مِنْهُمْ وَذُو النُّورَيْنِ عَمَّانُ

(١) كذا في ابن خلكان ؛ وفي م : « ولا » وهو تحريف . ولم ترد المقطوعة في
طولا ص . (٢) كذا في ابن خلكان ؛ وفي م : « مر » وهو تحريف .

قال السيوطي في الطبقات الصغرى ما نصه :

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري ، أبو القاسم ، جَارُ الله ؛ كان واسع العلم ، كثير الفضل ، غاية في الذكاء وجودة القريحة ، متفننا في كل علم ، معتزليا ، قويا في مذهبه ، مجاهرا به ، حنفيا .

ولد في رجب سنة سبع وستين وأربع مئة ، وورد بغداد غير مرة ، وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري ، وأبي مُضَرَّ (١) الأصبهاني ، وسمع من أبي سعد الشَّقَّانِي (٢) ، وشيخ الإسلام أبي منصور الحارثي ، وجماعة ؛ وجاور بمكة ، وتلقَّبَ بجار الله ، ونحَرَ خوارزم أيضا . وكتب إليه الحافظ السَّلَفِيّ يستجيزه . وأصابه خُراج في رجله ، ففقطعها ، وصنع عِوَضَهَا رجلا من خشب ، وكان إذا مَشَى ألقى عليها ثيابه الطَّوَالَ ، فيظن من يراه أنه أعرج .

[٧٣٤] وله من التصانيف : الكشف في التفسير ؛ الفائق في غريب الحديث ؛ المفصل في النحو ؛ المقامات ؛ المستقصى في الأمثال ؛ ربيع الأبرار ؛ أطواق الذهب ؛ صميم العربية ؛ شرح أبيات الكتاب ؛ الأنموذج في النحو ؛ الرائض في الفرائض ؛ شرح بعض مُشْكَلَات المفصل ؛ الكلم النوايع ؛ القسطاس في العروض ؛ الأحاجي النحوية ؛ وغير ذلك .

مات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .

أسندنا حديثه في الطبقات الكبرى ، وتكرر في جمع الجوامع .

(١) كذا في معجم الأدباء وهو الصحيح . أبو مضر ، محمود بن جرير الضبي الأصبهاني . وفي ابن خلكان : « أبو مضر منصور » . وفي الأصول : « أبي نصر » وكلاهما غلط .
(٢) كذا في معجم الأدباء . والشَّقَّانِي (بفتح أوله وتشديد الشاف) : نسبة إلى قرية من قرى نيسابور . وفي الأصول : « الشقاق » . وفي بنية الوعاة : « الشقاني » وكلاهما تحريف .

وله :

إن التفاسير في الدنيا بلا عددٍ وليس فيها لعمري مثلُ كَشَافٍ
 إن كنتَ تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافٍ
 انتهى كلام السيوطي .

وقال ابن خلكان فيه ما نصّه^(١) :تعريف ابن
 خلكان :

محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزنخشي ، أبو القاسم الإمام ، له الكتب
 في التفسير ، والحديث ، والنحو ، واللغة ، وعلم البيان . إمام عصره غير مدافع ، تشدُّ
 إليه الرِّحال في فنونه ، وصنف التصانيف الشريفة ، منها الكشاف ، لم يصنّف
 قبله مثله ؛ والمفصل في النحو ، وغير ذلك . وسافر إلى مكة ، وأقام بها مجاوراً
 زماناً ، فصار يُقال له جارُ الله لذلك ، وكان هذا الاسم علماً عليه ؛ وكانت إحدى
 رجله ساقطة ، وكان^(٢) يمشي في جارين خشب ؛ وسبب سقوطها أنه أصابه في بعض
 أسفاره ببلاد خوارزم ثلج وبرد شديد ، فسقطت رجله ، وكان بيده محضّر ، فيه
 شهادة خلق كثير ممن أطلعوا على حقيقة ذلك ؛ خوفاً من أن يُظنَّ [به] أنها قُطِعَتْ
 لريبة ؛ وقيل إنه سئل عن قطع [سبب] رجله ، فقال : دُعاء الوالدة ؛ وذلك أني
 في صباي أمسكت عُصفورا ، وربطت خيطاً في رجله ، فأفلت من يدي ، فأدركته
 وقد دخل في خرّق ، فجذبته ، فانقطعت رجله [في الخيط ، فتألمت والدتي لذلك] ،
 وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله . فلما دخلت إلى بخاري لطلب
 العلم ، سقطت عن الدابة ، وانكسرت الرجل ، وعملت على عملاً أوجب قطعها .
 وكان الزنخشي معتزلي الاعتقاد ، متظاهراً به ، وكان إذا قصد صاحباً

(١) بين ما نقله المؤلف هنا وما في نسخة ابن خلكان طبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ

خلاف في بعض العبارات .

(٢) في الأصول : « وإنه كان » والفظة « إنه » زائدة هنا .

له ، واستأذن عليه في الدخول ، يقول له : أبو القاسم المعتزلى بالباب .
وأول ما صنف الكشاف كتب استفتاح الخطبة : « الحمد لله الذى خلق القرآن » ، فقبل له : متى تركته على هذه الهيئة ، هجره الناس ، ولا يرغب أحد فيه ؛ فغيره وقال : « الحمد لله الذى جعل القرآن » ، وجعل عندهم : بمعنى خلق . ورؤى في كثير من النسخ : « الحمد لله الذى أنزل القرآن » ، وهذا إصلاح الناس ، لا إصلاح المصنف .

ومن شعره يرثى شيخه أبا مضر محموداً^(١) :
وقائلة ما هــ هذه الدُّرُّ التى تساقط من عَيْنَيْكَ سَمَطَيْنِ سَمَطَيْنِ
فقلت لها الدُّرُّ الذى كان قد حشا أبو مضر أذنى تساقط من عَيْنِي
وأنشد في كتابه الكشاف لبعضهم^(٢) :

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَهَا فى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَثِيلِ
وَيَرَى عُروْقَ نِيَاطِهَا فى نَحْرِهَا والمَخِّ فى تلك العِظَامِ النَّجَلِ
إِغْفِرْ لِعَبْدٍ تاب من فَرَطَاتِهِ ما كان منه فى الزمانِ الأوَّلِ
وَيُرْوَى أن الرَّحْمَنَ أوصى أن تُسَكَّبَ هذه الأبيات على لوح قبره .
وقال غيرُ ابنِ خَلَّكان فى البيت الأخير :
أُمنُّ علىَّ بِتَوْبَةٍ أحو بها ما كان منى فى الزمانِ الأوَّلِ
وهذا لا يناسب السَّكَبَ على لوح القبر ، وإنما يناسبه ما روى ابن
خَلَّكان ، فتأمله .

(١) كذا فى معجم الأدباء لياقوت ، وهو الصواب . وفى الأصول تبعاً لابن خَلَّكان :
« منصوراً » وهو غلط من ابن خَلَّكان ، أو من النساخ . (انظر الحاشية رقم ٩
صفحة ٢٩٥ من هذا الجزء) .

(٢) نسب ابن كثير فى البداية والنهاية هذه الأبيات لأبي العلاء المعرى .

ثم قال ابن خَلَّكان : وحدثت بعض الأصحاب أنه رأى بجزيرة سواكن
تربة ملكها عزيز الدولة رِيحان ، وعلى قبره مكتوب :

[٧٣٦]

يأيُّها الناس كان لي أملٌ قصَّرَ بي عن بلوغه الأجلُ
فليَتَقَّ اللهُ رَبَّهُ رَجُلٌ أمكنه قبلَ موته العملُ
ما أنا وحدي نُقِلْتُ حيثُ تَرَى كلُّ إلى ما نُقِلْتُ ينتقلُ
تُوَفِّي الزُّنخْشَرِيَّ ليلةَ عَرَفةِ سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .
انتهى كلام ابن خَلَّكان .

وقد تقدَّم^(١) في التأليف الذي نقلناه عن [الشيخ] ابن غازي رحمه الله ،
بعض إمام بحال الزنخشرى ساجده الله .

إمامة به لابن
غازي

ومن نظم الزنخشرى قوله يمدح كتاب سيديوه رحمه الله :
أَلَا صَلَّيْ الْإِلَهَ صَلَاةَ حَقٍّ^(٢) على عمرو بن عُثْمَانَ بن قُدْبَرٍ
فإنَّ كِتَابَهُ لم يَغْنِ عَنْهُ بنو قَلَمٍ ولا أبناءُ مِنْبَرٍ

للزنخشرى يمدح
كتاب سيديوه

[بين الزنخشرى وأهل السنة]

وأنشد الزنخشرى في كشفه لبعض العدلية ، يعرِّض بأهل السنة والجماعة
المُفْلِحِينَ ، وَيَنْصُرُ مَذْهَبَهُ الْفَاسِدَ :

ما نشده في
الكشاف لبعض
المعتزلة في ذم
أهل السنة

أَجْمَاعُهُ سَمَّوْا هَوَاهُمْ سُنَّةً وَجَمَاعَةُ حُرِّ لَعَمْرِي مُوَكَّهَةٌ^(٣)

(١) في صفحتي (٧٧ ، ٧٨) من هذا الجزء .

(٢) في بغية الوعاة للسيوطي : « صدق » .

(٣) الإكاف والوكاف : برذعة الحمار ، يقال آكف الحمار ، فهو مؤكف بالهمز ،
وأوكفه فهو مؤكف ، بالواو بدل الهمز .

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة^(١)

وقد تصدى للرد عليه من أهل السنة رضى الله عنهم جم وافر ، وأبدوا ما يؤيد مذهبهم الظافر ، وتركوا المبتدع يحك رأسه بغير أظافر .

ولنذكر الآن ما حضرنا من ذلك ، كقول صاحب « الانتصاف من الكشاف » ، وهو ناصر الدين بن المنير الإسكندراني ، رحمه الله تعالى :

وجاعة كفروا برؤية ربهم هذا ووعد الله ما أن يحلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل عدلوا برهم فحسبهم سفة
وتلقبوا الناجين كلا إنهم إن لم يكونوا في لظى فعلى سفة

وكقوله أيضا ، أعنى صاحب الانتصاف :

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا بالعدل ما فيهم لعمري معرفة
قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات الله مع نفي الصفة

وكقول الشيخ الإمام أبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني الأصولي رحمه الله :

[٧٣٧] سميت جهلا صدر أمة أحمد وذوى البصائر بالحميز المؤكفة
ورميتهم عن نبعة سويتها رمى الوليد غدا يمزق مصحفه
وزعمت أن قد شبهوه بخلقهم وتخوفوا فتستروا بالبلكفة
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى فهو الهوى بك فى المهاوى المتلفة
وجب الخسار عليك فانظر منصفنا فى آية الأعراف فهى المنصفه

(١) البلكفة بوزن الفلسفة : مصدر مولى منحوت من قول المتكلمين : « بلا كيف » ،

لقول أهل السنة فى رؤية البارى تعالى : تجوز رؤيته بلا كيف ، أى لا تعلم حال تلك الرؤية ولا وسيلتها ، فرارا من القول بالتشبيه والتجسيم .

ما رده عليه
أهل السنة

لابن المنير فى
الرد على المعتزلة

وله أيضا فى ذلك

وللشيخ عمر
السكونى فى
ذلك الغرض

أَتَرَى السَّكِيمَ أَتَى بِجَهْلٍ مَا أَتَى وَأَتَى شَيْوُخُكَ مَا أَتَوْا عَنْ مَعْرِفَةِ

وقول القاضي أبي علي عمر بن عبد الرفيع :

والقاضي عمر
ابن عبد الرفيع
في ذلك

جَوْرِيَّةٌ وَتَلَقَّبَتْ عَدْلِيَّةً وَعَنِ الصَّوَابِ عَدُولُهَا لِلسُّفْسَفَةِ

نَقَوْا الصِّفَاتِ وَعَظَلُوا وَتَجَسَّسُوا وَبُكَارُونَ وَشَأْنُهُمْ جَلْبُ السَّفَةِ

هكذا وجد بخط الإمام أبي عبد الله بن مرزوق ؛ ورأيت بخط بعض

الأصحاب : « وشأنهم حال السفه » ، والأمر في ذلك قريب .

وقول الإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن علي الأحمي التونسي ، قاضي

والأحمي في
ذلك الغرض

الأنسكحة ، رحمه الله تعالى :

كَلَّوْا نَفْسَ هَتَفُوا وَظَنُّوا هَتَفَهُمْ عَدَلًا لَقَدْ بَلَغُوا النِّهَايَةَ فِي السَّفَةِ

زَعَمُوا أَنَّ الذَّاتَ قَامَ بِغَيْرِهَا صِفَةً وَفِيهَا أَوْجِبُوا حُكْمَ الصِّفَةِ

خَرَقُوا سِيَاجَ شَادِهٍ سَلَفِ الْهُدَى وَتَمَذَّهَبُوا بِمَذَاهِبِ مُسْتَنَكِفَةِ

وَأَتَى الْآخِرُ الْعُمَرُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ يَبْغِي الْحِجَاجَ مُعْرِضًا بِالْبَلْكَفَةِ

أَعْنَى الْخَوَازِمِيِّ ذَا الصَّلَفِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ جَهْلِهِ بِالْمَعْرِفَةِ

بَلْ تَاهَ فِي بَيْدَا الْجَهَالَةِ مُعْرِضًا كَحَارٍ وَخَشٍ فِي مَهَامَةِ مُتْلِقَةِ

وقول الفقيه أبي زكرياء يحيى بن منصور التونسي ، قال الشيخ ابن مرزوق

ويحيى بن
منصور التونسي
في ذلك

رحمه الله : وفي جوابه تعريض بجواب الأحمي فوقه :

عَجِبًا لِحَبْرٍ فِي الْبَلَاغَةِ ذَائِقٍ عِلْمَ الْفَصَاحَةِ فَرْدُهُ وَمُؤَلَّفُهُ

جَمَعَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ مَكْشَفًا أَسْرَارَ قُرْآنٍ بِأَكْمَلِ مَعْرِفَةِ

وَأَضَلَّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَرَاغَ عَنْ سَنَنِ الصَّوَابِ وَحَادَّ عَنْهُ وَحَرَفَهُ

فَأَحَقَّ قُدْرَةَ حَادِثٍ وَأَحَالَ رُؤْيَا يَةٍ وَاجِبٍ أَوْ أَنْ تَكُونَ لَهُ صِفَةُ

مَا ذَاكَ إِلَّا فَعْلٌ قَهَّارٌ بِهِ قَوْمٌ ذُوو رَشْدٍ وَقَوْمٌ فِي سَفَةِ

والله أسألُ رحمةً لجميعنا ودخولنا فيمن حباه وشرّفه
متوسّلين بأحمدٍ خيرِ الورى صلى عليه الله ما نطقَت شَفَه
وقول الفقيه أبي محمد عبد الواحد اليَفرني :

ولليفرني
في ذلك

قل للذي جمع النّظام وخالفه من بعده لك موعدٌ لن تُخلفه
أثبتَ عدلَ جماعةٍ في جورهم والجورَ أثبتته لهم نفى الصّفة
ستكون من تلك الجماعة يومَهم حُرّاً لغى أو لسكرى موقفه
وقول شيخ الإسلام أبي عبد الله بن عرّفة رحمه الله :

ولابن عرّفة
في ذلك

أحْثَلَةُ سَمَوْا هَوَاهُمْ مَعْدَلًا وَحُثَالَةُ^(١) حُرّاً لِسْكَى مَوْقِفَهُ
قد شَهَوهُ بِالْمُحَالِ وَعَظَلُوا وَتَسْتَرُوا بِالذَّاتِ عَنْ نَفْيِ الصِّفَةِ

قوله : « قد شهوه بالتحال » أى لقولهم : « عالم لا يعلم » ، ونفى العلم يستلزم
أن يكون مُحَالًا . هكذا أُلْفِي في بعض المقيّدات ، والله أعلم .

وقول خطيب الخطباء الرئيس الحاجب ، الفقيه المحدث الرّحال ، سيدي
أبي عبد الله بن مرزوق التلمساني ، رحمه الله تعالى :

وجماعةٌ عُرِفَتْ لَعَمْرِي بِالسَّقَةِ وَتَمَسَّكَتْ بِضَلَالِ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ
عَدَلَتْ عَنْ النّهْجِ الْقَوِيمِ فَلَقَبَتْ عَدَلِيَّةً وَعُدُولَهَا عَنْ مَعْرِفَةِ
صَلَّتْ وَقَالَتْ إِنَّ يُرَى رَبُّ الْوَرَى يَوْمَ الْجَزَاءِ فَأَلْزَمَتْ نَفْيَ الصِّفَةِ
هذا وكم من زَلَّةٍ زَلَّتْ وَكَمْ مِنْ مَذْهَبٍ ذَهَبَتْ بِهِ فِي مَتَلَفَةِ
[وكذاك أسَلَمَتِ الْأُمُورُ لِنَفْسِهَا هِيَهَاتَ تَنْقُذُ نَفْسَهَا مِنْ مُتَلَفَةِ]
كيف السبيلُ لَصَرْفِهَا عَنْ غِيَّهَا وَالْعَدْلُ يَمْنَعُ صَرْفَهَا وَالْمَعْرِفَةُ

وقال سعد الدين التّفّتازاني رحمه الله ، عند ذكر البيتين اللّذين أنشدهما

(١) كذا في ط ، ص ، وإعله تحريف .

الزخشرى [ما نصه] : ولقد عورض ما أنشدته وأنشأه من الهديان . قال الإمام

المحقق محيى السنة ، قانع البدعة ، كامل الدين المظفر ، ردًا عليهم : ولكامل الدين
المظفر في ذلك

لجماعة كفروا برؤية ربهم ولقائه مُحَرَّرُ لَعْمَرَى مُوَكَّفَه
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا عنه الفعال فيا لها من منكفَه
هم نازعوه الخلق حتى أشركوا بالله زُمَرَةَ حَاكَةِ وَأَسَاكِفَه [٧٣٩]
هم غلقوا أبواب رحمته التي هي لا تزال على العصاة مُوَكَّفَه
ولهم قواعد في العقائد رَذَلَه ومذاهب مجهولة مُسْتَنَكَفَه
يبكى كتابُ الله من تأويلهم بدموعه المنهلة المُسْتَوَكَفَه
وكذا أحاديث النبي دُمِجَتَا منهم على الخدين غير مكذَكَفَه
فالله أمطرَ في سحاب عذابه وعقابه أبدا عليهم أوكَفَه
انتهى كلام السعد ، رحمه الله .

وقال الطيبي رحمه الله : وأجابه بعض أهل السنة بقوله :

عجبا لقوم ظالمين تســــــــــــتروا بالعدل ما فيهم لعمري معرفه

... البيتين ؛ وقد تقدم أنهما لصاحب الانتصاف ، حسبما صرح بذلك

الإمام ابن سرزوق ، فبان أنه المعنى بقول الطيبي : أجابه بعض أهل السنة ،
والله أعلم .

قلت : وقد رأيت بتمسان بخط الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادى

أشهى ثم الفرناطى ، نزيل تلمسان رحمه الله ، جوابا بديعا جدا ، للشيخ الإمام ابن
الجبير اليخضبي ، أحد أعلام المتأخرين بالأندلس ، ونقلته من خطه الحسن ، وهو :

وجاعة مشنوعة بدعية مصروفة عن رشدتها متعسفة
جاروا وسموا قومهم عدلية عدلوا ولكن عن طريق المعرفة

ابن المنير
الاسكندري من
أهل السنة

لابن الجبير
اليخضبي في ذلك

قَوْمٌ نَفَوْا عَنْ رَبِّهِمْ أَحْكَامَهُ فِي خَلْقِهِ لَمَّا نَفَوْا عَنْهُ الصَّفَةَ
 غَطَّوْا عَلَى التَّعْطِيلِ بِالتَّنْزِيهِ إِذْ ضَلُّوا ضَلَالَ الْأُسْرَةِ الْمُتَفَلِّسَةِ
 فَطَرِيقَهُمْ أَسَى الضَّلَالِ وَقَوْلُهُمْ عَيْنُ الْمَحَالِ وَرَأْيُهُمْ مَحْضُ السَّفَةِ
 الْحَقُّ جَبَّ سَنَامَ جُبَّائِهِمْ وَقَنَاءُ نَجْلِ عُبَيْدِهِمْ^(١) مُتَقَصِّفَةِ
 وَتَنَاثَرَتْ خَرَزَاتُ نَظَامٍ لَهُمْ وَالسَّكُودُنُ الْعَلَافُ^(٢) بَلَّ الْمَعْلَفَةِ
 وَالشَّيْخُ مَحْمُودٌ هُوَ الْفَيْلُ الَّذِي كَادُوا بِهِ الْمَعْنَى الَّذِي فِي الْبَلَكَةِ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا حَمَارٌ صَوْتٌ [فِي فِيهِ جَحْفَلَةٌ وَيَحْسِبُهَا شَفَةً

قال وكتب بخطه الرائق تحت قوله « إِلَّا حَمَار » ما نصه :

« الْبَادِي أَظْلَمُ ». انتهى .

[٧٤٠]

ولا خفاء ببراءة هذا النظم وحسن مساقه ، وتوطئته للتورية البديعة التي
 هي قوله : « وَالشَّيْخُ مَحْمُودٌ » ... الخ ، فإن هذا تلميح لقصة الفيل ، المذكورة
 في القرآن ، في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ » ، وقد
 صرَّحَ غيرُ واحد من أهل التفسير والسِّيَر ، أن اسم ذلك الفيل الذي جاء به
 أبرهة لهدم الكعبة « محمود » ، فخيرَ بذلك ابنُ الجبير ما ضاع من الاتفاق
 الغريب ، والله تعالى يجازيه أفضلَ جزائه ، وجميع أهل السنة ، بما أتوا به
 من العَجَج ، التي جَدَعَتْ أَنْفَ كُلِّ مُسْتَرِيب .

وبعد أن كتبتُ ما ذكرته من حفظي راجعتُ مَقَيِّدَاتِي ، فَأَفْهِمْتُ بِهَا
 مما نقلته من خطِّ الوادي آشَى المذكور ما نصه :

أَنشَدَنَا شَيْخُنَا وَبَرَكَتُنَا الْعَالِمُ الْجَلِيلُ ، الْخَطِيبُ الْمُصْتَفَعُ ، الْبَلِغُ الْمَقِيدُ ، إِمَامُ

(١) نَجْلُ عُبَيْدٍ : هُوَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ، مِنْ رِءُوسِ الْمُعْتَزِلَةِ .

(٢) السَّكُودُنُ : الْفَرَسُ أَوِ الْبَعْلُ أَوِ الْبَرْدُونُ . وَالْعَلَافُ : هُوَ أَبُو الْهَذِيلِ الْعَلَفُ الْمُعْتَزِلِي .

وقته في العلوم ، والتحصيل والفهوم ، قاضى الجماعة ، سيدنا أبو عبد الله ، محمد بن علي بن الأزرق ، رضى الله عنه ، وأمتع [ببقائه] وإفادته ، ووصل أسباب سعادته . قال :

أنشدني شيخ الأدباء ، وخجة البلغاء ، الكاتب المجيد الأبرع ، أبو عبد الله محمد بن الجبير اليحصبي ، معارضا للبيتين الشهيرين ، اللذين أنشدهما الزمخشري ، فعارضهما ابن الجبير بقوله :

وجماعة مشنوءة بدعية ————— مصروفة عن رُسْدِها متعسفة
... الأبيات . قال شيخنا : ولما أنشده الأبيات ناظما ، كتبها له بخطه الحسن ، وكتب تحت قوله « إلا حمار » : الهادي أظلم . انتهى .

ثم قال الوادي آشي المذكور : ولسيدى ابن الجبير المذكور ، ومن خطه قيدت :

ومن نظم
ابن الجبير

كَلَّمَا رَمْتُ أَنْ أُقَدِّمَ خَيْرًا لِمَعَادِي وَرُمْتُ أَلَى أَوْبٍ
صَرَفْتَنِي بَوَاعِثِ النَّفْسِ قَسْرًا فَتَقَاعَسْتُ وَالذُّنُوبُ ذُنُوبُ
رَبِّ قَلْبٍ قَلْبِي لِعِزْمَةِ خَيْرٍ بِمَتَابٍ فِي يَدَيْكَ الْقُلُوبُ
وله أيضا وقد أشار عليه الرئيس الكاتب أبو عبد الله الشَّران بإنشاء صدر
لمكاتبات سلطانية :

ومن نظم ابن
الجبير أيضا
مجيبا للشَّران

دَرَزَعِي وَصَدَّرِي بِالضُّدُورِ هَذَا يَضِيقُ وَذَا يَدُورُ
أَنْتَ الْمَلِيءُ بِكَلَّتِهِمْ ————— مَا لِلضُّدُورِ سِوَى الضُّدُورِ
فأجابه الشَّران بقوله :

ما أجابه به الشَّران

تَجَرُّ اجْتِهَادِكَ لَنْ يَبُورَ فَدَعِ الْكَلَامَ وَكُنْ صَبُورَ

إِنَّ الصَّدُورَ بِكَ ازْدَهَتْ بِالدرِّ تَزْدَانُ العُشْدُورُ
نقلت هذا كَلَّةً من خط الفقيه أبي عبد الله محمد الوادى آشئى المذكور
آتفا رحمه الله تعالى .

* * *

ثم قال الوادى آشئى المذكور :

سمعت شيخنا الإمام سيدى محمد بن الأزرق الأصبهى رحمه الله ، بمجلس
تدريسه من الجامع الأعظم بغرناطة يقول : كان أبو محمد عوف بن يوسف
الخزاعى من أهل القَيْرَوَان يقول : الخلائق كلهم أعداء بنى آدم ، وبنو آدم
كلهم أعداء المسلمين ، وجميعهم أعداء أهل السنة . انتهى .

* * *

وذكر الرُّشَاطى بسند مُتَّصِل إلى أَنَس بن مَالِك رضى الله عنه ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قول الله تعالى : «وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ» ،
قال : هم أهل السنة والجماعة .

انتهى ما قَيَّدْتُهُ من خط الوادى آشئى المذكور ، رحمه الله .

* * *

وكان رحمه الله ممن حلَّ بِتِلْكَسان بعد أخذ غرناطة ، أعادها الله ، وحصلت
له بها مصاهرة مع أعيانها بنى مرزوق ، ثم آلت إلى مقاطعة ، حَسْبَمَا ذَكَرَ ذلك
فى بعض ما لهُ من النظم ، وكان له نظم لا بأس به ؛ فمن ذلك قوله رحمه الله ، بعد
بيت سقط من حفظى ، مُضْمِنُهُ أَنَّ النَّاسَ لَأُمُوهُ عِنْدَمَا طَلَّقَ بِنْتَ ابْنِ مرزوق ،
وأظنه هكذا :

يَلُومُنِى الْأَقْوَامُ من بعد ما سَطَا عَلَى ابْنِ مرزوق وَمَنْ بِإِنْفَاقِ

(٢٠ - ج ٣ - أزهار الرياض)

المسلمون أعداء
لأهل السنة

جند الله العالين
هم أهل السنة

بعض أخبار
الوادى آشئى
وشعره

٧٤٢ -

فقلت لهم كُفُّوا اللَّامَ فَإِنِّي تركت ابن مرزوق وأَمَمْتُ رَزَاقِي^(١)

رثاؤه أحمد بن يحيى الونشريشي ومن ذلك قوله يرثي الشيخ الإمام ، [الحافظ ، بل] حافظ الإسلام ، سيدي أحمد بن يحيى الونشريشي الأصل ، التلمساني ، نزيل فاس ، صاحب المعيار وغيره :

لقد أظلمت فاس بل الغرب كله بموت الفقيه الونشريشي أحمد
رئيس ذوى الفتوى بغير منازع وعارف أحكام النوازل الأوحد
له دُرْبَةٌ فيها ورأى مُسَدَّدَ بإرشاده الأعلام في ذاك تهتدى^(٢)
وتالله ما في غربنا اليوم مثله ولا من يدانيه بطول تردد
عليه من الرحمن أفضل رحمة تروح على مثواه فيضا وتهتدى

وله في رثائه أيضا وقوله في رثائه أيضا :

أبعد ابن يحيى اليوم في الغرب عالم يطبق بالفتيا المفاصل مثله
ويعرف من فقه النوازل غاية يوقع منها ما به بان نبهه
وإن جئت للإنصاف لم يبق مثله وهذا الجليل ليس ينكر فضله
فاذ^(٣) كان جاء الموت فالصبر والرضا على ما قضى الخلاق فالحول حوله

وله فيه أيضا وقوله في ذلك :

رأيت نجوم الدين تبكي حزينة على فقد خبر كان قطب أولى العلما
فقلت ومن هذا؟ فقالت مجيبة على الونشريشي رئيس ذوى الفتيا
فصحننا وقلنا : ويلنا ثم ويلنا على فقدِه مُدْغَابَ أظلمت الدنيا

(١) كذا في ط . وفي م : « وجئت لرزاقى » .

(٢) كذا في ط وهامش م . وفي م : « أهدى » . (٣) في ط : « فإن » .

عليه من الرحمن أفضل رحمة تعاهدُ مشواه مع الجودِ والسُّقيا
وقوله وقد بدّل القافية :

وله فيه أيضا

رأيتُ نجومَ الدين تبكي حزينَةً على فقد من قد كان قُطِبَ زمانه
فقلتُ ومن هذا فقالت مجيبةً على الونشريشيّ وحيدِ أوانه
إليه انتهت في الفقه كلُّ رياسةٍ ومعرفة زينت بحسن بيانه
ومُنْذُ غابَ عنا أظلم الكونُ كله وصار الضحى ليلاً لفقد عيانه
وإنَّ عزائي فيه للخلق كلهم خصوصاً ذوى فقهٍ لعزِّ مكانه

[٧٤٣]

وفاة الشيخ
الونشريشي

وكانت وفاة [الإمام] الونشريشيّ المذكور ، يوم الثلاثاء مؤقّى عشرين
من [صفر ، من] عام أربعة عشر وتسع مئة ، بمدينة فاس ، رحمه الله ، ونَجِبَ ولده
شيخ شيخنا ، القاضي سيدي عبد الواحد رحمه الله .

وللوادي آشي
في مدح الفقيه
أحمد العبادي

ومن نظمه ، أعنى الوادي آشيّ المذكور ، يمدح الفقيه أحمد
العبادي يقول :

ومَن مثله في العلم يُبدى فنونه مع الدين والتقوى على صغر السنِّ
فأثبتته المولى وأثبت أمره وزكى علومًا حاز في غير ما فنِّ

وله متبرما
بسكنى تلسان

ومن نظم الوادي آشيّ المذكور قوله :
تَلْسَانُ أرضٌ لا تليقُ بحالنا ولكنَّ لطفَ الله نَسألُ في القضا
وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهودٌ وفجار ومن ليس يُرْتَضَى

وله أيضا في ذلك وقوله رحمه الله :

غريبٌ في تلمســــــــــــانٍ وحيدٌ من الأحاب ليس له مُشاكِلٌ
وكم فيها من الأحاب لكنْ عَدِمْتُ بِهَا المُناسب والمُائل

وكان رحمه الله كثير النسخ والتقييد ، آية الله في ذلك ، حتى إنى رأيت
في خزان أهل تلمسان بخطه نحو المئة سفر ، ورأيت بفاس نحو الثمان مئة ^(١) .
وأخبرني مولانا شيخ الإسلام عثمان مفتي تلمسان ، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ
رحمه الله ، أنه نسخ [بخطه] نحو العشرين نسخة من توضيح خليل ، وكان
يحترف بالنسخ ، رحمه الله ، ونظمه نظم فقيه ، وربما يقع له النادر ، ولولا الإطالة
لجلبت أشياء من ذلك ، زيادة على ما سبق .

كان الوادى
آشى مغرما
بالنسخ والتقييد

[٧٤٤]

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصّه :
ولسيدي محمد العربي أبقاه الله عند محاصرة النصارى للحضرة :

وبخطه شعر
لسيدي
محمد العربي

بالطُّبْل في كل يوم وبالْمَقِير نُرَاعُ
وليس منْ بَعْدَ هذا وذاك إِلَّا القِرَاعُ
يا رَبِّ جَبْرَكَ يَرْجُو مَنْ هَمِضَ مِنْهُ الذَّرَاعُ
لا تَسْلُبْنِي صَبْرًا به أَقْلَبِي أَدْرَاعُ

وله أيضا وقد ظَفَرَ ببعض المرتدّين ، ممن صار ، والعياذ بالله ، غَمِيًّا ، يجرّه
الناس بالحضرة حيّا :

ولسيدي العربي
في رجل تنصر
واختلط عقله

(١) كذا في ط . وفي ص : « الثمانية » .

أَلَا رَبُّ مَغْرُورٍ تَنْصَرُّ ضِلَالَةً فُخِّاقٌ بِهِ شُؤْمُ الضَّلَالِ وَشَرُّهُ
فَإِنْ يَرْتَفِعُ عِنْدَ النَّصَارَى بِالْإِعْتِنَا فَكَمْ عِنْدَنَا مِنْ حَرْفٍ حَبْلٍ يَجْرُهُ

وله أيضا:

صَوَّرَ أَنْ كُنْتَ نَبِيْلًا صُورَةً دَامَ فِي تَصْوِيرِهَا الْبَحْثُ وَطَالَا
زَوْجَةً إِنْ دَخَلْتَ بَيْتًا فَقَدْ حُرِّمَتْ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ حَلَالَا

[جوابه:]

هِيَ إِنْ [لَمْ] ^(١) تَلْتَبَسْ زَوْجَ امْرِئٍ بِنِسَاءِ بَيْتٍ قَدْ اعْجَزَ الرِّجَالَا
حَيْثُ قَدْ أَنْكَرْنَ طُرًّا عِصْمَةً مِنْهُ قَدْ ضُمِّنَ دَعَاوَاهَا الْمَقَالَا

وله أيضا ملفزا:

مَا رَجُلٌ يُعْجَبُ مِنْ أَمْرِهِ مَنْ لَمْ يُحَقِّقْ نَفْسُهُ أَمْرَهُ
حَلَّتْ لَهُ وَحُرِّمَتْ زَوْجَتُهُ فِي الْيَوْمِ ثِنْتَيْ عَشْرَةٍ مَرَّةً

انتهى.

قلت: وهذا أبو عبد الله العربي المذكور، هو صاحب الكتاب الذي بعث به سلطان الأندلس، أبو عبد الله الخلويع آخر ملوك الأندلس، إلى السلطان الشيخ الوطائي، صاحب فاس، وقد تقدم ذكره في أول هذا الموضوع ^(٢)، فراجع إن شئت.

وقد حَلَّاهُ الْوَادِي آشَى بِقَوْلِهِ:

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها المعنى والوزن. (٢) يريد الكتاب.

« بليغ العصر ، بل الدنيا ؛ ومالك زمامي النظم والنثر ، بلا ثنيا ؛ سيدي محمد العربي ، أنسا الله أجله ، وبلغه أمله » . انتهى .

[٧٤٥]

ورأيت بخط الوادي آشي المذكور ما نصه :

بخط الوادي
آشي من الوثائق
المجموعة

من الوثائق المجموعة : إن ذكر الموصي في كتابه أن تُنفذ وصيته من سكة كانت تجرى [في حين الوصية ، ثم توفى الموصي وقد انقطعت تلك السكة] ، فإن وصيته إنما تُنفذ من تلك السكة ، التي كانت تجرى يوم الوصية ، إلا أن يكون نص في وصيته أن تكون وصيته من النقود الجارية يوم تُنفذ الوصية ، فيكون ما عهد ، فإن وقعت وصيته مُطلقة ، ولم يشترط صفة ، فإنما يكون ذلك مما يجرى يوم التنفيذ ، وذلك بخلاف الكوالم^(١) والديون ، انتهى .

قال محمد الوادي آشي : قوله « إنما تخرج [مما يجرى] يوم التنفيذ إن لم يشترط صفة » ، والذي في السكافي لأبي عمر خلافة ، وعلى ما في السكافي في ذلك العمل ، وبه شاهدت شيخنا المواق يفتي ، وشيخنا قاضي الجماعة ابن منظور رحمه الله يحكم . انتهى .

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصه : وُجد بخط الرئيس القاضي أبي يحيى بن

عاصم رحمه الله تعالى :

الحمد لله .

ومن خطه
نقلا عن القاضي
أبي يحيى بن
عاصم في توثيق
العقود

إنما تستقل العقود الصحيحة ، وتتم الموجبات الصريحة ، بثبوتها لدى الحاكم ، المنعقدة ولايته عند تحصيل شروطها صحة وكالا ، وذلك بأداء نصاب

(١) الكوالم : جمع الكالم ، وهو المتأخر من الصداق .

شهادتها العادلة استتما واستكمالا ، فإذا كان أحدُ شهدائها السلطان الأعظم ، أو من أقامه السلطان الأعظم مقامه ، وهو قَيُّوم الشريعة الذي ارتضاه الإمام لإنفاذ أحكامها عَوْضا منه وأقامه ؛ فإنَّ العمل الجارى بهذه الحضرة عند أهل كَتَب الأحكام ، وهو اللزوم اقتفاؤه ، إذا أريد ثبوت العقد الواقعة فيه هذه الشهادة واكتفاؤه ؛ أن يُشَهِد القاضى الذى تم به نصاب هذه الشهادة عليها اثنين [٧٤٦] من شهداء العدالة أنها شهادته ، ثم يؤدى عنده هذان العدلان ، ويخاطب هذا الرسم على ما مرت به شهادته ، ويُعلم للشهادة من شهد معه أداءً وقبولا ، خطابا عند غيره من القضاة مقبولا ، فإذا كان الفقه هكذا مُتَمَرِّزا ، والعمل على هذه السنة مُجَرَّرا ؛ فمن أشهده الآن قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، فلان بن فلان ، الأول من شهيدى الرسم فَوْقه ، على أن الشهادة الموضوعة فيه أولا هى شهادته التى بها أشهد ، وأنها مكتوبة بخط يده الذى منه تعود ، وأنه تحملها مسئولة منه بتحقيقا ، ويؤدى عليها مطلقا إيجابا لها وتصديقا ، فى كذا .

قال الوادى آشى ، ومن خطه أيضا :

الحمد لله .

ومما نقله الوادى
آشى عن ابن
عاصم فى الغرض
نفسه

القول الظاهر الأدله ، الدارج على ارتكاب القضاة الأجله ؛ الجارى لدينا به العمل فيما يُقبل به العقود المستقلة ، قبول خطاب الحكم العدل مطلقا ، وإن عُزِّل أو تُوَفَّى ، وخطُ القاضى المعلوم العدالة إذا ثبت أنه خطه يكفى . والقول الآخر هو الذى رجَّحه غير واحد ، وأكثرُوا عَلَى حِجَّتِهِ من الحجج والشواهد . وللخروج من الخلاف ، وصون مواعده من الاختلاف ؛ أشهد الآن قاضى الجماعة ، وقَيُّوم أحكامها المُطاعه ، فلان بن فلان ، وصل الله توفيقه ، وكافأ

تَثَبَّتْهُ فِي النَّظَرِ وَتَحْقِيقَهُ ؛ بِثُبُوتِ الرَّسْمِ فَوْقَهُ لَدَيْهِ ، وَاسْتِقْلَالَهُ عِنْدَهُ الْإِسْتِقْلَالَ الْكَافِيَ الْمُعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، لِثُبُوتِ الرَّسْمِ فَوْقَهُ ، لَصَحَّةِ الشَّهَادَةِ الْأُولَى ، وَلِإِعْلَامِهِ الْمَعْرَبِ عَنْ صَحَّةِ ثَانِيَةِ الشَّهَادَتَيْنِ هُنَالِكَ أَدَاءَ وَقَبُولًا ، فَمَا كَانَ كَذَلِكَ لِمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَضَا أَنْ يَقْبَلَهُ عَلَى ثَانِي الْقَوْلَيْنِ اتِّفَاقًا ، هُوَ الَّذِي أَشْهَدُ بِهِ الْآنَ بَرَهَانًا [٧٤٧] لِمَا ثَبَتَ لَدَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَمَصْدَقًا ؛ تَسْجِيلًا بِإِشْهَادِهِ لَصَحَّةِ عَقْدِهِ ، وَذَخِيرَةً لِلْيَوْمِ وَمَا يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَمْدَةً تَقِي الْحُكْمَ عَلَى أَوَّلِ الْإِحْتِمَالَيْنِ وَأَوَّلَاهُمَا مِنْ إِجَازَتِهِ أَوْ رَدِّهِ ؛ شَهِدَ عَلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ الْمُسَمَّى بِمَا فِيهِ عَنْهُ مِنْ ثُبُوتٍ وَتَسْجِيلٍ ، وَقَبُولٍ وَتَعْدِيلٍ ؛ وَهُوَ فِي مَجْلَسِ أَحْكَامِهِ ، وَمُظْهَرِ نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ ؛ فِي كَذَا . انْتَهَى .

قال محمد الوادي آثى رحمه الله :

هذه المسألة فوق هذا تليه ، قد صنف فيها الشيخ الفقيه القاضي الجليل سيدى الحاج أحمد بن عبد الجليل اللخمي — ممن أدركناه بغيرناطة مدرسا ونائبا عن قاضى الجماعة بها ، وأدبنا له مرارا شهادات ، وحضرنا جنازته رحمه الله — تصنيفا مفيدا ، لخص فيه المسألة ، واستظهر بالنقول ، ولم يُبَيِّقْ لِأَحَدٍ مَا يَقُولُ .

وأما من كان شاهدا في رسم ثم صادف أن صار قاضيا ، وطُوبِ بِخُطَابِهِ ، فَقَدْ نَزَلَتْ بِي هَذِهِ بِالْمُنْكَبِ ، وَأَنَا أَنْوِبُ بِهَا لِمَنْعَةِ بَعْضِ أَيَّامٍ ، لِمَغِيبِ قَاضِيهَا إِذْ ذَاكَ بِالْحَضْرَةِ ، أَوَّخِرَ شَعْبَانَ وَأَوَائِلَ رَمَضَانَ عَامَ سَبْعَةِ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَصَنَعْتُ طَرِيقَةً مُخْتَصِرَةً ، كُنْتُ تَلَقِّيْتُهَا مِنْ شَيْخِنَا ابْنِ مَنْظُورٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا طَرِيقَةُ شَيْخِهِ الْبَدَوِيِّ :

حكم الشاهد الذى
يصير قاضيا

أَشْهَدُتُ عَدْلَيْنِ عَلَى شَهَادَتِي ، وَأَدْيَا لَدَيْ بَدَلِكِ ، فَقَبِلْتُهُمَا ، وَشَهِدَا^(١) عَلَى خَطِّ

(١) فِي الْأَصُولِ : « وَشَهِدَا » .

الآخر لمغيبه بالحضرة ، وكتبت على الغائب : عرف بها عدلان لمغيبه ، وعلى شهادتي : أشهدت بها عدلين ، وأذيا لذي بذلك فقبلتهما ، وكتبت أسفله : ثبت بواجبه ، وأعلم بذلك فلان ، وفقه الله تعالى ، مسلما على من يقف عليه . [٧٤٨]

ونقلت من خط الوادي آشي المذكور ما نصه :

وينخطه دعاء
لابن الجبير

وجدت بخط سيدي وشيخي الكاتب الإمام الأعراف ، سيدي محمد بن الجبير ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه ، ما نصه :

دعاء مبارك لتفريج الأزمات

اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي ، واستوثقت بحولك وقوتك ، أرني عجائب لطفك ، وغرائب حكمتك وقدرتك ، وأني بفرج من عندك ، كما فرجت على يوسف الصديق نبيك ، يا أرحم الراحمين .

[هذا الدعاء] إن ذكره أسير أو مسجون أو مكروب ، تسعين ألف مرة ، يقول [آخر] كل ألف : يا لطيف يا لطيف يا لطيف ، بعد البسملة ، عاجله الفرج في الحين ، ونفّس الله سبحانه عنه ، انتهى .

ومن خطه أيضا رحمه الله ما نصه : من كلام بعض العلماء ، ويُنسب إلى بعض العلماء

قد يأمر بما لا يريد فلا يكون ، وقد ينهى عما أراد فيكون ، كلف العباد وأراد منهم ما علم أنهم به عاملون ، كلف بما شرع ، وجعل له عاقبة ،

وأراد ما وقع ، وقَطَعَ الارتباطَ بين المشروع والواقع ، فلا يقتضى أحدهما الآخر . انتهى .

ومن خطه أيضا [مانصه] : ومن شرح خليل لسيدى أبى القاسم بن سراج : يُحتاج إذا بيع الفدانُ وفيه زرعٌ لم يَنْبُت ، أن يقول عاقدُ الوثيقة : « وفي الأرض زرع لم يَنْبِت ، فهو المشتري بالعقد على مقتضى الشرع » ، لأنه إن لم يذكر هذا [فقد] يتنازع المتبايعان بعد ذلك : هل كان الزرع قد نبت أو لم يَنْبِت ، فيؤدى إلى اختلاف المتبايعين ، انتهى .

وبخطه نقلا
عن شرح خليل
لابن سراج

ومن خطه أيضا : وفي شرح عقيدة النسفي للفتاوى ما نصه : وفي فتاوى [قاضى خان] : أجمعوا على أنه إذا ارتشى — يعنى القاضى — لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى ، وأنه إذا أخذ القاضى القضاء بالرشوة لا يصير قاضيا ، ولو قضى لا ينفذ قضاؤه ، انتهى .

وبخطه للفتاوى
فى شرح عقيدة
النسفى

ومن خطه أيضا رحمه الله : ولبعضهم ، وكان شيخنا ابن منظور يستحسنهما غاية ، هذان البيتان :

ومن خطه
ما كتب فى
طلمس بقرناطة

لما أسرى الماء فى أذن الحصى وقف النسيم لسمع الأخبارا
فوشى به غرد نخاف فضيحة فبكى الغمام فأضحك الأنهارا

ومن خطه أيضا رحمه الله : حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد الزعيم الأفاضل ، سيدى إبراهيم العراف ، أنه حضر مرة لإنزال الطلسم

[المعروف] بفروج الرواح ، من العليّة بالقصبة القديمة من غرناطة ، بسبب البناء والإصلاح ؛ وأنه عاينه من سبعة معادن ، مكتوبا فيه :

إِيوَانُ غَرْنَاطَةِ الْفَرَاءِ مُعْتَبَرٌ طَلَسُمُهُ بُولَاةُ الْحَالِ دَوَّارٌ
وَفَارِسٌ رُوحُهُ رِيحٌ تُدَبِّرُهُ مِنَ الْجَادِ وَلَكِنْ فِيهِ أَسْرَارُ
فَسُوفَ يَبْقَى قَلِيلًا نَحْمُ تَطْرُقُهُ دَهَاءُ يَخْرُبُ مِنْهَا الْمُلْكُ وَالْدَارُ

ومن خطّه أيضا رحمه الله : أنشدنا شيخنا القاضي ابن منظور بمجلس إقرانه قائلا : إن فقيها من زُنْدَةِ كَانَ كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين :

أَرَى الْكَسَادَ بَدَا فِي صُنْعَةِ الْكَتَبَةِ مَا إِنْ يُبَاعَ بِهَا شَيْءٌ وَلَا عَتَبَةُ
تَبَيَّنَا لَصْنَعَةِ قَوْمٍ رَأْسُ مَا لِهِمْ حَبْرٌ تَبَدَّدَ فِي صَفْحَةٍ قَصَبَةٍ

ومن خطّه أيضا رحمه الله مانضه : ألفت بخط شيخ شيوخنا قاضي الجماعة ، الحافظ أبي القاسم بن سراج ، رحمه الله ، ما نضه :

تفصيل

جاءت الرواية في العُتْبِيَّة ، فيمن اشترى ثمرة على ألا يقوم بالجائحة : أن البيع صحيح ، والشَّرْطُ باطل . فلما نزل ما أراد الله به من مجيء النَّصَارَى إلى فَحْصِ غَرْنَاطَةِ ، وأفسدوا الزَّرْعَ ، غَرِمَ الْمُسْكِرُونَ الْكَرَاءَ ، لأن الجيش ليس من الجوائح التي تحط من الكرءاء ، فامتنع الناس بعد ذلك من اكترءاء الأرض ، خوفا من مجيء النصارى ، وأدى ذلك إلى خسارة على الأَحْبَاسَ ، فرأيت أن تُسَكَّرَى الأرض ، بشرط أنه إن جاء النَّصَارَى وأفسدوا ، أن يُحَطَّ الْكَرَاءُ . فاعتمدت في صحة العقْد على قياس الْعَكْسِ ، وهو أنه لا تُفْسَخُ

[٧٥٠]

ومن خطّه
لبعضهم في
صنعة الكتابة

ومن خطّه بعض
ما يشترط في
البيع

المعاملة بشرط القيام بالجانحة ، فيما لا يُشرع فيه القيام بالجانحة ، ويبقى النظر في الوفاء بالشرط في مسألة الكراء ، لما في ذلك من عموم المصلحة . انتهى .

ومن خط الوادى آشى المذكور أيضا مانضه : قال محمد بن الحداد الوادى آشى ، رحمه الله : وقعت مسألة ، وهى : رجل رهن بيد آخر دارا له ، وحوزة إياها ، وشرط المرتهن المنفعة لنفسه ، ثم إن الراهن دخل الدار وسكنها ، وعادت بيده ، واتصل الأمر كذلك إلى تمام الأمد ، وحلول الدين ، فطلب المرتهن الراهن بكراء المثل ، فظهر لى بقصورى وتقصيرى ، وجهلى المركب وعدم مقدورى ، أنه لا كراء له ، بدليل ظاهر الأقوال والروايات ، ومنها ما حكاه فى المقرّب عن ابن القاسم ، ونصه : ومن ارتهن دارا ثم أذن للراهن أن يسكنها ، أو يُكْرِيهَا ، فقد خرجت من الرهن ، وإن لم يسكن ولم يُكْرِ . ومنها ما هو مقرر معلوم أن المرتهن إذا ترك كراء الدار ولها خطبٌ وقدر ، فذهب ابن الماجشون أنه يضمن كراء مثلها ، لأنه تعمّد إبطالها ، ما لم يكن الراهن عالما ، فإنه لا يضمن حينئذ ، لأن سكوت الراهن عن ذلك رضا به .

ومن خطه بعض مسائل فى الرهن

وكان شيخنا وإمامنا قاضى الجماعة سيدي محمد بن الأزرق ، أبى الله

بركته ، وهو الذى وقعت النازلة بين يديه ؛ لا يوافق على ما ظهر لى ؛ وينازع [٧٥١] فى ذلك ، ويرى إلزام الكراء ؛ ونسيت الآن ما كان يستدل به ، واست على تحقيق بما حكم به فيها آخر الأمر ، وذلك فى عام تسعين وثمان مئة ، بيد أنه تكلم فيها مع طلبته بمجلس درسه ، وحضرت لذلك وأنا أعطاهم وأقاهم علما ، وأسوأهم فهما ، وأقاهم تحصيلًا ونبلًا ، وهلم جَرًا ؛ فأجبت بما قيّدت

هنا ، مستدلاً بما نقلته ، فلم يوافقني هو ولا غيره ، وفضلُ الله يُؤتاه من يشاء ، فقد قدَّرَ الله أنَّ بضاعتي في العلم مُزججة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
انتهى ما حضرني الآن من كلام الوادي آشي ؛ ومُقيَّداته وإفاداته وإنشاداته كثيرة جداً .

وشيخه ابن الأزرق ، المشار إليه في كلامه : هو الإمام العلامة الخطيب الحجة ، الأعرف المؤرخ ، الناظم النائر الراوية ، قاضي الجماعة بمحضرة غرناطة ، أعادها الله دار إسلام ، سيدي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ، الشهير بأبن الأزرق الغرناطي .

قال السخاوي : لازم الأستاذ إبراهيم بن أحمد بن فتوح ، مفتي غرناطة ، في النحو والأصليين والمنطق ، بحيث إنه كان جُلَّ انتفاعه به ، وحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السرُّقسطي ، العالم الزاهد مفتيها أيضاً في الفقه ، ومجالس الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني ، والشهاب قاضي الجماعة أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني . انتهى .

وله تآليف عظيمة النفع ، وقفت عليها بتلمسان ، منها شرحه الحافل على مختصر خليل ، وسماه شفاء الغليل ، وقد توارد مع ابن غازي على هذه التسمية ، فإله أعلم بالسابق منهما إليها .

على أني أعتقد أن كل واحد منهما لم يسمع بتسمية الآخر . وقد كان مولانا العمُّ ، سقى الله ثراه ، يقول : لعلَّ تسمية ابن الأزرق شفاء الغليل « بالعين » . قلت : ويُبعمده أني رأيت الخطبة بخط تلميذه الوادي آشي ، السابق أنفا :

[٧٥٢]

ترجمة
ابن الأزرق

تأليفه

الغليل « بالغين » ، ومثله بخط عم أئبنا الفقيه العلامة ، آية الله في معرفة الأحكام ، سيدى محمد المقرئ رحمه الله .

وهذا الشرح لم يؤلف على مختصر خليل مثله : إقناعا ونقلًا وفهما ، وقد رأيت منه نحو الثلاثة أسفار^(١) ، ولا أدري هل^(١) أنه أم لا ؟ وتماه يكون في نحو العشرين سفرًا ، وقد كتبت بتلسمان خطبته في كراسة ، وقد أنى فيها بالعجب العجائب ، وهى أدل دليل على غزارة علمه ، واتساعه في الفروع والأصول . رحمه الله تعالى .

ومن جملة تأليفه : روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ؛ غاية في بابه ، سفر ضخيم ، فيه فوائد وحكايات . وكتاب بدائع السلك ، في طبائع الملوك ؛ كتاب بديع في موضوعه ، انحصر فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون ، المسمى بكتاب العبر ، وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة ، وهو في سفر ضخيم ، وقد نقل عنه صاحب المعيار ، أعنى عن ابن الأزرقي ، وأظن أنه نقل عنه في الجامع الذى ختم به المعيار .

وقد ارتحل رحمه الله إلى تلمسان ، عند غلبة العدو الكافر على [هضم ما بقى بيد المسلمين من] بلاد الأندلس ، ثم ارتحل منها إلى المشرق ، ولم أقف على وقت وفاته ، إلا أنه كان ارتحاله لتلمسان بعد التسعين وثمان مئة بلا شك ، وغالب ظنى أن ذلك فى أواخر العشرة التى كملت بها تسع مئة سنة للهجرة النبوية ، والله أعلم . ولم أتحقق الآن هل^(١) دخلها ، أعنى تلمسان ، بعد أخذ [٧٥٣] غرناطة أو قبله ، وقد قدّمنا أول هذا الموضوع وقت أخذها .

ومن شعره رحمه الله عند نزول طاغية النصارى دمرهم الله بمرج غزناطة ،
أعادها الله للإسلام ، بحاج النبي عليه الصلاة والسلام :

مَشُوقٌ بِخَيَّاتِ الْأَحَبَّةِ مُوَلِّعٌ تَذَكَّرُهُ نَجْدٌ وَتَغْرِيبُهُ لَمَلِّعٌ
مَوَاضِعُكُمْ يَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَمْ يَبْقَ لِلشُّلُوفِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعٌ
وَمَنْ لِي بِقَلْبٍ تَلْتَطِئُ فِيهِ زَفْرَةٌ وَمَنْ لِي بِحُفْنٍ تَنْهَمِي مِنْهُ أَدْمُعٌ
رُؤْيَاكَ فَارْقُبْ لِلطَّائِفِ مَوْعِدًا ^(١) وَخَلَّ الَّذِي مِنْ شَرِّهِ يُتَوَقَّعُ
وَصَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ خَيْرُ تَمِيمَةٍ ^(٢) وَيَا فُوزَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلصَّبْرِ يَرْجِعُ
وَبَتْ وَاتَّقَا بِاللُّطْفِ مِنْ خَيْرِ رَاحِمٍ فَأَلْطَافُهُ مِنْ لَمَحَةِ الْعَيْنِ أَسْرَعُ
وَإِنْ جَلَّ خُطْبٌ فَانْتَظِرْ فَرَجًا لَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ فِي غَدٍ عَنْكَ يُرْفَعُ
وَكَنْ رَاجِعًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُ

ومنه قوله عند وفاة والدته رحمه الله تعالى :

تَقُولُ لِي وَدُمُوعُ الْعَيْنِ وَكَفَّةٌ مَا أَفْطَحَ الْبَيْنَ وَالتَّرْحَالَ يَا وَلَدِي
فَقُلْتُ أَيْنَ السُّرَى قَالَتْ لِرَحْمَةٍ مَنْ قَدْ عَزَّ فِي الْمَلَكِ لَمْ يُؤْلَدْ وَلَمْ يَلِدْ

ومن بارع نظمه ، رحمه الله ، قوله في المحبّات :

وَرُبَّ مُحِبُّوبَةٍ تَبَدَّدَتْ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ فِي حِلَاهَا
فَاعْجَبْ لِحَالِ الْأَنَامِ : مَنْ قَدْ أَحَبَّهَا مِنْهُمْ قَلَاهَا

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة مدح بها شيخه الإمام العلامة الجليل

(١) كذا في ص . وفي ط ونفح الطيب : « موضعا » .

(٢) في ص : « غنيمة » .

شعر له في
الاعتداد بالصبر
عند الشدائد

وله عند وفاة
والدته

وله في المحبّات

وله في مدح
شيخه أبي
يحيى بن عاصم

أبا يحيى [بن عاصم] ، وهى من غرر النظام ، وحُرِّ الكلام ، وأثبتها لغرابتها :

خَصَّمتْ لِمَعْطِفِهِ الْغُصُونُ الْمَيْسُ وَرنا فهام بِمَقْلَتِهِ التَّرْجِسُ
ذو مَبْسَمِ زَهْرِ الرُّبَا فِي كَسْبِهِ مَتَنافِسٌ عَنْ طِيبِهِ مُتَنَفِّسٌ
وَمُورَدٍ مِنْ وَرْدِهِ أَوْ نَارِهِ يَتَنَمُّ الْقَلْبُ الْعَمِيدُ وَيَبْأَسُ
فَالْوَرْدُ فِيهِ مِنْ دَمُوعِي يَرْتَوِي وَالنَّارُ فِيهِ مِنْ ضُلُوعِي تَقْبِسُ
كَمَلْتُ مُحَاسِنَهُ فَقَدْ نَاصِرُ وَلَوَاحِظٌ نَجَلٌ وَثَقَرُ الْفَسُ
صَعْبُ التَّعْطِفِ بِالْغَرَامِ حَبِيبَتُهُ فَالْحُبُّ يَحْيِي وَالتَّعْطِفُ يَحْبِسُ
غَرَسَ التَّشَوُّقَ ثُمَّ اغْرَى الْوَجْدَ بِي فَالْوَجْدُ يُغْرِى وَالتَّشَوُّقُ يَغْرِسُ
مَا كُنْتُ أَشَقَى لَوْ حَلَبْتُ بِجَنَّةٍ مِنْ وَضْلِهِ تَحْيَا لَيْبِهَا الْأَنْفُسُ
الْحَاطِظُهُ وَرَضَابُهُ وَعِــــــذَارُهُ حُورٌ بِهَا أَوْ كَوْرٌ أَوْ سُندُسُ
وَلِيَا لِي أَنْسٍ قَدْ أَمَنْتُ بِهِنَ مِنْ وَاشٍ يَنْمُ وَمِنْ رَقِيبٍ يَخْرُسُ
أَطْلَعْتُ شَمْسَ الرِّاحِ فِيهَا فَاهْتَدَى عَاشَ إِلَيْنَا فِي الثَّجَى وَمُغْلَسُ
صَفراءَ كَالْعَقِيَانِ فِي الْأَلْوَانِ لِلنَّـ ذِمَانٍ كَالشَّهْبَانِ مِنْهَا أَكْوَسُ
صُبَّتْ شَقِيقًا فَاسْتَحَالَتْ نَرْجِسًا فِي زَجِهَا فَمُورَدٌ وَمُورَسُ
وَحَبَابُهَا يُقْنَى بِأَسْنَى جَوْهَرٍ أَنْقَى لَغَمِّ الْمُعْدِمِينَ وَأَنْفَسُ
يَجْلِي بِهَا لِلغَمِّ مِنْهَا حِنْدِسًا قَرَّ عَلَيْهِ مِنَ النَّوَابَةِ حِنْدِسُ
حَتَّى إِذَا عَمِشَتْ مِرَاةَ الْبَدْرِ مِنْ صَبِيحٍ بَدَا تَلْقَاءُهُ يَتَنَفَّسُ
نَادَيْتُهُ وَسَنَى الصَّبَاحَ مُحْضِصُ يَنْجَابُ عَنْهُ مِنَ الظَّلَامِ مُعْشَسُ^(١)
يَا مُطْلِعَ الْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى وَمُشْعِشَ الصَّهْبَاءِ نَارًا تُلَعَسُ
بِكَ مَجْلِسُ الْأَنْسِ اطمأنَّ وَابْنُ عَا صَمٍ اطمأنَّ مِنَ الرِّيَاسَةِ مَجْلَسُ

(١) محصص : ظاهر . ومعشس : مظلم .

بدرٌ بأنوار الهدى مُتَطَلِّعٌ
 حامى فلم ترتعْ لخطب يعترى
 شيمٌ مهذبةٌ وعلم راسخٌ
 لو كان شخصاً ذكره لبدأ على
 ذاكم أبو يحيى به تحمى الملا
 بدت على عمده الفخار مطنَّبٌ
 خيمٌ وغرسٌ فى حماه فكم حوى
 إنا لنغدو هيمًا فينبيلنا
 حتى أقمنا والأمانى مُنْهَضًا
 لم ندر قبيل يراعه وبنانه
 هنَّ اليراعُ بها يؤمِّن خائفٌ
 مهما انبرت فهي السهام يرمى لها
 تشفى بأمليه التشكى المعترى
 فتقصُّ حين تُشقُّ منها ألسن
 من كل وشاء بأسرار النهى
 قد جمَّع الأضداد فى حرَّكاته
 عطشانٌ ذو رِيٍّ يبيسُ مُثْمِرٌ
 لله من تلك اليراع جواذبٌ
 رُضْنَا شماس القول فى أوصافها
 وإليكمَا خللاً تناسب نسجها
 واهناً بعيد باسم مهتالٍ

غيثٌ بأشبات الندى مُتَبَجِّسٌ
 ووفى فلم نحفل بدهر ينحس
 ومكارم هُتَن ومجد أقعس
 أعطافه من كلِّ حمد ملبس
 وبه خلال الفخر طرًّا تُحرس
 نجد على متن السماك مؤسَس
 فيه المرادُ مُحجَّم ومعرَّس
 رِيًّا ويوحشنا النوى فيؤنس
 تً وابتسمنا والزمان مُعْبَس
 أن الذوايل بالغمام تُحبس
 ويحاط مدغور ويغنى مفلس
 وقع لأغراض البيان مُقرَّطس
 تحيى بآمنه الحيام المؤيس
 وتسير حين تقط منها أروُس
 دربٍ بإظهار السرائر يهجس
 فلذا اطراد فخاره لا يُعكس
 غضبانٌ ذو صفح فصيحٍ أخرس
 للسحر منك كأنها المغنيطس
 فهي التى راضت لنا ما يشمس
 مثلى يفصلها ومثلك يلبس
 وافاك يجهرُ بالسُرور ويهمس

واحبس لواء الفخر موقوفا فإب الحمد موقوف عليك محبس

تعليق المؤلف

وبعد أن كتبت هذه القصيدة ، حدث لي شك : هل هي من نظم القاضي أبي عبد الله بن الأزرق [المذكور ، أو من نظم ابن الأزرق] الآخر ، الذي جرى ذكره في روضة الأعلام ، وأنشد له مما يكتب في سيف قوله :

إِنْ عَمَّتِ الْأَفُقُ مِنْ نَقْعِ الْوَعْيِ سَحْبٌ فِشْمٌ بِهَا بَارِقًا مِنْ لَمَعِ إِيْمَاضِ
وإن نوت حركات النصر أرض عدى فليس للفتح إلا فَعْلٌ إِلَى الْمَاضِ

قلت : ولقد صدق رحمه الله في كل ما وصف به قلم الرئيس أبي يحيى بن عاصم ، [الذي تحلت] بجواهره لدولة بني نصر نحو ومعاصم ، فإنه كان آية الله في النظم والنثر ، وقد تقدم في هذا الموضوع بعض كلامه ، وهو قُلْتُ مِنْ كُثْرٍ ؛ ولولا أني أطلت الذبجة في هذا الباب ، لأتيت بما حصل عندي من كلامه الذي يسحر الألباب ؛ وقد أخذ من الفقه ومعرفة الأحكام بحظٍّ بَذَّ فيه نظرائه ، وانفرد في عصره بطريق الأدب ، فكان كلُّ أنداده لا يدركه بل يسير وراءه ، حتى قال [٧٥٦] الوادي آثى : إن ابن عاصم أبا يحيى ، هو ابن الخطيب الثاني ، [على] أن الدولة النصرانية في زمانه وَهَتْ منها المباني ؛ ومع ذلك فكان رحمه الله يجبر [صدع] الواقع ، ثم اتسع بعده الخرق على الراقع ؛ وقد ألمنا فيما سلف من هذا الكتاب بالتعريف به ، وذكرنا جملة من كلامه ، فراجع ذلك فيما تقدم .

وله يخاطب
شيخه ابن سراج

ومن بدیع نظمه رحمه الله قوله قاصدا مخاطبة شيخه الحافظ ، قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج ، وقد طلب منه الاجتماع به زمان فتنة ، فظن أنه يستخبره عن سر من أسرار السلطان ، فباعده معتذرا ، ولم يصدق الظن :

فديتك لا تسأل عن السرِّ كاتباً فتلقاه في حال من الرشد عاطل
وتضطره إماماً لحالة خائن أمانته أو خائض في الأباطل
فلا فرق عندي بين قاض وكاتب وشي ذا بحق أو قضى ذا بباطل

[عود إلى الرد على يتي الزمخشري]

ولنرجع إلى ما كنا فيه ، من ذكر الرد على البيهقي الذين أنشد الزمخشري ،
فنقول :

ومن ذلك قول الإمام ابن عاصم ، حسبنا نقله عنه العبدري رحمه الله :
قل للذي سمى الهداة أولى النهى محمراً لأن سلب الهدى والمعرفة
فعدا يرجح الاعتزال جهالة ويروقه زور وشاه وزخرفة
الحق أبلغ وأصح لكنه يمشي عيون أولى الضلالة والسفه
إخساً فقولك طامح كهباءة طاحت بها هوج الرياح المعضفة
سوغت ذم جماعة سنئية قد أحرزوا من كل فضل أشرفه
قطفوا أزهار كل علم نافع وأتوا بكل بدعية مستطرفة
قوم هم قعوا الضلال وحزبه بمعاول حكمت المواضي المرهفة
هم شيعة الحق الذي ما بعده إلا مهاو في الضلالة متلفه
آراؤهم يجلو البصائر نورها ويميط أدواء القلوب المدنفه
أقصر فإب شقاقهم كُفر فلا تدع الرشاد لعصبة متعسفة
من شد عن سنن الجماعة قد غوى جاءت بذا الكتب الصحاح معروفة

[٧٥٧]

ولأبي حفص
ابن عمر

قال العبدريُّ وقد نَظَمَ في مثل هذا القاضى أبو حفص بن عمر ، فقال :
أَجَعَلْتُمْ الْعُلَمَاءَ حُمْرًا مُوَكَّفَةً هذا لأنكم أولو تلك الصِّفَةِ
أَجْهَلْتُمْ صِفَةَ الْإِلَهِ وَفَعَلَهُ ونسبتموه لغيره بالرَّخْرِفَةِ
وَأَرَدْتُمْ تَنْزِيهِهُ فَوَقَعْتُمْ في الشَّرِّكِ وَالْإِلْحَادِ وَالْأَمْرِ السَّفَةِ
خَالَفْتُمْ سُنَنَ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وتبعتم في الزَّيْغِ أَهْلَ الْفَلَسَفَةِ
انتهى .

ولأبراهيم بن
هلال

وممن سَلَكَ هذا السَّبِيلَ في الرد على هذين البيتين الْمُتَقَلِّصِي الظلال ،
الشيخ الإمام العالم النَّظَّار المتبحر ، سيدى إبراهيم بن هلال ، فقال :
عَجِبًا لِقَوْمٍ عَادَيْنَ عَنِ الْهُدَى وَدَعَوْا أَوَّلَى الْحَقِّ الْحَمِيرَ الْمُوَكَّفَةَ
وَتَلَقَّبُوا عَدْلِيَّةً لَمَّا رَأَوْا بِمَقَالَةٍ شَنْعَاءَ رَأَى الْفَلَسَفَةَ
مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ عَمَى لِبَصِيرَةٍ وَهَوَى هَوَا مِنْ أَجَلِهِ فِي مَتَانَةٍ
وَأَتَوْا بِمَا دَانَ الْجَوْسُ وَإِنِّهُمْ حَقًّا بِجَوْسِ الْأُمَّةِ الْمُتَشَرِّفَةِ
هَذَا وَكَمْ مِنْ بَدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ مِنْ رَدِّ حَقِّ بِالْحَالِ وَالسَّفَةِ
رَدُّوا الْقُرْآنَ وَمَا تَوَاتَرَ نَقْلُهُ مِنْ رُؤْيَا الْبَارِى وَهُمْ نَفَوْا الصِّفَةَ
فَالْعَدْلُ مَعَ هَذِي الْخَازِي مُنْتَبِ وَالْجَوْرُ مَعَهَا مُنْتَبِتٌ وَالسَّفَسَةُ (١)

ولقاضى الجماعة الفقيه العلامة المفسر ، الدَّرَاكَةُ الْبَيِّنَاتِي ، سيدى الرئيس

(١) إلى هنا ينتهى الموجود من هذه الروضة الثالثة في نسخة س . وقد سقطت بقيتها
وبعض من الروضة الرابعة ، وأول الموجود منها قوله :
« ومنه اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تنجيننا بها من
جميع الأهوال والآفات ... » الخ .

[٧٥٨] أبى القاسم بن أبى النعمان قاضى حضرة فاس الحوطة بالله ، فى هذا التاريخ ،
أبقى الله جلالة :

فيه مجوسية بشرك كفرت وصلاح إيجاب ونفى للصفة
وبرؤية البارى تحلى غيهم فى نفىها وتستروا بالفلسفه

وأشددنى الفقيه الأديب الحاج الرجال الحسيب الأصيل ، سيدى على بن أحمد
الشامى الخزرجى ، حفظه الله لنفسه ، سالكا ستن هؤلاء الأعلام ، ومتشبثا
بأذيال حزبهم ، و متمسكا بوثقى عروتهم الشئمة وقربهم ، وكتب لى ذلك
بخطه أيضا ، حفظه الله تعالى آمين :

يا من أقام على الضلالة معكفنه ولوى عن الحق الجلى واستنكفنه
لابد من يوم به تنهل من رب العباد مواهب مستو كفه
ويرى به رب العلا رغما على أنف العداة العائين البلكفه
وتقول إذ تمسى طريدا لىنى أمسيت فيه مع الحير الموكفه

وقد آن لنا أن نمسك عنان القلم الذي جمع ، فقد طال بنا الكلام
 في هذه الترجمة ، ومن نظر ما أوردناه بعين الرضا ولمح ، التمس لنا
 أحسن الأعذار وأغضى وسمح ؛ والحديث ذو شجون ، كما قيل في
 الأمثال ، وربما تكثر المناسبات وتنشال ؛ ومقصودنا الفائدة ، وهذه
 الأشياء المجلوبة بها غايه ؛ والله يوفقنا إلى عمل يرضى به عنا ، ويدفع
 كل خطب أتعب وعسى يقبل منا ، ويعاملنا بمحض كرمه تطوُّلا
 ومنا ؛ فليس لنا ربّ سواه ، لا إله إلا هو .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا ؛
 ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا .

اتمهي الجزء الثالث من كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض

ويتلوه الجزء الرابع ، وأوله :

روضة المنشور

فبما ر من منظوم ومنثور

فهرس الأعلام

(١)

٨٨، ٦٣، ٦٢، ٥٩، ١٧، ١٦
 ابن بقوة = أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام
 ابن بقوى = أبو الوليد هشام بن أحمد بن
 هشام الهلالي
 ابن البناء = أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي
 ابن جابر الوادي آشي : ١٢، ١٤، ١٨
 ابن جوشن = أبو محمد بن جوشن
 ابن الجياب : ١٩٦
 ابن الحاج = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
 خلف التجيبي
 ابن الحاجب : ٢٣
 ابن الحجام = أبو محمد عبد الله بن محمد بن
 أحمد الواعظ
 ابن حجر العسقلاني : ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٥٧
 ابن حجر الهيتمي : ٥٧
 ابن حزم : ٧٧
 ابن الحصار = خلف بن إبراهيم بن خلف
 ابن سعيد
 ابن حدين : ٨
 ابن الحموي : ٥١
 ابن حيون بن سكره = أبو علي الصديقي
 حسين بن محمد
 ابن خاتمه : ٨، ٢٠، ٥٤
 ابن خاقان، الفتح بن عبيد الله : ١٩، ٩٤،
 ١٠٣
 ابن الحجاز : ٤١، ٥١
 ابن الحناز النحوي : ٧٦
 ابن الخطيب : ٦٨
 ابن الخطيب القسنطيني : ٣٨
 ابن خفيف : ٨٠

الآبلي : ٣٧
 الآبلي المصري : ٦٦، ٧٨
 آدم عليه السلام : ٢٥١
 ابراهيم (الخليل عليه السلام) : ١٤٧، ٢٤٤
 إبراهيم بن أحمد بن فتوح : ٣١٧
 ابراهيم سلمه : ١٦٩
 إبراهيم الدراف : ٣١٤
 إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٥٨
 ابراهيم بن يوسف بن تاشقين : ١١، ١٥٣
 ابن آزر = إبراهيم (الخليل عليه السلام)
 ابن الأبار = أبو عبد الله بن الأبار محمد بن
 عبد الله القضاعي
 ابن أبي أحد عشر = عبد الله بن أبي
 أحد عشر
 ابن أبي الحسين : ٢٠٦
 ابن أبي دواد : ٨٠، ٩٢
 ابن أبي الربيع : ٢٧
 ابن أبي رندفة = أبو بكر محمد بن الوليد
 الطرطوشي
 ابن أبي وقاص = سعد بن أبي وقاص
 ابن الأحمر : ١٩٥، ١٩٨
 ابن الأذقر : ١٠
 ابن الأزرق = أبو عبد الله محمد بن علي
 ابن محمد
 ابن الإمام التلمساني = أبو موسى عيسى
 ابن أويس (صاحب بغداد) : ٤٢
 ابن البردعي = محمد بن البردعي
 ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك :

- ابن خلدون : ٢٥٠ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ،
٢٩٦ — ٢٩٨
ابن خلكان : ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،
ابن داود الأندلسي : ٣٧ ، ٣٨
ابن دريد : ١٧٤
ابن دقيق العيد : ٥٧
ابن رزين : ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٨
ابن رشد = أبو الوليد محمد بن رشد
ابن رشيد الفهرى : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ،
٢٩ ، ١٧٢
ابن رضوان = أبو القاسم بن رضوان
ابن الرومي على بن العباس : ٩١
ابن الزبير = أبو جعفر أحمد بن إبراهيم
ابن الزبير
ابن زيتون القاسم بن أبي بكر : ٢٦
ابن السمعاني : ١٥٩
ابن شبرين : ١٠ ، ١٥٨
ابن شريح : ٥٧
ابن شيرين = يعقوب بن شيرين الجندی
ابن سُمَدي : ١٣٦
ابن الشقي = أبو عمر عثمان بن سفيان
ابن شُمَاح : ٩٧
ابن صارة الشنتريني : ٨٨
ابن الصباغ العقيلي : ١٩٤
ابن صوحان = صعصعة بن صوحان
ابن طاهر = عبد الله بن طاهر بن الحسين
ابن طلحة = أبو العباس العشاب أحمد بن
محمد المرادي
ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم
ابن عباس : ٧٢ ، ٧٣ ، ١٦٨ ، ١٩٦
ابن عبد الدائم : ٤١
ابن عبد السلام : ٢٦ ، ٢٨
ابن عتاب : ٨
ابن عثمان (صاحب التركية) : ٥١
ابن عجيل : ٤٢
ابن عربي = يحيى الدين بن عربي
ابن العربي = أبو بكر بن العربي
ابن عرفة محمد بن محمد بن عرفة : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٧٦
ابن عوف = عبد الرحمن بن عوف
ابن عمار (الوزير) : ١٠٩ ، ١٧٤
ابن غازي = أبو عبد الله بن غازي
ابن فارس : ٤
ابن فرحون : ٢٢
ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد : ١١ ،
١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠
ابن قطبة (الفقيه) : ١٩٦
ابن قنفذ : ١٧٠
ابن القيم : ٤١ ، ٥١
ابن لامك = نوح عليه السلام
ابن المأموني محمد بن حجاج : ١٥٤ ، ١٥٥
ابن المؤدب : ٧٨ ، ٧٩
ابن مجاهد = أبو بكر بن مجاهد
ابن المرباط : ٨٥ ، ١٧٣
ابن مردنيش : ٢٠٥
ابن مرزوق الخطيب : ٧٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥
ابن مسعود (رضي الله عنه) : ٣٨
ابن مسلمة = أبو هشام محمد بن مسلمة
ابن المسيب = أبو محمد سعيد بن المسيب
ابن نباتة : ٥٢
ابن منظور : ٢١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥
ابن النجار = محب الدين محمد بن محمود
ابن النجار
ابن النخاس = خلف بن إبراهيم بن خلف
ابن سعيد
ابن هاجر = اسماعيل عليه السلام
ابن هشام : ٤١

أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري : ٢٧
 أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي : ٦٢ ،
 ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
 ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨
 أبو بكر المرادي = أبو بكر محمد بن الحسن
 المرادي
 أبو بكر بن مسعود الحشني : ١٥
 أبو جعفر = ابن خاتمة
 أبو جعفر = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
 أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير : ١٤ ،
 ١٦ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧١
 أبو جعفر بن زرق : ٦٠ ، ٦١
 أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء
 اللخمي : ١٠ ، ٢٠
 أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد : ٢٦٢
 أبو جعفر بن الباذش : ٦٤ ، ١٥١ ، ١٥٣
 أبو جعفر بن بشتغير : ١٠
 أبو جعفر بن الزبير = أبو جعفر أحمد بن
 إبراهيم بن الزبير
 أبو جعفر العقيلي : ٧٣
 أبو جعفر بن المرخي = أحمد بن محمد بن
 عبد العزيز اللخمي
 أبو حامد الغزالي الطوسي : ٦٢ ، ٩١
 أبو الحجاج يوسف : ١٦١
 أبو الحسن = علي بن أبي طالب
 أبو الحسن = علي بن محمد بن عبد الحق
 الزرويلي
 أبو الحسن بن أبي نصر : ٥٤
 أبو الحسن أحمد بن أحمد : ١٥
 أبو الحسن بن الأخضر : ١٤١
 أبو الحسن الأشعري : ٨٠ ، ٨٥
 أبو الحسن بن الباذش : ١٥
 أبو الحسن حازم بن محمد : ١٧١ ، ١٧٢ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠٤

ابن يعقوب = يوسف بن يعقوب عليه السلام
 ابن يونس : ٢٩
 الأبهري = أبو بكر محمد بن عبد الله بن
 صالح الأبهري
 الأبي = أبو عبد الله الأبي .
 أبو أحمد الجاني : ١٦٣
 أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه : ١٥٧
 أبو إسحاق بن الحاج النخعي : ١٩٥ ، ٢٠٢
 أبو إسحاق الجبال : ١٥٢
 أبو إسحاق الشيرازي : ٣٨ ، ٤٩
 أبو إسحاق بن الفاسي : ٨
 أبو إسحاق النصيبي : ٨١
 أبو إسماعيل يعقوب = يعقوب بن شرين الجندی
 أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي : ٨ ، ١٦٠
 أبو بكر = أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي
 أبو بكر = عبد الله بن طلحة الياصري
 أبو بكر = محي الدين بن عربي
 أبو بكر الشاشي : ٦٢ ، ١٥٢ ، ١٦٣
 أبو بكر الصديقي : ٣٩ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٢٥٢ ،
 ٢٩٣
 أبو بكر بن طلحة الياصري = عبد الله بن
 طلحة الياصري
 أبو بكر بن الطيب الباقلائي = أبو بكر محمد
 ابن الطيب الباقلائي
 أبو بكر بن العربي : ١٥ ، ٢١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ،
 ١٥٤ ، ١٥٨
 أبو بكر بن عطية : ٩٩
 أبو بكر بن عمر : ١٦١
 أبو بكر بن مجاهد : ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦
 أبو بكر محمد بن الحسن المرادي : ١٦١
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي : ٥٧ ، ٧٨ ،
 ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
 ٨٥ ، ٨٦

أبو زكريا يحيى بن على التبريزى : ١٦٧
 أبو زيان محمد : ١٩٨
 أبو زيد = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
 أبو زيد بن أبي عبد الله بن حفص : ٢٠٥
 أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى : ٢٤
 ٣٦ ، ٢٩
 أبو زيد عبد الرحمن الغرناطى = ابن القصير
 عبد الرحمن بن أحمد
 أبو زيد عبد الرحمن بن القصير = ابن القصير
 عبد الرحمن بن أحمد
 أبو زيد بن منتاك : ١٠
 أبو سعد الشفانى : ٢٩٥
 أبو سعيد الحدرى : ٣١٣ ، ٧١
 أبو سعيد بن لب : ٣٨
 أبو شاكر القبرى : ١٤٩
 أبو طالب بن عبد المطلب : ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥
 أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد : ١٦٢ ، ٥٤
 ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥
 أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى : ١٦٩
 أبو العاصم حكيم بن محمد الجذامى : ١٤٩ ، ١٥٠
 أبو عامر = عبد الرحمن بن عبيد الله بن
 ذى النون .
 أبو عامر محمد بن أحمد بن اسماعيل الطليطلى :
 ١٥٩
 أبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازى : ١٥٢
 أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عجلان
 القيسى : ٧٦
 أبو العباس أحمد بن عمر العسدرى : ٦٠ ،
 ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٥٦
 أبو العباس أحمد بن محمد بن عبيد الرحمن
 الأنصارى : ١٥٧
 أبو العباس أحمد بن يحيى الوائسرى : ٣٦
 ٣٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١

أبو الحسن بن الحسن النباهى = أبو الحسن
 على بن عبد الله بن الحسن البهاى
 أبو الحسن بن درى : ١٥
 أبو الحسن راشد بن عريب : ١١٣ ، ١٣٢
 أبو الحسن الشامى : ٢٣٧
 أبو الحسن الصغير : ٣٦
 أبو الحسن على (السلطان) : ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢
 أبو الحسن على بن الحسين الخلقى : ٢٥١
 أبو الحسن على بن حمزة بن وهاس : ٢٨٩
 أبو الحسن على بن السالار : ١٦٧
 أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن النباهى :
 ١٧ ، ٦٤
 أبو الحسن على بن مشرف : ١٦٠
 أبو الحسن على بن المظفر التيسابورى : ٢٩٥
 أبو الحسن على الهراسى : ١٦٧
 أبو الحسن عيسى بن حبيب : ١٥٦
 أبو الحسن اللخمى : ١٦٦
 أبو الحسن يونس بن مغيث : ٨ ، ١٥ ،
 ١٥٠
 أبو الحسن بن موهب : ١٥
 أبو الحسين سراج بن عبد الملك : ٨ ، ١٦
 أبو الحسين بن عيسى : ٢١٩
 أبو الحسين بن مبارك : ١٥٢
 أبو حفص المستنصر = المستنصر بالله بن أبي
 زكرياء الحفصى
 أبو الحكم بن الحجاج : ٨٨
 أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٦٣
 أبو حنيفة رضى الله عنه : ٢١٩
 أبو حيان . ٨٥ ، ٧٧ ، ١٧٢
 أبو رافع (مولى الرسول) : ٧٢
 أبو الربيع بن سالم الكلاعى : ٢٢٦
 أبو الربيع سليمان بن حزم السبائى : ١٥٠
 أبو زكرياء = يحيى بن عبد الواحد بن
 أبي حفص

أبو عبد الله بن عبد الرحيم : ١٥٣
 أبو عبد الله العربي : ٣٠٩
 أبو عبد الله بن عرفة = ابن عرفة محمد بن
 محمد بن عرفة
 أبو عبد الله العكرمي : ٨٥
 أبو عبد الله بن عياض : ٧
 أبو عبد الله بن غاري : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ،
 ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩
 ٣١٧
 أبو عبد الله الغوري : ٧٨
 أبو عبد الله بن الفرج : ١٥٣
 أبو عبد الله الكبير : ٧٦ ، ٨٥
 أبو عبد الله المازري محمد بن علي : ١٦٥ ،
 ١٦٦
 أبو عبد الله بن مجاهد الأشبيلي : ٦٣ ، ٧٩
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف العجبي :
 ٦١ ، ٦٢ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٥٨ ، ٢٦١
 أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني :
 ٢٤ ، ٢٧
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي : ٦٥ ،
 ٦٦
 أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آثي :
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٧
 أبو عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني =
 أبو عبد الله الأب
 أبو عبد الله محمد بن سعدون القروي :
 ١٥١ ، ١٥٥
 أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار : ١٦٧
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد
 الأشقري : ١٥٩
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين :
 ١٥٥
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار : ٦٣
 أبو عبد الله محمد بن عتاب : ١٤٩

٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٧
 أبو العباس الجرجاني : ١٥١
 أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح : ٢٠٣
 أبو العباس العنزي :
 أبو العباس العشاب أحمد بن محمد المرادي :
 ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦
 أبو العباس النسائي : ٢٠٥
 أبو العباس بن العزاز : ٧٦
 أبو العباس القباب : ٣٥ ، ٣٧
 أبو العباس المراكشي = أحمد بن محمد بن
 عثمان الأزدي
 أبو عبد الله (ابن أخي عياض) : ١٠
 أبو عبد الله = ابن رشيد الفهرى
 أبو عبد الله = المستنصر بالله الحفصى
 أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله الفضاعي :
 ٥٥ ، ١٥٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦
 أبو عبد الله الأبي : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٥
 أبو عبد الله بن أبي أحمد عشر : ٧٣
 أبو عبد الله بن أبي الخصال : ١٥ ، ١٣٣
 أبو عبد الله البغدادي : ٧٩
 أبو عبد الله التميمي محمد بن عيسى : ١٥٩
 أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري : ١٥١
 أبو عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن : ٢٠٥
 أبو عبد الله بن حمد بن التغلي : ٩٥ ، ١٥٨
 أبو عبد الله الحميدي : ١٥٢
 أبو عبد الله السطلي : ٢٨
 أبو عبد الله بن شبرين : ١٥٦
 أبو عبد الله الشران : ٣٠٤
 أبو عبد الله بن الشريف = أبو عبد محمد
 ابن أحمد الشريف التلمساني
 أبو عبد الله الصغير : ٩١
 أبو عبد الله الطائي = محمد بن أحمد بن محمد
 ابن يوب بن مجاهد

- أبو عمرو الداني : ٨٥
أبو عنان فارس : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩
أبو عيسى الترمذى : ١٥٢
أبو عيسى بن ليون : ١٣٠ ، ١٤٦
أبو عيسى موسى : ٢٦ ، ٢٧
أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى : ١٥٣
أبو الفرج سهل بن بشر الأسفرائنى : ١٥٢
أبو الفرج عبد الله بن أحمد البغى : ٣١٧
أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون : ١٥٢
أبو الفضل قاسم العقبانى = قاسم بن سعيد ابن محمد
أبو الفوارس طراد بن محمد الزينى : ١٥٢
أبو القاسم = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو القاسم = محمد النبى صلى الله عليه وسلم
أبو القاسم (الخطيب) : ٨
أبو القاسم بن أبى الوليد الباجى : ١٥٦
أبو القاسم بن أبى الوليد بن رشد : ٦٠
أبو القاسم بن أحمد البرزلى : ٢٥
أبو القاسم بن بلى : ٨ ، ١٥
أبو القاسم بن البراء : ٧٦
أبو القاسم بن بشكوال : ١٥٤ ، ١٥٥
أبو القاسم حاتم بن محمد : ١٤٩
أبو القاسم الحرستانى : ٥٤
أبو القاسم خلف بن أحمد الجراوى : ١٥٥
أبو القاسم الخوارزمى : ٧٨
أبو القاسم خلف بن عبد الملك = ابن بشكوال
أبو القاسم خلف بن عبد الملك
أبو القاسم بن رضوان : ١٩٦
أبو القاسم بن زيتون : ٧٦
أبو القاسم بن سراج : ٣١٥ ، ٣٢٢
أبو القاسم الشريف الحسى : ١٧٤
أبو القاسم بن شعبة : ١٥١
أبو القاسم شعيب بن سعد : ١٥٢
- أبو عبد الله محمد بن على بن الأزرق : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٦
أبو عبد الله محمد بن على بن حدين : ١٦
أبو عبد الله محمد بن على بن محمد : ٣١٧
أبو عبد الله الخلوغ : ٣٠٩
أبو عبد الله محمد بن عياض : ١٧٠
أبو عبد الله محمد بن فرج : ٦٠ ، ٦١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
أبو عبد الله محمد بن مرزوق : ٢٥ ، ٣٠٠
أبو عبد محمد بن محمد السرقسطى : ٣١٧
أبو عبد الله بن مدرك الغسانى : ١٥٤
أبو عبد الله بن المرباط : ١٥١ ، ١٥٦
أبو عبد الله المستنصر : ١٧٣
أبو عبد الله المسكلاقى : ١٧٤
أبو عبد الملك بن عبد العزيز : ١٢٥
أبو عبيدة : ٢٥٥
أبو العرب = محمد بن أحمد بن تميم التميمى
أبو على الأهوازى : ٨٥
أبو على الجبانى حسين بن محمد : ٩ ، ١٤٩ ، ١٥٨
أبو على الحسن بن محمد اللخمى : ٢٢
أبو على حسين بن محمد الصدى : ٨ ، ٩
أبو على بن عبيل : ١٦ ، ١٧ ، ١٥١
أبو على بن الغسان : ١٦ ، ٦٠ ، ٦١
أبو عمر بن الحذاء القاضى : ١٤٩
أبو عمرو الداني : ٨٦
أبو عمرو بن عبد البر : ٨٥ ، ١٤٩
أبو عمرو عثمان بن سفيان : ٧٦
أبو عمرو يوسف بن عبد البر التمرى : ٦٧
أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبى تليد : ١٥٩
أبو عمرو = عثمان بن عفان
أبو عمرو الحضرمى بن عبد الرحمن : ١٥٤

- أبو محمد عبد الله بن محمد بن اسماعيل : ١٥١
أبو محمد بن عتاب الجندامي : ١٦ ، ١٦٠
أبو محمد بن الفرع : ١٤٥
أبو محمد بن عوف بن يوسف الخزاعي :
٣٠٥
أبو محمد بن منصور : ٩
أبو مروان الباجي : ١٥٦
أبو مروان حيان بن حيان : ١٦٠
أبو مروان الطنبلي : ١٤٩
أبو مروان عبد الملك بن أحمد : ١٥
أبو مروان عبد الملك بن سراج : ٦١ ، ٦٠ ،
١٤٩
أبو مروان عبد الملك بن مسرة : ٦٠
أبو مضر محمود الأصبهاني : ٢٩٥ ، ٢٩٧
أبو المطرف بن عميرة : ٢١٨
أبو المعالي محمد بن عبيد السلام الأصبهاني :
١٥٢
أبو منصور الحارثي : ٩٥
أبو موسى عيسى : ٢٤
أبو نصر : ١٣٧
أبو نصر الفتح بن عبيد = الفتح بن خاقان
أبو نعيم الحافظ : ٧٢ ، ٦٨
أبو هشام محمد بن مسلمة : ٧١ ، ٧٢
أبو الوليد الباجي : ٦٣ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ،
١٥٦ ، ١٦٢
أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي : ١٥١
أبو الوليد محمد بن رشد : ٨ ، ١٥ ، ٥٩ ،
٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٥٨
أبو الوليد هشام بن أحمد بن العواد : ٨ ، ١٦١
أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالي :
١٥٤
أبو يحيى الباجي : ٧٣
أبو يحيى الشريف = عبد الرحمن بن أحمد
الشريف
- أبو القاسم بن عساكر : ١٥٣
أبو القاسم عبد الجليل الربيعي : ١٥٦
أبو القاسم عبد الرحمن الأزدي = ابن القصير
عبد الرحمن بن أحمد
أبو القاسم القاسم بن أبي بكر = ابن زيتون
القاسم بن أبي بكر
أبو القاسم بن محرز القيرواني : ٢٢
أبو القاسم بن الملجوم : ١٥
أبو القاسم بن منظور : ١٥٦
أبو القاسم مهدي بن يوسف الوراق : ١٥٢
أبو القاسم بن النحاس : ٨
أبو القاسم بن ورد : ١٥ ، ١٥٠
أبو محمد = عبد الله بن طلحة البياضي
أبو محمد = عبد الواحد بن أبي حفص
أبو محمد بن أبي زيد : ٨٥
أبو محمد التميمي : ١٧
أبو محمد جعفر بن السراج : ١٦٧
أبو محمد بن جوشن : ١٣٩ ، ١٤٠
أبو محمد حجاج بن قاسم بن محمد الرعي =
ابن المأموني محمد بن حجاج
أبو محمد بن حزم : ١٦٢
أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي :
١٥٢
أبو محمد بن سفيان : ١٤٢
أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية : ١٥
أبو محمد بن عبد الحميد الفروي الصائغ : ١٦٦
أبو محمد عبد الله بن الأبار : ٦٣
أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر = عبد الله
ابن محمد بن عبد الله الحشني
أبو محمد عبد الله بن أحمد المدل : ١٦٠
أبو محمد عبد الله بن السيد البطيوسي :
١٠١ ، ١٠٥ ، ١٦٠
أبو محمد عبد الله العبدوسي : ٧٤ ، ٨٦ ، ٩١
أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ : ٧٦

٥١، ٥٠، ٤٩

الأشعري : ٥٧

الأفضل بن أمير الجيوش : ١٦٤

أنس بن مالك : ٣٠٥

إياس بن معاوية : ٩٢

(ب)

الباقلاني = أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني

بايزيد خان بن عثمان : ٤٢

بايزيد بن السلطان مراد : ٣٩

برد (مولى سعيد بن المسيب) : ٦٦، ٧٢، ٧٣

البرزلى : ٣٢

برغوث : ٨٤

برهان الدين الحلبي : ٥٠

بروكلان : ١٠٣

بشر بن الحسين : ٨٠، ٧٩

بشر المريسي : ٧٨

بلال بن رباح (مولى أبي بكر) : ٧٢

البلقيني : ٥٧

بنت ابن مرزوق : ٣٠٥

البهاء بن عقيل : ٤١

البياني : ٤١، ٥١

(ت)

التقى الحرازي : ٥٢

التقى السبكي : ٥١، ٤١

التقى القلقشندي : ٤١

التقى السكرماني : ٤٤

تمرلنك : ٤٤، ٤٢

التونسي = أبو القاسم بن محرز القيرواني

تيمور : ٣٩

(ث)

الثعلبي : ٧٣

أبو يحيى بن عاصم : ٣١٠، ٣٢٠، ٣٢٢

أبو يعلى المالسكي : ١٥١

أبو اليمن بن عساكر : ٢٦١

الأحذب : ٨٤، ٨٢، ٨١

أحمد = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني : ٣١٧

أحمد بن أويس (صاحب بغداد) : ٥١

أحمد بابا السوداني التنيكي : ٣٧، ٥٦، ٥٧

أحمد بن حنبل : ٧٩، ٨٠

أحمد بن سعيد بن يشتغير : ١٥٨

أحمد العبادي : ٣٠٧

أحمد بن عبد الجليل اللخمي : ٣١٢

أحمد بن عبد الرحمن المرداوي : ٤١، ٥١

أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني = أبو

الطاهر السلفي أحمد بن محمد

أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي : ١٥٧

أحمد بن محمد بن عبد الله بن غلبون : ١٥٧

أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي : ٢٣

أحمد بن محمد بن محمد بن مخلد : ١٥٧

أحمد بن محمد بن مكحول : ١٥٨

أحمد بن مطر النابلسي : ٥١

أحمد بن مظفر النابلسي : ٤١

أحمد بن موسى بن العباسي بن مجاهد =

أبو بكر بن مجاهد

أحمد الوائشريشي = أبو العباس أحمد بن

يحيى الوائشريشي

أحمد بن يحيى الوائشريشي = أبو العباس

أحمد بن يحيى الوائشريشي

أدريس عليه السلام : ٢٤٤

الاسفرائني : ٥٧

إسماعيل (عليه السلام) : ٢٤٤

إسماعيل الطوسي : ٩١

الأشرف (صاحب مصر) : ٤٢، ٥١

الأشرف إسماعيل (صاحب اليمن) : ٤٢، ٤١

(ج)

حسون بن الحاج : ١٠٢
الحسين بن عبد الأعلى السفاقي : ١٥٨
الحسين بن علي بن طريف : ١٥٨
حسين بن محمد بن أحمد القساني = أبو علي
الجبالي حسين بن محمد
الحسين بن محمد الصدقي = أبو علي حسين بن
محمد الصدقي
حسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة
= أبو علي حسين بن محمد الصدقي
حفص الفرد : ٧٨
حفصة أم المؤمنين : ٢٥٩
حكم بن محمد = أبو العاص حكم بن محمد الجندابي
حمران مولى عثمان بن عفان : ٧٢
حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : ٢١٣ ،
٢٥٦
حمل بن بدر : ٩٧

(خ)

خالد بن صفوان : ١٠٦
خالد بن الوليد رضى الله عنه : ٢١٩ ، ٢١٨
خديجة أم المؤمنين : ٢٥٨
الخزرجي : ٤٤
الخضر رضى الله عنه : ١٢٠
خلف بن إبراهيم أبو النّاسم = خلف بن
إبراهيم بن خلف بن سعيد
خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد : ١٥٨
خلف بن خلف الأنصاري بن الأقر : ١٥٨
خلف بن يوسف بن فرتون : ١٥٨
خليل المالكي : ٥٢
الخوارجي : ٢٣

(د)

دائشمند الأصغر = أبو حامد الفزالي الطوسي

جابر بن الأسود : ٧٠
جيريل عليه السلام : ٨٣
الجزولي = أبو زيد عبد الرحمن بن عفان
الجزولي
الجعبرى : ٨٦
الجمد بن درهم : ٢٠٣
الجمدى = مروان بن محمد
جعفر بن عبد المطلب : ٢٥٦ ، ٢٥٧
جلال الدين السيوطي : ٥٦
الجمال الأسنوي : ٤١
جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن الصفراوى :
١٦٨ ، ١٦٩
جمال الدين الريعى : ٤٢ ، ٤٩
جميل بن معمر : ١٦٨
الجمال موسى المراكشى : ٤١ ، ٥٢
الجوهري : ٤٤ ، ٩١
جويرية أم المؤمنين : ٢٦٠

(ح)

حاتم الطائي : ١٣٦
الحاتمي = يحيى الدين بن عربي
الحارث بن أسد الحارثي : ٧٩
حازم بن محمد بن حسن = أبو الحسن حازم
ابن محمد
الحافظ السلي = أبو الطاهر السلي أحمد بن محمد
حام بن توح : ٢٥٧
حذيفة بن بدر : ٩٧
حزن بن أبي وهب الخرومي : ٦٩
حسان بن الأسود = جابر بن الأسود
حسان بن ثابت : ١٠٥
حسن بن القائد : ٣١٤
الحسن المغيلي : ٣٦

دانشمند الأكبر = إسماعيل الطوسي

داود : ٢١٤

داود عليه السلام : ٢٥٧

(ر)

راشد : ٣٣

الرافعي : ٥٧

رتن الهندي : ٥١

رحمون بن الحاج : ١٠٢

الرشيد : ٧٢ ، ٧٨ ، ١٧٣

الرشاطي : ٣٠٥

رضي الدين الصغاني : ٥١

رملة أم المؤمنين : ٢٥٩

الرملي : ٣٧

(ز)

الزبير بن العوام : ٢٥٥

زكي الدين أبو محمد عبد العظيم : ١٦٨

الزحشمري : ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ،

٢٨٢ — ٣٠٥ ، ٣٢٣

زيان : ٢٠٥

زيد بن حارثة (مولى الرسول) : ٧٢

زيد بن عمرو بن نفيل : ٢٥٦

زيد الدين العراقي : ٣٩

زينب أم المؤمنين : ٢٥٩

(س)

سام بن نوح : ٢٥٧

السبكي : ٥٢

سجبان بن وائل : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٤٢

سجنون = عبد الله بن سعيد

السخاوي : ٣١٧

سراج الدين البلقيني : ٣٩

سراج الدين بن الملتن : ٣٩

سراج بن عبد الله : ١٤٩

سراج بن عبد الملك بن سراج : ١٦٠

سعد بن أبي وقاص : ٢٥٦

سعد الدين التفتازاني : ٣٠١

سعيد : ٢٥٦

سعيد بن أحمد : ٤٧

سعيد بن أحمد المقرئ : ٣٠٨

سعيد بن محمد العقباني : ٢٥

سعيد بن حكم القرشي : ٢١٥

سعيد بن المسيب بن حزن : ٦٦ ، ٦٧ ،

٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

السفاح = أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح

سفينة (مولى الرسول) : ٧٢

السلفي = أبو الطاهر السلفي أحمد بن محمد

سليمان : ١٢٢ ، ٢١٤

سليمان بن داود عليه السلام : ١٦٥

سليمان بن عبد الملك : ٦٨ ، ٧٠

سليمان التهم = سليمان بن عبد الملك

السمعاني : ٤٠

سهل : ٥٧

السهيلي : ٧٥

سير بن أبي بكر : ١٥٦

سودة أم المؤمنين : ٢٥٩

سيمويه : ٢٩١ ، ٢٩٨

السيوطي : ١٠٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦

(ش)

الشافعي محمد (الإمام) : ٥٧ ، ٧٨ ، ١٧١

الشبلي : ٨٥

شجاع (صاحب تبريز) : ٥١

الشرف الدمياطي : ٤١

شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي : ٨٤

شريح : ١٠

شريح بن محمد الرعيني : ١٦١

طلحة : ٢٥٥

الطلمنكي : ١٥٦

(ظ)

الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون =

عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون

الظافر العبيدي : ١٦٧

(ع)

عائشة رضى الله عنها : ٣٧ ، ٢٥٩

العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : ٧٥ ،

٢١٣ ، ٢٥٧

عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا

الصدقي : ٧٦

عبد الرحمن بن أحمد = ابن القصير عبيد

الرحمن بن أحمد

عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون :

١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧

عبد الرحمن بن عوف : ٢٥٦

عبد الرحمن بن القصير = ابن القصير عبد

الرحمن بن أحمد

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف : ٢٥

عبد الرحمن بن محمد بن بقر : ١٦٠

عبد الرحمن بن محمد السبئي : ١٦٠

عبد الرحمن بن وعلة السبئي : ١٦٨

عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقي : ٥٧

العندري : ٣٢٣

عبد السلام = محمد بن عبد السلام بن يوسف

ابن كثير

عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي :

٥٤

عبد الغنى بن سعيد الأزدي : ٩

عبد الغنى المقدسي : ١٦٩

عبد الله بن أبي أحمد عشر : ٧٣

(٢٢ - ج ٣ - أزهار الرياض)

شقرا (مولى الرسول) : ٧٢

الشلوبين : ٢٧

شمس الدين الفنارى : ٣٩

الشمس السعوى : ٤١

الشيخ ابن بقر = أحمد بن محمد بن محمد بن محمد

الشيخ ابن غلبون = أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن غلبون

الشيرازى : ٧٢

(ص)

الصاغانى : ٤٠ ، ١٥٩

صالح بن شريف : ٢٥٧

الصالحى = أبو بكر محمد بن عبيد الله بن

صالح الأبهري

الصائغ = أبو محمد بن عبد الحميد القروى

الصائغ

الصرصرى الحافظ : ٢٧

صعصعة بن صوحان : ١٠٦

الصفدى : ٤١

الصفراوى = جمال الدين أبو القاسم عبد

الرحمن الصفراوى

صفية أم المؤمنين : ٢٥٩

الصالح الصفدى : ٤٧ ، ٥٢

(ض)

الضحضاح : ٧٣

(ط)

طاهر بن هشام الأزدي : ١٥٤

الطبرى = أبو الطيب طاهر بن عبد الله

الطبرى

الطرطوشى = أبو بكر محمد بن الوليد

الطرطوشى

عبد الله بن بكشاش : ٤١
عبد الله بن سعيد : ٢٥
عبد الله الشريف التلمساني : ١٩
عبد الله بن طاهر بن الحسين : ١٠٦
عبد الله بن طلحة الياقوبى : ٧٧
عبد الله بن عيسى : ٨
عبد الله بن كلاب : ٧٩
عبد الله بن محمد بن أيوب الفهرى : ١٦٠
عبد الله محمد بن خيرة : ٦٠
عبد الله بن محمد بن عبد الله الحشنى : ١٦٠
عبد الله بن محمود بن النجم : ٤٠
عبد الله هشام بن اسماعيل : ٧١
عبد المطلب بن هشام : ٧٥ ، ٧٤
عبد الملك بن رزين : ١٢٤
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : ٦٨
عبد الملك بن مروان : ٧٠
عبد الواحد بن أبي حفص : ٢١٢
عبد الواحد الوائشيشى : ٣٠٧ ، ٣٥
عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوى : ٥٥
عبد الوهاب الشعراوى = عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوى
عبيد الله بن ذى النون : ١١٨ ، ١١٩
عثمان بن حيان المرى : ٦٧
عثمان بن عفان : ٢٥٣
العرضى : ٥٢
العز بن جماعة : ٥٢
عزون بن الحاج : ١٠٢
عزير الدولة ريمان : ٢٩٨
عكرمة : ٧٣
عكرمة البربرى : ٧٢
العلائى : ٤١ ، ٥١
علي بن أبي طالب : ١٠٦ ، ٢٥٤
علي بن أحمد الأنصارى بن الباذش : ١٦٠
علي بن عبد الرحمن التجيبى بن الأخضر : ١٦٠

علي بن عيسى بن حمزة = أبو الحسن علي ابن حمزة بن وهاس
علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلى : ٢٣
علي بن المدينى : ٨٦
علي بن يوسف بن تاشفين : ٦١ ، ١٥٦
عمر بن الخطاب : ٧١ ، ٢١٣ ، ٢٥٣
عمر بن عبد العزيز : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٩٢
عوف بن محلم الشيبانى : ١٠٦
عيسى عليه السلام : ٥٨

(غ)

غالب بن عطية المحاربى : ١٦٠
الغزالى : ٢٣ ، ٥٧

(ف)

الفارابى : ٨٤
الفخر بن البخارى : ٤١
فارس = أبو عنان فارس
الفارقى : ٥٢
الفاسى : ٤٦
فاطمة بنت الرسول : ٢٥٤
الفتح بن عبيد الله = ابن خاقان الفتح بن عبيد الله
الفخر : ٢٣
الفخر الرازى : ٢٦ ، ٨٥ ، ٥٧
فنا خسرو : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٦
الفيروز ابادى = مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى

(ق)

القادر بالله بن ذى النون : ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦
قاسم بن سعيد بن محمد : ٢٥
القياب = أبو العباس القياب
قس إباد : ١٠٤ ، ٢٩١

محمد بن الأبار = محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأبار

محمد بن إبراهيم المرادي = أبو العباس العشاب أحمد بن محمد المرادي

محمد أبو القاسم بن محمد : ٢٦٢

محمد بن أحمد بن تميم التميمي : ٧٠

محمد بن أحمد بن غازي = أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن غازي

محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد : ٨٥

محمد بن اسماعيل البخاري : ٨٦

محمد بن اسماعيل بن الجوى : ٤١

محمد بن البردعي : ١٢ ، ١٤

محمد بغيغ : ٥٧

محمد بن الجبير : ٣١٣

محمد بن جدار : ١٩٧

محمد بن سليمان النفري : ١٥٩

محمد الصديق = محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي

محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير : ٢٤
محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأبار : ٢١٦ ، ٢١٧

محمد بن عبد الله التلعساني : ٢٤

محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي = أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي

محمد العربي : ٣١٠

محمد بن علي الشاطبي ابن الصيقل : ١٥٩

محمد بن علي بن عمر المازري = أبو عبد الله المازري محمد بن علي

محمد بن علي بن محمد الطائي بن عربي الصوفي = محي الدين بن عربي

محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد التغلبي = أبو عبد الله بن محمد بن التغلبي

محمد بن عيسى التجيبي القاضي : ١٥٩

القلانسي : ٥١

القلقشندي : ٩٠

قيس بن زهير العيسى : ٩٧

(ك)

كريب (هولي ابن عباس) : ٧٢

الكسائي : ٨٥

كليب : ٢٩٣

(ل)

الاخمي = أبو علي الحسن بن محمد الاخمي

(م)

المأمون : ٧٩ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٢٠

المأمون بن ذي النون : ١٣٦ ، ١٣٨

الماحشون : ٣١٦

مارية زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٦٠

المازري = أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي

مالك رضى الله عنه : ٢٧ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٢١٩ ، ٢٤٤

المتوكل على الله = أبو عنان فارس

مجاهد : ١٩٦

محمد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي : ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩

محب الدين محمد بن محمود بن النجار : ١٦٩

محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ١٩ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣

موسى بن نصير : ٧١
ميمون بن مهران : ٦٧ ، ٦٨
ميمونة أم المؤمنين : ٢٥٩

(ن)

الناشرى : ٥٠
الناصر : ٥٠
الناصر بن الأشرف : ٤٢
ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن جهيل : ٤٨
ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير
الاسكندرى : ٨٤
ناصر الدين التونسى : ٥٢
الناصر بن يعقوب : ٦٥
نافع (مولى ابن عمر) : ٧٢
النجيب الحرانى : ٤١
النصيبى : ٨٣ ، ٨٢
نظام الملك : ١٦٩ ، ١٧٠
النعمان : ١٠٤
نوح عليه السلام : ٢٤٤
نور الدين على بن محمد العفيف : ٤٦

(هـ)

هشام بن أحمد الهلالى الفرناطى : ١٦١
هشام بن اسماعيل المخزومى : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد الحداد
الوادى آشى
الواقدى : ٧١
الوانشريشى = أبو العباس أحمد بن يحيى
الوانشريشى
وجيه الدين منصور : ١٧١
الوطاسى : ٣٠٩
ولى الدين بن خلدون : ٢٠٤
الوليد بن عبد الملك : ٧٠ ، ٧١

محمد بن فرج = أبو عبد الله محمد بن فرج
محمد بن محمد بن عرفه : ٢٤
محمد بن مسleme = أبو هشام محمد بن مسleme
محمد المقرى : ٣١٨
محمد بن الوليد بن محمد بن خلف = أبو بكر
محمد بن الوليد الطرطوشى
محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم = محمد
الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى
محمد بن يوسف الزرندى : ٤٩ ، ٧١
محيى الدين بن عربى : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

المدائنى : ٧١

المرادى = أبو بكر محمد بن الحسن المرادى
مروان بن محمد : ٢٠٣
مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) : ٦٧ ، ٧٢ ، ٦٨
المستنصر بالله بن أبى زكرياء الحفصى : ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤
المستعين بالله : ١٢١
المسعودى : ٦٦ ، ٧٥
مسلم (صاحب الصحيح) : ٣٧ ، ٧١
مسleme الكذاب : ٢٥٢
المصطفى = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
مصعب بن عبد الله : ٦٧
مظفر الدين : ٥١
المعصم : ٧٩ ، ٨٠
المعتمد بن عباد : ٩٢ ، ١٧٤
المغيرة : ٧٢
المكودى : ١٧٤
الملاحى : ١٣ ، ١٤ ، ١٥
منصور بن شجاع (صاحب تبريز) : ٤٢
المهدى : ٢٠٨
المهاب : ٧١
موسى (عليه السلام) : ١٢٠

(ى)

يعقوب : ٨٥
 يعقوب عليه السلام : ١٣٢ ، ٢٢٦ ،
 ٢٤٣
 يعقوب بن شرين الجندى : ٢٨٣ ، ٢٨٧ ،
 ٢٩٣
 يوسف : ١٢٢
 يوسف بن عبد العزيز بن عديس الطايطلى :
 ١٦٢
 يوسف بن موسى الكلبى : ١٦١
 يوسف بن يعقوب : ١٣٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ،
 ٣١٣
 يونس بن محمد بن مقيث : ١٦١

يحيى بن ذى النون : ١٣٦
 يحيى بن سعيد : ٧١
 يحيى بن عاصم : ٣١٩
 يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص : ١٧٣ ،
 ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢
 يحيى بن على بن مجلى بن الحداد الحنفى : ٤١
 ٥١
 يحيى بن ممين : ٧١
 يحيى بن يحيى : ٢٧
 يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ٧٢

فهرس الشعراء

(١)

أبو عبيد الله بن جزى : ١٩٤ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣

أبو عبد الله بن الخطيب : ٢٠٢

أبو عبد الله بن رشيد الفهري : ٢٦٦

أبو عبد الله بن عرفة : ٣٠١

أبو عبد الله القموي : ٤٧

أبو عبد الله محمد بن حار الوادي آشي :
٢٧٢ ، ٣٠٧

أبو عبد الله محمد بن الحبر المحصي : ٣٠٢ ،
٣٠٤

أبو عبد الله محمد بن علي الأحمي الله نسي :
٣٠٠

أبو عبد الله محمد بن فر : ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
٢٣٧

أبو عبد الله بن مرزوق التماساني : ٣٠١
أبو العلاء المعري : ٢٩٧

أبو علي حسبي بن صالح بن أبي دلامة :
٢٠٢

أبو علي عمر بن عبد الرقيب : ٣٠٠
أبو علي عمر بن محمد بن خلسان السكاني

الأصول : ٢٩٦

أبو محمد عبد الميمن الحضرمي : ٢٠١

أبو محمد عبد الواحد البغدادي : ٣٠١

أبو القاسم بن أبي النعم : ٣٢٤

أبو الهيثم بن عساكر : ٢٦٢

(ب)

بثينة صاحبة جميل : ١٦٨

إبراهيم بن هلال : ٣٢٤

الأعشى : ١٤٤

ابن الجبير = أبو عبد الله محمد بن الجبير
اليحصي

ابن جزى = أبو عبد الله بن جزى

ابن خاتمة : ٢٠٢

ابن عاصم : ٣٢٣

ابن عمار : ١٧٤

ابن الفرطبي : ٢٩١

ابن قلاؤس الإسكندري : ١٧٦

أبو إسحاق بن الحاج : ٢٦٣

أبو بكر أحمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله
القرطبي : ٢٦٤

أبو بكر بن العربي : ٨٩

أبو تمام : ١٤٢

أبو الحسن راشد بن عريب : ١١٤ ، ١٣٢
أبو الحسن علي بن أحمد الشامي الخزرجي :

٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٣٢٥

أبو حفص بن عمر : ٣٢٣

أبو حبة النخري : ١٤٤

أبو الربيع بن سالم الكلاعي : ٢٢٦

أبو زكرياء يحيى بن منصور التونسي :
٣٠٠

أبو الطاهر السلفي : ١٧٠ ، ١٧١

أبو الطيب المتنبي : ٩٠

أبو العباس العزفي : ٩٥

أبو عبد الله بن الأزرق : ٣٢٢

(ط)	البديع الخوارزمي : ٢٩٢
الطبي : ٣٠٢	(ت)
(ع)	تقي الدين الواسطي : ٤٨
عبد الرحمن بن معمر (الواسطي) : ٤٧	(ج)
علي بن أحمد الشامي = أبو الحسن علي بن أحمد الشامي الخزرجي	جلال الدين السيوطي : ٥٦ ، ٥٧
علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس : ٢٧٥	(خ)
العميدى : ٢٩٠	الخطيب الموفق : ٢٩١
(ك)	(ر)
كامل الدين المظفر : ٣٠٢	الرصافي : ٢٢٣
(م)	(ز)
محمد بن أرسلان : ٢٨٨	الزحشمري : ٢٩٤ : ٢٩٨
محمد العربي : ٣٠٨	زهير بن أبي سلمى : ١٤٤
محمد بن فرج = أبو عبد الله محمد بن فرج محمد بن هانيء الأندلسي : ٢٧٥	(س)
(ن)	سراج الدين عمر الفاكهاني : ٢٦٥
ناصر الدين بن المنير الإسكندراني : ٢٩٩	(ش)
النميري السلوي : ٧٤	الشامي العقبيه = أبو الحسن علي بن أحمد الشامي الخزرجي
نور الدين علي بن محمد العفيف : ٤٦	الشران : ٣٠٤
(و)	
الوادي آشي = أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي	
وجيه الدين منصور : ١٧١	

فهرس القبائل

(ح)	(أ)
حبر : ١٥٩	أصحاب الرشيد بن أبي القاسم : ٤٩
(د)	الإفريقيون = أهل إفريقية
الدولة الحفصية : ٢٠٤	الأنصار : ٢٢٥ ، ٢٥٧
الدولة العباسية : ٢٠٣	أهل تلمسان : ٣٠٨
(ر)	أهل تونس : ٢٠٦
رعين : ١٥٩	أهل حمص : ٩٢
الروم : ٢٠٧	أهل السنة : ٦٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥
(س)	أهل العراق : ٢٢
سعد : ١٤٢	أهل إفريقية : ٢٥ ، ٢٦
(ش)	أهل الأندلس : ٢٣ ، ٢٧ ، ٧٧ ، ٢٠٦
شيوخ مصر : ٦٣	أهل فارس : ٨٦
(ص)	أهل مصر : ١٦٩
الصوفية : ٨٠	(ب)
(ط)	البصريون : ٨١
طلبة فاس : ٣٥	البغداديون
(ع)	بنو أمية : ٦٨
العدلية : ٢٩٨	بنو رغبوش : ٧٨
العرب : ٤٥ ، ٧٥ ، ١٠٨ ، ٢٨٨	بنو العباس : ١٠٦
	بنو عبد العزيز : ١٢٥
	بنو مخزوم : ٧٢
	بنو مرزوق : ٣٠٥
	بنو نصر : ٣٢٢
	(ج)
	الجبرية : ٨٤

المثبته = أهل السنة
 المرتدون : ٣٠٨
 المسلمون : ٦١ ، ٢٥٢ ، ٣٠٥
 المعتزلة : ٦٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٦
 المغاربة : ٢٤
 ملوك بني مرين : ٢٧
 ملوك المغرب : ٣٦
 الموحدون : ١١

(ن)

النصارى : ٦١ ، ٣٠٩ ، ٣١٥

(ى)

يهود : ٣٠٧

علماء شيراز : ٤١

(ف)

الفاسيين : ٢٧

الفرس : ٩١

فقهاء فاس : ٢٨

(ق)

القرويين : ٢٦ ، ٨٧

قريش : ٢٥٤

قضاة : ٩

(ل)

لواته : ١٥٨

فهرس الاماكن

(ا)

بطليوس : ١٠٥ ، ١٤١
بعلبك : ٤١
بغداد : ١٧ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٦٢ ، ٦٤ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٦٧ ، ٢٩٥
بغدان = بغداد
بلاد الجريد : ١٥
بلاد الروم = الروم
بلاد المين = المين
بلقينة : ٥٧
بلنسية : ١٠٢ ، ١٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧
بنزرت : ٢٠٦
بيت المقدس : ٥١ ، ١٦٤
ألبيرة : ١٥٥
بيوت بني كعب بن سليم : ٨٩

(ت)

تازا : ٣٣
تدمير : ١٧٣
تسقر : ١٢٧
تقيوس : ١٥
تلمسان : ١٨ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٩ ،
٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
٣١٨
تنبكت : ٥٧
تهامة : ٤٢
توزر : ١٥
تونس : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ١٧٣ ،
٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٣

آبل : ٧٨
أبة : ٧٥
أحد : ٢٥٦
الإسكندرية : ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ،
١٦٧ ، ١٦٨
إشبيلية : ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧ ،
٩٢ ، ١٥٦ ، ١٦٢
أصبهان : ١٦٨
أغلان : ٨٨
إفريقية : ١٥ ، ٢٨ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٧٣ ،
الأندلس : ٨ ، ٩ ، ٢١ ، ٦١ ، ٦٤ ،
٣٠٢ ، ٣١٨
الأهواز : ١٢٧

(ب)

الباب الأخضر : ١٦٨
باب الجيسة : ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
باب الفرج : ٤٨
باب الحروق : ٦٥ ، ٨٦
باب النصر : ٤٨
بحاية : ٢٠٦
بحر المين : ٤٤
بخارى : ٢٩٦
بدر : ٢٥٦
بسطة : ١٧
البصرة : ٧٩ ، ٩٢ ، ١٢٧ ، ١٥١ ،
١٦٣

- خبير : ٢٥٣
الحيف : ١٢١
- (د)
- دار الحديث الأشرفية : ٢٦٦ ، ٢٧٢
دار السكتب المصرية : ٥٦
دارين : ١١٨ ، ١٣٦
دمشق : ٤١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ،
١٥٢ ، ٢٧٢
دهلك : ٤٤
دورقة : ١٥٣
الديار الشامسة = الشام
دير سمعان : ٦٨
- (ر)
- رباط أبي سعد : ٩١
رضوى : ١٠١
رندة : ٣١٥
الروم : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤
- (ز)
- الزاب : ٧٨
زبيد : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
٥٢
زخشر : ٢٨٩ ، ٢٩٣
زوزم : ١٤٨
الزهراء : ١٤٩
زوراء العراق : ١٠٧
- (س)
- ساقية أبي شعرة : ٥٥
سبنة : ٨ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٥٤
السدير : ١٢١
سرقسطة : ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٥١ ،
١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٢
- (ث)
- تهلان : ١٢٢
- (ج)
- حافو : ٥٧
الجامع الأعظم : ٣٠٥
جامع سبنة : ١٠
الجزيرة = الأندلس
جيرون : ٢٧٢
- (ح)
- حارة الجذمي : ٨٦ ، ٨٧
الحبشة : ٤٤
الحجاز : ٦٢ ، ٢٨٩
الحرمين (الشرقيين) : ٥٠ ، ١٥١
حلب : ٤١
حماة : ٤١
حصص = إشبيلية
حصص : ٦٨
حمة بجانة : ١٥٠
- (خ)
- الخبرة : ٤٣
خراسان : ٧١ ، ١٠٦
خزاة الأندلسيين = خزاة جامع الأندلس
خزاة جامع الأندلس : ٣٦ ، ٧٧ ، ٨٥
خزاة جامع القرويين : ٣٦ ، ٨٦
خزاة القرويين = خزاة جامع القرويين
خزاة الجامع الأعظم بتلمسان : ١٨
خوارزم : ٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ،
٢٩٣ ، ٢٩٥
الخورنق : ١٢١
خوزستان : ١٢٧

عدن : ٤٢

العراق : ٤١ ، ٩٤ ، ٢٨٩

عرفة : ٢٩٥

العقيق : ١١٢

عكاظ : ٦

(غ)

غزاة : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ،

١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٣٠٥ ،

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ،

٣١٨

(ف)

فلس : ١٥ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٤٠ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٨٨ ، ١٥٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٦ ،

٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤

(ق)

القاهرة : ٤١ ، ٤٩

القدس = بيت المقدس

قرطاجنة : ١٧٣

قرطبة : ٨ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٦٢ ، ١٠٢ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،

١٥٠ ، ١٥٨ ، ٢٠٧ ،

قرقوب : ١٢٧

القيروان : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠٥

(ك)

كارزين : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٩

كسكر : ١٢٧

الكعبة : ٤٦ ، ٤٨

سلا : ١١

السلامة : ٤٣

سلفة : ١٧٠

سواكن : ٢٩٨

(ش)

شاطية : ٢١٨ ، ٢٣٩

الشام : ٤٩ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

٧٨ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ،

الشجر : ١١٨

المريضة القديمة : ١٥١

شلب : ١٥٥ ، ١٥٦

شنت مرية : ١٢٢ ، ١٢٥

شيراز : ٣٩ ، ٤٠ ، ٨٠ ، ٨٦

(ص)

الصفاء : ٤٦

صقلية : ١٦٥

صنعاء : ١٢٧

صور : ١٦٧

(ض)

ضريح النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٢٥

(ط)

الطائف : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٣١٩

طرسوس : ٧٩

طرطوشة : ١٦٢

طليطلة : ١٠٧

طبية : ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،

٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

(ع)

عبر : ١٢٧

المغرب : ٢١ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٧١
 مقبرة الربض : ١٥١
 مكة : ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ،
 ٥٢ ، ٧٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
 مكتبة الاسكوريال : ١٠٣
 منى : ٤٦
 منورقة : ٢١٥
 المنية : ١٠٧
 المهدية : ١٦٦

(ن)

نجد : ٣١٩
 نيسابور : ٢٩٥
 الهند : ٢١ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٢٥٥

(و)

وادي الحبيب : ٥٢
 واسط : ٤١ ، ١٢٧ ، ١٥٢
 وجرة : ١١٣
 وعلة : ١٦٨

(ي)

اليامة : ٢٥٢
 اليمن : ٤٢ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٧١

(م)

مازر : ١٦٥
 مانقة : ١٧
 مجلس الناعورة : ١٠٧
 محراب الصحن : ١٨
 مدرسة الأشرف (بمكة) : ٤٦
 المدينة : ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ،
 ٧٠ ، ٧١ ، ٢٦١
 مراکش : ١١ ، ١٧ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ١٦١ ،
 ١٧٣
 مرج غرناطة : ٣١٩
 مرجق : ١٥٦ ، ١٥٥
 مرسى تونس : ١٥
 مرسية : ٨ ، ١٥ ، ٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
 المرية : ١٠ ، ٢٠ ، ٥٤ ، ٧٣ ، ١٥٠ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٥ ،
 ١٩٦ ، ٢٦١
 المسجد الأقصى : ٢٣٤
 المسجد الجامع بقرطبة : ٦٠ ، ٦٢ ، ١٤٩ ،
 ٢١٣
 المسجد الحرام : ٢٥١
 مسجد النبي (بالطائف) : ٤٣
 مصر : ٤١ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٧ ،
 ٩٤ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨

فهرس الكتب

(١)

إنباء القعر بأبناء القعر لابن حجر : ٤٧ ،

٥٢ ، ٤٨

الانصاف من الكشاف لناصر الدين أحمد

ابن المنير الإسكندري : ٨٤ ، ٢٩٩

الانصاف لابن العربي : ٩٥

الأنموذج في النحو : ٢٩٥

أنواء الغيث في أسماء الليث : ٤٤

أنوار الفجر لابن العربي : ٩٤

إيجاز البيان لابن عمرو الداني : ٨٥

إيضاح المحصول من برهان الأصول : ١٦٦

(ب)

بدائع السلك في طبائع الملك : ٣١٨

البداية والنهاية لابن كثير : ٢٩٧

البدر الطالع للشوكاني : ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٠ ،

٥٧

البستان : ٢٥ ، ٢٦

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب

العزيز : ٤٢

بغية الراغب : ٧٣ ، ٧٩

بقية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

للسيوطي : ١٠٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٥ ،

٢٩٨

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ٤٣

البيان والتحصيل لما في المستخرجة من

التوجيه والتعليل لابن رشد : ٦٠

(ت)

تاج العروس : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٩٤ ، ١٢١ ،

١٥٩ ، ١٤١

ابن خلكان = وفيات الأعيان

إثارة الحجون لزيارة الحجون : ٤٣

الأحاجي النحوية للزمخشري : ٢٩٥

الأحاديث الضعيفة للفيروزآبادي : ٤٣

أحسن اللطائف في محاسن الطائف : ٤٣

الإحاطة في أخبار غرناطة : ١٢

أحكام القرآن لابن العربي : ٩٤

الإحياء للغزالي : ١٦٦

اختصار المبسوط لابن رشد : ٦٠

اختصار مشكل الآثار لابن رشد : ٦٠

الإسراء إلى المقام الأسرى : ٥٤

الإسماعيل بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد :

٤٣ ، ٥٠

إسماء السراج في أسماء النكاح : ٤٤

الإشادة : ١٧٣

الإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس

وتلمسان ، لابن غازي : ٦٥

الإصابة لابن حجر : ٥١

الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد = الإسماعيل

بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد

إصلاح الخلل ، الواقع في الجمل : ١٠٢

أطواق الذهب : ٢٩٥

إعتاب الكتاب لابن الأبار : ٢٠٦

الاعتباط بمعالجة ابن الحياط للفيروزآبادي :

٥٣

إكمال الإكمال للأبي : ٧٥

الألفية للزين العراقي : ٥٧

الأمم الأوصى بأسماء الله الحسنى وصفاته

العليا لابن العربي : ٩٤

التهذيب لأبي سعيد البراذعي : ٢٩ ، ٢٥ ،
٣٤ ، ٣٣
التوسط في المعرفة بصحة الاعتقاد ، والرد على
من خالف أهل السنة من ذوى البدع
والإلحاد ، لابن العربي . ٩٥
التيسير : ٧٦
تيسير فاتحة الإهاب في تفسير فاتحة الكتاب :
٤٣

(ج)

الجدوة المقتبسة والخطوة المختلصة : ٥٤
الجليل الأنيس في أسماء الخندريس : ٥٥
جمع الجوامع : ٢٩٥
جل الخونجى : ١٩ ، ٢٧

(ح)

حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة
الإخلاص : ٤٣
الحلل في شرح أبيات الجمل : ١٠٢
حليّة الأولياء لأبي نعيم : ٦٨ ، ٧٢ ،
٧٣ ، ٧٨
الحيل لابن خاقان الأصبهاني : ١٥

(خ)

الخلافات لابن العربي : ٩٤

(د)

الدر الغالى في الأحاديث العوالى : ٤٣
الدر النظيم ، المرشد إلى مقاصد القرآن
العظيم : ٤٣
ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر : ٣٠٤

تاريخ بغداد للخطيب ٨٥ ، ٨٦
تاريخ القيسى : ٢٨
تاريخ الثمين : ٤٤
تجوير الموشين فيما يقال بالسين والشين : ٤ :
التنصرة للخمى : ٢٢
تبيين الصحيح في تعيين الذبيح لابن العربي :
٩٤
التجارب في فوائد متعلقة بأحاديث المصاحب
٤٣
التحفة الطرائف في النكت الشرائف : ٤٣
تحفة إسماعيل فيمن يسعى من الملائكة
والناس لإسماعيل : ٤٤
تحفة المجتهدين بأسماء المحدثين : ٥٦
تذيل الديباج = الابتهاج بتذيل الديباج
ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك لابن
العربي : ٩٤
ترقيق الأسفل في تصفيق العسل : ٤٤
تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة
على جامع الأصول : ٤٣ ، ٥٠
تعليقة على أحاديث الجوزقى : ١٦٦
التعليقة على المدونة : ١٦٦
تعيين الغرفات المعين على عين عرفات : ٤٣
تفسير البخارى لابن المرباط : ٨٥
تفصيل التفصيل بين التعميد والتهيل لابن
العربي : ٩٤
تقييد المهمل وتغيير المشكل : ١٥٠
تقييد اليجمدى عن أبي الحسن : ٣٦
تكملة ابن عبد الملك : ٧٨
التنبيه لأبي إسحاق الشيرازى ٣٩ ، ٤٢ ،
٤٩
التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف
بين المسلمين في رأيهم واعتقاداتهم :
١٠٧ ، ١٠٢
تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : ٤٢

سنن البيهقي : ٤١
سيف الاسلام لابن طلحة : ٧٧

(ش)

شرح أبيات الكتاب : ٢٩٥
شرح أدب الكتاب : ١٠٧ ، ١٠٢
شرح البخارى للفيروزابادى : ٣٩ ، ٥٠
شرح التلقين : ١٦٦
شرح التهذيب لابن مرزوق : ٢٥
شرح خطبة الكشاف : ٤٣
شرح خليل السيدى أبى القاسم بن سراج :
٣١٤
شرح ديوان المتنبي : ١٠٢
شرح رقم الحلل : ٦٨
شرح سقط الزند : ١٠٢
شرح الشفا : ٨٨
شرح عقيدة النسفى للفتنازلى : ٣١٤
شرح غريب الرسالة لابن العربى : ٩٥
شرح القاموس = تاج العروس
شرح مختصر ابن الحاجب لابن عبد السلام :
٢٤

شرح مسلم للأبى : ٣٣
شرح الموطأ لابن السيد البطيوسى : ١٠٢
الشفاء فى التعريف بحقوق المصطفى لعياض :
١٣ ، ١٤ ، ٧٦ ، ١٥٦
شفاء الغليل : ٣١٧
الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية : ٣٨
٥٦ ، ٤٠

الشمهاب فى المواعظ والأدب للقضاعى : ٩
شوارق الأسرار العلية فى شرح مشارق
الأنوار النبوية = شوارق الأسرار
فى شرح مشارق الأنوار
شوارق الأسرار فى شرح مشارق الأنوار :
٥١ ، ٤٣

الديباج المذهب لابن فرحون : ٦ ، ٧ ،
١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
١٦٧ ، ٨٦ ، ٧٢

(ذ)

الذيل : ١٥ ، ١٦
الذيل والتكملة لابن عبد الملك : ٧٧

(ر)

الرائض فى الفرائض : ٢٩٥
ربيع الأبرار : ٢٩٥
رحلة ابن بطوطة : ١٩٥
الرسالة لابن أبى زيد : ٢٩ ، ٣٥ ، ٢٦٥
رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة :
١٧٤
الروض المسلول فيما له اسمان إلى الألوفا :
١ ، ٤٤
روضة الإعلام بمنزلة العريسة من علوم
الاسلام : ٣١٨
روضة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر :
٤٣

(ز)

زاد المعاد فى وزن بابت سعاد : ٤٤
زهر الرياض المنفصح عن المقاصد والأغراض
١٦٨

(س)

السباعيات لابن العربى : ٩٥
سراج البلغاء : ١٧٢
سراج المهتدين لابن العربى : ٩٤
سراج المريدين لابن العربى : ٩٤
سفر السعادة : ٤٣

العقد الأكبر للقلب الأصغر لابن العربي : ٩٤
العقد الفريد : ٩٧ ، ٦٨
العمدة : ٢٦٥
عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء وشمس
المغرب : ٥٤

(غ)

الغنية لعباض : ٨٦ ، ٥٩

(ف)

الفائق في غريب الحديث : ٢٩٥
فتح المتعال للمقرى : ٢٦١
الفتوح لابن عربي : ٥٣ ، ٥٠
فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب
أشرف الدين الحسن بن محمد : ٧٤ ،
٨٤

فصل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على
الخبزة : ٤٣

الفصوص لابن عربي : ٥٣
الفضل الوفي في العدل الأشرفي : ٤٣
فهرسة عياض : ٥٩

(ق)

القاموس المحيط للفيروز آبادي : ٤٤ ، ٣٩ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢
قانون التأويل لابن العربي : ٨٩ ، ٩٤
القيس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن
العربي : ٩٤ ، ١٠٧
قلائد العقيان لابن خاقان : ١٨ ، ١٩ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ١٠٢ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢

(ك)

الكافي في أن لا دليل على النافي لابن العربي :
٩٥

(٢٣ — ج ٣ — أزهار الرياض)

(ص)

صبح الأعشى : ٩
صاح الجوهري : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ،
٦٨ ، ٧٣

صحيح ابن حبان : ٤١
صحيح البخاري : ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ١٥٢
صحيح مسلم : ٥٤ ، ١٥٢

الصحيحين : ٩
صلوات والبيمر في الصلاة على خير البشر :
٤٣

صلة لابن بشكوال : ١٦ ، ١٧ ، ٦٠ ،
٦٢ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦١ ،
١٦٣

صلة الصلاة لابن الزبير : ١٤ ، ١٥ ، ٦٣ ،
صميم العربية : ٢٩٥

(ض)

الضوء اللامع للسخاوي : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

(ط)

طبقات الحنفية لمحمد عبيد الحى السكوني
الهندي : ٥٧

طبقات الصغرى = بغية الوعاة .
طبقات السكبرى للسيوطي : ١٧٢ ، ١٧٣ ،
٢٩٥

نظرة لابن غازي : ٧٥

(ع)

عارضة الأحوذى على الترمذى لابن العربي :
٩٤

عبر وديوان المبتدأ والخبر : ٣١٨
العنينة : ٣١٥

المرقاة الوفية في طبقات الحنفية : ٤٣
 المرقبة العليا في مسائل القضا والفتيا =
 المرقبة العليا في الأقضية والفتيا
 المرقبة العليا في الأقضية والفتيا للنباهي : ١٧
 مروج الذهب للمسعودي : ٦٨ ، ٧٥
 مزية المرية : ٨
 المسائل المنثورة في النحو : ١٠٢
 المسبع للجزولي : ٣٦
 المستقصى في الأمثال : ٢٩٥
 السلسل : ٥٢
 المسلسلات لابن العربي : ٩٥
 مسند أحمد : ٤١
 المشارق لعباس : ٢١
 مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار
 المصطفوية = شوارق الأسرار في
 شرح مشارق الأنوار
 مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار
 الالهية : ٥٤
 مشتهب النسبة لعبد الغني بن سعيد الأزدي : ٩
 مشكل حديث السبعات والحجاب لابن
 العربي : ٩٤
 المشكلين لابن العربي : ٩٤
 مصنف ابن أبي شيبة : ٤١
 مطمح الأنفس لابن خاقان : ١٨ ، ١٩ ،
 ٩٤ ، ٩٣
 المعارف الالهية : ٥٤
 المعارف لابن قتيبة : ٧٠ ، ٧٣ ، ١٠٦
 معجم الأدباء لياقوت : ٢٨٨ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٧
 معجم البلدان لياقوت : ١٢٧ ، ١٥٩ ،
 ٢٨٨
 المعلم بفوائد مسلم : ١٦٦
 المعيار : ٣١٨
 المغنم المطابة في معالم طابه : ٤٣

السكافي لأبي عمر : ٣١٠
 السكامل لأبي العباس المبرد : ١٤٤
 الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر
 للشعراني : ٥٥
 كتاب الأسئلة الحاوي للتوازل والفتاوى :
 ٢٥
 كتاب سيديويه في النحو : ٢٧ ، ٧٦
 الكشف للزحشمري : ٨٤ ، ٢٨٢ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٧
 كشف الظنون : ٨٤ ، ١٠٢
 كشف الغطاء عن لمس الخطا : ١٦٦
 الكشف والإنشاء عن المترجم بالإحياء :
 ١٦٦

(ل)

اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعباب
 للفيروز آبادي : ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٠
 اللسان : ١٤٤

(م)

المنفق وضعا المختلف صنعا : ٤٣
 المثلث الكبير : ٤٤ ، ١٠٢
 مجمع الأمثال للميداني : ٦
 المجلد لابن فارس : ٤٤ ، ٥٠
 مختصر الفقه لابن عرفه : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
 مختصر المدونة والمختلطة لابن أبي زيد
 القيرواني : ٢٥
 المدارك لعباس : ٦٧ ، ٨٥
 المدخل لابن طلحة : ٧٧
 المدونة للزروبي : ١٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣ ،
 ٣٥
 مراقب الزراف لابن العربي : ٩٤
 مرتقى الوصول إلى بناء الفروع على الأصول
 لأبي عبد الله الشريف : ٣٨

موطأ مالك : ٦٧ ، ٧٦
الميزان للذهبي : ٥١

(ن)

الناسخ والمنسوخ لابن العربي : ٧٤ ، ٩٤
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : ٨٥
نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان : ٤٣
نظم الدر والعقيان لأبي عبد الله التقي :
١٦٦

نفح الطيب : ٥٣ ، ٩٣
النفحة العنبرية في مولد خير البرية : ٤٣
النسك القطعية في الرد على الحشوية : ١٦٦
نواهي الدواهي لابن العربي : ٩٤
نهاية الدراية في طبقات الفراء لابن الأثير :
٨٥

النيرين في الصحيحين لابن العربي : ٩٤
نيل الابتهاج : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٧

(و)

الوصل والمئي في فضل مئي : ٤٣
وفيات الأعيان لابن خلكان : ٦٢

المغني لابن هشام : ١٧٢
المفصل في النحو : ٢٩٥
المقامات : ٢٩٥
المقدمات لأوائل كتب المدونة لابن رشد :

٦٠

مقدمة ابن خلدون : ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١٨
مقصود ذوي الألباب في علم الأعراب : ٤٤
المقصورة لحازم القرطاجني : ١٧٣ ، ١٧٤
مقصورة المسكودي : ١٧٤

ملائك التأويل في حقائق التنزيل : ٥٤
ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين
لابن العربي : ٩٥

منح الباري بالسييل الفسيح الجاري في شرح
تصحيح البخاري : ٤٣
المنزاع النبيل في شرح مختصر خليل لابن
مرزوق : ٢٥

منية السؤل في دعوات الرسول : ٤٣
مهييج الغرام إلى البلد الحرام : ٤٣
مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم :
٥٤

المؤتلف والمختلف : ٩

فهرس القوافى

سريع ١٦٥ : واجب — ياذا
خفيف ٣٠٤ : أوب — كلاً
متدارك أبتى — وبتأنيها : ٨٨

(ت)

طويل إذا — صمت : ١٠٠
» خليلي — ونسيت : ١٣١
» أبا — شتات : ١٩٥
» تلوت — وبالنعت : ٢٢٩
كامل نفسى — أضنانى : ١٣٤
رجز عاشر — الفتى : ٥٧
متقارب بماذا — حبانى : ١٣٣

(ث)

طويل يهز — غابت : ٨٩
» غار — البعث : ٢٢٩

(ج)

طويل جللت — عارج : ٢٢٩
بسيط الخوض — لجج : ٢٨٦
كامل أدر — مدج : ١٨٤
» عرضت — الأدعج : ١٧٦
» واقد — وهاجا : ٢٣٧

(ح)

طويل طربت — جانحه : ١٣٢
» طربت — ورائحه : ١٣٢

(ع)

طويل أتمثال — كفء : ٢٢٨
وافر أرى — ذكاد : ١٣٥
كامل أهلا — الآلاء : ١٥٠

(ب)

طويل إذا — والكتب : ٩٠
» تأوبه — متقلباً : ١١٢
» أبا — حرب : ١٢٩
» حلفت — عضباً : ١٣٩
» نسيبي — المناسب : ١٤٢
» أخوف — كذوب : ١٦٤
» أناس — مركبا : ٢١٢
» بنفسى — والحب : ٢٢٨
» مسرة — الصواب : ٢٨٦
» دعوك — وجب : ٢٩٠
» إذا — دأب : ٢٩٤
بسيط نفسى — محبوب : ١٣٢
» أرى — عتبه : ٣١٥
مخلع البسيط بقاى — أجيب : ١٠٩
وافر إليك — حسى : ١٤٨
» أيا نعل — للبيب : ٢٦٩
كامل كيف — تعديباً : ١٠١
» سل — كالذهب : ١٠٩
» يارب — كالسكوكب : ١١٠
» والشول — تحلب : ١٤٥
» ومعطر — ترتيب : ٢٠٢
مجزوء السكامل لله — الحباب : ٢٢٣

(ذ)	طويل	نخذي — تصحيح : ١٩٨
	»	حظيت — نشرح : ٢٣٠
طويل	»	أمكة — الأباطح : ٢٩٢
	كامل	تلك — سلاح : ٢٠٣
(ر)	خفيف	سدودها — صفحا : ١٧٦
		(خ)
طويل	طويل	خذيها — بدخ : ٢٣٠
		(د)
»	طويل	نقم — مجد : ١١٠
»	»	إلهي — وجاهد : ١١٦
»	»	ودادكم — عهد : ١٣٢
»	»	عسي — بعيدها : ١٢٣
»	»	دع — أحدا : ٢٣٠
»	»	تبدت — وجده : ٢٤٨
»	»	هنيئا — بمقصدي : ٣٦٦
»	»	لقد — أحمد : ٣٠٦
»	بسيط	سوق — الرادا : ٤٦
»	»	لله — خلد : ١٩٥
»	»	تقول — يا ولدي : ٣١٩
بسيط	كامل	شابت — رماد : ٨٨
»	»	شابت — ميعاد : ٨٨
»	»	إني — السيد : ١٧١
»	»	لولا — موردی : ٢٠٤
»	»	نسب — عمودا : ٢١٢
وافر		يا ناظرا — الوجود : ٢٦٨ مجزوء الكامل
»		هذي — الأحمد : ٢٧٩ مجزوء الرجز
كامل	رمل	كن — ففر : ٩٩
»	سريع	خبي — العقد : ٢٠١
»	منسرح	يا منظرا — الخلد : ١٠٧
»	خفيف	لا يقوى — لا يجدودي : ٩٨
»	خفيف	أطاب — الخلود : ٢٠٥
»	متقارب	إذا — واقصد : ٩١
		ألا — بحر : ٤٨
		أمئك — الفخر : ٩٣
		لعلكم — ضر : ١١٧
		فؤادي — غزاره : ١٢٥
		تري — بهار : ١٢٧
		لعمري — ومفخرا : ١٣٣
		إذا — صوره : ٣٤
		لاك — بالنواذر : ٢٠١
		وظي — ماهر : ٢٠٢
		رأيت — أسرى : ٢٣١
		زفير — عزا : ٢٣١
		جميع — زخمترا : ٢٨٥
		وكم — وأكثرا : ٢٨٩
		وما — الوري : ٢٨٨
		هو — أخرى : ٢٩٤
		مليح — كدر : ٢٩٤
بسيط		إذا — خواطره : ٥٣
»		قل — درر : ١٤٠
»		عامي — النندر : ١٦٢
»		إن — خطر : ١٩٥
»		إيوان — دوار : ٣١٥
وافر		بنفسي — وتور : ٢٢١
»		ألا — قنبر : ٢٩٨
كامل		لله — أزهر : ٤٧
»		طيف — الوطر : ١٣٤
»		أهلا — بالكافور : ١٣٤
»		للمرء — كدر : ١٤٦
»		أدر — السرى : ١٧٤
»		هذا — والزوار : ١٩٦

طويل	تجوهر ك — الأفضى : ١٤٦	كامل	نصب — مجرور : ٢٠٣
»	صبرت — وتستقصى : ٣٣٤	»	حاز — الأنوار : ٢٠٣
	(ض)	»	بشرى — المنصورا : ٢١١
		»	لمثال — تغفرا : ٢٢٤
		»	لو — دارى : ٢٢٥
طويل	أيا — براضى : ٢٠	»	وغدا — أذكره : ٢٦٥
»	أيا — البعضا : ١٣٤	»	ومروعة — جارى : ٢٨٥
»	ضلوعى — أرضى : ٢٣٤	»	لا — الأخبارا : ٣١٤
»	تلمسان — القضا : ٣٠٧	رجز	فلكان — وفر : ٥٧
بسيط	إن — إعماس : ٣٢٢	»	ومجنس — أزهر : ١٢٧
وافر	علت — مانس : ٢٢٢	»	فأزم — مادركى : ١٧٤
خفيف	نبه — بالانماض : ١٤٥	حذو	خذه — حذى : ٢١٥
	(ط)	»	تجر — صبور : ٣٠٤
		»	ذرى — يدور : ٣٠٤
طويل	أما — تسطا : ٢٢٢	سريع	قم — السكر : ١٢٠
»	طوت — لا تخطأ : ٢٣٢	»	مارجل — أمرك : ٣٠٩
»	أيا — ما تخطو : ٢٦٩	خفيف	الليالى — تستقر : ١٥٩
بسيط	إلام — خبط : ٢٢٢	»	ما — شهرا : ١٩٥
وافر	مثال — خطا : ٢٧٥		(س)
خفيف	قصى — البسوط : ٢٠١	طويل	حفوت — باس : ١٠٠
	(ظ)	»	رعى — بالناسى : ١٩٦
		»	ورب — الناس : ١٩٧
طويل	ظلت — لظى : ٢٣٢	»	سموت — والشمس : ٢٣٦
	(ع)	»	شمخت — مشى : ٢٣٦
		بسيط	أدر ك — درسا : ٢٠٧
طويل	وما — لموضع : ٤٧	كامل	مذ — القاموسا : ٤٦
»	أما — الأضالع : ١١١	»	وسقى — تهمى : ٩٧
»	على — أولعا : ٢٣٤	»	خضعت — الخرجس : ٣٢٠
»	مشوق — لعلع : ٣١٩	مجزوء	هذا — تلتبس : ١٦٦
بسيط	جمعت — ومرتبغ : ٢١٤	سريع	قالوا — النفوس : ١٦٨
وافر	وما — الدموع : ١٩٧		(ص)
كامل	من — تنوبع : ١٩٧	طويل	الا — خالص : ٣٥

عجبا — الموكفه : ٣٢٤ كامل
 يا — واستنكفه : ٣٢٥ »
 يا — ألفا : ٢٦٩ مجزوء السكامل
 طغا — خليفه : ٢٠٦ مجت

(ق)

وأحلى — ويتقى : ٩٠ طويل
 نقي — تفهق : ١٤٤ »
 أثناني — مشرق : ١٧١ »
 أبا — شيق : ١٧١ »
 قلبي — العلق : ٢٣٥ »
 هي — أفقها : ٢٣٦ »
 أني — وأينق : ٢٩٠ »
 كيلومني — بانفاق : ٣٠٥ »
 يامن — الوثيق : ١٠١ مجزوء البسيط
 أهل — الخلق : ٩٥ كامل
 قالوا — مغلق : ١٩٤ »
 لا — وانتق : ٢٠٣ »
 عندي — عقب : ١١٣ رجز
 لييك — الغدق : ١١٤ »
 صاح — اغتبق : ١١٥ رمل

(ك)

كرمت — السالك : ٢٣٢ طويل
 شكوت — المبكي : ٢٨٦ »
 نثرت — سلكها : ٢٣٧ كامل

(ل)

وأدتم — حجول : ١٠٨ طويل
 أمرت — أهل : ١٤٠ »
 فواعجبا — فاضل : ١٤٣ »
 صحا — ورواحله : ١٤٤ »
 سجام — مثال : ٢٢٤ »

يا — وبرع : ١٩٨ رمل
 بالطبل — نراع : ٣٠٨ مجت

(غ)

غليلي — بمنبغي : ٢٣٥ طويل

(ف)

فيأدي — تشي : ٢٣٥ طويل
 أيايتنا — شتفا : ٢٣٥ »
 طويل — رشفا : ٢٧٢ »
 مبالاة — خصيف : ٢٨٦ »
 مبالاة — خصيف : ٢٨٦ »
 فتى — مشرفه : ٢٩٢ »
 أشي — مكنتفه : ٢٤٢ بسيط
 أغر — والسدف : ٢٩١ »
 أن — كشافي : ٢٩٦ »
 كامل — المصطفي : ٢٧٢ كامل
 جماعة — موكفه : ٢٩٨ »
 عجب — معرفه : ٢٩٩ »
 سميت — المؤكفه : ٢٩٩ »
 وجماعة — مؤلفه : ٢٩٩ »
 مؤانف — القفه : ٣٠٠ »
 جورية — للسفقه : ٣٠٠ »
 عجبا — ومؤلفه : ٣٠٠ »
 قل — تخلفه : ٣٠١ »
 خنالة — موفقه : ٣٠١ »
 وجماعة — الفلسفه : ٣٠١ »
 وجماعة — متعصفه : ٣٠٢ »
 عجبا — معرفه : ٣٠٢ »
 جماعة — موكفه : ٣٠٢ »
 جماعة — متعصفه : ٣٠٤ »
 قل — والمعرفه : ٣٢٣ »
 فيه — للصفه : ٣٢٤ »
 أجمعتم — الصفه : ٣٢٣ »

(م)	<p>طويل وما — الميم : ٤٨</p> <p>» أخو — رميم : ١٠٣</p> <p>» خليل — لازم : ١٣٠</p> <p>طويل ضمان — حاتم : ١٣٥</p> <p>» أيا — جعيم : ١٣٥</p> <p>» عليهم — يترجا : ١٤٣</p> <p>» أمكة — الغائم : ١٤٧</p> <p>» ونهر — الأراقم : ٢٢٣</p> <p>» مثالك — سما : ٢٣٣</p> <p>» بوصف — راقه : ٢٦٣</p> <p>» ألا — وشره : ٣٠٩</p> <p>» لقد — أميا : ٢٩٠</p> <p>» لسانك — طامى : ٢٩١</p> <p>بسيط لو — الرمم : ٧٤</p> <p>وافر وكم — السقيم : ٣٥</p> <p>» إذا — الامام : ٣٦</p> <p>رمل قسما — العلم : ٢٩١</p> <p>مجزوء الرجز إن — السكرم : ٢١٥</p> <p>مبحث يا — ارتسام : ٢٧١</p> <p>متقارب إذا — مغرم : ١٦٤</p>	<p>لثلك — يا نعل : ٢٣٣</p> <p>أقول — حل : ٢٣٨</p> <p>» ونعل — نعل : ٢١٤</p> <p>» لآلى — أهلا : ٢٧٨</p> <p>» وجوات — راجل : ٢٨٨</p> <p>» أبعد — مثله : ٣٠٦</p> <p>» فديتك — عاطل : ٣٢٢</p> <p>مخلع البسيط سفهي — عليل : ٢٠٢</p> <p>وافر أحبنا — وإلا : ٤٧</p> <p>» أخلانا — وإلا : ٥٢</p> <p>» وكنت — يزول : ١٠١</p> <p>» بكيت — وله : ٢٤٨</p> <p>» أمسغ — قبالا : ٢٦٥</p> <p>» أتت — النعال : ٢٨٢</p> <p>كامل وأقب — المتمثل : ١٠٨</p> <p>» لولا — تغزى : ١٦٨</p> <p>» من — أحواله : ٢٠١</p> <p>» قل الأحوال : ٢٠٢</p> <p>» سقيا — البليلا : ٢٢٣</p> <p>» يا مبصرا — متوسلا : ٢٦٨</p> <p>» يا سائلا — أشكاه : ٢٤٢</p> <p>» يا — الأطلال : ٢٦٢</p> <p>» يا مبصرا — متدللا : ٢٦٨</p> <p>» يا — الأليل : ٢٩٧</p> <p>رمل صور — وطالا : ٣٠٩</p> <p>سريع لسنا — تشكل : ٩٨</p> <p>» أيتها — قولاً : ٢٠٤</p> <p>» بشرف — المثال : ٢٦٩</p> <p>منسرح يأبها — الأجل : ٢٩٨</p> <p>مبحث يا — مثله : ٢٤٦</p> <p>» أنظر — جالا : ٢٤٧</p> <p>» مثال — القبول : ٢٦٥</p> <p>متقارب وقال — الأرجل : ١٤٣</p>
(ن)	<p>طويل عينا — زينة : ٣٤</p> <p>» هم — بان : ١٢١</p> <p>» وما — الحيوان : ١٤٦</p> <p>» وإن — حينها : ١٦٨</p> <p>» بأى — الملوان : ٢١٨</p> <p>» يعيرنى — أوطانى : ٢٢٢</p> <p>» نظرت — خدنا : ٢٣٣</p> <p>» أمفتى — عنان : ٢٨٢</p> <p>» إليك — تنهاني : ٢٨٦</p> <p>» ولو — رجحانا : ٢٨٥ ، ٢٩٠</p>	

(هـ)		طويل	وقائلة — سمطين : ٢٩٧
طويل	ولو — زواياها : ٢٦٥	»	ومن — السن : ٣٠٧
بسيط	ماذا — الزاهى : ١٩٨	»	رأيت — زمانه : ٣٠٧
مخلع البسيط	ورب — حلاها : ٣١٩	بسيط	وما — عدوانا : ٥٣
سريع	وعاشق — يهواه : ٢٠٣	»	أقول — الدين : ٦٨
منسرح	من — الله : ١٧٢	ليس	شأنى : ١٧٠ مجزوء البسيط
(و)		واقر	ستعلم — أكون : ٧٨
طويل	خبال — ما نوى : ٢٢٦	»	ورثناهن — بنينا : ٩٨
»	وقفت — أفوى : ٢٧٨	»	وذات — ما تكون : ١٤١
»	نعال — البلوى : ٢٨١	»	تحيف — الأمانى : ٢٢١
رجز	لله — الجوى : ١٧٣	كامل	والله — وفيها : ٧٣
»	لم — الجوى : ١٧٣	»	لا تجعلن — فتونه : ١٠٠
(ى)		ومل	إن — افتننا : ١٦٤
طويل	وان — المنية : ٧٤	رجز	الحمد — السنة : ٥٦
»	يود — اليأس : ٣٧٩	منسرح	أربعة — ولعنان : ٢٩٤

فهرس الموضوعات

صفحة

٢٣	التأخرون من علماء المغرب
٢٤	موازنة بين التونسيين والفاستيين
٢٦	ضعف العلوم النظرية بالمغرب
٢٧	بين السلطان أبي عنان والشيخ الصرصرى
٢٨	بين علماء فاس وتونس
٢٩	تنشيط الشيخ تلامذته بالحكايات
٢٩	دفع الفصور عن بعض علماء المغرب
٣١	وتلامذتهم
٣١	العجز عن التأليف لا يقدح في علم العلماء
٣٢	ملكية العلم في أهل تونس
٣٢	منزلة الشيخ أبي الحسن في العلم
٣٣	كلام في قيمة التأليف ومنزاياها
٣٤	المقصود بالتأليف
٣٥	تعليق للونشريش على كلام الأبي
٣٥	ثناء الأبي على تواليف أستاذه ابن عرفة
٣٦	لبعضهم يمدح مختصر ابن عرفة في الفقه
٣٧	بين القباب وابن عرفة
٣٧	إيراد السلطان أبي عنان على بعض الفقهاء
٣٨	إمامة الشيخ بن عرفة لا تنجس

ترجمة الفيروز ابادى

عن الشقائق النعمانية

٣٨	التعريف به
٣٨	نسبه
٣٩	رحلاته وبعض تواليفه وصفاته
٣٩	ميلاده ووفاته
٣٩	هو آخر من مات من الرؤساء
٤٠	استدراك ابن خلدون

صفحة

روضة الأخوان ، في ذكر حاله

في المنشأ والعنفوان

٥	كلام لابن عاصم في أبيه يتمثل به المؤلف
٥	في وصف عياض
٧	للملاحى في عياض
٧	لابنه أبي عبد الله فيه
٨	لابنه وابن خاتمة في ذكر شيوخه
١١	لابن القصير في دخول عياض غرناطة
١٣	إنصاف القاضي عياض
١٤	التعريف بابن القصير
١٦	لابن بشكوال في عياض
١٧	للتناهى في عياض
١٨	لابن خاقان في عياض
١٨	تعقيب لابن جابر على كلام ابن خاقان
١٨	تعقيب المؤلف على المطمح ومؤلفه
١٩	حسن إلقاء عياض وبعض تلامذته
٢٠	وقاره وسمته
٢٠	عنايته بالتقريب
٢١	تعظيمه للسنة
٢١	ذكاؤه ومواهبه
٢١	حسن خطه
٢١	حسن عبارته

صناعة التأليف بالمغرب

٢٢	لتدريس المدونة اصطلاحان
٢٢	فضل عياض في التأليف
٢٣	موازنة بين المارقة والأندلسيين

صفحة

- آراء في المراد بالمجدد ... ٥٦
عود إلى نظم السيوطي في المجددين ٥٧

روضة النهار

في ذكر جملة من شيوخه الذين
فضلهم أظهر من شمس النهار

- مقدمة ... ٥٩

شيوخ عياض

- أبو الوليد بن رشد (الجد) ... ٥٩
شيوخه وعلمه ... ٦٠
ورعه ومؤلفاته ومولده ووفاته ... ٦٠
توجهه إلى المغرب وعودته ... ٦١
أبو عبد الله التجيبي القرطبي ... ٦١
أبو بكر بن العربي المعافري ... ٦٢
بن كلام ابن يشكوال عنه ... ٦٣
شيء عنه من حياة ابن الزبير ... ٦٣
وفاته وقبره ... ٦٤

استطراد وتحقيق

- رسالة الإشارات الحسان ٧ بن غازي ... ٦٥
مقدمة ... ٦٦
سؤال الوائسري لآبن غازي عن { ... ٦٦
مسائل من العلم ...
قضية سعيد بن المسيب مع عمر بن { ... ٦٧
عبد العزيز ...
محنة سعيد بن المسيب لصلابته في الدين ٦٩

تنبيهات

- ميلاد سعيد بن المسيب ووفاته ... ٧١
بعض عمال عبد الملك ... ٧١

صفحة

ترجمة ثانية للفيروزابادي
عن الضوء اللامع للسخاوي

- كتبه ومؤلفاته ... ٤٢
ثناء الكرمانى عليه ... ٤٤
ثناء الخزرجى عليه ... ٤٤
رغبته في سكنى الحجاز ... ٤٥
كتابه إلى الأشرف إسماعيل ... ٤٥
ثناء الفاسى عليه ... ٤٦
لنور الدين علي بن مدح كتابه القاموس ... ٤٦
بن شمس بن محمد ... ٤٧
تاريخ وفاته ... ٤٧
الفيروزي مدح القاموس ... ٤٧
وللإسطنبول في رموز القاموس ... ٤٧
وفاته بن مدح القاموس ... ٤٧
شعره المترجم وقد قرأ صحيح مسلم ... ٤٨

ترجمة ثالثة للفيروزابادي

عن إنباء الغمر

- مولده ورحلاته ... ٤٩
كتبه وإسرافه ... ٥٠
بعض مؤلفاته ... ٥١
شيوخه ... ٥١
وفاته ... ٥٢
مدح الفيروزابادي لابن عربي ... ٥٢
التعريف بحبي الدين بن عربي ... ٥٤
رأى ابن خاتمة في ابن عربي ... ٥٤
لتسليم للمتصوفة خير من الطعن عليهم ... ٥٥

التجديد والمجدودون

- نظم للسيوطي في المجددين ... ٥٦

صفحة

- ٩٥ ... شعر للعزفي في ذلك ...
 ٩٥ أبو عبدالله بن حدين من شيوخ عياض ...
 ٩٥ ميلاده ووفاته ...
 ٩٦ ما قاله ابن خاقان في حقه ...
 ٩٧ فصل من رسالة له راجع بها ابن
 شمش ...
 ٩٨ فصل آخر منها ...
 ٩٦ أبو بكر بن عطية من شيوخ عياض ...
 ٩٩ أمثلة من شعره ...
 ١٠١ ابن السيد البطليوسي من أشياخ عياض ...
 ١٠٢ ذكره السيوطي في البغية ...
 ١٠٢ مصنفاته كما في البغية ...
 ١٠٣ مثال من شعره ...

ترجمة ابن السيد البطليوسي

- ١٠٣ تأليف خاص لابن خاقان في التعريف
 بابن السيد ...
 ١٠٣ مقدمة تأليف الفتح ...
 ١٠٥ ثناء ابن خاقان على ابن السيد ...
 ١٠٦ حفظه من العاوم والمعارف ...
 ١٠٧ وصفه مجلس القادر بن ذي النون ...
 ١٠٨ وله يصف فرسا ...
 ١٠٩ وله في وصف الراح ...
 ١٠٩ ولابن عمار في مثله ...
 ١١٠ والمترجم في وصف مجلس أنس ...
 ١١٠ وله يمدح بعض الأعيان ...
 ١١٢ وله يتغزل ...
 ١١٣ بينه وبين أبي الحسن راشد وقد
 دعاه إلى مجلس أنس ...
 ١١٥ وله يصف مجلس أنس ...
 ١١٦ وله في الزهد ...
 ١١٧ وله يمدح الظافر بن ذي النون ...
 ١٢٠ وله يمدح ابن ليون ...

صفحة

- ٧١ بعض آل مخزوم من أصحاب مالك ...
 ٧٢ المقرئ في وفاة ابن المسبب ...
 ٧٢ برد مولى بن المسبب ...
 ٧٣ القول في إيمان أبي طالب ...
 ٧٤ القول في إيمان أبوي النبي ...
 ٧٥ قول المسعودي في إيمان أبي طالب ...
 ٧٥ أبو العباس العشاب ...
 ٨٧ ابن طلحة الباري ...
 ٧٨ ابن طلحة آخر ...
 ٧٨ الأبلبي المصري ...
 ٧٨ أخبار أهل السنة والمعتزلة ...
 ٧٩ مناظرة الباقلاني للمعتزلة ...
 ٨٤ تسمية أهل السنة المثبتة والمجبرة ...
 ٨٥ بعض من قال بالجبر وبالجهة ...
 ٨٥ أبو بكر بن مجاهد ...
 ٨٦ التصحيح في أسماء الرجال ...
 ٨٦ تنمة القول في أبي بكر بن العربي ...
 ٨٧ في حاشية كتاب ابن غازي ...
 ٨٧ نفي الاحتمال في أمر أبي بكر بن العربي ...
 ٨٨ مثال من صلابة ابن العربي في القضاء ...
 ٨٨ مثال من شعره ...
 ٨٨ أجازته بيتا لابن صاره ...
 ٨٩ ارتجاله الشعر في مجلس الدرس ...
 ٨٩ وصفه البحر نثرا ...
 ٨٩ بعض ما صادفه في رحلته من ثمرات
 الأدب ...
 ٩١ تفسير بعض الغريب ...
 ٩١ من لقي ابن العربي في رحلته من كبار
 العلماء ...
 ٩٢ تعريف ابن خاقان في المظمح بابن العربي ...
 ٩٣ مثال آخر من شعره ...
 ٩٤ بعض تأليف ابن العربي ...
 ٩٥ نضرة وجوه أهل الحديث ...

صفحة	صفحة
أبو علي الصديقي من شيوخ عياض ١٥١	تعريف للفتح بابن لبون ومدح ابن ١٢٠
رحلته إلى الشرق ... ١٥١	السيد له ... ١٢٠
عودته إلى الأندلس ... ١٥٢	ولابن السيد مدح ابن رزين ... ١٢٣
حديث ابن الأبار عنه ... ١٥٣	وله يرثي أبا عبد الملك بن عبد العزيز ١٢٥
تولية قضاء مرسية واستشهاده ١٥٣	وله في وصف طول الليل ... ١٢٧
في وقعة فتندة ... ١٥٣	وله في وصف مجلس الطافر ... ١٢٧
ابن بقوى من أشياخ عياض ... ١٥٤	وله في الغزل ... ١٢٩
ابن شبرين من أشياخ عياض ... ١٥٥	لابن عريب يستدعيه إلى معاطاة قهوة ١٣٢
ابن بقى من شيوخ عياض ... ١٥٧	رده على ابن عريب ... ١٣٢
ابن المرخي من شيوخ عياض ... ١٥٧	وله في وصف كتاب من محبوب ١٣٢
ابن غلبون من شيوخ عياض ... ١٥٧	كتب إليه بعض إخوانه متمثلا ... ١٣٢
أبو العباس الشارقي من شيوخ عياض ١٥٧	رده عليه ... ١٣٣
أبو إسحاق اللواتي من شيوخ عياض ١٥٧	وله في الرد على ابن أبي الخصال ... ١٣٣
ابن بشتغير وابن مكحول من شيوخ ١٥٨	ومما يستجاد له ... ١٣٤
عياض ... ١٥٨	قطعة له تنفك منها ست قطع ... ١٣٤
من شيوخ عياض المذكورين في ١٥٨	قطعة أخرى تنفك منها تسع قطع ... ١٣٤
حرف الحاء ... ١٥٨	وله في وصف تين ... ١٣٤
من شيوخ عياض المذكورين في ١٥٨	وله في وصف حمام ... ١٣٥
حرف الحاء ... ١٥٨	وله في الغزل ... ١٣٥
من شيوخ عياض المذكورين في ١٥٨	وله في مدح القادر ... ١٣٥
حرف الميم ... ١٥٨	ترجمة ابن السيد في الفلائي ... ١٣٧
من شيوخ عياض المذكورين في ١٦٠	وله يراجع ابن جوشن ... ١٣٩
حرف العين ... ١٦٠	وله في الزهد ... ١٤٠
من شيوخ عياض المذكورين في ١٦٠	وله يحجب شاعرا مدحه ... ١٤٠
حرف العين ... ١٦٠	وله في وصف زربطانه ... ١٤١
من شيوخ عياض المذكورين في ١٦٠	رسائله إلى ابن الأخضر ... ١٤١
حرف السين ... ١٦٠	وله في الرد على رسالة للوزير ابن ١٤٢
بعض شيوخ عياض المذكورين في ١٦١	سفيان ... ١٤٢
حرف الشين ... ١٦١	وله مدح ابن الفرج ... ١٤٥
بعض شيوخ عياض المذكورين في ١٦١	وله في الزهد ... ١٤٦
حرف الهاء ... ١٦١	وله يعزى ابن لبون في أخيه ... ١٤٦
بعض شيوخ عياض المذكورين في ١٦١	وله يخاطب مكة ... ١٤٧
حرف الياء ... ١٦١	أبو علي الغساني من شيوخ عياض ١٤٩
من شعر المرادي ... ١٦١	
من أجاز عياضا أبو بكر الطرطوشي ١٦٢	

صفحة	
١٩٠	قصيدة له في مدح أبي عنان فرس
١٩٤	حسن تخلصه في القصيدة
١٩٤	وله في وصف حال
١٩٥	وله في حفظ العهد
١٩٥	ألف رحلة ابن بطوطة
١٩٥	ومن شعر له في مرضه
١٩٥	ومن شعره يخاطب أبا إسحاق بن الحاج
١٩٦	وله مصحفا
١٩٦	ولابن الجباب مصحفا
١٩٦	ولابن جزى في المرية وأهلها
١٩٦	وله في زاوية أبي عنان
١٩٧	ومن بديع نظمه
١٩٨	تهنئته أبا عنان بإبلال ولده وتوريته بأسماء الكتب
٢٠٠	من نظم ابن جزى موريا بأسماء الكتب
٢٠١	من نظم عبد المهيمن الحضرمي موريا بأسماء الكتب
٢٠٢	لأبي علي حسين بن صالح موريا بأسماء الكتب
٢٠٢	للوزير لسان الدين بن الخطيب موريا بأسماء الكتب
٢٠٢	لابن خاتمة موريا بأسماء الكتب
٢٠٣	لبعض الشعراء موريا بأسماء الكتب
٢٠٣	ومن شعر ابن جزى
٢٠٤	كان حازم وابن الأبار فرسي رهان
٢٠٤	ترجمة ابن الأبار وطرف من أخباره

الخبر عن مقتل ابن الأبار

وسياقة أوليته

٢٠٧	سينيته التي يستصرخ بها أبا زكرياء الحفصي
-----	---

صفحة	
١٦٣	تعريف ابن خلكان بالطرطوشي
١٦٥	ممن أجاز عياضا أبو عبد الله المازري
١٦٧	ممن أجاز عياضا الحافظ السلفي
١٦٨	تحقيق ميلاد الحافظ السلفي ونسبته
١٧٠	تعليق للمؤلف
١٧٠	شيء من نظم الحافظ السلفي
١٧١	الأجازة العلمية عند تعذر اللقاء
١٧١	ترجمة السيوطي لحازم القرطاجي
١٧٣	تكلمة المؤلف لترجمة حازم
١٧٤	جيمته التي يعارض بها رائية ابن عمار
١٧٦	جيمية ابن قلاقس
١٧٦	ولابن قلاقس أيضا
١٧٧	ولحازم في الوصف
١٧٧	وله يتغزل في صدر قصيدة مديحية
١٧٨	وله يصف وردة
١٧٨	تضمينه معلقة امرئ القيس
١٨٢	وله في مدح الرسول
١٨٤	تحقيق نسبة القصيدة السابقة
١٨٤	ترجمة أبي القاسم بن جزى
١٨٥	بعض شيوخه
١٨٥	توابعه
١٨٥	من شعره يبين غرضه في الحياة
١٨٦	وله يفخر بعفته
١٨٦	وله في جلال مقام النبوة
١٨٧	مولده
١٨٧	وفاته
١٨٧	وله في الرجوع إلى الله
١٨٧	ترجمة أبي بكر ابن جزى
١٨٨	شعر له في حب الناس للمال
١٨٨	تصديده أعجاز قصيدة امرئ القيس
١٨٨	بعض توابعه وأعماله
١٨٩	ترجمة أبي عبد الله بن جزى
١٩٠	قصيدة له في مدح أبي الحجاج يوسف

صفحة

- ٢٦٥ } ما وقع للفاهاني حين رأى تمثال النعل
٢٦٦ } ما قاله ابن رشيد حين رأى تمثال النعل في دمشق
٢٦٧ } تمثال النعل النبوية
٢٦٨ } ما كتب في المثال الأيمن
٢٧٠ } ما كتب في المثال الأيسر
٢٧٢ } ولابن جابر الوادي آثى في مدح النعل
٢٧٢ } وللشامي الخزرجي في ذلك
٢٧٥ } وله في الغرض نفسه
٢٧٨ } وللشامي أيضا في النعل مكملا ماسقط من كلام ابن فرج السيدي
٢٧٩ } وله في ذلك أيضا
٢٨١ } وله في ذلك أيضا
٢٨٢ } وله أيضا
٢٨٢ } وله مخاطبا المؤلف راغبا في إثبات هذه المنظومات في أزهار الرياض

بين القاضي عياض

والزخمشري

- ٢٨٢ عياض والزخمشري

بين الحافظ السلفي

والزخمشري

- ٢٨٣ استجادة الحافظ السلفي الزخمشري
٢٨٤ رسالة الزخمشري للحافظ السلفي
٢٨٧ } استجادة الحافظ السلفي الزخمشري مرة ثانية
٢٨٨ } رد الزخمشري على الحافظ السلفي بالإجازة الثانية
٢٩٣ تعليق للمؤلف على كلام الزخمشري
٢٩٤ من بديع نظم الزخمشري
٢٩٥ ما ذكره عنه السيوطي في بنية الوعاة

صفحة

- ٢١١ ارتجاله بيتين في حضرة المستنصر
٢١١ رسالته للمستنصر
٢١٥ مخاطبته رئيس منورقة سعيد بن حكم
٢١٧ وكتب إليه شافعا ومعتزيا
٢١٨ } تهنئته أبا المطرف بن عميرة بقضاء شاطبة
٢١٩ } وكتب شافعا في ذلك أسير
٢٢٠ } وكتب أيضا شافعا
٢٢١ } وله في الحجيات
٢٢١ } وله يشكو الزمان
٢٢٢ } وله في تسليم المقدور
٢٢٣ } وله يعارض الرضا في وصف نهر
٢٢٣ } وله في معناه أيضا
٢٢٤ } وله في تمثال نعل النبي
٢٢٥ } وله في التشويق إلى الضريح النبوي
٢٢٨ } لمحمد بن فرج في نعل النبي خمسا لأبيات أبي الربيع بن سالم
٢٢٨ } وله في مدح النعل على حروف المعجم
٢٣٧ } وله مقاصيع في مدح النعل أيضا
٢٤٢ } وله في تشبيه نعل الرسول
٢٤٢ } وله في وصف النعل أيضا
٢٤٥ } وله أيضا في النعل السكرية
٢٤٦ } وله أيضا فيها
٢٤٧ } وله أيضا في ذلك الغرض
٢٤٨ } وله أيضا في ذلك
٢٤٨ } وله في ذلك وقد نعى منجى رائية أبي الربيع بن سالم
٢٦١ } عناية الصالحين بالنعل السكرية
٢٦٢ } بعض ما جرب من بركتها
٢٦٢ } لأبي اليمن بن عساكر في مدحها
٢٦٣ } وللالك بن المرحل في مدحها
٢٦٤ } وللقرطبي في ذلك أيضا
٢٦٥ } ما كتب في بعض تماثيل النعل

صفحة

- ٣٠٧ ... وله متبرما بسكنى تلحسان ...
 ٣٠٨ ... وله أيضا في ذلك ...
 ٣٠٨ كان الوادى آشى مغرما بالفسخ والتقييد ...
 ٣٠٨ وبخطه شعر لسيدى محمد العربى ...
 ٣٠٨ {ولسيدى العربى في رجل تنصر ...
 واختلط عقلاه ... }
 ٣٠٩ ... وله ملفرا لغزا فقهيا ...
 ٣٠٩ ... وله في الغرض نفسه ...
 ٣٠٩ ... بعض أخبار أبى عبد الله العربى ...
 ٣١٠ بخط الوادى آشى من الوثائق المجموعة ...
 ٣١٠ {ومن خطه نقلا عن القاضي أبى يحيى ...
 ابن عاصم في توثيق العقود ... }
 ٣١١ {ومما نقله الوادى آشى عن ابن عاصم ...
 في الغرض نفسه ... }
 ٣١٢ حكم الشاهد الذى يصير قاضيا ...
 ٣١٣ وبخطه دعاء لابن جبير ...
 ٣١٣ وبخطه من كلام بعض العلماء ...
 ٣١٤ وبخطه نقلا عن شرح خليل لابن سراج ...
 ٣١٤ وبخطه للتفتازانى في شرح عقيدة النسفى ...
 ٣١٤ ومن خطه ما كتب في طلسم بغرناطة ...
 ٣١٥ ومن خطه لبعضهم في صناعة الكتابة ...
 ٣١٥ ومن خطه بعض ما يشترط في البيوع ...
 ٣١٦ ومن خطه بعض مسائل في الرهن ...
 ٣١٧ ترجمة ابن الأزرق ...
 ٣١٧ تأليفه ...
 ٣١٩ شعر له في الاعتداد بالصبر عند الشدائد ...
 ٣١٩ وله عند وفاة والدته ...
 ٣١٩ وله في الحينيات ...
 ٣١٩ وله في مدح شيخه يحيى بن عاصم ...
 ٣٢٢ تعليقات المؤلف ...
 ٣٢٢ وله يخاطب شيخه ابن سراج ...
 عود إلى الرد على بيتى الزنخشرى
 ٣٢٣ لابن عاصم ...
 ٣٢٤ ولأبى حفص بن عمر ...
 ٣٢٤ لابراهيم بن هلال ...
 ٣٢٥ ولعللى بن أحمد الشامى ...

صفحة

- ٢٩٦ تعريف ابن خلكان به ...
 ٢٩٨ المسألة به لابن غازى ...
 ٢٩٨ للزنخشرى بمدح كتاب سيبويه ...
 بين الزنخشرى وأهل السنة
 ٢٩٨ {ما أنشده في الكشف لبعض المعتزلة ...
 في ذم أهل السنة ... }
 ٢٩٩ ما رد به عليه أهل السنة ...
 ٢٩٩ لابن المنير في الرد على المعتزلة ...
 ٢٩٩ وله أيضا في ذلك ...
 ٢٩٩ وللشيخ عمر السكونى في ذلك الغرض ...
 ٣٠٠ وللقاضى عمر بن عبد الرقيق في ذلك ...
 ٣٠٠ وللأججى في ذلك الغرض ...
 ٣٠٠ وليحيى بن منصور التونسي في ذلك ...
 ٣٠١ وللغيرنى في ذلك ...
 ٣٠١ ولابن عرفة في ذلك ...
 ٣٠١ ولابن مرزوق النحلى فى ذلك ...
 ٣٠٢ ولكامل الدين المظفر في ذلك ...
 ٣٠٢ ابن المنير الإسكندرى من أهل السنة ...
 ٣٠٢ لابن الجبير اليحصى في ذلك ...
 ٣٠٣ تعليق للمؤلف ...
 ٣٠٢ كلام ابن الجبير من رواية الوادى آشى ...
 ٣٠٤ ومن نظم ابن الجبير ...
 ٣٠٤ ومن نظم ابن الجبير أيضا مجيبا للشران ...
 ٣٠٤ ما أجابه به الشران ...
 ٣٠٥ المسلمون أعداء لأهل السنة ...
 ٣٠٥ جند الله الغالبون هم أهل السنة ...
 ٣٠٥ بعض أخبار الوادى آشى وشعره ...
 ٣٠٦ رثاؤه أحمد بن يحيى الوشمريشى ...
 ٣٠٦ وله في رثائه أيضا ...
 ٣٠٦ وله فيه أيضا ...
 ٣٠٧ وله فيه أيضا ...
 ٣٠٧ وفاة الشيخ الوشمريشى ...
 ٣٠٧ والوادى آشى في مدح الفقيه أحمد ...
 ٣٠٧ {العبادى ... }